حادي الأرواح

إلى بلاد الأفراح

للإمام الجليل الحافظ أبي عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف

بابن قيم الجوزية

٦٩١ — ٧٥١

قدم له وأشرف على طبعه

على السيد صبح المدني

عفا الله عنه

مطبعة المدني

٦٨ شارع العباسية — القاهرة

حادي الأرواح

إلى بلاد الأفراح

للإمام ابن قيم الجوزية

٦٩١ — ٧٥١

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه الإعانة

الحمد لله الذى جعل جنة الفردوس لعباده المؤمنين نزلا ، ويسرهم للأعمال الصالحة الموصلة إليها فلم يتخذوا سواها شغلا ، وسهل لهم طرقها فسلكوا السبيل الموصلة إليها ذللا ، خلقها لهم قبل أن يخلقهم ، وأسكنهم إياها قبل أن يوجدهم وحفها بالمكاره ، وأخرجهم إلى دار الامتحان ليبلوهم أيهم أحسن عملا ، وجعل ميعاد دخولها يوم القدوم عليه ، وضرب مدة الحياة الفانية دونه أجلا ، وأودعها مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، وجلاها لهم حتى عاينوها بعين البصيرة التى هى أنفذ من رؤية البصر ، وبشرهم بما أعد لهم فيها على لسان رسوله فهى خير البشر ، على لسان خير البشر ، وكمل لهم البشرى بكونهم خالدين فيها لا يبغون عنها حولا .

والحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلا ، وباعث الرسل مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ، إذ لم يخلقهم عبثا ، ولم يتركهم سدى ، ولم يغفلهم هملا ، بل خلقهم لأمر عظيم ، وهيأهم لخطب جسيم ، وعمر لهم دارين ، فهذه لمن أجاب الداعى ولم يبغ سوى ربه الكريم بدلا ، وهذه لمن لم يجب دعوته ولم يرفع بها رأسا ولم يعلق بها أملا .

والحمد لله الذى رضى من عباده باليسير من العمل ، وتجاوز لهم عن الكثير من الزلل ، وأفاض عليهم النعمة ، وكتب على نفسه الرحمة ، وضمن الكتاب الذى كتبه أن رحمته سبقت غضبه ، دعا عباده إلى دار السلام فعمهم بالدعوة حجة منه عليهم وعدلا ، وخص بالهداية والتوفيق من شاء نعمة ومنة وفضلا . فهذا عدله وحكمته وهو العزيز الحكيم ، وذلك فضله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة عبده وابن عبده وابن

أمته ، ومن لاغنى به طرفة عين عن فضله ورحمته ، ولا مطمع له فى الفوز بالجنة والنجاة من النار إلا بعفوه ومغفرته .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، وأمينه على وحيه وخيرته من خلقه ، أرسله رحمة للعالمين ، وقدوة للعاملين ومحجة للسالكين ، وحجة على العباد أجمعين ، بعثه للإيمان مناديا ، وإلى دار السلام داعيا ، وللخليقة هاديا ، ولكتابه تالياً ، وفى مرضاته ساعياً ، وبالمعروف آمراً ، وعن المنكر ناهياً ، أرسله على حين فترة من الرسل ، فهدى به إلى أقوم الطرق ، وأوضح السبل ، وافترض على العباد طاعته ومحبته ، وتعزيره وتوقيره والقيام بحقوقه ، وسد إلى الجنة جميع الطرق فلم يفتحها لأحد إلا من طريقه فلو أتوا من كل طريق واستفتحوا من كل باب لما فتح لهم حتى يكونوا خلفه من الداخلين ، وعلى منهاجه وطريقته من السالكين .

فسبحان من شرح له صدره ، ووضع عنه وزره ، ورفع له ذكره ، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمره ، فدعا إلى الله وإلى جنته سراً وجهاراً ، وأذن بذلك بين أظهر الأمة ليلا ونهارا ، إلى أن طلع فجر الإسلام ، وأشرقت شمس الإيمان ، وعلت كلمة الرحمن ، وبطلت دعوة الشيطان ، وأضاءت بنور رسالته الأرض بعد ظلماتها ، وتألفت به القلوب بعد تفرقها وشتاتها ، فأشرق وجه الدهر حسنا ، وأصبح الظلام ضياء ، واهتدى كل حيران ، فلما كمل الله به دينه وأتم به نعمته ، ونشر به على الخلائق رحمته ، فبلغ رسالات ربه ونصح عباده ، وجاهد فى الله حق جهاده ، خيره بين المقام فى الدنيا وبين لقائه والقدوم عليه ، فاختار لقاء ربه محبة له وشوقا إليه ، فاستأثر به ونقله إلى الرفيق الأعلى ، والمحل الأرفع الأسنى ، وقد ترك أمته على الواضحة الغراء ، والمحجة البيضاء ، فسلك أصحابه وأتباعه على أثره إلى جنات النعيم ، وعدل الراغبون عن هديه إلى طرق الجحيم : (ليهلك من هلك عن بينة ويحيي من حى عن بينة وإن الله لسميع عليم)[1] .

فصلى الله وملائكته وأنبياؤه ورسله وعباده المؤمنين عليه كما وحد الله وعبده ، وعرفنا به ودعا إليه .

---

(١) سورة الأنفال ، آية ٤٢

أما بعد . فإن الله سبحانه وتعالى لم يخلق خلقه عبثا ولم يتركهم سدى ، بل خلقهم لأمر عظيم وخطب جسيم ، عرض على السموات والأرض والجبال فأبين وأشفقن منه إشفاقا ووجلا ، وقلن ربنا إن أمرتنا فسمعا وطاعة، وإن خيرتنا فمافيتك نريد لا نبغى بها بدلا ، وحمله الإنسان على ضعفه وعجزه عن حمله ، وباء به على ظلمه وجهله ، فألقى أكثر الناس الحمل عن ظهورهم لشدة مؤنته عليهم وثقله ، فصحبوا الدنيا صحبة الأنعام السائمة ، لا ينظرون فى معرفة موجدهم وحقه عليهم ، ولا فى المراد من إيجادهم وإخراجهم إلى هذه الدار التى هى طريق ومعبر إلى دار القرار ، ولا يتفكرون فى قلة مقامهم فى الدنيا الفانية ، وسرعة رحيلهم إلى الآخرة الباقية، فقد ملكهم باعث الحس ، وغاب عنهم داعى العقل ، وشملتهم الغفلة وغرتهم الأمانى الباطلة ، والخدع الكاذبة ، فخدعهم طول الأمل ، وران على قلوبهم سوء العمل ، فهمهم فى لذات الدنيا ، وشهوات النفوس كيف حصلت حصلوها ، ومن أى وجه لاحت أخذوها ، إذا بدا لهم حظ من الدنيا بآخرتهم طاروا إليه زرافات ووحدانا ، وإذا عرض لهم عاجل من الدنيا لم يؤثروا عليه ثوابا من الله ولارضوانا : (يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون)(١) ، (ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون)(٢) .

والعجب كل العجب من غفلة من لحظاته معدودة عليه ، وكل نفس من أنفاسه لا قيمة له إذا ذهب لم يرجع إليه ، فمطايا الليل والنهار تسرع به ولا يتفكر إلى أين يحمل ، ويسار به أعظم من سير البريد ، ولا يدرى إلى أى الدارين ينقل ، فإذا نزل به الموت اشتد قلقه لخراب ذاته وذهاب لذاته . لا لما سبق من جناياته ، وسلف من تفريطه ، حيث لم يقدم لحياته . فإذا خطرت له خطرة عارضة لما خلق له دفعها باعتماده على العفو ، وقال : قد أنبئنا أنه هو الغفور الرحيم ، وكأنه لم ينبأ أن عذابه هو العذاب الأليم .

(١) سورة الروم آية ٧ .

(٢) سورة الحشر آية ١٩ .

فصــل

ولما علم الموفقون ما خلقوا له وما أريد بإيجادهم رفعوا رؤوسهم ، فإذا علم الجنة قد رفع لهم فشمروا إليه ، وإذا صراطها المستقيم قدوضح لهم فاستقاموا عليه ، ورأوا من أعظم الغبن بيع مالا عين رأت ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ،في أبد لا يزول ، ولا ينفد بصبابة عيش إنما هو كأضغاث أحلام ، أو كطيف زار فى المنام، مشوب بالنغص ، ممزوج بالغصص ، إن أضحك قليلا أبكى كثيرا ، وإن سر يوما أحزن شهورا ، آلامه تزيد على لذاته ، وأحزانه أضعاف مسراته ، أوله مخاوف وآخره متالف ، فياعجبا من سفيه فى صورة حليم ، ومعتوه فى مسلاخ عاقل ، آثر الحظ الفانى الخسيس ، على الحظ الباقى النفيس ، وباع جنةعرضهاالسموات والأرض، بسجن ضيق بين أرباب العاهات ، والبليات ، ومسا كن طيبة فى جنات عدن تجرى من تحتها الأنهار ، بأعطان ضيقة آخرها الخراب والبوار ،وأبكارا عربا أترابا كأنهن الياقوت والمرجان ، بقذرات دنسات سيآت الأخلاق مسافحات أو متخذات أخدان، وحورا مقصورات فى الخيام بخبيثات مسيبات بين الأنام ، وأنهارا من خمر لذة للشاربين ، بشراب نجس مذهب للعقل مفسد للدنيا والدين ، ولذة النظر إلى وجه العزيز الرحيم ، بالتمتع برؤية الوجه القبيح الدميم ، وسماع الخطاب من الرحمن ، بسماع المعازف والغناء والألحان ، والجلوس على منابر اللؤلؤ والياقوت والزبرجد يوم المزيد ، بالجلوس فى مجالس الفسوق مع كل شيطان مريد ، ونداء المنادى يا أهل الجنة : إن لكم أن تنعموا فلا تيأسوا وتحيوا فلا تموتوا ، وتقيموا فلا تظعنوا، وتشبوا فلاتهرموا بغناء المغنين .

وقف الهوى بى حيث أنت فليس لى ... متأخر عنه ولا متقدم

أجد الملامة فى هواك لذيذة ... حبا لذكرك فليلمنى اللوم

وإنما يظهر الغبن الفاحش فى هذا البيع يوم القيامة ، وإنما يتبين سفه بائعه يوم الحسرة والندامة ، إذا حشر المتقون إلى الرحمن وفدا ، وسيق المجرمون إلى جهنم وردا ، ونادى المنادى على رؤوس الأشهاد ، ليعلمن أهل الموقف من أولى بالكرم

من بين العباد ، فلو توهم المتخلف عن هذه الرفقة ما أعد الله لهم من الإكرام ، وادخر لهم من الفضل والإنعام ، وما أخفى لهم من قرة أعين لم يقع على مثلها بصر ، ولا سمعته أذن ولا خطر على قلب بشر ، لعلم أى بضاعة أضاع ، وأنه لا خير له فى حياته وهو معدود من سقط المتاع ، وعلم أن القوم قد توسطوا ملكاً كبيراً لا تعتريه الآفات ، ولا يلحقه الزوال ، وفازوا بالنعيم المقيم فى جوار الكبير المتعال .

فهم فى روضات الجنة يتقلبون ، وعلى أسرتها تحت الحجال يجلسون ، وعلى الفرش التى بطائنها من إستبرق يتكئون ، وبالحور العين يتنعمون ، وبأنواع الثمار يتفكهون ، ويطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين ، لا يصدعون عنها ولا ينزفون ، وفاكهة مما يتخيرون ، ولحم طير مما يشتهون ، وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون ، جزاء بما كانوا يعملون ، يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون ، تالله لقد نودى عليها فى سوق الكساد ، فما قلب ولا استام إلا أفراد من العباد ، فواعجبا لها كيف نام طالبها ؟ وكيف لم يسمح بمهرها خاطبها ! وكيف طاب العيش فى هذه الدار بعد سماع أخبارها ؟ وكيف قر للمشتاق القرار ، دون معانقة أبكارها ، وكيف قرت دونها أعين المشتاقين ؟ وكيف صبرت عنها أنفس الموقنين ؟ وكيف صدفت عنها قلوب أكثر العالمين ؟ وبأى شىء تعوضت عنها نفوس المعرضين ؟

شعر فى وصف الجنة

وما ذاك إلا غيرة أن ينالها	سوى كفئها والرب بالخلق أعلم
وإن حجبت عنا بكل كريهة	وحفت بما يؤذى النفوس ويؤلم
فلله ما فى حشوها من مسرة	وأصناف لذات بها يتنعم
ولله برد العيش بين خيامها	وروضاتها والثغر فى الروض يبسم
ولله واديها الذى هو موعد المز	يد لوفد الحب لو كنت منهم
بذيالك الوادى يهيم صبابة	محب يرى أن الصبابة مغنم
ولله أفراح المحبين عندما	يخاطبهم من فوقهم ويسلم

ولله أبصـــار ترى الله جهرة ... فلا الضيم يغشاها ولا هى تسأم
فيانظرة أهدت إلى الوجه نضرة ... أمن بعدها يسلو المحب المتيم
ولله كم من خيرة إن تبسمت ... أضاء لها نور من الفجر أعظم
فيالذة الأبصار إن هى أقبلت ... ويالذة الأسماع حين تـكلم
ويا خجلة الغصن الرطيب إذا انثنت ... ويا خجلة الفجرين حين تبسم
فإن كنت ذا قلب عليل بحبها ... فلم يبق إلا وصلها لك مرهم
ولا سيما فى لثمها عند ضمها ... وقد صار منها تحت جيدك معصم
تراه إذا أبدت له حسن وجهها ... يلذ به قبل الوصال وينعم
تفـكه منها العين عند اجتلائها ... فواكه شتى طلعها ليس يعـدم
عناقيد من كرم وتفـاح جنة ... ورمان أغصان به القلب مغرم
وللورد ماقد ألبسته خدودها ... وللخمر ما قد ضمه الريق والفم
تقسم منها الحسن فى جمع واحد ... فيـا عجبـا من واحد يتقسم
لها فرق شتى من الحسن أجمعت ... بجملتهـا إن السلو محـــرم
تذكر بالرحمن من هو ناظر ... فينطق بالتسبيح لا يتلعثم
إذا قابلت جيش الهموم بوجهها ... تولى على أعقابه الجيش يهزم
فياخاطب الحسناء إن كنت راغبا ... فهذا زمان المهر فهو المقدم
ولمـا جرى ماء الشباب بغصنها ... تيقن حقاً أنه ليس يهرم
وكن مبغضا للخائنات لحبها ... فتحظى بها من دونهن وتنعم
وكن أيمـا ممن سواها فإنها ... لمثلك فى جنات عدن تأيم
وصم يومك الأدنى لعلك فى غد ... تفوز بعيد الفطر والناس صوم
وأقدم ولا تقنع بعيش منغص ... فما فاز باللذات من ليس يقدم
وإن ضاقت الدنيا عليك بأسرها ... ولم يك فيها منزل لك يعـلم
فحى على جنات عدن فإنها ... منازلنا الأولى وفيها المخيم
ولـكننا سبي العدو فهل ترى ... نعود إلى أوطاننا ونسـلم

وقد زعموا أن الغريب إذا نأى ... وشطت به أوطانه فهو مغرم
وأى اغتراب فوق غربتنا التى ... لهـا أضحت الأعداء فينا تحـكم
وحى على السوق الذى فيه يلتقى المحـ ... ـبون ذاك السوق للقوم يعلم
فما شئت خذ منه بلا ثمن له ... فقد أسلف التجار فيـه وأسلموا
وحى على يوم المزيد الذى به ... زيارة رب العرش فاليوم موسم
وحى على واد هنالك أفيح ... وتربته من إذفر المسك أعظم
منابر من نور هناك وفضة ... ومن خالص القيان لا تتقصم
وكثبان مسك قد جعلن مقاعدا ... لمن دون أصحاب المنابر يعلم
فبينا همو فى عيشهم وسرورهم ... وأرزاقهم تجرى عليهم وتقسم
إذا هم بنور ساطع أشرقت له ... بأقطارها الجنـات لا يتوهم
تجلى لهم رب السموات جهرة ... فيضحك فوق العرش ثم يكلم
سلام عليـكم يسمعون جميعهم ... بآذانهم تسليمـه إذ يسلم
يقول سلونى ما اشتهيتم فـكل ما ... تريدون عندى أننى أنا أرحم
فقالوا جميعا نحن نسألك الرضا ... فأنت الذى تولى الجميل وترحم
فيعطيهم هـذا ويشهد جمعهم ... عليه تعالى الله فالله أكرم
فيا بائعا هذا ببخس معجل ... كأنك لا تدرى ، بلى سوف تعلم
فإن كنت لا تدرى فتلك مصيبة ... وإن كنت تدرى فالمصيبة أعظم

فصـل

وهذا كتاب اجتهدت فى جمعه وترتيبه ، وتفصيله وتبويبه ، فهو للمحزون سلوة ، وللمشتاق إلى تلك العرائس جلوة ، محرك للقلوب ، إلى أجل مطلوب ، وحاد للنفوس ، إلى مجاورة الملك القدوس ، ممتع لقارئه ، مشوق للناظر فيه ، لا يسأمه الجليس ، ولا يمله الأنيس ، مشتمل من بدائع الفوائد، وفرائد القلائد ، على ما لعل المجتهد فى الطلب ، لا يظفر به فيما سواه من الـكتب مع تضمينه

لجملة كثيرة من الأحاديث المرفوعات ، والآثار الموقوفات ، والأسرار المودعة فى كثير من الآيات ، والنكت البديعات ، وإيضاح كثير من المشكلات ، والتنبيه على أصول من الأسماء والصفات ، إذا نظر فيه الناظر زاده إيماناً ، وجلى عليه الجنة حتى كأنه يشاهدها عياناً ، فهو مثير ساكن العزمات إلى روضات الجنات ، وباعث الهمم العليات ، إلى العيش الهنى فى تلك الغرفات .

وسميته « حادى الأرواح ، إلى بلاد الأفراح » فإنه اسم يطابق مسماه ، ولفظ يوافق معناه والله يعلم ما قصدت ، وما بجمعه وتأليفه أردت ؛ فهو عند لسان كل عبد وقلبه ، وهو المطلع على نيته وكسبه ، وكان جل المقصود منه بشارة أهل السنة ، بما أعد الله لهم فى الجنة ، فإنهم المستحقون للبشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ، ونعم الله عليهم باطنة وظاهرة ، وهم أولياء الرسول وحزبه ، ومن خرج عن سنته فهم أعداؤه وحربه . لا تأخذهم فى نصرة سنته ملامة اللوام ؛ ولا يتركون ماصح عنه لقول أحد من الأنام ؛ والسنة أجل فى صدورهم من أن يقدموا عليها رأياً فقهيا ، أو بحثا جدلياً ، أو خيالا صوفياً ، أو تناقضاً كلامياً ، أو قياساً فلسفياً ، أو حكماً سياسياً ، فمن قدم عليها شيئاً من ذلك ، فباب الصواب عليه مسدود ، وهو عن طريق الرشاد مصدود .

فيا أيها الناظر فيه لك غنمه وعلى مؤلفه غرمه ، ولك صفوه ، وعليه كدره . وهذه بضاعته المزجاة تعرض عليك ، وبنات أفكاره تزف إليك ، فإن صادفت كفؤاً كريماً لم تعدم منه إمساكا بمعروف أو تسريحاً بإحسان . وإن كان غيره فالله المستعان ، فما كان من صواب فمن الواحد المنان ، وما كان من خطأ فمنى ومن الشيطان . والله برىء منه ورسوله .

وقد قسمت الكتاب سبعين باباً :

الباب الأول

فى بيان وجود الجنة الآن

لم يزل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعون وتابعوهم وأهل السنة والحديث قاطبة وفقهاء الإسلام وأهل التصوف والزهد على اعتقاد ذلك وإثباته مستندين فى ذلك إلى نصوص الكتاب والسنة وما علم بالضرورة من أخبار الرسل كلهم من أولهم إلى آخرهم ، فإنهم دعوا الأمم إليها ، وأخبروا بها إلى أن نبغت نابغة من القدرية والمعتزلة فأنكرت أن تكون مخلوقة الآن ، وقالت : بل الله ينشئها يوم القيامة ، وحملهم على ذلك أصلهم الفاسد الذى وضعوا به شريعة فيما يفعله الله ، وأنه ينبغى له أن يفعل كذا ولا ينبغى له أن يفعل كذا ، وقاسوه على خلقه فى أفعالهم فهم مشبهة فى الأفعال ، ودخل التجهم فيهم فصاروا مع ذلك معطلة فى الصفات وقالوا : خلق الجنة قبل الجزاء عبث ، فإنها تصير معطلة مدداً متطاولة ليس فيها سكانها .

قالوا : ومن المعلوم أن ملكا لو اتخذ داراً وأعد فيها ألوان الأطعمة والآلات والمصالح وعطلها من الناس ولم يمكنهم من دخولها قرونا متطاولة لم يكن ما فعله واقعاً على وجه الحكمة ووجد العقلاء سبيلا إلى الاعتراض عليه ، ! ! فحجروا على الرب تعالى بعقولهم الفاسدة ، وآرائهم الباطلة ! ! وشبهوا أفعاله بأفعالهم وردوا من النصوص ما خالف هذه الشريعة الباطلة التى وضعوها للرب أو حرفوها عن مواضعها وضللوا وبدعوا من خالفهم فيها ، والتزموا فيها لوازم أضحكوا عليهم فيها العقلاء .

ولهذا يذكر السلف فى عقائدهم : أن الجنة والنار مخلوقتان ويذكر من صنف فى المقالات أن هذه مقالة أهل السنة والحديث قاطبة لا يختلفون فيها .

قال أبو الحسن الأشعرى فى كتاب «مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين» :

جملة ما عليه أصحاب الحديث وأهل السنة الإقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله وما جاء من عند الله وما رواه الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يردون من ذلك شيئاً وأن وأن الله تعالى إله واحد فرد صمد لم يتخذ صاحبة ولا ولدا . وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن الجنة حق والنار حق ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من فى القبور ، وأن الله تعالى على عرشه ، كما قال : (الرحمن على العرش استوى)[1] ، وأن له يدين بلا كيف كما قال : « خلقت بيدى » وكما قال : (بل يداه مبسوطتان) ، وأن له عينين بلا كيف كما قال : (تجرى بأعيننا) وأن له وجهاً كما قال : (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام)(٢) وأن أسماء الله تعالى لا يقال إنها غير الله كما قالت المعتزلة والخوارج وأقروا أن لله علما كما قال : (أنزله بعلمه) وكما قال : (وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه)(٣) وأثبتوا السمع والبصر ولم ينفوا ذلك عن الله كما تعتقد المعتزلة وأثبتوا لله القوة كما قال : (أو لم يروا أن الله الذى خلقهم أشد منهم قوة)(٤) ، وقالوا : إنه لا يكون فى الأرض من خير ولا شر إلا ماشاء الله وأن الأشياء تكون بمشيئة الله كما قال تعالى : (وما تشاؤون إلا أن يشاء الله)(٥) ، وكما قال المسلمون : ما شاء الله كان ومالم يشأ لم يكن .

وقالوا : إن أحدا لا يستطيع أن يفعل شيئاً قبل أن يفعله أو يكون أحد يقدر أن يخرج عن علم الله أو أن يفعل شيئا علم الله أنه لا يفعله ، وأقروا أنه لا خالق إلا الله تعالى ، وأن أفعال العباد يخلقها الله تعالى وأن العباد لا يقدرون أن يخلقوا شيئاً ، وأن الله تعالى وفق المؤمنين لطاعته ، وخذل الكافرين ولطف بالمؤمنين ونظر لهم وأصلحهم وهداهم ، ولم يلطف بالكافرين ولا أصلحهم ولا هداهم ولو أصلحهم لكانوا صالحين ، ولو هداهم لكانوا مهتدين ، وأن الله تعالى يقدر أن يصلح

---

(١) سورة طه آية ٥

(٢) سورة الرحمن آية ٢٧

(٣) سورة فاطر آية ١١

(٤) سورة فصلت آية ١٥

(٥) سورة الإنسان آية ٣٠

الـكافرين ويلطف بهم حتى يـكونوا مؤمنين ، ولـكنه أراد أن يكونوا كافرين كما علم وخذلهم وأضلهم وطبع على قلوبهم وأن الخير والشر بقضاء الله وقدره ، ويؤمنون بقضاء الله وقدره خيره وشره حلوه ومره ، ويؤمنون أنهم لا يملـكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله كما قال ، ويلجئون أمرهم إلى الله ، ويثبتون الحاجة إلى الله فى كل وقت ، والفقر إلى الله في كل حال .

ويقولون : إن القرآن كلام الله غير مخلوق ، والـكلام فى الوقف واللفظ ، فمن قال باللفظ أو بالوقف فهو مبتدع عندهم ، لا يقال اللفظ بالقرآن مخلوق ولا يقال غير مخلوق . ويقولون : إن الله تعالى يرى بالأبصار يوم القيامة كما يرى القمر ليلة البدر ، ويراه المؤمنون ولا يراه الـكافرون ، لأنهم عن الله تعالى محجوبون ، قال تعالى : (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون)(١) ، وأن موسى عليه السلام سأل الله سبحانه وتعالى الرؤية فى الدنيا ، وأن الله تعالى تجلى للجبل فجعله دكا ، فأعلمه بذلك أنه لا يراه فى الدنيا بل يراه فى الآخرة ، ولا يكفرون أحداً من أهل القبلة بذنب يرتـكبه كنحو الزنا والسرقة وما أشبه ذلك من الـكبائر .

وهم بما معهم من الإيمان مؤمنون وإن ارتـكبوا الـكبائر ، والإيمان عندهم هو الإيمان بالله وملائـكته وكتبه ورسله ، وبالقدر خيره وشره حلوه ومره ، وأن ما أخطأهم لم يكن ليصيبهم وأن ما أصابهم لم يكن ليخطئهم ، والإسلام هو أن يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، كما جاء فى الحديث . والإسلام عندهم غير الإيمان ، ويقرون بأن الله مقلب القلوب ، ويقرون بشفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنها لأهل الـكبائر من أمته ، وبعذاب القبر وأن الحوض حق ، والصراط حق ، والبعث بعد الموت حق ، والمحاسبة من الله لعباده حق ، والوقوف بين يدى الله تعالى حق ، ويقرون بأن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص ، ولا يقولون مخلوق ولا غير مخلوق .

ويقولون : أسماء الله هى الله تعالى ، ولا يشهدون على أحد من أهل الـكبائر

---

١) سورة المطففين آية ١٥ .

بالنار ، ولا يحكمون بالجنة لأحد من الموحدين حتى يكون الله تعالى ينزلهم حيث شاء . ويقولون : أمرهم إلى الله إن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم ، ويؤمنون بأن الله تعالى يخرج قوما من الموحدين من النار على ما جاءت به الروايات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وينكرون الجدال والمراء فى الدين ، والخصومة فى القدر والمناظرة فيما يتناظر فيه أهل الجدل ويتنازعون فيه من دينهم بالتسليم للروايات الصحيحة ، ولما جاءت به الآثار التى رواها الثقات عدلا عن عدل ، حتى ينتهى ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا يقولون كيف ولا لم ؟ لأن ذلك بدعة .

ويقولون : إن الله تعالى لم يأمر بالشر ، بل نهى عنه وأمر بالخير ، ولم يرض بالشرك وإن كان مريداً له ، ويعرفون حق السلف الذين اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم ، ويأخذون بفضائلهم ويمسكون عما شجر بينهم صغيرهم وكبيرهم ، ويقدمون أبا بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علياً رضى الله عنهم ، ويقرون بأنهم الخلفاء الراشدين المهديون ، وأنهم أفضل الناس كلهم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويصدقون بالأحاديث التى جاءت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « أن الله ينزل إلى السماء الدنيا فيقول : هل من مستغفر ؟ » ، كما جاء فى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويأخذون بالكتاب والسنة كما قال تعالى : (فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول)(١) .

ويرون اتباع من سلف من أئمة الدين وأن لا يتبعوا فى دينهم مالم يأذن به الله ؛ ويقرون أن الله تعالى يجيء يوم القيامة كما قال : (وجاء ربك والملك صفاً صفا)(٢) وأن الله تعالى يقرب من خلقه كيف شاء كما قال : (ونحن أقرب إليه من حبل الوريد)(٣) .

ويرون العيدين والجمعة والجماعة خلف كل إمام بر أو فاجر ، ويثبتون المسح على الخفين سنة ، ويرونه فى الحضر والسفر ، ويثبتون فرض الجهاد للمشركين منذ

---

(١) سورة النساء آية ٥٩ .
(٢) سورة الفجر آية ٢٢ .
(٣) سورة قٓ آية ١٦ .

بعث الله نبيه صلى الله عليه وسلم إلى آخر عصابة تقاتل الدجال ، وبعد ذلك يرون الدعاء لأئمة المسلمين بالصلاح وأن لا يخرج عليهم بالسيف وأن لا يقاتلوا فى الفتنة ، ويصدقون بخروج الدجال وأن عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام يقتله، ويؤمنون بمنكر ونكير ، والمعراج والرؤيا فى المنام ، وأن الدعاء لموتى المسلمين والصدقة عنهم بعد موتهم تصل إليهم ، ويصدقون أن فى الدنيا سحرة وأن الساحر كافر كما قال تعالى ، وأن السحر كائن موجود فى الدنيا .

ويرون الصلاة على كل من مات من أهل القبلة مؤمنهم وفاجرهم ، ويقرون أن الجنة والنار مخلوقتان وأن من مات مات بأجله ، وكذلك من قتل قتل بأجله ، وأن الأرزاق من قبل الله تعالى يرزقها عباده حلالا كانت أم حراماً ، وأن الشيطان يوسوس للإنسان ويشككه ويخبطه ، وأن الصالحين قد يجوز أن يخصهم الله تعالى بآيات تظهر عليهم ، وأن السنة لا تنسخ بالقرآن ، وأن الأطفال أمرهم إلى الله إن شاء عذبهم ، وإن شاء فعل بهم ما أراد ، وأن الله تعالى عالم ما العباد عاملون، وكتب أن ذلك يكون ، وأن الأمور بيد الله تعالى .

ويرون الصبر على حكم الله ، والأخذ بما أمر الله تعالى والانتهاء عما نهى الله عنه ، وإخلاص العمل لله والنصيحة للمسلمين ، ويدينون بعبادة الله فى العابدين والنصيحة لجماعة المسلمين ، واجتناب الكبائر والزنا وقول الزور والمعصية والفجر والكبر والازدراء على الناس والعجب .

ويرون مجانبة كل داع إلى بدعة ، والتشاغل بقراءة القرآن وكتابة الآثار والنظر فى الفقه مع التواضع والاستكانة وحسن الخلق وبذل المعروف وكف الأذى وترك الغيبة والنميمة والسعاية وتفقد المآكل والمشارب، فهذه جملة ما يأمرون به ويستعملونه وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول وإليه نذهب . وما توفيقنا إلا بالله وهو حسبنا ونعم الوكيل ، وبه نستعين وعليه نتوكل وإليه المصير .

والمقصود حكايته عن جميع أهل السنة والحديث : أن الجنة والنار مخلوقتان

وسقنا جملة كلامه ليكون الكتاب مؤسساً على معرفة من يستحق البشارة المذكورة، وأن أهل هذه المقالة هم أهلها ، وبالله التوفيق .

وقد دل على ذلك من القرآن قوله تعالى : (ولقد رآه نزلة أخرى ، عند سدرة المنتهى ، عندها جنة المأوى)(١) ، وقد رأى النبي صلى الله عليه وسلم سدرة المنتهى ، ورأى عندها جنة المأوى كما فى الصحيحين من حديث أنس فى قصة الإسراء وفى آخره : « ثم انطلق بى جبريل حتى انتهى إلى سدرة المنتهى فغشيها ألوان لا أدرى ما هى ؟ قال : ثم دخلت الجنة فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ وإذا ترابها المسك » .

وفى الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشى ، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة ، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار ، فيقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله تعالى يوم القيامة » .

وفى المسند وصحيح الحاكم وابن حبان وغيرهم من حديث البراء بن عازب قال : « خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جنازة رجل من الأنصار — فذكر الحديث بطوله ، وفيه : فينادى مناد من السماء إن صدق عبدى فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له باباً إلى الجنة ، قال : فيأتيه من روحها طيبها » وذكر الحديث .

وفى الصحيحين من حديث أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن العبد إذا وضع فى قبره وتولى عنه أصحابه إنه ليسمع قرع نعالهم قال : فيأتيه ملكان فيقعدانه فيقولان له : ما كنت تقول فى هذا الرجل ؟ قال : فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله، قال: فيقولان له : انظر إلى مقعدك من النار، قد أبدلك الله به مقعداً فى الجنة ، قال نبى الله صلى الله عليه وسلم ، فيراها جميعاً » .

---

(١) سورة النجم الآيات ١٣ — ١٥ .

وفى صحيح أبى عوانة الأسفرايني وسنن أبى داود من حديث البراء بن عازب الطويل فى قبض الروح : « ثم يفتح له باب من الجنة وباب من النار ، فيقال هذا كان منزلك لو عصيت الله تعالى أبدلك الله به هذا ، فإذا رأى ما فى الجنة قال : رب عجل قيام الساعة كيما أرجع إلى أهلى ومالى، فيقال : اسكن » .

وفى مسند البزار وغيره من حديث أبى سعيد قال : « شهدنا مع النبي صلى الله عليه وسلم جنازة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أيها الناس ، إن هذه الأمة تبتلى فى قبورها ، فإذا دفن الإنسان وتفرق عنه أصحابه جاءه ملك فى يده مطراق فأقعده فقال : ما تقول فى هذا الرجل ؟ يعنى محمداً صلى الله عليه وسلم — فإن كان مؤمناً قال : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، فيقولون له : صدقت ، ثم يفتح له باب إلى النار فيقولون : هذا كان منزلك لو كفرت بربك، فأما إذ آمنت به فهذا منزلك ، فيفتح له باب إلى الجنة فيريد أن ينهض إلى الجنة فيقولون له : اسكن » وذكر الحديث .

وفى صحيح مسلم عن عائشة قالت : « خسفت الشمس فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكرت الحديث إلى أن قالت : ثم قام فخطب الناس فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال : إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله تعالى لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته ، فإذا رأيتموهما فافزعوا إلى الصلاة » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رأيت فى مقامى هذا كل شىء وعدتم حتى لقد رأيتنى آخذ قطفاً من الجنة حين رأيتمونى أقدم ، ولقد رأيت جهنم يحطم بعضها بعضاً حين رأيتمونى تأخرت » .

وفى الصحيحين واللفظ للبخارى عن عبد الله بن عباس قال : « انخسفت الشمس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكر الحديث وفيه فقال : إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته ، فإذا رأيتم ذلك فاذكروا الله ، فقالوا : يارسول الله رأيناك تناولت شيئاً فى مقامك ثم رأيناك تكعكعت ، فقال : إنى رأيت الجنة وتناولت عنقوداً ولو أصبته لأكلتم

منه ما بقيت الدنيا ، ورأيت النار فلم أر منظراً كاليوم قط أفظع ، ورأيت أكثر أهلها النساء ، قالوا : بم يارسول الله ؟ قال بكفرهن . قيل : أيكفرن بالله ؟ قال : يكفرن العشير ويكفرن الإحسان ، لوأحسنت إلى إحداهن الدهر كله ثم رأت منك شيئاً قالت : ما رأيت منك خيراً قط » .

وفى صحيح البخارى عن أسماء بنت أبى بكر عن النبى صلى الله عليه وسلم فى صلاة الخسوف قال : « قد دنت منى الجنة حتى لو اجترأت عليها لجئتكم بقطاف من قطافها ، ودنت منى النار حتى قلت أى رب وأنا معهم . فإذا امرأة حسبت أنه قال : تخدشها هرة . قلت : ما شأن هذه ؟ قالوا : حبستها حتى ماتت جوعاً لا أطعمتها ولا أرسلتها تأكل » .

وفى صحيح مسلم من حديث جابر فى هذه القصة قال : « عرضت على كل شىء تولجونه ، فعرضت على الجنة حتى تناولت منها قطفاً فقصرت يدى عنه ، وعرضت على النار فرأيت فيها امرأة من بنى إسرائيل تعذب فى هرة لها » وذكر الحديث .

وفى صحيح مسلم عنه فى هذا الحديث : « ما من شىء توعدونه إلا قد رأيته فى صلاتى هذه ، لقد جىء بالنار وذلك حين رأيتمونى تأخرت مخافة أن يصيبنى من لفحها ، وحتى رأيت فيها صاحب المحجن يجر قصبه فى النار ، وكان يسرق الحاج بمحجنه ، فإذا فطن له قال إنما تعلق بمحجنى وإن غفل عنه ذهب به ، وحتى رأيت فيها صاحبة الهرة التى ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض حتى ماتت جوعاً ، ثم جىء بالجنة وذلكم حين رأيتمونى تقدمت حتى قمت فى مقامى ، ولقد مددت يدى وأنا أريد أن أتناول من ثمرها لتنظروا إليه ، ثم بدا لى أن لا أفعل فما من شىء توعدونه إلا قد رأيته فى صلاتى هذه » .

وفى مسند الإمام أحمد وسنن أبى داود والنسائى من حديث عبد الله بن عمرو فى هذه القصة : « والذى نفس محمد بيده لقد أدنيت الجنة منى حتى لو بسطت يدى

لتماطيت من قطوفها ، ولقد أدنيت النار منى حتى لقد جعلت أتقيها خشية أن تغشاكم »
وذكر الحديث .

وفى صحيح مسلم من حديث أنس بن مالك قال : « بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم إذ أقيمت الصلاة فقال : يا أيها الناس ، إنى إمامكم فلا تسبقونى بالركوع ولا بالسجود ولا ترفعوا رؤوسكم فإنى أراكم من أمامى ومن خلفى ، وأيم الذى نفسى بيده لو رأيتم ما رأيت لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيراً ، قالوا : وما رأيت يارسول الله ؟ قال : رأيت الجنة والنار » .

وفى الموطأ والسنن من حديث كعب بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنما نسمة المؤمن طير يعلق فى شجر الجنة حتى يرجعها الله إلى جسده يوم القيامة » وهذا صريح فى دخول الروح الجنة قبل يوم القيامة ، ومثله حديث كعب بن مالك أيضاً عن النبى صلى الله عليه وسلم : « إن أرواح الشهداء فى حواصل طير خضر تعلق فى ثمر الجنة أو شجر الجنة » رواه أهل السنن وصححه الترمذى .

وسيأتى فى آخر هذا الكتاب فى الباب الذى يذكر فيه دخول أرواح المؤمنين الجنة قبل يوم القيامة ، تمام هذه الأحاديث إن شاء الله تعالى ، وذكر دلالة القرآن على مادلت عليه السنة من ذلك .

وفى صحيح مسلم والسنن والمسند من حديث أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لما خلق الله تعالى الجنة والنار ، أرسل جبريل إلى الجنة فقال : اذهب فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها . فذهب فنظر إليها وإلى ما أعد الله لأهلها فيها فرجع ، فقال : وعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها ، فأمر بالجنة فحفت بالمكاره ، فقال : فارجع فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها ، فقال : فنظر إليها ثم رجع فقال : وعزتك لقد خشيت أن لايدخلها أحد ، قال : ثم أرسله إلى النار قال : اذهب فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها ، قال : فنظر إليها فإذا هى يركب بعضها بعضاً ثم رجع فقال : وعزتك وجلالك لايدخلها أحد سمع بها ، فأمر بها فحفت بالشهوات ثم قال : اذهب فانظر إلى ما أعددت لأهلها فيها ، فذهب

فنظر إليها فرجع فقال : وعزتك لقد خشيت أن لا ينجو منها أحد إلا دخلها » قال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح .

وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة : « حجبت الجنة بالمكاره ، وحجبت النار بالشهوات » .

وفى الصحيحين من حديث أبى سعيد الخدرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اختصمت الجنة والنار ، فقالت الجنة : يارب مالها إنما يدخلها ضعفاء الناس وسقطتهم ؟ وقالت النار : يارب مالها يدخلها الجبارون والمتكبرون ؟ فقال: أنت رحمتى أصيب بك من أشاء ، وأنت عذابى أصيب بك من أشاء ، ولكل واحدة منكما ملؤها » .

وفى الصحيحين من حديث ابن عمر ، عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « اشتكت النار إلى ربها فقالت : يارب أكل بعضى بعضاً ، فأذن لها بنفسين : نفس فى الشتاء ونفس فى الصيف » .

وروى الليث بن سعد عن معاوية بن صالح عن عبدالله بن بشير ورفع الحديث قال : « مامن يوم إلا والجنة والنار يسألان ، تقول الجنة : يارب قد طاب ثمرى ، واطردت أنهارى ، واشتقت إلى أوليائى ، فعجل إلى بأهلى . وتقول النار : اشتد حرى ، وبعد قعرى ، وعظم جمرى ، فعجل على بأهلى » .

وفى صحيح البخارى من حديث أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « بينما أنا أسير فى الجنة وإذا بنهر فى الجنة حافتاه قباب الدر المجوف . قال : قلت: ما هذا ياجبريل ؟ قال : هذا الكوثر الذى أعطاك ربك ، فضرب الملك بيده فإذا طينه المسك الأذفر » .

وفى صحيح مسلم من حديث جابر بن عبد الله قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « دخلت الجنة فرأيت فيها قصراً وداراً فقلت : لمن هذا ؟ فقيل : لرجل من قريش فرجوت أن أكون أنا هو ، فقيل لعمر بن الخطاب: فلولا غيرتك

يا أبا حفص لدخلته » ، قال : فبكى عمر ، وقال : أو يغار عليك يا رسول الله ؟ »
وسيأتى حديث بلال وقول النبى صلى الله عليه وسلم : « ما دخلت الجنة إلا سمعت
خشخشتك بين يدى » وغير ذلك من الأحاديث التى تأتى إن شاء الله تعالى .

وقال عبدالله بن وهب : أنبأنا معاوية بن صالح عن عيسى بن عاصم عن
زر بن حبيش عن أنس بن مالك قال : « صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
ذات يوم صلاة الصبح ، ثم مد يده ثم أخرها ، فلما سلم قيل له : يارسول الله لقد
صنعت فى صلاتك شيئاً لم تصنعه فى غيرها ، قال : إنى رأيت الجنة ، فرأيت فيها دالية
قطوفها دانية حبها كالدباء ، فأردت أن أتناول منها ، فأوحى إليها أن استأخرى
فاستأخرت ، ثم رأيت النار فيما بينى وبينكم حتى لقد رأيت ظلى وظلكم ، فأومأت
إليكم أن استأخروا فأوحى إلى أقرهم ، فإنك أسلمت وأسلموا وهاجرت وهاجروا،
وجاهدت وجاهدوا ، فلم أر لى عليكم فضلا إلا بالنبوة » .

فإن قيل : فما منعكم من الاحتجاج على وجودها الآن بقصة آدم ودخوله الجنة
وإخراجه منها بأكله من الشجرة ، والاستدلال بها فى غاية الظهور ؟

قيل : الاستدلال بذلك وإن كان عند العامة فى غاية الظهور ، فهو فى غاية
الغموض لاختلاف الناس فى الجنة ، التى أسكنها آدم هل كانت جنة الخلد التى
يدخلها المؤمنون يوم القيامة ، أو كانت جنة فى الأرض فى شرفها ؟ ونحن نذكر
من قال بهذا ومن قال بهذا ، وما احتج به كل فريق على قولهم ، وما رد به الفريق
الآخر عليهم بحول الله وقوته .

الباب الثانى

فى اختلاف الناس فى الجنة التى أسكنها آدم عليه الصلاة والسلام وأهبط منها هل هى جنة الخلد أو جنة أخرى غيرها فى موضع عال من الأرض ؟

قال منذر بن سعيد فى تفسيره : وأما قوله تعالى لآدم : (اسكن أنت وزوجك الجنة)[1] فقالت طائفة : أسكن الله آدم جنة الخلد التى يدخلها المؤمنون يوم القيامة . وقال آخرون : هى جنة غيرها جعلها الله له وأسكنه إياها ليست جنة الخلد ، قال : وهذا قول تكثر الدلائل الشاهدة له والموجبة للقول به . وقال أبو الحسن الماوردى فى تفسيره : واختلف الناس فى الجنة التى أسكناها على قولين : أحدهما : أنها جنة الخلد . الثانى : أنها جنة أعدها الله تعالى لهما وجعلها دار ابتلاء ، وليست هى جنة الخلد التى جعلها دار جزاء ، ومن قال بهذا اختلفوا فيه على قولين :

أحدهما : أنها فى السماء ، لأنه أهبطهما منها . وهذا قول الحسن .

الثانى : أنها فى الأرض ، لأنه امتحنهما فيها بالنهى عن الشجرة التى نهيا عنها دون غيرها من الثمار ، وهذا قول ابن بحر ، وكان ذلك بعد أن أمر إبليس بالسجود لآدم عليه الصلاة والسلام . والله أعلم بصواب ذلك . هذا كلامه .

وقال ابن الخطيب فى تفسيره المشهور : واختلفوا فى الجنة المذكورة فى هذه الآية هل كانت فى الأرض أو فى السماء ؟ وبتقدير أنها كانت فى السماء ، فهل هى الجنة التى هى دار الثواب وجنة الخلد أو جنة أخرى ؟ فقال أبو القاسم البلخى وأبو مسلم الأصبهانى : هذه الجنة فى الأرض ، وحملا الإهباط على الانتقال من بقعة إلى بقعة كما فى قوله : (اهبطوا مصراً) واحتجا عليه بوجوه .

القول الثانى ، وهو قول الجبائى : أن تلك الجنة كانت فى السماء السابعة .

---

(١) سورة البقرة آية ٣٥ ، وسورة الأعراف آية ١٩ .

والقول الثالث : وهو قول جمهور أصحابنا أن هذه الجنة هى دار الثواب ، وقال أبو القاسم الراغب فى تفسيره : واختلف فى الجنة التى أسكنها آدم ، فقال بعض المتكلمين : كان بستاناً جعله الله تعالى له امتحاناً ولم تكن جنة المأوى ، وذكر بعض الاستدلال على القولين .

وممن ذكر الخلاف أيضاً أبو عيسى الرمانى فى تفسيره واختار أنها جنة الخلد، ثم قال : والمذهب الذى اخترناه قول الحسن وعمرو،وواصل وأكثر أصحابنا ، وهو قول أبى على وشيخنا أبى بكر وعليه أهل التفسير ، واختار ابن الخطيب التوقف فى المسألة وجعله قولا رابعاً فقال :

والقول الرابع : أن الكل ممكن ، والأدلة متعارضة ، فوجب التوقف وترك القطع . قال منذر بن سعيد : والقول بأنها جنة فى الأرض ليست جنة الخلد قول أبى حنيفة وأصحابه قال : وقد رأيت أقواماً نهضوا لمخالفتنا فى جنة آدم عليه السلام، بتصويب مذهبهم من غير حجة إلا الدعاوى والأمانى ، ما أتوا بحجة من كتاب ولا سنة ولا أثر عن صاحب ولا تابع ولا تابع التابع ولا موصولا ولا شاذاً مشهوراً .

وقد أوجدناهم أن فقيه العراق ومن قال بقوله ، قالوا : إن جنة آدم ليست جنة الخلد ، وهذه الدواوين مشحونة من علومهم ، ليسوا عند أحد من الشاذين بل بين رؤساء المخالفين . وإنما قلت هذا ليعلم أنى لا أنصر مذهب أبى حنيفة ، وإنما أنصر ما قام لى عليه الدليل من القرآن والسنة . هذا ابن زيد المالكى يقول فى تفسيره : سألت ابن نافع عن الجنة أمخلوقة هى ؟ فقال : السكوت عن الكلام فى هذا أفضل ، وهذا ابن عيينة يقول فى قوله عز وجل : (إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى)(١) قال : يعنى فى الأرض . وابن نافع إمام وابن عيينة إمام ، وهم لا يأتوننا بمثلهما ولا من يضاد قوله قولهما .

وهذا ابن قتيبة ذكر فى كتاب المعارف بعد ذكره خلق الله لآدم وزوجه ، قال :

---

(١) سورة طه آية ١١٨ .

ثم تركهما ، وقال : انمروا وأكثروا ، واملؤا الأرض ، وتسلطوا على أنوان البحور ، وطير السماء ، والأنعام وعشب الأرض وشجرها وثمرها ، فأخبر أن فى الأرض خلقه وفيها أمره ، ثم قال : ونصب الفردوس فانقسم على أربعة أنهــار : سيحون وجيحون ، ودجلة ، والفرات ، ثم ذكر الحية فقال : وكانت أعظم دواب البر ، فقالت للمرأة : إنــكما لا تموتان إن أكلتما من هذه الشجرة .

ثم قال بعد كلام : ثم أخرجه من مشرق جنة عدن إلى الأرض ، التى منها أخذ ، ثم قال : قال وهب : وكان مهبطه حين أهبط من جنة عدن فى شرقى أرض الهند . قال : واحتمل قابيل أخاه حتى أتى به وادياً من أودية اليمن فى شرقى عدن فسكن فيه . وقال غيره فيما نقل أبو صالح عن ابن عباس فى قوله : اهبطوا ، هو كما يقول : هبط فلان أرض كذا وكذا .

قال منذر بن سعيد : فهذا وهب بن منبه يحكى أن آدم عليه السلام خلق فى الأرض ، وفيها سكن ، وفيها نصب له الفردوس ، وأنه كان بعدن ، وأن أربعة أنهــار انقسمت من ذلك النهر الذى كان يسمى فردوس آدم ، وتلك الأنهــار بقيت فى الأرض لا اختلاف بين المسلمين فى ذلك ، فاعتبروا يا أولى الألباب . وأخبر أن الحية التى كلمت آدم كانت من أعظم دواب البر ، ولم يقل : من أعظم دواب السماء ، فهم يقولون : إن الجنة لم تــكن فى الأرض وإنما كانت فوق السماء السابعة .

ثم قال : وأخرجه من مشرق جنة عدن وليس فى جنة المأوى مشرق ولا مغرب لأنه لا شمس فيها .

ثم قال : وأخرجه إلى الأرض التى أخذ منها ، يعنى أخرجه من الفردوس الذى نصب له فى عدن فى شرقى أرض الهند . وهذه الأخبار التى حكى ابن قتيبة ، إنما تنبىء عن أرض اليمن وعن عدن وهى من أرض اليمن ، وأخبر أن الله نصب الفردوس لآدم عليه الصلاة السلام بعدن ، ثم أكد ذلك بأن قال : التى لأربعة الأنهــار ذكرناها منقسمة عن النهر الذى كان يسمى فردوس آدم .

قال منذر ، وقال ابن قتيبة عن ابن منبه عن أبي هريرة قال : واشتهى آدم عند موته قطفا من الجنة التى كان فيها بزعمهم على ظهر السماء السابعة ، وهو فى الأرض ، فخرج أولاده يطلبون ذلك له حتى بلغتهم الملائكة موته ، فأولاد آدم كانوا مجانين عندكم إن كان ما نقله ابن قتيبة حقاً ، يطلبون لأبيهم ثمر جنة الخلد فى الأرض .

قال : ونحن لم نقل غير ما قال هؤلاء ، ولو كانت جنة الخلد ، لخلد فيها ، ونحن استدللنا من القرآن وغيرنا قطع وادعى بما ليس له عليه برهان . فهذا ذكر بعض أقوال من حكى الخلاف فى هذه المسألة ، ونحن نسوق حجج الفريقين إن شاء الله تعالى ، ونبين ما لهم وما عليهم .

الباب الثالث

فى سياق حجج من اختار أنها جنة الخلد التى يدخلها الناس يوم القيامة

قالوا : قولنا هذا هو الذى فطر الله عليه الناس صغيرهم وكبيرهم لم يخطر بقلوبهم سواه ، وأكثرهم لايعلم فى ذلك نزاعاً .

قالوا : وقد روى مسلم فى صحيحه من حديث أبى مالك عن أبى حازم عن أبى هريرة وأبى مالك عن ربعى عن حذيفة قالا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يجمع الله تعالى الناس ، فيقوم المؤمنون حتى تزلف لهم الجنة ، فيأتون آدم عليه السلام فيقولون : يا أبانا استفتح لنا الجنة : فيقول : وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم ؟ » وذكر الحديث .

قالوا : وهذا يدل على أن الجنة التى أخرج منها هى بعينها التى يطلب منه أن يستفتحها .

وفى الصحيحين حديث احتجاج آدم وموسى وقول موسى : أخرجتنا ونفسك من الجنة ، ولو كانت فى الأرض فهم قد خرجوا من بساتين ، فلم يخرجوا من الجنة . وكذلك قول آدم للمؤمنين يوم القيامة : وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم ؟ وخطيئته لم تخرجهم من جنات الدنيا .

قالوا : وقد قال تعالى فى سورة البقرة : (وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ، فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الأرض مستقر ومتاع إلى حين)(١) .

---

(١) سورة البقرة ، الآيتان ٣٥ ، ٣٦

فهذا يدل على أن هبوطهم كان من الجنة إلى الأرض من وجهين : أحدها : من لفظة اهبطوا ، فإنه نزول من علو إلى سفل . والثانى : ولكم فى الأرض مستقر عقب قوله : اهبطوا . فدل على أنهم لم يكونوا قبل ذلك فى الأرض ، ثم أكد هذا بقوله فى سورة الأعراف : (قال فيها تحيون وفيها تموتون ، ومنها تخرجون) ولو كانت الجنة فى الأرض لكانت حياتهم فيها قبل الإخراج وبعده .

قالوا : وقد وصف لاسبحانه جنة آدم بصفات إلا فى تكون جنة الخلد فقال : (إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى)(١) وهذا لا يكون فى الدنيا أصلا ، فإن الرجل ولو كان فى أطيب منازلها لابد أن يعرض له شىء من ذلك ، وقابل سبحانه بين الجوع والظمأ ، والعرى والضحى ، فإن الجوع ذل الباطن ، والعرى ذل الظاهر ، والظمأ حر الباطن ، والضحى حر الظاهر . فنفى عن سكانها ذل الظاهر والباطن ، وحر الظاهر والباطن ، وذلك أحسن من المقابلة بين الجوع والعطش ، والعرى والضحى . وهذا شأن ساكن جنة الخلد .

قالوا : وأيضاً فلو كانت تلك الجنة فى الدنيا لعلم آدم كذب إبليس فى قوله : (هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى)(٢) فإن آدم كان يعلم أن الدنيا منقضية فانية ، وأن ملكها يبلى .

قالوا : وأيضاً هذه القصة فى سورة البقرة ظاهرة جداً فى أن الجنة التى أخرج منها فوق السماء فإنه سبحانه قال : (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين ، وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة

---

(١) سورة طه الآيتان ١١٨ ، ١١٩ (٢) سورة طه آية ١٢٠

فتكونا من الظالمين ، فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الأرض مستقر ومتاع إلى حين . فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم)(١) فهذا إهباط آدم وحواء وإبليس من الجنة ، فلهذا أتى فيه بضمير الجمع . وقد قيل : إن الخطاب لهما وللحية وهذا ضعيف جداً ، إذ لا ذكر للحية فى شىء من قصة آدم، ولا فى السياق ما يدل عليها . وقيل : الخطاب لآدم وحواء وأتى فيه بضمير الجمع كقوله : « وكنا لحكمهم شاهدين » وهما داود وسليمان ، وقيل لآدم وحواء وذريتهما .

وهذه الأقوال ضعيفة غير الأول ، لأنها بين قول لا دليل عليه ، وبين ما يدل اللفظ على خلافه ، فثبت أن إبليس داخل فى هذا الخطاب وأنه من المهبطين ، فإذا تقرر هذا ، فقد ذكر سبحانه الإهباط ثانياً بقوله : (وقلنا اهبطوا منها جميعاً فإما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) والظاهر أن هذا الإهباط الثانى غير الأول ، وهو إهباط من السماء إلى الأرض ، والأول إهباط من الجنة . وحينئذ فتكون الجنة التى أهبط منها أولا فوق السماء جنة الخلد ، وقد ظن الزمخشرى أن قوله : اهبطوا منها جميعاً خطاب لآدم وحواء خاصة وعبر عنهما بالجمع لاستتباعها ذرياتهما . قال : والدليل عليه قوله تعالى : (قال اهبطا منها جميعاً بعضكم لبعض عدو)(٢) قال : ويدل على ذلك قوله : (فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون)(٣) وما هو إلا حكم يعم الناس كلهم .

ومعنى قوله : بعضكم لبعض عدو ، ما عليه النـاس من التعادى والتباغى

---

(١) سورة البقرة الآيات ٣٤ ـ ٣٧ (٢) سورة طه آية ١٢٣

(٣) سورة البقرة الآيتان ٣٨ ، ٣٩

وتضليل بعضهم بعضاً . وهذا الذى اختاره أضعف الأقوال فى الآية ، فإن المداوة التى ذكرها الله تعالى إنما هى بين آدم وإبليس وذريتهما ، كما قال الله تعالى : (إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً)(١) وهو سبحانه قد أكد أمر المداوة بين الشيطان والإنسان ، وأعاد وأبدى ذكرها فى القرآن لشدة الحاجة إلى التحرز من هذا العدو ، وأما آدم وزوجه ، فإنه إنما أخبر فى كتابه أنه خلقها ليسكن إليها ، وجعل بينهما مودة ورحمة ، فالمودة والرحمة بين الرجل وامرأته ، والمداوة بين الإنسان والشيطان .

وقد تقدم ذكر آدم وزوجه وإبليس وهم ثلاثة ، فلماذا يعود الضمير على بعض المذكور مع منافرته لطريق الكلام دون جميعه ، مع أن اللفظ والمعنى يقتضيه ، فلم يصنع الزمخشرى شيئاً ؟

وأما قوله تعالى فى سورة طه : (قال اهبطا منها جميعاً بعضكم لبعض عدو)(٢) وهذا خطاب لآدم وحواء ، وقد جعل بعضهم لبعض عدواً : فالضمير فى قوله اهبطا منها ، إما أن يرجع إلى آدم وزوجه ، أو إلى آدم وإبليس ، ولم يذكر الزوجة ، لأنها تبع له : وعلى هذا ، فالمداوة المذكورة للمخاطبين بالإهباط وهما آدم وإبليس فالأمر ظاهر ، وأما على الأول فتكون الآية قد اشتملت على أمرين :

أحدهما : أمره تعالى لآدم وزوجه بالهبوط .

والثانى : إخباره بالمداوة بين آدم وزوجه وبين إبليس ، ولهذا أتى بضمير الجمع فى الثانى دون الأول ، ولا بد أن يكون إبليس داخلا فى حكم هذه المداوة قطعاً ، كما قال تعالى : (إن هذا عدو لك ولزوجك)(٣) وقال للذرية :

---

(١) سورة فاطر آية ٦
(٢) سورة طه آية ١٢٣
(٣) سورة طه آية ١١٧

(إن الشيطان لـكم عدو فاتخذوه عدواً) .[١]

وتأمل كيف اتفقت المواضع التى فيها ذكر العداوة على ضمير الجمع دون التثنية؟ وأما الإهباط فتارة يذكره بلفظ الجمع ، وتارة بلفظ التثنية ، وتارة بلفظ الإفراد، كقوله فى سورة الأعراف : قال اهبط منها ، وكذلك فى سورة ص وهذا لإبليس وحده ، وحيث ورد بصيغة الجمع فهو لآدم وزوجه وإبليس ، إذ مدار القصة عليهم ، وحيث ورد بلفظ التثنية ، فإما أن يكون لآدم وزوجه ، إذ هما اللذان باشرا الأكل من الشجرة وأقدما على المعصية ، وإما أن يكون لآدم وإبليس إذ هما أبوا الثقلين وأصلا الذرية ، فذكر حالهما ومآل أمرهما ليـكون عظة وعبرة لأولادهما ، وقد حكيت القولين فى ذلك .

والذى يوضح أن الضمير فى قوله : اهبطا منها جميعاً لآدم وإبليس ،أن الله سبحانه لما ذكر المعصية أفرد بها آدم دون زوجه فقال : (وعصى آدم ربه فغوى، ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى ، قال اهبطا منها جميعاً)[٢] وهذا يدل على أن المخاطب بالإهباط هو آدم ومن زين له المعصية ودخلت الزوجة تبعاً ، فإن المقصود إخبار الله تعالى للثقلين ، بما جرى على أبويهما من شؤم المعصية ومخالفة الامر ، فذكر أبويهما أبلغ فى حصول هذا المعنى ، ومن ذكر أبو الإنس فقط .

وقد أخبر سبحانه عن الزوجة بأنها أكلت مع آدم ، وأخبر أنه أهبطه وأخرجه من الجنة بتلك الأكلة ، فعلم أن حكم الزوجة كذلك ، وأنها صارت إلى ماصار إليه آدم ، وكان تجريد العناية إلى ذكر حال أبوى الثقلين أولى من تجريده إلى ذكر أبى الإنس وأمهم ، فتأمله.

قالوا : وأيضاً فالجنة جاءت معرفة بلام التعريف فى جميع المواضع كقوله : (اسكن أنت وزوجك الجنة)[٣] ونظائره ولا جنة يعهدها المخاطبون ويعرفونها إلا جنة الخلد التى وعد الرحمن عباده بالغيب، فقد صار هذا الإسم علما عليها بالغلبة

---

(١) سورة فاطر آية ٦ .

(٢) سورة طه الآيات ١٢١ ـ ١٢٣

(٣) سورة البقرة آية ٣٥ .

كالمدينة والنجم والبيت والكتاب ونظائرها ، فحيث ورد لفظها معرفا انصرف إلى الجنة المعهودة المعلومة فى قلوب المؤمنين ، وأما إن أريد به جنة غيرها فإنها تجىء منكرة أو مقيدة بالإضافة ، أو مقيدة من السياق بما يدل على أنها جنة فى الأرض :

فالأول : كقوله : (جنتين من أعناب) .

والثانى : كقوله : (ولولا إذا دخلت جنتك)[١] والثالث : كقوله(إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة)[٢] .

قالوا : ومما يدل على أن جنة آدم هى جنة المأوى ، ما روى هوذة بن خليفة عن عوف عن قسامة بن زهير عن أبى موسى الأشعرى قال : « إن الله تعالى لما أخرج آدم من الجنة زوده من ثمار الجنة وعلمه صنعة كل شىء ، فثماركم هذه من ثمار الجنة غير أن هذه تتغير وتلك لا تتغير » .

قالوا : وقد ضمن الله سبحانه وتعالى له إن تاب إليه وأناب أن يعيده إليها ، كما روى المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله تعالى : (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه)[٣] قال : « يارب ألم تخلقنى بيدك ؟ قال : بلى ، قال : أى رب ألم تنفخ فى من روحك ؟ قال : بلى ، قال : أى رب ألم تسكنى جنتك ؟ قال : بلى ، قال : أى رب ألم تسبق رحمتك غضبك ؟ قال : بلى ، قال أرأيت إن تبت وأصلحت أراجعى أنت إلى الجنة ؟ قال : بلى ، قال فهو قوله تعالى : «فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه » وله طرق عن ابن عباس وفى بعضها : « كأن آدم قال لربه إذ عصاه : رب إن أنا تبت وأصلحت فقال له ربه : إنى راجعك إلى الجنة » فهذا بعض ما احتج به القائلون بأنها جنة الخلد ، ونحن نسوق حجج الآخرين .

---

(١) سورة الكهف آية ٣٩ .
(٢) سورة القلم آية ١٧ .
(٣) سورة البقرة آية ٣٧ .

الباب الرابع

فى سياق حجج الطائفة التى قالت : ليست جنة الخلد وإنما هى جنة الأرض

قالوا : هذا قول تكثر الدلائل الموجبة للقول به فنذكر بعضها . قالوا : قد أخبر الله سبحانه على لسان جميع رسله : أن جنة الخلد إنما يكون الدخول إليها يوم القيامة ، ولم يأت زمن دخولها بعد ، وقد وصفها الله سبحانه وتعالى لنا فى كتابه بصفاتها ، ومحال أن يصف الله سبحانه وتعالى شيئاً بصفة ، ثم يكون ذلك الشىء بغير تلك الصفة التى وصفه بها .

قالوا : فوجدنا الله تعالى وصف الجنة التى أعدت للمتقين بأنها دار المقامة ، فمن دخلها أقام بها ولم يقم بالجنة التى دخلها ، ووصفها بأنها جنة الخلد وآدم لم يخلد فيها ، ووصفها بأنها دار ثواب وجزاء لا دار تكليف وأمر ونهى، ووصفها بأنها دار سلامة مطلقة لا دار ابتلاء وامتحان ، وقد ابتلى آدم فيها بأعظم الابتلاء ، ووصفها بأنها دار لا يعصى الله فيها أبداً ، وقد عصى آدم ربه فى جنته التى دخلها ، ووصفها بأنها ليست دار خوف ولا حزن ، وقد حصل للأبوين فيها من الخوف والحزن ما حصل، وسماها دار السلام ولم يسلم فيها الأبوان من الفتنة ، ودار القرار ولم يستقرا فيها وقال فى داخليها : (وما هم منها بمخرجين)وقد أخرج منها الأبوان وقال: (لا يمسهم فيها نصب) وقد ند فيها آدم هارباً فاراً ، وطفق يخصف ورق الجنة على نفسه ، وهذا النصب بعينه ، وأخبر أنه لا لغو فيها ولا تأثيم ، وقد سمع فيها آدم لغو إبليس وإثمه ، وأخبر أنه لا يسمع فيها لغو ولا كذاب ، وقد سمع فيها آدم عليه السلام كذب إبليس ، وقد سماها الله سبحانه وتعالى مقعد صدق ، وقد كذب فيها إبليس وحلف على كذبه .

وقد قال تعالى للملائكة : (إنى جاعل فى الأرض خليفة)(١) ولم يقل : إنى جاعل فى جنة المأوى . فقالت الملائكة(أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ؟)(٢) ومحال أن يكون هذا فى جنة المأوى .

---

(١) سورة البقرة آية ٣٠ . (٢) سورة البقرة آية ٣٠ .

وقد أخبر الله تعالى عن إبليس أنه قال لآدم : « هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى ؟ » فإن كان الله سبحانه وتعالى قد أسكن آدم جنة الخلد والملك الذي لا يبلى ، فكيف لم يرد عليه ويقول له : كيف تدلني على شيء أنا فيه وقد أعطيته ، ولم يكن الله سبحانه وتعالى قد أخبر آدم إذ أسكنه الجنة أنه فيها من الخالدين ، ولو علم أنها دار الخلد لما ركن إلى قول إبليس ولا مال إلى نصيحته ولكنه لما كان في غير دار خلود غره بما أطمعه فيه من الخلد .

قالوا : ولو كان آدم أسكن جنة الخلد وهي دار القدس التي لا يسكنها إلا طاهر مقدس فكيف توصل إليها إبليس الرجس النجس المذموم المدحور ، حتى فتن فيها آدم عليه السلام ووسوس له ؟ وهذه الوسوسة إما أن تكون في قلبه وإما أن تكون في أذنه ، وعلى التقديرين فكيف توصل اللعين إلى دخول دار المتقين ، وأيضاً فبعد أن قيل له : اهبط منها ، فما يكون لك أن تتكبر فيها ، أيفسح له أن يرقى إلى جنة المأوى فوق السماء السابعة بعد السخط عليه والإبعاد له والزجر والطرد بعتوه واستكباره ، وهل هذا يلائم قوله : (فما يكون لك أن تتكبر فيها)[1] فإن كانت مخاطبته لآدم بما خاطبه به وقاسمه عليه ليست تكبراً فما التكبر بعد هذا ؟ .

فإن قلتم : فلعل وسوسته وصلت إلى الأبوين وهو في الأرض وهما فوق السماء في عليين ، فهذا غير معقول لغة ولا حساً ولا عرفاً ، وإن زعمتم أنه دخل في بطن الحية حتى أوصل إليهما الوسوسة فأبطل وأبطل ، إذ كيف يرتقي بعد الإهباط إلى أن يدخل الجنة ولو في بطن الحية . ؟

وإذا قلتم : إنه دخل في قلوبهما ووسوس إليهما ، فالمحذور قائم ، وأيضاً فإن الله سبحانه وتعالى حكى مخاطبته لهما كلاماً سمعاه شفاهاً فقال : « ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة » وهذا دليل على مشاهدته لهما وللشجرة ، ولما كان آدم خارجاً من الجنة وغير ساكن فيها قال الله تعالى له : « ألم أنهكما عن تلكما الشجرة » ولم يقول عن هذه الشجرة ، فعند ما قال لهما مانهاكما ربكما عن هذه الشجرة لما أطمعهما

---

(١) سورة الأعراف آية ١٣ .

فى ملـكها والخلود فى مقرها أتى باسم الإشارة بلفظ الحضور تقريباً لها وإحضاراً لها عندها وربهما تعالى قال لهما: ألم أنهـكما عن تلـكما الشجرة ؟ ، ولما أراد إخراجهما منها ، فأتى باسم الإشارة بلفظ البعد والغيبة ، كأنهما لم يبق لهما من الجنة حق ولا مشاهدة الشجرة التى نهيا عنها ، وأيضاً فإنه سبحانه قال : (إليه يصعد الـكلم الطيب) ووسوسة اللعين من أخبث الـكلم فلا تصعد إلى محل القدس .

قال منذر : وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم : أن « آدم عليه السلام نام فى جنته » وجنة الخلد لا نوم فيها بالنص وإجماع المسلمين ، فإن النبى صلى الله عليه وسلم سئل « أينام أهل الجنة ؟ قال : لا . النوم أخو الموت والنوم وفاة » وقد نطق به القرآن والوفاة تقلب حال ودار السلام مسلمة من تقلب الأحوال والنائم ميت أو كالميت .

قلت : الحديث الذى أشار إليه المعروف ، أنه موقوف من رواية ابن أبى نجيح عن مجاهد قال : « خلقت حواء من قصيرى آدم وهو نائم » .

وقال أسباط عن السدى : « أسكن آدم عليه السلام الجنة وكان يمشى فيها وحشاً ليس له زوج يسكن إليها ، فنام نومة فاستيقظ فإذا عند رأسه امرأة قاعدة خلقها الله من ضلعه ، فسألها ما أنت ؟ قالت : امرأة قال : ولم خلقت ؟ قالت : لتسكن إلىّ » .

وقال ابن إسحاق عن ابن عباس : « ألقى الله على آدم عليه السلام السنة ثم أخذ ضلعاً من أضلاعه من شقه الأيسر ولأم مكانه لحماً وآدم نائم لم يهب من نومته حتى خلق الله من ضلعه تلك زوجته حواء ، فسواها امرأة يسكن إليها ، فلما كشف عنه السنة وهب من نومته رآها إلى جنبه فقال : لحمى ودمى وروحى ، فسكن إليها » .

قالوا : ولا نزاع أن الله سبحانه وتعالى خلق آدم فى الأرض ولم يذكر فى موضع واحد أصلا أنه نقله إلى السماء بعد ذلك ، ولوكان قد نقله بعد ذلك إلى السماء لـكان هذا أولى بالذكر ، لأنه من أعظم الآيات ومن أعظم النعم عليه ، فإنه كان معراجاً ببدنه وروحه من الأرض إلى فوق السموات .

قالوا : وكيف ينقله سبحانه ويسكنه فوق السماء ، وقد أخبر ملائكته أنه جاعله في الأرض خليفة ، وكيف يسكنه دار الخلد التي من دخل فيها لا يخرج منها ؟ قال تعالى : (وماهم منها بمخرجين)[١] قالوا : ولم يكن معنا في المسألة إلا أن الله سبحانه أهبط إبليس من السماء حين امتنع من السجود لآدم عليه السلام ، وهذا أمر تكوين لا يمكن وقوع خلافه ، ثم أدخل آدم عليه السلام الجنة بعد هذا ، فإن الأمر بالسجود كان عقب خلقه من غير فصل ، فلو كانت الجنة فوق السموات لم يكن لإبليس سبيل إلى صعوده إليها وقد أهبط منها .

وأما تلك التقادير التي قدرتموها فتكلفات ظاهرة ، كقول من قال : يجوز أن يصعد إليها صعوداً عارضاً لا مستقراً ، وقول من قال : أدخلته الحية ، وقول من قال : دخل في أجوافها ، وقول من قال : يجوز أن تصل وسوسته إليهما وهو في الأرض وهما فوق السماء ، ولا يخفى مافي ذلك من التعسف الشديد والتكليف البعيد، وهذا بخلاف قولنا . فإنه سبحانه لما أهبطه من ملكوت السماء حيث لم يسجد لآدم عليه السلام أشرب عداوته ، فلما أسكنه جنته حسده عدوه وسعى بكيده وغروره في إخراجه منها . والله اعلم .

قالوا : ومما يدل على أن جنة آدم لم تكن جنة الخلد التي وعد المتقون : أن الله سبحانه لما خلقه أعلمه أن لعمره أجلا ينتهي إليه ، وأنه لم يخلقه للبقاء كما روى الترمذي في جامعه من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لما خلق الله آدم عليه السلام ونفخ فيه الروح عطس ، فقال : الحمد لله فحمد الله بإذنه . فقال ربه : يرحمك الله يا آدم ، اذهب إلى أولئك الملائكة إلى ملأ منهم جلوس فقال: السلام عليكم . قالوا وعليك السلام إلخ . ثم رجع إلى ربه فقال : إن هذه تحيتك وتحية بنيك بينهم . فقال الله له ويداه مقبوضتان : اختر أيهما شئت ، فقال : اخترت يمين ربي وكلتا يديه يمين مباركة ثم بسطها فإذا فيها آدم وذريته فقال يارب ماهؤلاء؟ قال: هؤلاء ذريتك ، فإذا كل إنسان مكتوب بين عينيه عمره، فإذا فيهم رجل أضوؤهم قال : يارب من هذا ؟ قال : هذا ابنك داود قد كتبت له عمراً أربعين سنة . قال : يارب زده في عمره ، قال ذلك الذي كتبت له . قال : أي رب فإني قد جعلت له من

---

(١) سورة الحجر آية ٤٨

عمرى ستين سنة . قال : أنت وذلك ، قال: ثم أسكن الجنة ما شاء الله ثم أهبط منها. فكان آدم عليه السلام يعد لنفسه ، قال : فأتاه ملك الموت فقال له آدم وقد عجلت قد كتبت لى ألف سنة . قال بلى ، ولكنك جعلت لابنك داود ستين سنة ، فجحد فجحدت ذريته ، ونسى فنسيت ذريته ، قال فمن يومئذ أمر بالكتاب والشهود » قال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه .وقد روى من غير وجه عن أبى هريرة .

قالوا : فهذا صريح فى أن آدم عليه السلام لم يخلق فى دار البقاء التى لا يموت من دخلها ، وإنما خلق فى دار الفناء التى جعل الله تعالى لها ولسكانها أجلا معلوماً ، وفيها أسكن .

فإن قيل : فإذا كان آدم عليه السلام قد علم أن له عمراً مقدراً وأجلا ينتهى إليه ، وأنه ليس من الخالدين ، فكيف لم يعلم كذب إبليس فى قوله : هل أدلك على شجرة الخلد ؟ وقوله : أو تكونا من الخالدين ؟

فالجواب من وجهين :

أحدها : أن الخلد لا يستلزم الدوام والبقاء ، بل هو المكث الطويل كما سيأتى .

الثانى : أن إبليس لما حلف له وغره وأطمعه فى الخلود نسى ما قدر له من عمره .

قالوا : وأيضاً فمن المعلوم الذى لا ينازع فية مسلم أن الله سبحانه خلق آدم عليه السلام من تربة هذه الأرض ، وأخبر أنه خلقه من سلالة من طين ، وأنه خلقه من صلصال من حمإ مسنون . فقيل : هو الذى له صلصلة ليبسه . وقيل : هو الذى تغيرت رائحته من قولهم : صل اللحم إذا تغير . والحمأ : الطين الاسود المتغير ، والمسنون : المصبوب ، وهذه كلها أطوار للتراب الذى هو مبدؤه الأول ، كما أخبر عن أطوار خلق الذرية من نطفة ، ثم من علقة ، ثم من مضغة ، ولم يخبر سبحانه وتعالى أنه رفعه من الأرض إلى فوق السموات لا قبل التخليق ولا بعده ، فأين الدليل الدال على إصعاد مادته أو إصعاده هو بعد خلقه ، وهذا مالا دليل لكم عليه ، ولاهو لازم من لوازم ما أخبر الله به ؟

قالوا : ومن المعلوم أن ما فوق السموات ليس بمكان للطين الأرضى المتغير الرائحة الذى أنتن من تغيره ، وإنما محل هذه الأرض التى هى محل المتغيرات الفاسدات، وأما ما فوق الأفلاك فلا يلحقه تغير ولا نتن ولا فساد ولا استحالة ، فهذا أمر لا يرتاب فيه العقلاء .

قالوا : وقد قال الله تعالى : (وأما الذين سعدوا ففى الجنة خالدين فيها مادامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ)[1] ، فأخبر سبحانه أن عطاء جنة الخلد غير مجذوذ . قالوا : فإذا جمع ما أخبر به سبحانه من أنه خلقه من الأرض ، وجعله خليفة فى الأرض ، وأن إبليس وسوس إليه فى مكانه الذى أسكنه فيه، بعد أن أهبطه من السماء بامتناعه من السجود له ، وأنه أخبر ملائكته أنه جاعل فى الأرض خليفة ، وأن دار الخلد دار جزاء وثواب على الامتحان والتكاليف ، وأنه لا لغو فيها ولا تأثيم ولا كذاب ، وأن من دخلها لا يخرج منها ولا ييأس ولا يحزن ولا يخاف ولا ينام ، وأن الله حرمها على الكافرين ، وإبليس رأس الكفر ، فإذا جمع ذلك بعضه إلى بعض ، وفكر فيه المنصف الذى رفع له علم الدليل ، فشمر إليه وربأ بنفسه عن حضيض التقليد ، تبين له الصواب . والله الموفق .

قالوا : ولو لم يكن فى المسألة إلا أن الجنة ليست دار تكليف وقد كلف الله سبحانه الأبوين بنهيهما عن الأكل من الشجرة ، فدل على أنها دار تكليف لا جزاء وخلد . فهذا أيضاً بعض ما احتجت به هذه الفرقة على قولها . والله أعلم .

---

(١) سورة هود آية ١٠٨ .

الباب الخامس

فى جواب أرباب هذا القول لأصحاب القول الأول

قالوا : أما قولكم : إن قولنا هو الذى فطر الله عليه عباده بحيث لا يعرفون سواه، فالمسألة سمعية لا تعرف إلا بأخبار الرسل ، ونحن وأنتم إنما تلقينا هذا من القرآن، لا من المعقول ولا من الفطرة ، فالمتبع فيه مادل عليه كتاب الله وسنة رسوله ، ونحن نطالبكم بصاحب واحد أو تابع أو أثر صحيح أو حسن ، أنها جنة الخلد التى أعدها الله للمؤمنين بعينها ولن تجدوا إلى ذلك سبيلا ، وقد أوجدناكم من كلام السلف مايدل على خلافه ، ولكن لما وردت الجنة مطلقة فى هذه القصة ، ووافقت اسم الجنة التى أعدها الله لعباده فى إطلاقها وبعض أوصافها ، فذهب كثير من الأوهام إلى أنها بعينها ، فإن أردتم بالفطرة هذا القدر لم يفدكم شيئاً ، وإن أردتم أن الله فطر الخلق على ذلك كما فطرهم على حسن العدل وقبح الظلم وغير ذلك من الأمور الفطرية فدعوى باطلة ، ونحن إذا رجعنا إلى فطرنا لم نجد علمها بذلك كعلمها بوجوب الواجبات واستحالة المستحيلات .

وأما استدلالكم بحديث أبى هريرة رضى الله عنه ، وقول آدم : « وهل أخرجكم منها إلا خطيئة أبيكم ؟ » فإنما يدل على تأخر آدم عليه السلام عن الاستفتاح للخطيئة التى قد تقدمت منه فى دار الدنيا ، وأنه بسبب تلك الخطيئة حصل له الخروج من الجنة ، كما فى اللفظ الآخر : إنى نهيت عن أكل الشجرة فأكلت منها، فأين فى هذا ما يدل على أنها جنة المأوى بمطابقة أو تضمن أو استلزام ، وكذلك قول موسى له : أخرجتنا ونفسك من الجنة ، فإنه لم يقل له : أخرجتنا من جنة الخلد .

وقولكم : إنهم خرجوا من بساتين من جنس الجنة التى فى الأرض ، فاسم الجنة وإن أطلق على تلك البساتين ، فبينها وبين جنة آدم مالا يعلمه إلا الله ، وهى كالسجن بالنسبة إليها ، واشتراكهما فى كونهما فى الأرض لا ينفى تفاوتهما أعظم تفاوت فى جميع الأشياء .

وأما استدلالكم بقوله تعالى : (وقلنا اهبطوا) عقيب إخراجهم من الجنة ، فلفظ الهبوط لا يستلزم النزول من السماء إلى الأرض غايته أن يدل على النزول من مكان عال إلى أسفل منه وهذا غير منكر ، فإنها كانت جنة فى أعلى الأرض فاهبطوا منها إلى الأرض .

وقد بينا أن الأمر كان لآدم عليه السلام وزوجه وعدوهما فلو كانت الجنة فى السماء لما كان عدوهما متمكناً ، منها بعد إهباطه الأول لما أبى السجود لآدم عليه السلام . فالآية أيضاً من أظهر الحجج عليكم ولا تغنى عنكم وجوه التعسفات والتكلفات التى قدرتموها ، وقد تقدمت .

وأما قوله تعالى : (ولكم فى الأرض مستقر ومتاع إلى حين)[١] ، فهذا لا يدل على أنهم لم يكونوا قبل ذلك فى الأرض ، فإن الأرض اسم جنس وكانوا فى أعلاها وأطيبها وأفضلها فى محل لا يدركهم فيه جوع ولا عرى ولا ظمأ ولا ضحى، فاهبطوا إلى أرض يعرض فيها ذلك كله ، وفيها حياتهم وموتهم وخروجهم من القبور ، والجنة التى أسكناها لم تكن دار نصب ولا تعب ولا أذى ، والأرض التى أهبطوا إليها هى محل التعب والنصب والأذى وأنواع المكاره . وأما قولكم : إنه سبحانه وتعالى وصفها بصفات لا تكون فى الدنيا ، فجوابه: إن تلك الصفات لا تكون فى الأرض التى أهبطوا منها ؟ وأما قولكم : إن آدم عليه السلام كان يعلم أن الدنيا منقضية فانية ، فلو كانت الجنة فيها لعلم كذب إبليس فى قوله : (هل أدلك على شجرة الخلد ؟)[٢] ، فجوابه من وجهين :

أحدهما : أن اللفظ إنما يدل على الخلد وهو أعم من الدوام الذى لا انقطاع له ، فإنه فى اللغة : المكث الطويل ومكث كل شىء بحسبه ، ومنه قولهم : رجل مخلد إذا أسن وكبر ، ومنه قولهم لأثافى الصخور : خوالد . لطول بقائها بعد دروس الأطلال . قال :

إلا رماداً هامداً دفعت عنه الرياح خوالد سحم

(١) سورة البقرة آية ٣٦ .
(٢) سورة طه آية ١٢٠ .

ونظير هذا إطلاقهم القديم على ما تقدم عهده وإن كان له أول ، كما قال تعالى: (كالعرجون القديم) ، (وإنك لفي ضلالك القديم) ، (وإفك قديم) وقد أطلق تعالى الخلود في النار على عذاب بعض العصاة ، كقاتل النفس ، وأطلقه النبي صلى الله عليه وسلم على قاتل نفسه .

الوجه الثاني : أن العلم بانقطاع الدنيا ومجيء الآخرة إنما يعلم بالوحي ولم يتقدم لآدم عليه الصلاة والسلام نبوة يعلم بها ذلك . وهو وإن نبأه الله سبحانه وتعالى وأوحى إليه وأنزل عليه منها صحفاً كما في حديث أبي ذر ، لكن هذا بعد إهباطه إلى الأرض بنص القرآن . قال تعالى : (قال اهبطا منها جميعاً بعضكم لبعض عدو فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى)[1] وكذلك في سورة البقرة : (قلنا اهبطوا منها جميعاً فإما يأتينكم مني هدى)[2] الآية .

وأما قولكم : إن الجنة وردت معرفة باللام غير مراد بها جنة الخلد قطعاً كقوله تعالى : (إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين)[3] وقولكم : إن السياق هاهنا دل على أنها جنة في الأرض ،

قلنا : والأدلة التي ذكرناها دلت على أن جنة آدم عليه السلام في الأرض ، فلذلك صرنا إلى موجبها إذ لا يجوز تعطيل دلالة الدليل الصحيح .

وأما استدلالكم بأثر أبي موسى « أن الله أخرج آدم عليه السلام من ، الجنة وزوده من ثمارها » فليس فيه زيادة على ما دل عليه القرآن إلا تزوده منها وهذا لا يقتضي أن تكون جنة الخلد .

وقولكم : إن هذه تتغير ، وتلك لا تتغير ، فمن أين لكم أن الجنة التي أسكنها آدم كان التغير يعرض لثمارها كما يعرض لهذه الثمار ، وقد ثبت في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لولا بنو إسرائيل لم يخنز اللحم » أي لم ينتن . وقد أبقى الله سبحانه وتعالى في هذا العالم طعام العزيز وشرابه مائة سنة لم يتغير؟

---

(١) سورة طه آية ١٢٣ .

(٢) سورة البقرة آية ٣٨ .

(٣) سورة القلم آية ١٧ .

وأما قولكم : إن الله سبحانه وتعالى ضمن لآدم عليه السلام إن تاب أن يعيده إلى الجنة. فلا ريب أن الأمر كذلك ، ولكن ليس يعلم أن الضمان إنما يتناول عوده إلى تلك الجنة بعينها ، بل إذا أعاده إلى جنة الخلد فقد وفى سبحانه بضمانه حق الوفاء، ولفظ العود لا يستلزم الرجوع إلى عين الحالة الأولى ولا زمانها ولا مكانها بل ولا إلى نظيرها كما قال شعيب لقومه : (قد افترينا على الله كذبا إن عدنا فى ملتكم بعد إذ نجانا الله منها ، وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا)[1] ، وقد جعل الله سبحانه المظاهر عائداً بإرادته الوطء ثانياً أو بنفس الوطء أو بالإمساك وكل منها غير الأول لا عينه ، فهذا ما أجابت به هذه الطائفة لمن نازعها .

(١) سورة الأعراف آية ٨٩ .

الباب السادس

فى جواب من زعم أنها جنة الخلد عما احتج به منازعوهم

قالوا : أما قولكم : إن الله سبحانه أخبر أن جنة الخلد إنما يقع الدخول إليها يوم القيامة ، ولم يأت زمن دخولها بعد ، فهذا حق فى الدخول المطلق الذى هو دخول واستقرار ودوام ، وأما الدخول العارض فيقع قبل يوم القيامة .

وقد دخل النبي صلى الله عليه وسلم الجنة ليلة الإسراء وأرواح المؤمنين والشهداء في البرزخ في الجنة ، وهذا غير الدخول الذى أخبر الله به فى يوم القيامة . فدخول الخلود إنما يكون يوم القيامة ، فمن أين لكم أن مطلق الدخول لا يكون فى الدنيا ، وبهذا خرج الجواب عن استدلالكم بكونها دار المقامة ودار الخلد ؟

قالوا : وأما احتجاجكم بسائر الوجوه التى ذكرتموها فى الجنة . وأنها لم توجد فى جنة آدم عليه السلام من العرى والنصب والحزن واللغو والكذب وغيرها . فهذا كله حق لا ننكره نحن ولا أحد من أهل السلام .

ولكن هذا إذا دخلها المؤمنون يوم القيامة كما يدل عليه سياق الآيات كلها ، فإن نفى ذلك مقرون بدخول المؤمنين إياها ، وهذا لا ينفى أن يكون فيها بين أبوى الثقلين ما حكاه الله سبحانه وتعالى من ذلك ، ثم يصير الأمر عند دخول المؤمنين إياها إلى ما أخبر الله عنها فلا تنافى بين الأمرين .

وأما قولكم : إنها دار جزاء وثواب لا دار تكليف ، وقد كلف الله سبحانه آدم بالنهى عن الأكل من تلك الشجرة ، فدل على أن تلك الجنة دار تكليف لا دار خلود . فجوابه من وجهين :

أحدهما : أنه إنما تمتنع أن تكون دار تكليف إذا دخلها المؤمنون يوم القيامة ، فحينئذ ينقطع التكليف . وأما وقوع التكليف فيها فى دار الدنيا فلا دليل على

امتناعه البتة ، كيف وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « دخلت البارحة الجنة فرأيت امرأة تتوضأ إلى جانب قصر فقلت لمن أنت » الحديث .

وغير ممتنع أن يكون فيها من يعمل بأمر الله ويعبد الله قبل يوم القيامة ، بل هذا هو الواقع ، فإن من فيها الآن مؤتمرون بأوامر من قبل ربهم لا يتعدونها سواء سمي ذلك تكليفاً أو لم يسم .

الوجه الثاني : أن التكليف فيها لم يكن بالأعمال التي يكلف بها الناس في الدنيا من الصيام والصلاة والجهاد ونحوها ، وإنما كان حجراً عليهما في شجرة واحدة من جملة أشجارها ، إما واحدة بالعين أو بالنوع ، وهذا القدر لا يمتنع وقوعه في دار الخلد ، كما أن كل واحد محجور عليه أن يقرب أهل غيره فيها ، فإن أردتم بكونها ليست دار تكليف امتناع وقوع مثل هذا فيها في وقت من الأوقات فلا دليل عليه ، وإن أردتم أن تكاليف الدنيا منتفية عنها ، فهو حق ولكن لا يدل على مطلوبكم .

وأما استدلالكم بنوم آدم فيها والجنة لا ينام أهلها ، فهذا إن ثبت النقل بنوم آدم ، فإنما ينفى النوم عن أهلها يوم دخول الخلود حيث لا يموتون وأما قبل ذلك فلا .

وأما استدلالكم بقصة وسوسة إبليس له بعد إهباطه وإخراجه من السماء ، فلعمر الله أنه لمن أقوى الأدلة وأظهرها على صحة قولكم وتلك التعسفات لدخوله الجنة وصعوده إلى السماء بعد إهباط الله له منها لا يرتضيها منصف ، ولكن لا يمتنع أن يصعد إلى هنالك صعوداً عارضاً لتمام الابتلاء والامتحان الذي قدره الله تعالى وقدر أسبابه . وإن لم يكن ذلك المكان مقعداً له مستقراً كما كان ، وقد أخبر الله سبحانه عن الشياطين أنهم كانوا قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم يقعدون من السماء مقاعد للسمع فيستمعون الشيء من الوحي وهذا صعود إلى هناك ، ولكنه صعود عارض لا يستقرون في المكان الذي يصعدون إليه مع قوله تعالى : (اهبطوا بعضكم لبعض عدو) فلا تنافي بين هذا الصعود وبين الأمر بالهبوط فهذا محتمل . والله أعلم .

وأما استدلالكم بأن الله سبحانه أعلم آدم عليه السلام مقدار أجله وما ذكرتم من الحديث وتقرير الدلالة منه .

فجوابه : أن إعلامه بذلك لا ينافى إدخاله جنة الخلد وإسكانه فيها مدة . وأما إخباره سبحانه أن داخلها لا يموت وأنه لا يخرج منها ، فهذا يوم القيامة .

وأما احتجاجكم بكونه خلق من الأرض فلا ريب فى ذلك ، ولكن من أين لكم أنه كمل خلقه فيها ، وقد جاء فى بعض الآثار : « أن الله سبحانه ألقاه على باب الجنة أربعين صباحاً ، فجعل إبليس يطوف به ويقول : لأمر ما خلقت ، فلما رآه أجوف علم أنه خلق لا يتمالك ، فقال : لئن سلطت عليه لأهلكنه ، ولئن سلط على لأعصينه » ؟ مع أن قوله سبحانه : (وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين . قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم. قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إنى أعلم غيب السموات والأرض)[1] ، يدل على أنه كان معهم فى السماء حيث أنبأهم بتلك الأسماء ، وإلا فهم لم ينزلوا كلهم إلى الأرض حتى سمعوا منه ذلك ، ولو كان خلقه قد كمل فى الأرض لم يمتنع أن يصعده سبحانه إلى السماء لأمر دبره وقدره ، ثم يعيده إلى الأرض ، فقد أصعد المسيح صلى الله عليه وسلم إلى السماء ثم ينزله إلى الأرض قبل يوم القيامة، وقد أسرى ببدن رسول الله صلى الله عليه وسلم وروحه إلى فوق السموات . فهذا جواب القائلين بأنها جنة الخلد لمنازعيهم . والله أعلم .

---

(١) سورة البقرة الآيتان ٣١ ـ ٣٣ .

الباب السابع

فى ذكر شبه من زعم أن الجنة لم تخلق بعد

قالوا : لو كانت الجنة مخلوقة الآن لوجب اضطراراً أن تفنى يوم القيامة وأن يهلك كل ما فيها ويموت لقوله تعالى : (كل شىء هالك إلا وجهه)[1] و (كل نفس ذائقة الموت)[2] ، فتموت الحور العين التى فيها والولدان . وقد أخبر الله سبحانه أن الدار خلود ومن فيها مخلدون لا يموتون فيها وخبره سبحانه لا يجوز عليه خلف ولا نسخ .

قالوا : وقد روى الترمذى فى جامعه من حديث ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقيت إبراهيم ليلة أسرى بى فقال : يا محمد أقرىء أمتك منى السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء ، وأنها قيعان . وأن غراسها : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر » قال هذا الحديث حسن غريب .

وفيه أيضاً من حديث أبى الزبير عن جابر عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: « من قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة فى الجنة » قال هذا حديث حسن صحيح .

قالوا : فلو كانت الجنة مخلوقة مفروغاً منها لم تكن قيعاناً ، ولم يكن لهذا الغرس معنى . قالوا : وقد قال تعالى عن امرأة فرعون أنها قالت : (رب ابن لى عندك بيتاً فى الجنة)[3] ، ومحال أن يقول قائل لمن نسج له ثوباً أو بنى له بيتاً : انسج لى ثوباً وابن لى بيتاً . وأصرح من هذا قول النبى صلى الله عليه وسلم : « من بنى لله مسجداً بنى الله له بيتاً فى الجنة » متفق عليه .

وهذه جملة مركبة من شرط وجزاء تقتضى وقوع الجزاء بعد الشرط بإجماع أهل العربية ، وهذا ثابت عن النبى صلى الله عليه وسلم من رواية عثمان بن عفان وعلى بن أبى طالب وجابر بن عبدالله وأنس بن مالك وعمر بن عنبسة .

---

(١) سورة القصص آية ٨٨ . (٢) سورة آل عمران آية ١٨٥ .
(٣) سورة التحريم آية ١١ .

قالوا . وقد جاءت آثار بأن الملائكة تغرس فيها وتبنى للعبد ما دام يعمل ، فإذا فتر فتر الملك عن العمل .

قالوا : وقد روى ابن حبان فى صحيحه والإمام أحمد فى مسنده من حديث أبى موسى الأشعرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا قبض الله ولد العبد ، قال : يا ملك الموت قبضت ولد عبدى ، قبضت قرة عينه وثمرة فؤاده ؟ قال : نعم . قال : فما قال ؟ قال : حمدك واسترجع . قال ابنوا له بيتاً فى الجنة وسموه بيت الحمد » .

وفى المسند من حديثه أيضاً قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « من صلى فى يوم وليلة ثنتى عشرة ركعة سوى الفريضة بنى الله له بيتاً فى الجنة » .
قالوا وليس هذا من أقوال أهل البدع والاعتزال كما زعمتم ، فهذا ابن مزين قد ذكر فى تفسيره عن ابن نافع ، وهو من أئمة السنة . أنه سئل عن الجنة أمخلوقة هى ؟ فقال : السكوت عن هذا أفضل . والله أعلم .

الباب الثامن

فى الجواب عما احتجت به هذه الطائفة

قد تقدم فى الباب الأول من ذكر الأدلة الدالة على وجود الجنة الآن ما فيه كفاية ، فنقول : ما تعنون بقولكم إن الجنة لم تخلق بعد ، أتريدون أنها الآن عدم محض لم تدخل إلى الوجود بعد ، بل هى بمنزلة النفخ فى الصور وقيام الناس من القبور ؟ فهذا قول باطل يرده المعلوم بالضرورة من الأحاديث الصريحة الصحيحة التى تقدم بعضها وسيأتى بعضها ، وهذا قول لم يقله أحد من السلف ولا أهل السنة وهو باطل قطعاً . أم تريدون أنها لم تخلق بكمالها ، وجميع ما أعد الله فيها لأهلها ، وأنها لا يزال الله يحدث فيها شيئاً بعد شىء ، وإذا دخلها المؤمنون أحدث الله فيها عند دخولهم أموراً أخر ، فهذا حق لا يمكن رده .

وأدلتكم هذه إنما دلت على هذا القدر ، وحديث ابن مسعود الذى ذكرتموه ، وحديث أبى الزبير عن جابر صريحان فى أن أرضها مخلوقة ، وأن الذكر ينشىء الله سبحانه لقائله منه غراساً فى تلك الأرض ، وكذا بناء البيوت فيها بالأعمال المذكورة ، والعبد كلما وسع فى أعمال البر وسع له فى الجنة ، وكلما عمل خيراً غرس له به هناك غراس وبنى له بناء ، وأنشىء له من عمله أنواع مما يتمتع به ، فهذا القدر لا يدل على أن الجنة لم تخلق بعد ولا يسوغ إطلاق ذلك .

وأما احتجاجكم بقوله تعالى : (كل شىء هالك إلا وجهه) فإنما أتيتم من عدم فهمكم معنى الآية ، واحتجاجكم بها على عدم وجود الجنة والنار الآن نظير احتجاج إخوانكم بها على فنائهما وخرابهما وموت أهلهما ، فلا أنتم وفقتم لفهم معناها ولا إخوانكم ، وإنما وفق لفهم معناها السلف وأئمة الإسلام ، ونحن نذكر بعض كلامهم فى الآية .

قال البخاري في صحيحه : يقال كل شيء هالك إلا وجهه : إلا ملكه ، ويقال: إلا ما أريد به وجهه .

وقال الإمام أحمد في رواية ابنه عبدالله : فأما السماء والأرض فقد زالتا لأن أهلهما صاروا إلى الجنة وإلى النار ، وأما العرش فلا يبيد ولا يذهب ، لأنه سقف الجنة ، والله سبحانه وتعالى عليه فلا يهلك ولا يبيد .

وأما قوله تعالى : (كل شيء هالك إلا وجهه) فذلك أن الله سبحانه وتعالى أنزل : (كل من عليها فان)[1] ، فقالت الملائكة : هلك أهل الأرض وطمعوا في البقاء ، فأخبر الله تعالى عن أهل السموات وأهل الأرض أنهم يموتون فقال : كل شيء هالك - يعني ميت - إلا وجهه ، لأنه حي لا يموت ، فأيقنت الملائكة عند ذلك بالموت . انتهى كلامه .

وقال في رواية أبي العباس أحمد بن جعفر بن يعقوب الأصطخري ذكره أبو الحسين في كتاب الطبقات قال : قال أبو عبدالله أحمد بن حنبل : هذه مذاهب أهل العلم وأصحاب الأثر وأهل السنة المتمسكين بعروتها المعروفين بها المقتدى بهم فيها، من لدن أصحاب نبينا صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا ،وأدركت من أدركت من علماء أهل الحجاز والشام وغيرهم عليها ، فمن خالف شيئاً من هذه المذاهب أو طعن فيها أو عاب قائلها فهو مخالف مبتدع خارج عن الجماعة ، زائل عن منهج السنة وسبيل الحق .

وساق أقوالهم إلى أن قال : وقد خلقت الجنة وما فيها وخلقت النار وما فيها، خلقهما الله عز وجل وخلق الخلق لهما ، ولا يفنيان ولا يفنى ما فيها أبداً .

فإن احتج مبتدع أو زنديق بقول الله عز وجل (كل شيء هالك إلا وجهه) وبنحو هذا من متشابه القرآن قيل له : كل شيء مما كتب الله عليه الفناء والهلاك هالك ، والجنة والنار خلقتا للبقاء لا للفناء ولا للهلاك وهما من الآخرة لا من الدنيا ، والحور العين لا يمتن عند قيام الساعة ، ولا عند النفخة ولا أبداً ، لأن الله عز وجل خلقهن للبقاء لا للفناء ، ولم يكتب عليهن الموت .

---

(١) سورة الرحمن آية ٢٩

فمن قال خلاف هذا فهو مبتدع، وقد ضل عن سواء السبيل وخلق سبع سموات بعضها فوق بعض وسبع أرضين بعضها أسفل من بعض ، وبين الأرض العليا والسماء الدنيا مسيرة خمسمائة عام ، وبين كل سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة عام ، والماء فوق السماء العليا السابعة ، وعرش الرحمن عز وجل فوق الماء ، وأن الله عز وجل على العرش والكرسى موضع قدميه، وهو يعلم ما فى السموات والأرضين السبع ومابينهما وما تحت الثرى ، وما فى قعر البحر ومنبت كل شعرة وشجرة ، وكل زرع وكل نبات ومسقط كل ورقة وعدد كل كلمة وعدد الحصا والتراب والرمل ومثاقيل الجبال وأعمال العباد وآثارهم وكلامهم وأنفاسهم ، ويعلم كل شىء لا يخفى عليه من ذلك شىء وهو على العرش فوق السماء السابعة ودونه حجب من نار ونور وظلمة ، وما هو أعلم بها ، فان احتج مبتدع ومخالف بقول الله عز وجل : (ونحن أقرب إليه من حبل الوريد)[١] وقوله : (وهو معكم أينما كنتم)[٢] وقوله : (إلا هو معهم أينما كانوا)[٣] وقوله : (ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ، ولا خمسة إلا هو سادسهم)[٤] ونحو هذا من متشابه القرآن فقل : إنما يعنى بذلك العلم ، لأن الله عز وجل على العرش فوق السماء السابعة العليا ، يعلم ذلك كله وهو بائن من خلقه ، لا يخلو من علمه مكان .

وقال فى رواية أبى جعفر الطائى محمد بن عوف بن سفيان الحمصى ، قال : الخلال حافظ إمام فى زمانه معروف بالتقدم فى العلم والمعرفة : كان أحمد بن حنبل يعرف له ذلك ويقبل منه ، ويسأله عن الرجال من أهل بلده .

قال: أملى على أحمد بن حنبل فذكر رسالة فى السنة ثم قال فى أثنائها : وإن الجنة والنار مخلوقتان قد خلقتا كما جاء الخبر ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : «دخلت الجنة فرأيت فيها قصراً ورأيت الكوثر ، واطلعت فى النار فرأيت أكثر أهلها كذا وكذا» فمن زعم أنهما لم يخلقا فهو مكذب برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالقرآن ، كافر بالجنة والنار ، يستتاب فإن تاب وإلا قتل .

---

(١) سورة ق آية ١٦ .
(٢) سورة الحديد آية ٤ .
(٣) سورة المجادلة آية ٧ .
(٤) سورة المجادلة آية ٧ .

وقال فى رواية عبدوس بن مالك العطار ، وذكر رسالة فى السنة قال فيها : والجنة والنار مخلوقتان ، قد خلقتا كما جاء عن رسول الله صلى عليه وسلم : « اطلعت فى الجنة فرأيت أكثر أهلها كذا وكذا ، واطلعت فى النار فرأيت أكثر أهلها كذا وكذا » .

فمن زعم أنهما لم يخلقا فهو مكذب بالقرآن وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا أحسبه يؤمن بالجنة والنار .

فتأمل هذه الأبواب وما تضمنته من النقول والمباحث والنكت والفوائد التى لا تظفر بها فى غير هذا الكتاب ألبتة . ونحن اختصرنا الكلام فى ذلك ولو بسطناه لقام منه سفر ضخم . والله المستعان وعليه التكلان . وهو الموفق للصواب .

الباب التاسع

فى ذكر عدد أبواب الجنة

قال الله تعالى : (وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين)[1] وقال فى صفة النار (حتى إذا جاؤوها فتحت أبوابها [2] بغير واو ، فقالت طائفة : هذه واو الثمانية دخلت فى أبواب الجنة لكونها ثمانية ، وأبواب النار سبعة فلم تدخلها الواو .

وهذا قول ضعيف لا دليل عليه ولا تعرفه العرب ولا أئمة العربية ، وإنما هو من استنباط بعض المتأخرين .

وقالت طائفة أخرى : الواو زائدة ، والجواب الفعل الذى بعدها كما هو فى الآية الثانية وهذا أيضاً ضعيف ، فإن زيادة الواو غير معروف فى كلامهم ، ولا يليق بأفصح الكلام أن يكون فيه حرف زائد لغير معنى ولا فائدة .

وقالت طائفة ثالثة : الجواب محذوف وقوله : وفتحت أبوابها عطف على قوله : جاؤوها . وهذا اختيار أبى عبيدة والمبرد والزجاج وغيرهم .

قال المبرد : وحذف الجواب أبلغ عند أهل العلم .

قال أبو الفتح ابن جنى : وأصحابنا يدفعون زيادة الواو ولا يجيزونه ويرون أن الجواب محذوف للعلم به .

بقى أن يقال : فما السر فى حذف الجواب فى آية أهل الجنة ، وذكره فى آية أهل النار ؟ فقال: هذا أبلغ فى الموضعين ، فإن الملائكة تسوق أهل النار إليها وأبوابها مغلقة ، حتى إذا وصلوا إليها فتحت فى وجوههم فيفجأهم العذاب بغتة ، فحين انتهوا

---

(١) سورة الزمر آية ٧٣ .

(٢) سورة الزمر آية ٧١ .

إليها فتحت أبوابها بلا مهلة ، فإن هذا شأن الجزاء المرتب على الشرط أن يكون عقيبه فإنها دار الإهانة والخزى فلم يستأذن لهم فى دخولها ويطلب إلى خزنتها أن يمكنوهم من الدخول ، وأما الجنة فإنها دار الله ودار كرامته ومحل خواصه وأوليائه، فإذا انتهوا إليها صادفوا أبوابها مغلقة، فيرغبون إلى صاحبها ومالكها أن يفتحها لهم ويستشفعون إليه بأولى العزم من رسله ، وكلهم يتأخر عن ذلك حتى تقع الدلالة على خاتمهم وسيدهم وأفضلهم ، فيقول : أنا لها فيأتى إلى تحت العرش ويخر ساجداً لربه فيدعه ماشاء أن يدعه ، ثم يأذن له فى رفع رأسه وأن يسأل حاجته فيشفع إليه سبحانه فى فتح أبوابها فيشفعه ويفتحها تعظيما لخطرها ، وإظهاراً لمنزلة رسوله وكرامته عليه.

وإن مثل هذه الدار التى هى دار ملك الملوك رب العالمين ، إنما يدخل إليها بعد تلك الأهوال العظيمة التى أولها من حين عقل العبد فى هذه الدار إلى أن انتهى إليها، وما ركبه من الأطباق طبقاً بعد طبق ، وقاساه من الشدائد شدة بعد شدة حتى أذن الله تعالى لخاتم أنبيائه ورسله وأحب خلقه إليه أن يشفع إليه فى فتحها لهم .

وهذا أبلغ وأعظم فى تمام النعمة وحصول الفرح والسرور، مما يقدر بخلاف ذلك لئلا يتوهم الجاهل أنها بمنزلة الخان الذى يدخله من شاء ، فجنة الله عالية غالية ، بين الناس وبينها من العقبات والمفاوز والأخطار ما لا تنال إلا به ، فما لمن أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى ، ولهذه الدار فليمد عنها إلى ما هو أولى به ، وقد خلق له وهيء له .

وتأمل ما فى سوق الفريقين إلى الدارين زمراً من فرحة هؤلاء بإخوانهم وسيرهم معهم كل زمرة على حدة ، كل مشتركين فى عمل متصاحبين فيه على زمرتهم وجماعتهم، مستبشرين أقوياء القلوب ، كما كانوا فى الدنيا وقت اجتماعهم على الخير ، كذلك يؤنس بعضهم بعضاً ويفرح بعضهم ببعض .

وكذلك أصحاب الدار الأخرى يساقون إليها زمراً ، يلعن بعضهم بعضاً ، ويتأذى بعضهم ببعض ، وذلك أبلغ فى الخزى والفضيحة والهتيكة ، من أن يساقوا واحداً واحداً فلا تهمل تدبر قوله زمراً .

وقال خزنة أهل الجنة لأهلها : سلام عليكم ، فبدؤهم بالسلام المتضمن للسلامة من كل شر ومكروه ، أى سلمتم فلا يلحقكم بعد اليوم ما تكرهون ، ثم قالوا لهم : طبتم فادخلوها خالدين ، أى سلامتكم ودخولها بطيبكم ، فإن الله حرمها إلا على الطيبين فبشروهم بالسلامة والطيب والدخل والخلود .

وأما أهل النار فإنهم لما انتهوا إليها على تلك الحال من الهم والغم والحزن وفتحت لهم أبوابها وقفوا عليها وزيدوا على ماهم عليه توبيخ خزنتها وتبكيتهم لهم بقولهم: (ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا)(١) فاعترفوا وقالوا : بلى . فبشروهم بدخولها والخلود فيها وأنها بئس المثوى لهم .

وتأمل قول خزنة الجنة لأهلها : ادخلوها . وقول خزنة النار لأهلها : ادخلوها أبواب جهنم ، تجد تحته سراً لطيفا ومعنى بديعاً لا يخفى على المتأمل وهو : أنها لما كانت دار العقوبة وأبوابها أفظع شىء، وأشده حراً وأعظمه غماً، يستقبل فيها الداخل من العذاب ما هو أشد منها ، ويدنو من الغم والخزى والحزن والكرب بدخول الأبواب . فقيل : ادخلوا أبوابها صغاراً لهم وإذلالا وخزيا ، ثم قيل لهم : لا يقتصر بكم على مجرد دخول الأبواب الفظيعة ، ولكن وراءها الخلود فى النار ، وأما الجنة فهى الكرامة والمنزل الذى أعده الله لأوليائه ، فبشروا من أول وهلة بالدخول إلى المقاعد والمنازل والخلود فيها .

وتأمل قوله سبحانه : (جنات عدن مفتحة لهم الأبواب ،متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب)(٢) كيف تجد تحته معنى بديعاً، وهو أنهم إذا دخلوا الجنة لم تغلق أبوابها عليهم ، بل تبقى مفتحة كما هى .

وأما النار فإذا دخلها أهلها أغلقت عليهم أبوابها ، كما قال تعالى : (إنها عليهم مؤصدة) أى مطبقة مغلقة ، ومنه سمى الباب وصيدا وهى : (مؤصدة فى عمد ممددة) قد جعلت العمد ممسكة للأبواب من خلفها كالحجر العظيم الذى يجعل خلف الباب .

---

(١) سورة الزمر آية ٧١ .
(٢) سورة ص الآيتان ٥٠ و ٥١ .

قال مقاتل : يعنى أبوابها عليهم مطبقة ، فلايفتح لها باب ولايخرج منها غم، ولا يدخل فيها روح آخر الأبد .

وأيضاً فإن فى تفتيح الأبواب لهم إشارة إلى تصرفهم وذهابهم وإيابهم وتبوئهم فى الجنة حيث شاؤوا ، ودخول الملائكة عليهم كل وقت بالتحف والألطاف من من ربهم ودخول ما يسرهم عليهم كل وقت .

وأيضاإشارإلا أنهادار أمن لايحتاجون فيها إلىغلقالأبواب ، كماكانوا يحتاجون إلى ذلك فى الدنيا .

وقد اختلف أهل العربية فى الضمير العائد من الصفة على الموصوف فى هذه الجملة .

فقال الكوفيون : التقدير مفتحةلهم أبوابها ، والعرب تعاقب بين الألف واللام والإضافة فيقولون : مررت برجل حسن العين أى عينه . ومنه قوله تعالى : (فإن الجحيم هى المأوى) أى مأواه .

وقال بعض البصريين : التقدير مفتحة لهم الأبواب منها فحذف الضمير ومااتصل به ، قال : وهذا التقدير فى العربية أجود من أن يجعل الألف واللام بدلا من الهاء والألف ، لأن معنى الألف واللام ليس من معنى الهاء والألف فى شىء ، لأن الهاء والألف اسم ، والألف واللام دخلتا للتعريف ، ولا يبدل حرف من اسم ولا ينوب عنه .

قالوا : وأيضاً لوكانت الألف واللام بدلا من الضميرلوجب أن يكون فى (مفتحة) ضمير الجنات ، ويكون المعنى مفتحة هى ثم أبدل منها الأبواب،ولو كان كذلك لوجب نصب لكون مفتحة قد رفع ضمير الفاعل فلا يجوز أن يرفع به إسم آخر لامتناع ارتفاع فاعلين بفعل واحد ، فلما ارتفع الأبواب دل على أن مفتحة خال من ضمير والأبواب مرتفعة به . وإذا كان فى الصفة ضمير تعين نصب الثانى كما تقول : مررت برجل حسن الوجه ولو رفعت الوجه ونونت حسناً لم يجز ، فالألف واللام إذا للتعريف

ليس إلا ، فلابد من ضمير يعود على الموصوف الذى هو جنات عدن ، ولا ضمير فى اللفظ فهو محذوف تقديره الأبواب منها .

وعندى أن هذا غير مبطل لقول الكوفيين ، فإنهم لم يريدوا بالبدل إلا أن الألف واللام خلف وعوض عن الضمير تغنى عنه . وإجماع العرب على قولهم : حسن الوجه وحسن وجهه شاهد بذلك ، وقد قالوا : إن التنوين بدل من الألف واللام بمعنى أنهما لا يجتمعان ، وكذلك المضاف إليه يكون بدلا من التنوين والتنوين بدل من الإضافة ، بمعنى التعاقب والتوارد ولا يريدون بقولهم هذا بدل من هذا ، أن معنى البدل معنى المبدل منه ، بل قد يكون في كل منهما معنى لا يكون فى الآخر .

فالكوفيون أرادوا أن الألف واللام فى الأبواب أغنت عن الضمير . لو قيل أبوابها وهذا صحيح ، فإن المقصود الربط بين الصفة والموصوف بأمر يجعلها له لامستقلة ، فلما كان الضمير عائداً على الموصوف نفى توهم الاستقلال ، وكذلك لام التعريف فإن كلا من الضمير واللام يعين صاحبه هذا بعين مفسره ، وهذا يعين مادخل عليه . وقد قالوا في زيد نعم الرجل : إن الألف واللام أغنت عن الضمير . والله أعلم .

وقد أعرب الزمخشرى هذه الآية إعراباً اعترض عليه فيه فقال : جنات عدن معرفة كقوله (جنات عدن التى وعد الرحمن عباده بالغيب)[1] ، وانتصابها على أنها عطف بيان لحسن مآب ، ومفتحة حال ، والعامل فيها ما فى المتقين من معنى الفعل وفى مفتحة ضمير الجنات ، والأبواب بدل من الضمير تقديره مفتحة ، هى الأبواب ، كقولهم : ضرب زيد اليد والرجل وهو من بدل الاشتمال ، هذا إعرابه . فاعترض عليه بأن جنات عدن ليس فيها ما يقتضى تعريفها . وأما قوله : (التى وعد الرحمن عباده)[2] . فبدل لا صفة ، وبأن جنات عدن لا يسهل أن تكون عطف بيان لحسن مآب على قوله ، لأن جريان المعرفة على النكرة عطف بيان لا قائل به ، فإن القائل قائلان . أحدهما : أنه لا يكون إلا فى المعارف كقول البصريين .

---

(١) سورة مريم آية ٦١ .

(٢) سورة مريم آية ٦١ .

والثاني : أنه يكون في المعارف والنكرات بشرط المطابقة ، كقول الكوفيين وأبي علي الفارسي .

وقوله : إن في مفتحة ضمير الجنات ، فالظاهر خلافه ، وأن الأبواب مرتفع به ولا ضمير فيه .

وقوله : إن الأبواب بدل اشتمال فبدل الاشتمال قد صرح هو وغيره أنه لا بد فيه من الضمير ، وإن نازعهم فيه آخرون ، ولكن يجوز أن يكون الضمير ملفوظاً به ، وأن يكون مقدراً وهنا لم يلفظ به فلا بد من تقديره أي الأبواب منها ، فإذا كان التقدير مفتحة لهم هي الأبواب منها ، كان فيه تكثير للاضمار وتقليله أولى .

وفي الصحيحين من حديث أبي حازم عن سهل بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « في الجنة ثمانية أبواب ، باب منها يسمى الريان . لا يدخله إلا الصائمون » .

وفي الصحيحين من حديث الزهري عن حميد بن عبد الرحمن عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أنفق زوجين في شيء من الأشياء في سبيل الله ، دعي من أبواب الجنة ، ياعبد الله هذا خير ، فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة ، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد ، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة ، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان ، فقال أبو بكر : بأبي أنت وأمي يارسول الله ، ما على من دعي من تلك الأبواب من ضرورة ، فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها ، فقال : نعم ، وأرجو أن تكون منهم » .

وفي صحيح مسلم عن عمر بن الخطاب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ما منكم من أحد يتوضأ فيبالغ أو فيسبغ الوضوء ثم يقول : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء » زاد الترمذي بعد التشهد : « اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين » .

زاد أبو داود والإمام أحمد: ثم رفع نظره إلى السماء فقال :وعند الإمام أحمد من رواية أنس يرفعه : « من توضأ فأحسن الوضوء ثم قال ثلاث مرات : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، فتح له أبواب الجنة الثمانية ، من أيها شاء دخل » .

وعن عتبة بن عبدالله السلمى قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « ما من مسلم يتوفى له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث ، إلا تلقوه من أبواب الجنة الثمانية ،من أيها شاء دخل » رواه ابن ماجه وعبدالله بن أحمد عن ابن نمير ثنا إسحق ابن سليمان ثنا جرير بن عثمان عن شرحبيل بن شفعة عن عتبة .

الباب العاشر

فى ذكر سعة أبوابها

عن أبى هريرة قال : « وضعت بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم قصعة من ثريد ولحم فتناول الذراع ـ وكان أحب الشاة إليه ـ فنهش نهشة وقال : أنا سيد الناس يوم القيامة ، ثم نهش أخرى وقال : أنا سيد الناس يوم القيامة : ، فلما رأى أصحابه لا يسألونه قال : ألا تقولون كيف ؟ قالوا : كيف يارسول الله ؟ قال : يقوم الناس لرب العالمين فيسمعهم الداعى وينفذهم البصر ، فذكر حديث الشفاعة بطوله. وقال فى آخره : فأنطلق فآتى تحت العرش فأقع ساجداً لربى ، فيقيمنى رب العالمين مقاما لم يقمه أحداً قبلى ولن يقيمه أحداً بعدى ، فأقول : يارب أمتى أمتى فيقول : يا محمد أدخل من أمتك من لاحساب عليهم من الباب الأيمن ، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب ، والذى نفس محمد بيده إن مابين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر . أو هجر ومكة » .

وفى لفظ : « لكما بين مكة وهجر ، أو كما بين مكة وبصرى » متفق على صحته .

وفى لفظ خارج الصحيح بإسناده « إن ما بين عضادتى الباب لكما بين مكة وهجر » .

وعن خالد بن عمير العدوى قال : خطبنا عتبة بن غزوان فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد ، فإن الدنيا قد آذنت بصرم وولت حذاء ، ولم يبق منها إلا صبابة كصبابة الإناء يصطبها صاحبها ، وإنكم منقلبون منها إلى دار لا زوال لها ، فانقلبوا بخير ما بحضرتكم ، ولقد ذكر لنا أن مصراعين من مصاريع الجنة بينهما مسيرة أربعين سنة ، وليأتين عليه يوم وهو كظيظ من الزحام ، فهذا موقوف والذى قبله مرفوع ، فإن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذاكر له كان هذا بين باب

من أبوابها ولعله الباب الأعظم ، وإن كان الذاكر ذلك غير رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقدم على حديث أبى هريرة المتقدم .

ولكن قد روى الإمام أحمد فى مسنده عن طريق حماد بن سلمة قال : سمعت الجريرى يحدث عن حكيم بن معاوية عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أنتم موفون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله، ومابين مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين عاما ، وليأتين عليه يوم وله كظيظ » وقد رواه ابن أبى داود أنبأنا إسحاق بن شاهين ، أنبأنا خالد عن الجريرى عن حكيم بن معاوية عن أبيه يرفعه « مابين مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة سبع سنين » .

وروينا فى مسند عبد بن حميد أنبأنا الحسن بن موسى أنبأنا ابن لهيعة أنبأنا دراج أبو السمح عن أبى الهيثم عن أبى سعيد الخدرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن ما بين مصراعين فى الجنة لمسيرة أربعين سنة » وحديث أبى هريرة أصح وهذه النسخة ضعيفة . والله أعلم .

وروى أبو الشيخ ، أنبأنا جعفر بن أحمد بن فارس ، أنبأنا يعقوب بن حميد ، أنبأنا معن حدثنا خالد بن أبى بكر عن سالم بن عبدالله عن أبيه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « الباب الذى يدخل منه أهل الجنة مسيرة الراكب المجد ثلاثاً ، ثم إنهم ليضطغطون عليه حتى تكاد مناكبهم تزول » رواه أبو نعيم عنه وهذا مطابق للحديث المتفق عليه : « إن ما بين المصراعين كما بين مكة وبصرى » فإن الراكب المجد غاية الإجادة على أسرع هجين لايفتر ليلا ولا نهاراً ، يقطع هذه المسافة فى هذا القدر أو قريب منه .

وأما حديث حكيم بن معاوية فقد اضطرب رواته ، فحماد بن سلمة ذكر عن الجريرى التقدير بأربعين عاماً ، وخالد ذكر عنه التقدير بسبع سنين ، وحديث أبى سعيد المرفوع فيه التقدير بأربعين عاماً على طريقة دراج عن أبى الهيثم . قال

الإمام أحمد : أحاديث دراج مناكير . وقال أبو حاتم الرازى : ضعيف . وقال النسائى : ليس بالقوى .

فالصحيح المرفوع السالم عن الاضطراب والشذوذ والعلة حديث أبى هريرة المتفق على صحته . على أن حديث حكيم بن معاوية ليس فيه بظاهر الرفع ، ويحتمل أنه مدرج فى الحديث موقوف ، فيكون كحديث عتبة بن غزوان .

الباب الحادى عشر

فى صفة أبوابها وأنها ذات حلق

روى الوليد بن مسلم عن خليد عن الحسن : (مفتحة لهم الأبواب) قال : أبواب ترى . وذكر أيضاً عن خليد عن قتادة قال : أبواب يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها تتكلم وتكلم ، وتفهم ما يقال لها ، انفتحى انغلقى . وقال أبو الشيخ أنبأنا محمد بن عبدالله بن محمد القيسى أنبأنا محمد بن إسحاق أنبأنا أحمد ابن أبى الحوارى أنبأنا عبد الله بن غياث عن الفزارى قال : « لكل مؤمن فى الجنة أربعة أبواب ، فباب يدخل عليه منه زواره من الملائكة ، وباب يدخل عليه منه أزواجه من الحور العين ، وباب مقفل فيما بينه وبين أهل النار يفتحه إذا شاء ينظر إليهم لتعظم النعمة عليه ، وباب فيما بينه وبين دار السلام يدخل منه على ربه إذا شاء » . وقد روى سهيل بن أبى صالح عن زياد النميرى عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنا أول من يأخذ بحلقة باب الجنة ولا فخر » .

وفى حديث الشفاعة الطويل من رواية ابن عيينة عن على بن زيد عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فآخذ بحلقة باب الجنة فأقعقعها » وهذا صريح فى أنها حلقة حسية تحرك وتقعقع . وروى سهيل عن أبيه عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « آخذ بحلقة باب الجنة فيؤذن لى » ويذكر عن على رضى الله عنه : « من قال لا إله إلا الله الملك الحق المبين فى كل يوم مائة مرة كان له أمان من الفقر ومن وحشة القبر ، واستجلب به الغنى ، واستقرع به باب الجنة » .

فصـل

ولما كانت الجنات درجات بعضها فوق بعض ، كانت أبوابها كذلك ، وباب الجنة العالية فوق باب الجنة التي تحتها ، وكلما علت الجنة اتسعت ، فعاليها أوسع مما دونه وسعة الباب ، بحسب وسع الجنة ، ولعل هذا وجه الاختلاف الذي جاء في مسافة ما بين مصراعي الباب ، فإن أبوابها بعضها أعلى من بعض .

ولهذه الأمة باب مختص بهم يدخلون منه دون سائر الأمم ، كما في المسند من حديث ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « باب أمتي الذي يدخلون منه الجنة عرض مسيرة الراكب ثلاثاً ، ثم إنهم ليضغطون حتى تكاد مناكبهم تزول » .

وفيه من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم : « أتاني جبريل فأخذ بيدي فأراني باب الجنة الذي تدخل منه أمتي » الحديث . وسيأتي بتمامه إن شاء الله تعالى .

وقال خلف بن هشام البزار : ثنا أبو شهاب عن عمر بن قيس الملائي عن أبي إسحاق عن عاصم بن حمزة عن علي بن أبي طالب قال : « إن أبواب الجنة هكذا بعضها فوق بعض ثم قرأ : (حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها)[1] إذا هم عندها بشجرة في أصلها عينان تجريان فيشربون من إحداهما فلا تترك في بطونهم قذى ولا أذى إلا رمته ، ويغتسلون من الأخرى فتجري عليهم نضرة النعيم فلا تشعث رؤوسهم ولا تتغير أبشارهم بعد هذا أبداً ، ثم قرأ : (طبتم فادخلوها خالدين)[2] فيدخل الرجل وهو يعرف منزله ويتلقاهم الولدان فيستبشرون برؤيتهم كما يستبشر

---

(١) سورة الزمر آية ٧٣ .

(٢) سورة الزمر آية ٧٣ .

الأهل بالحميم يقدم من الغيبة فينطلقون إلى أزواجهم فيخبرونهم بمعاينتهم فتقول :أنت رأيته ؟ فيقوم إلى الباب فيدخل إلى بيته فيتكىء على سريره فينظر إلى أساس بيته فإذا هو قد أسس على اللؤلؤ ، ثم ينظر فى أخضر وأحمر وأصفر ، ثم يرفع رأسه إلى سماء بيته ، فلولا أنه خلق له لا التمع بصره فيقول : (الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله)[1] ، والله أعلم .

---

(١) سورة الأعراف آية ٤٣ .

الباب الثانى عشر

فى ذكر مسافة ما بين الباب والباب

روينا فى معجم الطبرانى أنبأنا مصعب بن إبراهيم بن حمزة الزبيرى وعبد الله ابن الصقر السكرى ، قالا : أنبأنا إبراهيم بن المنذر الحرامى ، ثنا عبد الرحمن بن المغيرة بن عبد الرحمن بن عبد الله بن خالد بن حرام ، حدثنى عبد الرحمن بن عياش الأنصارى ، حدثنا دلهم بن الأسود بن عبد الله بن حاجب بن المنتفق .

قال دلهم : وحدثنيه أيضاً أبو الأسود عن عاصم بن لقيط ، أن لقيط بن عامر خرج وافداً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « قلت يا رسول الله فما الجنة والنار ؟ قال : لعمر الهك ، إن للنار سبعة أبواب ما منهن بابان إلا يسير الراكب بينهما سبعين عاما ، وإن للجنة ثمانية أبواب مامنهن بابان إلا يسير الراكب بينهما سبعين عاما » وذكر الحديث بطوله .

وهذا الظاهر منه أن هذه المسافة بين الباب والباب ، لأن مابين مكة وبصرى لا يحتمل التقدير بسبعين عاماً ، ولا يمكن حمله على باب معين ، لقوله : مامنهن بابان . والله أعلم .

الباب الثالث عشر

فى مكان الجنة وأين هى ؟

قال الله تعالى : (ولقد رآه نزلة أخرى ، عند سدرة المنتهى ، عندها جنة المأوى)[1] وقد ثبت أن سدرة المنتهى فوق السماء ، وسميت بذلك لأنها ينتهى إليها ما ينزل من عند الله فيقبض منها وما يصعد إليه فيقبض منها ، وقال تعالى : (وفى السماء رزقكم وما توعدون)[2] قال ابن أبى نجيح عن مجاهد ، هو الجنة . وكذلك تلقاه الناس عنه ؛ وقد ذكر ابن المنذر فى تفسيره وغيره أيضاً عن مجاهد قال : هو الجنة والنار وهذا يحتاج إلى تفسير ، فإن النار فى أسفل السافلين ليست فى السماء ، ومعنى هذا ما قاله فى رواية ابن أبى نجيح عنه ، وقاله أبو صالح عن ابن عباس ، الخير والشر كلاهما يأتى من السماء .

هذا فالمعنى أسباب الجنة والنار بقدر ثابت فى السماء من عند الله .

ر رت بن أبى أسامة ، حدثنا عبد العزيز بن أبان ، حدثنا سهدى بن ميمون ، حدثنا محمد بن عبد الله بن أبى يعقوب عن بشر بن شغاف قال سمعت عبد الله ابن سلام يقول : « إن أكرم خليقة الله أبو القاسم صلى الله عليه وسلم ، وإن الجنة فى السماء » رواه أبو نعيم عنه . قال : ورواه معمر بن راشد عن محمد بن أبى يعقوب مرفوعاً ، ثم ساقه من طريق ابن منيع قال : ثنا عمرو الناقد ثنا عمرو بن عثمان ، ثنا موسى بن أعين عن معمر به مرفوعاً . ثم ساق من طريق محمد بن فضيل ، ثنا محمد بن عبد الله عن عطية عن ابن عباس أنه قال : « الجنة فوق السماء السابعة ويجعلها الله حيث شاء يوم القيامة ، وجهنم فى الأرض السابعة » .

وقال ابن منده : ثنا أحمد بن إسحاق قال : ثنا أبو أحمد الزبيرى ، ثنا محمد

---

(١) سورة النجم الآيات ١٣ — ١٥ (٢) سورة الذاريات آية ٢٢ .

ابن عبد الله عن سلمة بن كهيل عن أبى الزعراء عن عبد الله قال : « الجنة فى السماء الرابعة فإذا كان يوم القيامة جعلها الله حيث يشاء ، والنار فى الأرض السابعة، فإذا كان يوم القيامة جعلها الله حيث يشاء » وقال مجاهد : « قلت لابن عباس أين الجنة ؟ قال : فوق سبع سموات ، قلت : فأين النار ؟ قال . تحت سبعة أبحر مطبقة » رواه ابن منده عن أحمد بن إسحاق عن الزبيرى عن إسرائيل عن ابن أبى يحيى عن مجاهد .

وأما الأثر الذى رواه أبو بكر بن أبى شيبة ، ثنا عيسى بن يونس عن ثور ابن يزيد عن خالد بن معدان عن عبدالله بن عمرو ، قال : « الجنة مطوية معلقة بقرون الشمس تنشر فى كل عام مرة ، وإن أرواح المؤمنين فى طير كالزرازير يتعارفون ويرزقون من ثمر الجنة » .

فهذا قد يظهر منه التناقض بين أول كلامه وآخره ولا تناقض فيه ، فإن الجنة المعلقة بقرون الشمس ما يحدثه الله سبحانه وتعالى بالشمس فى كل سنة مرة من أنواع الثمار والفواكه والنبات جعله الله تعالى مذكراً بتلك الجنة وآية دالة عليها ، كما جعل هذه النار مذكرة بتلك ، وإلا فالجنة التى عرضها السموات والأرض ليست معلقة بقرون الشمس وهى فوق الشمس وأكبر منها .

وقد ثبت فى الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الجنة مائة درجة مابين كل درجتين كما بين السماء والأرض » وهذا يدل على أنها فى غاية العلو . والله أعلم ،

والحديث له لفظان هذا أحدهما والثانى : « إن فى الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض أعدها الله للمجاهدين فى سبيله » وشيخنا يرجح هذا اللفظ ، وهو لا ينفى أن يكون درج الجنة أكثر من ذلك ، ونظير هذا قوله فى الحديث الصحيح : « إن لله تسعة وتسعين إسماً من أحصاها دخل الجنة » أى من جملة أسمائه هذا القدر ، فيكون الكلام جملة واحدة فى الموضعين .

ويدل على صحة هذا أن منزلة نبينا صلى الله عليه وسلم فوق هذا كله فى درجة

فى الجنة ليس فوقها درجة ، وتلك المائة ينالها آحاد أمته بالجهاد ، والجنة مقببة أعلاها وأوسعها ووسطها هو الفردوس وسقفه العرش ، كما قال صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح : « إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه وسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة » .

قال شيخنا أبو الحجاج المزى : والصواب رواية من رواه وفوقه بضم القاف على أنه اسم لا ظرف أى وسقفه عرش الرحمن .

فإن قيل : فالجنة جميعها تحت العرش والعرش سقفها ، فإن الكرسى وسع السموات والأرض والعرش أكبر منه .

قيل : لما كان العرش أقرب إلى الفردوس مما دونه من الجنات ، بحيث لا جنة فوقه دون العرش ، كان سقفاً له دون ماتحته من الجنات ، ولعظم سعة الجنة وغاية ارتفاعها يكون الصعود من أدناها إلى أعلاها بالتدريج شيئاً فشيئاً درجة فوق درجة ، كما يقال لقارىء القرآن اقرأ وارق ، فإن منزلتك عند آخر آية تقرأها ، وهذا يحتمل شيئين : أن تكون منزلته عند آخر حفظه ، وأن تكون عند تلاوته لمحفوظه ، والله أعلم .

الباب الرابع عشر

فى مفتاح الجنة

قال الحسن بن عرفة : حدثنا إسماعيل بن عياش عن عبدالله بن عبد الرحمن ابن أبى حسن عن شهر بن حوشب عن معاذ بن جبل قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مفتاح الجنة شهادة أن لا إله إلا الله » رواه الإمام أحمد فى مسنده ولفظه : « مفتاح الجنة شهادة أن لا إله إلا الله » .

وذكر البخارى فى صحيحه عن وهب بن منبه أنه قيل له : أليس مفتاح الجنة لا إله إلا الله ؟ قال : بلى ، ولكن ليس مفتاح إلا وله أسنان ، فإن أتيت بمفتاح له أسنان فتح لك وإلا لم يفتح .

وروى أبو نعيم من حديث أبان عن أنس قال : قال أعرابى : « يارسول الله ، ما مفتاح الجنة ؟ قال : لا إله إلا الله » .

وذكر أبو الشيخ من حديث الأعمش عن مجاهد عن يزيد بن سخبرة قال : « إن السيوف مفاتيح الجنة » .

وفى المسند من حديث معاذ بن جبل قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا أدلك على باب من أبواب الجنة ؟ قلت : بلى ، قال : لا حول ولا قوة إلا بالله » وقد جعل الله لكل مطلوب مفتاحاً يفتح به ، فجعل مفتاح الصلاة الطهور ، كما قال صلى الله عليه وسلم : « مفتاح الصلاة الطهور » ومفتاح الحج الإحرام ، ومفتاح البر الصدق ، ومفتاح الجنة التوحيد ، ومفتاح العلم حسن السؤال وحسن الإصغاء ، ومفتاح النصر والظفر الصبر ، ومفتاح المزيد الشكر ، ومفتاح الولاية المحبة والذكر ، ومفتاح الفلاح التقوى ، ومفتاح التوفيق الرغبة والرهبة ، ومفتاح الإجابة الدعاء ، ومفتاح الرغبة فى الآخرة الزهد فى الدنيا ، ومفتاح الإيمان التفكير فيما دعا الله عباده إلى التفكر فيه . ومفتاح الدخول على الله إسلام القلب وسلامته له والإخلاص

له في الحب والبغض والفعل والترك ، ومفتاح حياة القلب تدبر القرآن والتضرع بالأسحار وترك الذنوب ، ومفتاح حصول الرحمة الإحسان فى عبادة الخالق والسعى فى نفع عبيده ، ومفتاح الرزق السعى مع الاستغفار والتقوى ، ومفتاح العز طاعة الله ورسوله ، ومفتاح الاستعداد للآخرة قصر الأمل ، ومفتاح كل خير الرغبة فى الله والدار الآخرة ، ومفتاح كل شر حب الدنيا وطول الأمل .

وهذا باب عظيم من أنفع أبواب العلم وهو معرفة مفاتيح الخير والشر لا يوفق لمعرفته ومراعاته إلا من عظم حظه وتوفيقه ، فإن الله سبحانه وتعالى جعل لكل خير وشر مفتاحاً وباباً يدخل منه إليه ، كما جعل الشرك والكبر والإعراض عما بعث الله به رسوله ، والغفلة عن ذكره والقيام بحقه مفتاحاً للنار ، وكما جعل الخمر مفتاح كل إثم ، وجعل الغنى مفتاح الزنا ، وجعل إطلاق النظر فى الصور مفتاح الطلب والعشق ، وجعل الكسل والراحة مفتاح الخيبة والحرمان ، وجعل المعاصى مفتاح الكفر ، وجعل الكذب مفتاح النفاق ، وجعل الشح والحرص مفتاح البخل وقطيعة الرحم وأخذ المال من غير حله ، وجعل الإعراض عما جاء به الرسول مفتاح كل بدعة وضلالة .

وهذه الأمور لا يصدق بها إلا كل من له بصيرة صحيحة وعقل يعرف به ما فى نفسه وما فى الوجود من الخير والشر ، فينبغى للعبد أن يعتنى كل الاعتناء بمعرفة المفاتيح وما جعلت المفاتيح له والله من وراء توفيقه وعدله ، له الملك وله الحمد ، وله النعمة والفضل ، لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون .

الباب الخامس عشر

فى توقيع الجنة ومنشورها الذى يوقع به لأصحابها عند الموت وعند دخولها

قال تعالى : (كلا إن كتاب الأبرار لفى عليين ، وما أدراك ما عليون ، كتاب مرقوم ، يشهده المقربون)[1] فأخبر تعالى أن كتابهم كتاب مرقوم تحقيقاً لكونه مكتوباً كتابة حقيقية ، وخص تعالى كتاب الأبرار بأنه يكتب ويوقع لهم به بمشهد المقربين من الملائكة والنبيين وسادات المؤمنين ، ولم يذكر شهادة هؤلاء الكتاب الفجار تنويهاً بكتاب الأبرار ، وما وقع لهم به ، وإشهاراً له وإظهاراً بين خواص خلقه ، كما يكتب الملوك تواقيع من تعظمه بين الأمراء ، وخواص أهل المملكة تنويهاً باسم المكتوب له وإشادة بذكره ، وهذا نوع من صلاة الله وسبحانه وتعالى وملائكته على عبده .

وروى الإمام أحمد فى مسنده وابن حبان وأبو عوانة الاسفراينى فى صحيحيهما من حديث المنهال عن زاذان عن البراء بن عازب قال : « خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنازة ، فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على القبر وجلسنا حوله كأن على رؤوسنا الطير وهو يلحد له ، فقال : أعوذ بالله من عذاب القبر ثلاث مرات ، ثم قال : إن المؤمن إذا كان فى إقبال من الآخرة ، وانقطاع من الدنيا ، نزلت إليه الملائكة كأن على وجوههم الشمس مع كل واحد منهم حنوط وكفن ، فجلسوا منه مد بصره ، ثم يجىء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول : أيتها النفس الطيبة أخرجى إلى مغفرة من الله ورضوان ، قال : فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من فى السقاء ، فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها فى يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها فى ذلك الكفن ، وذلك الحنوط ، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض ، قال : فيصعدون بها فلا يمرون بها – يعنى

(1) سورة المطففين الآيات ١٨ — ٢١ .

على ملأ من الملائكة ـ إلا قالوا : ما هذا الروح الطيب ؟ فيقولون : فلان ابن فلان بأحسن أسمائه التى كانوا يسمونه بها فى الدنيا ، حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا، فيستفتحون له فيفتح لهم ، ويشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التى تليها ، حتى ينتهى بها إلى السماء التى فيها الله عز وجل ، فيقول الله عز وجل : اكتبوا كتاب عبدى فى عليين وأعيدوه إلى الأرض ، فإنى منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى ، قال : فتعاد روحه فى جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له : من ربك ؟ فيقول : ربى الله ، فيقولان له : ما دينك ؟ فيقول: دينى الإسلام فيقولان له : ما هذا الرجل الذى بعث فيكم ؟ فيقول : هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيقولان له : وما علمك ؟ فيقول : قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت ، قال : فينادى مناد من السماء أن صدق عبدى فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له باباً إلى الجنة ، قال : فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له فى قبره مد بصره ، قال : ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح، فيقول : أبشر بالذى يسرك هذا يومك الذى كنت توعد ، فيقول له : من أنت فوجهك الوجه الذى يجىء بالخير ؟ فيقول: أنا عملك الصالح ، فيقول : رب أقم الساعة ؛ رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلى ومالى ، قال : وإن العبد الكافر إذا كان فى انقطاع من الآخرة وإقبال على الدنيا ، نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم المسوح فيجلسون منه مد البصر ، ثم يجىء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول : أيتها النفس الخبيثة ، أخرجى إلى سخط من الله وغضب ، قال : فتفرق فى جسده فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول ، فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها فى يده طرفة عين حتى يجعلوها فى تلك المسوح ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض ، فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا : ما هذا الروح الخبيث؟ فيقولون: فلان ابن فلان بأقبح أسمائه التى كان يسمى بها فى الدنيا، حتى ينتهى إلى سماء الدنيا فيستفتح له فلا يفتح له ، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط)[1] فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتابه فى سجين فى الأرض السفلى وتطرح روحه طرحاً،

---

(١) سورة الأعراف آية ٤٠ .

ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق)(١) فتعاد روحه فى جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له : من ربك ؟ فيقول : هاه هاه !! لا أدرى ، فيقولان له : ما هذا الرجل الذى بعث فيكم ؟ فيقول : هاه هاه ، لا أدرى ، فينادى مناد من السماء أن كذب عبدى فأفرشوه من النار ، وافتحوا له باباً إلى النار ، فيأتيه من حرها وسمومها ، ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه ، ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح ، فيقول له : أبشر بالذى يسوءك هذا يومك الذى كنت توعد ، فيقول : من أنت فوجهك الوجه الذى يجىء بالشر ؟ فيقول أنا عملك الخبيث فيقول : رب لا تقم الساعة » ورواه أبو داود بطوله بنحوه ، فهذا التوقيع والمنشور الأول .

فصل

وأما المنشور الثانى : فقال الطبرانى فى معجمه : حدثنا إسحاق بن إبراهيم الديرى عن عبد الرزاق عن سفيان الثورى عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم عن عطاء ابن يسار عن سلمان الفارسى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يدخل الجنة أحد إلا بجواز بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من الله لفلان ابن فلان أدخلوه جنة عالية قطوفها دانية » .

وأخبرنا سليمان بن حمزة الحاكم أنبأنا محمد بن عبد الواحد المقدسى أنبأنا زاهر الثقفى أن عبد السلام بن محمد بن عبد الله أخبرهم أنبأنا المطهر بن عبد الواحد البزاى حدثنا محمد بن إسحق ابن منده أنبأنا محمد بن على البلخى حدثنا محمد بن حسام حدثنا العباس بن زياد ثقة ثنا سعدان بن شعيد ثنا سليمان التيمى عن أبى عثمان

(١) سورة الحج آية ٣١ .

النهدى عن سلمان الفارسى ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يعطى المؤمن جوازاً على الصراط بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من الله العزيز الحكيم، لفلان ابن فلان أدخلوه جنة عالية قطوفها دانية » .

قلت : وقع المؤمن فى قبضة أصحاب اليمين يوم القبضتين ، ثم كتب من أهل الجنة يوم نفخ الروح فيه ، ثم يكتب فى ديوان أهل الجنة يوم موته ، ثم يعطى هذا المنشور يوم القيامة . فالله المستعان .

الباب السادس عشر

فى توحد طريق الجنة وأنه ليس لها إلا طريق واحد

هذا مما اتفقت عليه الرسل من أولهم إلى خاتمهم صلوات الله وسلامه عليهم . وأما طرق الجحيم فأكثر من أن تحصى ، ولهذا يوحد سبحانه سبيله ويجمع سبل النار كقوله تعالى : (وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله)[1] وقال : (وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر)[2] أى ومن السبيل جائر عن القصد وهى سبيل الغى وقال : (هذا صراط على مستقيم) .

وقال ابن مسعود : « خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطاً وقال : هذا سبيل الله ، ثم خط خطوطاً عن يمينه وعن يساره ثم قال : هذه سبل وعلى كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ، ثم قرأ : (وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل) الآية .

فإن قيل : فقد قال الله تعالى : (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ٥ يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام)[3] .

قيل : هى سبل تجمع فى سبيل واحد وهى بمنزلة الجواد والطرق فى الطريق الأعظم ، فهذه هى سبل شعب الإيمان يجمعها الإيمان وهو شعبة ، كما يجمع ساق الشجرة أغصانها وشعبها .

وهذه السبل هى إجابة داعى الله بتصديق خبره وطاعة أمره . وطريق الجنة هى إجابة الداعى إليها ليس إلا .

وقد روى البخارى فى صحيحه عن جابر قال : « جاءت ملائكة إلى النبى

---

(١) سورة الأنعام آية ١٥٣ .

(٢) سورة النحل آية ٩ .

(٣) سورة المائدة الآيتين ١٥ و ١٦ .

صلى الله عليه وسلم،فقال بعضهم : إنه نائم ، وقال بعضهم : العين نائمة والقلب يقظان، فقالوا : إن لصاحبكم هذا مثلا ، فاضربوا له مثلا ، فقالوا : مثله مثل رجل بنى داراً وجعل مأدبة وبعث داعياً ، فمن أجاب الداعى دخل الدار وأكل من المأدبة ، ومن لم يجب الداعى لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة ، فقالوا : أولوها له يفقهها ، فقال بعضهم : إن العين نائمة والقلب يقظان ، الدار الجنة والداعى محمد ، فمن أطاع محمداً أطاع الله ، ومن عصى محمداً فقد عصى الله ومحمد فرق بين الناس » .

ورواه الترمذى عنه ولفظه : « خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فقال : إنى رأيت في المنام كأن جبريل عند رأسى وميكائيل عند رجلى يقول أحدهما لصاحبه : اضرب له مثلا . فقال : اسمع سمعت أذنك ، واعقل عقل قلبك ، إنما مثلك ومثل أمتك كمثل ملك اتخذ داراً ، ثم بنى فيها بيتاً، ثم جعل مائدة، ثم بعث رسولا يدعو الناس إلى طعامه ، فمنهم من أجاب الرسول ومنهم من تركه ، فالله هو الملك، والدار الإسلام ، والبيت الجنة وأنت يا محمد الرسول ، فمن أجابك دخل الإسلام ، ومن دخل الإسلام دخل الجنة ، ومن دخل الجنة أكل ما فيها » .

وصحح الترمذى من حديث عبد الله بن مسعود قال : « صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العشاء ثم انصرف ، فأخذ بيدى حتى خرج بى إلى بطحاء مكة فأجلسنى ثم خط علىّ خطاً ثم قال : لا تبرحن خطك فإنه سينتهى إليك رجال فلا تكلمهم فإنهم لا يكلمونك، ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث أراد فبينا أنا جالس فى خطى ، إذ أتانى رجال كأنهم الزط أشعارهم وأجسامهم ، لا أرى عورة ولا أرى بشراً وينتهون إلى لا يجاوزون الخط ، ثم يصدرون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كان آخر الليل ، لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جاءنى وأنا جالس فقال: لقد رآنى منذ الليلة ثم دخل على فى خطى فتوسد فخذى فرقد ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رقد نفخ ، فبينا أنا قاعد ورسول الله صلى الله عليه وسلم متوسد فخذى إذا برجال عليهم ثياب بيض ، الله أعلم مابهم من الجمال ، فانتهوا إلى ، فجلس طائفة منهم عند رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم طائفة منهم عند رجليه . ثم قالوا : ما رأينا عبداً قد أوتى مثل ماأوتى هذا النبى ، إن عينيه تنامان

وقلبه يقظان اضربوا له مثلا ، مثل سيد بنى قصراً ثم جعل مأدبة فدعا الناس إلى طعامه وشرابه ، فمن أجابه أكل من طعامه وشرب من شرابه ، ومن لم يجبه عاقبه أو قال عذبه ، ثم ارتفعوا واستيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك فقال : سمعت ما قال هؤلاء ؟ وهل تدرى من هم ؟ قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : هم الملائكة ، فتدرى ما المثل الذى ضربوه ؟ قلت : الله ورسوله أعلم قال : الرحمن بنى الجنة ، ودعا إليها عباده ، فمن أجابه دخل الجنة ، ومن لم يجبه عذبه » .

الباب السابع عشر

فى درجات الجنة

قال تعالى : (لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ، فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة ، وكلا وعد الله الحسنى ، وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيما * درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفوراً رحيما)(١) .

ذكر ابن جرير عن هشام بن حسان عن جبلة بن عطية عن ابن محيريز قال : « فضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيما ، درجات منه قال : هى سبعون درجة ما بين الدرجتين عدو الفرس الجواد المضمر سبعين عاما » .

وقال ابن المبارك : أنبأنا سلمة بن نبيط عن الضحاك فى قوله تعالى : (لهم درجات عند ربهم) قال: بعضهم أفضل من بعض ، فيرى الذى قد فضل به فضله ولا يرى الذى هو أسفل منه ، أنه فضل عليه أحد من الناس .

وتأمل قوله كيف أوقع التفضيل أولا بدرجة . ثم أوقعه ثانيا بدرجات ، فقيل الأول بين القاعد المعذور والمجاهد والثانى بين القاعد بلا عذر والمجاهد . وقال تعالى : (أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله ومأواه جهنم وبئس المصير * هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون)(٢) .

وقال تعالى : (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون * الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون * أولئك هم المؤمنون حقاً لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم)(٣) .

---

(١) سورة النساء الآيتان ٩٥ و ٩٦ .
(٢) سورة آل عمران الآيتان ١٦٢ و ١٦٣ .
(٣) سورة الأنفال الآيات ٢ — ٤ .

وفى الصحيحين من حديث مالك عن صفوان بن سليم عن عطاء بن يسار عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما يتراءون الكوكب الدرى الغابر من الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم ، قالوا : يارسول الله تلك منازل الأنبياء لايبلغها غيرهم ؟ قال : بلى ، والذى نفسى بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين » .

ولفظ البخارى فى الأفق وهو أبين والغابر هو الذاهب الماضى الذى قد تدلى للغروب ، وفى التمثيل به دون الكوكب المسامت للرأس وهو أعلى فائدتان ، إحداهما : بعده عن العيون. والثانية : أن الجنة درجات بعضها أعلى من بعض وإن لم تسامت العليا السفلى ، كالبساتين الممتدة من رأس الجبل إلى ذيله . والله أعلم .

وفى الصحيحين أيضاً من حديث سهل بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرفة فى الجنة ، كما ترون الكوكب فى أفق السماء » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا فرات أخبرنى فليح عن هلال يعنى ابن على عن عطاء عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال . « إن أهل الجنة ليتراءون فى الجنة كما تراءون أو ترون الكوكب الدرى الغارب فى الأفق الطالع فى تفاضل الدرجات . قالوا يارسول الله أولئك النبيون ؟ قال: بلى ، والذى نفسى بيده وأقوام آمنوا بالله وصدقوا المرسلين » .

ورجال هذا الإسناد احتج بهم البخارى فى صحيحه وفى هذا الحديث (الغارب) وفى حديث أبى سعيد الخدرى (الغابر) وقوله : الطالع صفة للكوكب وصفه بكونه غارباً وبكونه طالعاً .

وقد صرح بهذا المعنى فى الحديث الذى رواه ابن المبارك عن فليح بن سلمان عن هلال بن على عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إن أهل الجنة ليتراءون فى الغرف كما يرى الكوكب الشرقى والكوكب الغربى فى الأفق فى تفاضل الدرجات قالوا : يا رسول الله أولئك النبيون ؟ قال : بلي ، والذي

نفسى بيده وأقوام آمنوا بالله وصدقوا المرسلين » وهذا على شرط البخارى أيضاً .

وفى المسند من حديث أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن المتحابين لترى غرفهم فى الجنة كالكوكب الطالع الشرقى أو الغربى، فيقال من هؤلاء ؟ فيقال : هؤلاء المتحابون فى الله عز وجل » .

وفى المسند من حديث أبى سعيد الخدرى أيضاً عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن فى الجنة مائة درجة ولو أن العالمين اجتمعوا فى إحداهن وسعتهم » .

وفى المسند عنه أيضاً عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يقال لصاحب القرآن إذا دخل الجنة : اقرأ واصعد ، فيقرأ ويصعد بكل آية درجة حتى يقرأ آخر شىء معه » وهذا صريح فى أن درج الجنة تزيد على مائة درجة .

وأما حديث أبى هريرة الذى رواه البخارى فى صحيحه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إن فى الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين فى سبيله بين كل درجتين كما بين السماء والأرض ، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس ، فإنه وسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ، ومنه تفجر أنهار الجنة » فإما أن تكون هذه المائة من جملة الدرج ، وإما أن تكون نهايتها هذه المائة ، وفى ضمن كل درجة درجة دونها .

ويدل على المعنى الأول حديث زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن معاذ ابن جبل قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من صلى هؤلاء الصلوات الخمس وصام شهر رمضان كان حقاً على الله أن يغفر له هاجر أو قعد حيث ولدته أمه ، قلت : يارسول الله ألا أخرج فأوذن الناس ؟ قال : لا ؛ ذر الناس يعملون ، وإن فى الجنة مائة درجة بين كل درجتين منها مثل مابين السماء الأرض ، وأعلى درجة منها الفردوس ، وعليها يكون العرش ، وهى أوسط شىء فى الجنة ، ومنها تفجر أنهار الجنة ، وإذا سألتم الله فسلوه الفردوس » رواه الترمذى وهكذا بلفظه .

وروى أيضاً من حديث عطاء عن عبادة بن الصامت أن رسول الله صلى الله

عليه وسلم قال : « إن فى الجنة مائة درجة » ثم ذكر نحو حديث معاذ .

وفيه أيضاً من حديث عطاء عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فى الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين مائة عام » قال : هذا حديث حسن غريب .

وفيه أيضاً من حديث أبى سعيد يرفعه : « إن فى الجنة مائة درجة لو أن العالمين اجتمعوا فى إحداهن لوسعتهم » ورواه أحمد بدون لفظة : « فى » كما تقدم وقد رويت هذه الأحاديث بلفظة « فى » وبدونها ، وإن كان المحفوظ ثبوتها فهى من جملة درجها ، وإن كان المحفوظ سقوطها فهى الدرج الكبار المتضمنة للدرج الصغار ، والله أعلم .

ولا تناقض بين تقدير ما بين الدرجتين بالمائة وتقديره بالخمسمائة لاختلاف السير فى السرعة والبطء ، والنبى صلى الله عليه وسلم ذكر هذا تقريباً للأفهام ، ويدل عليه حديث زيد بن حبان حدثنا عبد الرحمن بن شريح حدثنى أبو هانىء التجيبى سمعت أبا على التجيبى سمعت أبا سعيد الخدرى يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « مائة درجة فى الجنة ما بين الدرجتين ما بين السماء والأرض ، أو بعدما بين السماء والأرض ، قلت : يا رسول الله لمن ؟ قال : للمجاهدين فى سبيل الله » .

الباب الثامن عشر

في ذكر أعلى درجاتها واسم تلك الدرجة

روى مسلم فى صحيحه من حديث عمرو بن العاص أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ، ثم صلوا على ، فإنه من صلى على صلاة واحدة صلى الله عليه عشراً ، ثم سلوا لى الوسيلة ، فإنها منزلة فى الجنة لا تنبغى إلا لعبد من عباد الله ، وأرجو أن أكون أنا هو ، فمن سأل لى الوسيلة حلت عليه شفاعتى » .

وقال أحمد : أنبأنا عبد الرزاق أنبأنا سفيان عن ليث عن كعب عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إذا صليتم فسلوا الله لى الوسيلة . قيل : يا رسول الله وما الوسيلة ؟ قال : أعلى درجة فى الجنة لا ينالها إلا رجل واحد وأرجو أن أكون أنا هو » هكذا الرواية « أن أكون أنا هو » ووجهها أن تكون الجملة خبراً عن اسم كان المستتر فيها ، ولا يكون أنا فصلا ولا توكيداً بل مبتدأ .

وفى الصحيحين من حديث جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قال حين يسمع النداء : اللهم رب هذه الدعوة التامة ، والصلاة القائمة ، آت محمداً الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة ، وابعثه مقاماً محموداً الذى وعدته ، إلا حلت له الشفاعة يوم القيامة » .

هكذا لفظ الحديث (مقاماً) بالتنكير ليوافق لفظ الآية . ولأنه لما تعين وانحصر نوعه فى شخصه جرى مجرى المعرفة ، فوصف بما توصف به المعارف ، وهذا ألطف من جعل الذى وعدته بدلا ، فتأمله .

وفى المسند من حديث عمارة بن غزية عن موسى بن وردان عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الوسيلة درجة عند الله عز وجل ليس فوقها درجة ، فسلوا الله لى الوسيلة » .

وذكره ابن أبى الدنيا وقال فيه : « درجة فى الجنة ليس فى الجنة درجة أعلى منها ، فسلوا الله أن يؤتنيها على رؤوس الخلائق » .

وقال أبو نعيم ، أنبأنا سليمان بن أحمد : حدثنا أحمد بن عمرو بن مسلم الخلال ، حدثنا عبد الله بن عمران العابدى ، حدثنا فضيل بن عياض عن منصور عن إبراهيم عن الأسود عن عائشة قالت : «جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله ، والله إنك لأحب إلى من نفسى ، وإنك لأحب إلى من أهلى ، وأحب إلى من ولدى ، وإنى لأكون فى البيت فأذكرك فما أصبر حتى آتيك فأنظر إليك ، وإذ ذكرت موتى وموتك عرفت أنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين ، وإنى إذا دخلت الجنة خشيت أن لا أراك ، فلم يرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم حتى نزل جبريل بهذه الآية : (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً)[1] قال الحافظ أبو عبد الله المقدسى : لا أعلم بإسناد هذا الحديث بأساً .

وسميت درجة النبي صلى الله عليه وسلم الوسيلة ، لأنها أقرب الدرجات إلى عرش الرحمن ، وهى أقرب الدرجات إلى الله ، وأصل اشتقاق لفظ الوسيلة من القرب، وهى فعيلة من وسل إليه إذا تقرب إليه .

قال لبيد :

* بلى كل ذى رأى إلى الله واسل *

ومعنى الوسيلة : من الوصلة ، ولهذا كانت أفضل الجنة وأشرفها ، وأعظمها نوراً . وقال صالح بن عبد الكريم : قال لنا فضيل بن عياض : أتدرون لم حسنت الجنة ؟ لأن عرش رب العالمين سقفها . وقال الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس : « نور سقف مساكنكم نور عرشه » .

وقال بكر عن أشعث عن الحسن : « إنما سميت عدن ، لأن فوقها العرش ، ومنها تفجر أنهار الجنة ، وللحور المدنية الفضل على سائر الحور ، والقربى والزلفى

---

(١) سورة النساء آية ٦٩ .

واحد ، وإن كان فى الوسيلة معنى التقرب إليه بأنواع الوسائل » .

وقال الـكلبي : « اطلبوا إليه القربة بالأعمال الصالحة » ، وقد كشف سبحانه عن هذا المعنى كل الـكشف ، بقوله : (أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب) [١] فقوله : أيهم أقرب هو تفسير للوسيلة التى يبتغيها هؤلاء الذين يدعوهم المشركون من دون الله فيتنافسون فى القرب منه .

ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم الخلق عبودية لربه وأعلمهم به ، وأشدهم له خشية ، وأعظمهم له محبة كانت منزلته أقرب المنازل إلى الله ، وهى أعلى درجة فى الجنة ، وأمر النبى صلى الله عليه وسلم أمته أن يسألوها له لينالوا بهذا الدعاء زلفى من الله وزيادة الإيمان .

وأيضاً فإن الله سبحانه قدرها له بأسباب ، منها : دعاء أمته له بها بما نالوه على يده من الإيمان والهدى صلوات الله وسلامه عليه .

وقوله : « حلت عليه يروى عليه » و « له » فمن رواه باللام فمعناه حصلت له ، ومن رواه بعلى ، فمعناه وقعت عليه شفاعتى . والله أعلم .

---

(١) سورة الإسراء آية ٥٧ .

الباب التاسع عشر

فى عرض الرب تعالى سلعته الجنة على عباده وثمنها الذى طلبه منهم

وعقد التبايع الذى وقع بين المؤمنين وبين ربهم

قال تعالى : (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً فى التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم)[1] فجعل سبحانه هاهنا الجنة ثمناً لنفوس المؤمنين وأموالهم بحيث إذا بذلوها فيه استحقوا الثمن وعقد معهم هذا العقد وأكده بأنواع من التأكيد .

أحدها : إخبارهم سبحانه وتعالى بصيغة الخبر المؤكد بأداة أن .

الثانى : الإخبار بذلك بصيغة الماضى ، الذى قد وقع وثبت واستقر .

الثالث : إضافة هذا العقد إلى نفسه سبحانه، وأنه هو الذى اشترى هذا المبيع .

الرابع : أنه أخبر بأنه وعد بتسليم هذا الثمن وعداً لا يخلفه ولا يتركه .

الخامس : أنه أتى بصيغة على الق للوجوب إعلاماً لعباده ، بأن ذلك حق عليه، أحقه هو على نفسه .

السادس : أنه أكد ذلك حقاً عليه .

السابع : أنه أخبر عن محل هذا الوعد ، وأنه فى أفضل كتبه المنزلة من السماء، وهى التوراة والإنجيل والقرآن .

الثامن : إعلامه لعباده بصيغة استفهام الإنكار ، وأنه لا أحد أوفى بعهده سبحانه .

---

(١) سورة التوبة آية ١١١ .

التاسع : أنه سبحانه وتعالى أمرهم أن يستبشروا بهذا العقد ويبشر به بعضهم بعضاً بشارة من قد تم له العقد ولزم ، بحيث لا يثبت فيه خيار ولا يعرض له ما يفسخه .

العاشر : أنه أخبرهم إخباراً مؤكداً بأن ذلك البيع الذى بايعوه به هو الفوز العظيم ، والبيع ههنا بمعنى المبيع الذى أخذوه بهذا الثمن وهو الجنة ، وقوله : بايعتم به أى عاوضتم وثامنتم به .

ثم ذكر سبحانه أهل هذا العقد الذى وقع العقد ، وتم لهم دون غيرهم وهم التائبون مما يكره ، العابدون له بما يحب ، الحامدون له على ما يحبون وما يكرهون ، السائحون وفسرت السياحة بالصيام ، وفسرت بالسفر فى طلب العلم ، وفسرت بالجهاد ، وفسرت بدوام الطاعة . والتحقيق فيها أنها سياحة القلب فى ذكر الله ومحبته والإنابة إليه والشوق إلى لقائه ، ويترتب عليها كل ما ذكر من الأفعال . ولذلك وصف الله سبحانه نساء النبى صلى الله عليه وسلم اللاتى لو طلق أزواجه بدله بهن بأنهن سائحات ، وليست سياحتهن جهاداً ولا سفراً فى طلب علم ولا إدامة صيام ، وإنما هى سياحة قلوبهن فى محبة الله تعالى وخشيته والإنابة إليه وذكره .

وتأمل كيف جعل الله سبحانه التوبة والعبادة قرينتين : هذه ترك ما يكره ، وهذه فعل ما يحب ، والحمد والسياحة قرينتين هذا الثناء عليه بأوصاف كماله ، وسياحة اللسان فى أفضل ذكره ، وهذه سياحة القلب فى حبه وذكره وإجلاله .

كما جعل سبحانه العبادة والسياحة قرينتين فى صفة الأزواج فهذه عبادة البدن ، وهذه عبادة القلب .

وجعل الإسلام والإيمان قرينين فهذا علانية ، وهذا فى القلب ، كما فى المسند عنه صلى الله عليه وسلم : « الإسلام علانية ، والإيمان فى القلب » .

وجعل القنوت والتوبة قرينين ، هذا فعل ما يحب وهذا ترك ما يكره .

وجعل الثيوبة والبكارة قرينتين ، فهذه قد وطئت وارتاضت وذلت صعوبتها . وهذه روضة أنف لم يرتع فيها بعد .

وجمل الركوع والسجود قرينين ، وجمل الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر قرينين ، وأدخل بينهما الواو دون ما تقدم إعلاماً بأن أحدهما لا يكفى حتى يكون مع الآخر ، وجمل ذلك قرينا لحفظ حدوده ، فهذا حفظها فى نفس الإنسان وذلك أمر غيره بحفظها . وأفهمت الآية خطر النفس الإنسانية وشرفها وعظم مقدارها ، فإن السلعة إذا خفى عليك قدرها فانظر إلى المشترى لها من هو ، وانظر إلى الثمن المبذول فيها ماهو ؟ وانظر إلى من جرى على يده عقد التبايع ، فالسلعة النفس والله سبحانه المشترى لها ، والثمن لها جنات النعيم والسفير فى هذا العقد خير خلقه من الملائكة وأكرمهم عليه وخيرهم من البشر وأكرمهم عليه .

قد هيؤك لأمر لو فطنت له　　　فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل

وفى جامع الترمذى من حديث أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل ، ألا إن سلعة الله غالية ، ألا إن سلعة الله الجنة » قال : هذا حديث حسن غريب .

وفى كتاب صفة الجنة لأبى نعيم من حديث أبان عن أنس قال : « جاء أعرابى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ما ثمن الجنة ؟ قال : لا إله إلا الله » وشواهد هذا الحديث كثيرة جداً .

وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة : « أن أعرابياً جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، دلنى على عمل إذا عملته دخلت الجنة .فقال : أن تعبد الله ولا تشرك به شيئاً ، وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة المفروضة ، وتصوم رمضان . قال : والذى نفسى بيده لا أزيد على هذا شيئاً أبداً ولا أنقص منه ، فلما ولى قال : من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا » .

وفى صحيح مسلم عن جابر قال : « أتى النعمان بن قوقل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله أرأيت إذا صليت المكتوبة وحرمت الحرام وأحللت الحلال ، أدخل الجنة ؟ فقال النبى صلى الله عليه وسلم : نعم » .

وفى صحيح مسلم عن عثمان بن عفان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

« من مات وهو يعلم ، أن لا إله إلا الله دخل الجنة » .

وفى سنن أبى داود عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من كان آخر كلامه : لا إله إلا الله ، دخل الجنة » .

وفى الصحيحين عن أبى ذر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أتانى آت من ربى فأخبرنى أو قال فبشرنى أنه من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ، قلت : وإن زنى وإن سرق ؟ قال : وإن زنى وإن سرق » .

وفى الصحيحين من حديث عبادة بن الصامت قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قال : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن عيسى عبد الله ورسوله ، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، وأن الجنة حق ، وأن النار حق ، أدخله الله من أى أبواب الجنة الثمانية شاء » .

وفى لفظ « أدخله الله الجنة على ما كان من عمل » .

وفى صحيح مسلم : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى أبا هريرة نعليه فقال : اذهب بنعلى هاتين ، فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنا بها قلبه ، فبشره بالجنة » .

وقال روح بن عبادة عن حبيب بن الشهيد عن الحسن قال : « ثمن الجنة لا إله إلا الله » .

وروى أبو نعيم من حديث أبى الزبير عن جابر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا يدخل أحداً منكم الجنة عمله ، ولا يجيره من النار ، ولا أنا إلا بتوحيد من الله تعالى » وإسناده على شرط مسلم ، وأصل الحديث فى الصحيح .

فصل

وههنا أمر يجب التنبيه عليه وهو : أن الجنة إنما تدخل برحمة الله تعالى ، وليس عمل العبد مستقلا بدخولها ، وإن كان سبباً . ولهذا أثبت الله تعالى دخولها بالأعمال

فى قوله :(بما كنتم تعملون) ، ونفى رسول الله صلى الله عليه وسلم دخولها بالأعمال بقوله : « لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله » ولا تنافى بين الأمرين لوجهين :

أحدهما : ماذكره سفيان وغيره قال : كانوا يقولون:النجاة من النار بعفو الله، ودخول الجنة برحمته . واقتسام المنازل والدرجات بالأعمال ، ويدل على هذا حديث أبى هريرة الذى سيأتى إن شاء الله تعالى ، أن أهل الجنة إذا دخلوها ، نزلوا فيها بفضل أعمالهم ، رواه الترمذى .

والثانى : أن الباء التى نفت الدخول هى باء المعاوضة التى يكون فيها أحدالعوضين مقابلا للآخر ، والباء التى أثبتت الدخول هى باء السببية التى تقتضى سببية مادخلت عليه لغيره ، وإن لم يكن مستقلا بحصوله . وقد جمع النبى صلى الله عليه وسلم بين الأمرين بقوله : «سددوا وقاربوا وأبشروا واعلموا أن أحداً منكم لن ينجو بعمله قالوا : ولا أنت يارسول الله ؟ قال : ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله برحمته » .

ومن عرف الله تعالى ، وشهد مشهد حقه عليه ، ومشهد تقصيره وذنوبه ، وأبصر هذين المشهدين بقلبه عرف ذلك وجزم به. والله سبحانه وتعالى المستعان .

الباب العشرون

فى طلب أهل الجنة لها من ربهم وطلبها لهم وشفاعتها فيهم إلى ربها عز وجل

قال الله تعالى حكاية عن أولى الألباب من عباده قولهم : (ربنا إننا سمعنا منادياً ينادى للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا ، ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار . ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد)[1] .

والمعنى: وآتنا ما وعدتنا على ألسنة رسلك من دخول الجنة .

وقالت طائفة : معناه ، وآتنا ما وعدتنا على الإيمان برسلك ، وليس بسهل حذف الاسم والحرف معاً ، إلا أن يقدر على تصديق رسلك وطاعة رسلك . وحينئذ فيتكافأ التقديران ، ويترجح الأول بأنه قد تقدم قولهم : (ربنا إننا سمعنا منادياً ينادى للايمان أن آمنوا بربكم فآمنا) وهذا صريح فى الإيمان بالرسول والرسل ، ثم توسلوا إليه بإيمانهم أن يؤتيهم ما وعدهم على ألسنة الرسل ، فإنهم إنما سمعوا بوعدهم لهم بذلك من الرسل ، وذلك أيضاً يتضمن التصديق بهم وإنهم بلغوهم وعده فصدقوا به ، وسألوه أن يؤتيهم إياه وهذا هو الذى ذكره السلف والخلف فى الآية .

وقيل : المعنى آتنا ما وعدتنا من النصر والظفر على ألسنة الرسل . والأول أعم وأكمل .

وتأمل : كيف تضمن إيمانهم به الإيمان بأمره ونهيه ، ورسله ووعده ووعيده ، وأسمائه وصفاته وأفعاله ، وصدق وعده ، والخوف من وعيده واستجابتهم لأمره . فبمجموع ذلك صاروا مؤمنين بربهم . فبذلك صح لهم التوسل إلى سؤال ما وعدهم به والنجاة من عذابه .

---

(١) سورة آل عمران الآيتان ١٩٣ و ١٩٤ .

وقد أشكل على بعض الناس سؤالهم أن ينجز لهم وعده ، مع أنه فاعل لذلك ولا بد .

وأجاب : بأن هذا تعبد محض كقوله : (رب احكم بالحق) وقول الملائكة : (فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك)[1] ، وخفى على هؤلاء أن الوعد معلق بشروط منها : الرغبة إليه سبحانه وتعالى وسؤاله أن ينجزه لهم كما أنه معلق بالإيمان وموافاتهم به . وأن لا يلحقه ما يحبطه . فإذا سألوه سبحانه أن ينجز لهم ماوعدهم تضمن ذلك توفيقهم وتثبيتهم وإعانتهم على الأسباب التى ينجز لهم بها وعده ، فكان هذا الدعاء من أهم الأدعية وأنفعها ، وهم أحوج إليه من كثير من الأدعية .

وأما قوله : رب احكم ، فهذا سؤال له سبحانه وتعالى أن ينصرهم على أعدائهم، فيحكم لهم عليهم بالنصر والغلبة .

وكذا سؤال الملائكة ربهم أن يغفر للتائبين ، هو من الأسباب التى يوجب بها لهم المغفرة ، فهو سبحانه نصب الأسباب التى يفعل بها ما يريده بأوليائه وأعدائه ، وجعلها أسباباً لإرادته ، كما جعلها أسباباً لوقوع مراده فمنه السبب والمسبب . وإن أشكل عليك ذلك ، فانظر إلى خلقه الأسباب التى توجب محبته وغضبه ، فهو يحب ويرضى ويغضب ويسخط عن الأسباب التى خلقها وشاءها ، فالكل منه وبه مبتدأ من مشيئته وعائد إلى حكمته وحده . وهذا باب عظيم من أبواب التوحيد لا يلجه إلا العالمون بالله . ونظير هذه الآية فى سؤاله ما وعد به قوله تعالى : (قل أذلك خير أم جنة الخلد التى وعد المتقون ، كانت لهم جزاء ومصيراً ٥ لهم فيها ما يشاؤون خالدين كان على ربك وعداً مسؤولا)[2] يسأله إياه عباده المؤمنون ، ويسأله إياه ملائكته لهم ، فالجنة تسأل ربها أهلها ، وأهلها يسألونه إياها والملائكة تسألها لهم والرسل يسألونه إياها لهم ولأتباعهم ، ويوم القيامة يقيمهم سبحانه بين يديه يشفعون فيها لعباده المؤمنين ، وفى هذا من تمام ملكه وإظهار رحمته وإحسانه

---

(١) سورة غافر آية ٧ .

(٢) سورة الفرقان الآيتان ١٥ و ١٦ .

وجوده وكرمه وإعطائه ما سئل، ما هو من لوازم أسمائه وصفاته واقتضائها لآثارها ومتعلقاتها ،فلا يجوز تعطيلها عن آثارهاوأحكامها ، فالرب تعالى جواد له الجود كله، يحب أن يسأل ويطلب منه ويرغب إليه ، فخلق من يسأله وألهمه سؤاله وخلق له ما يسأله إياه فهو خالق السائل وسؤاله ومسئوله ، وذلك لمحبته سؤال عباده له ورغبتهم إليه وطلبهم منه وهو يغضب إذا لم يسئل .

الله يغضب إن تركت سؤاله وبنى آدم حين يسئل يغضب

وأحب خلقه إليه أكثرهم وأفضلهم له سؤالا ، وهو يحب الملحين فى الدعاء، وكلما ألح العبد عليه فى السؤال أحبه وأعطاه وقربه وأعطاه .

وفى الحديث : « من لم يسأل الله يغضب عليه » فلا إله إلا هو ،أى جناية جنت القواعد الفاسدة على الإيمان ، وحالت بين القلوب وبين معرفة ربهاوأسمائه ، وصفات كماله ونعوت جلاله ! ! ! والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله .

قال أبو نعيم الفضل : حدثنا يونس ، هو ابن أبى إسحاق ، حدثنا يزيد بن أبى مرثد قال:قال أنس بن مالك : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من مسلم يسأل الله الجنة ثلاثاً إلا قالت الجنة : اللهم أدخله الجنة . ومن استجار من النار بالله ثلاثاً قالت النار : اللهم أجره من النار » رواه الترمذى والنسائى وابن ماجه عن هناد بن السرى عن أبى الأحوص عن أبى إسحاق عن يزيد به .

وقال الحسن بن سفيان : حدثنا عثمان بن أبى شيبة ، حدثنا جرير عن ليث عن يونس بن حبان عن أبى حازم عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما سأل الله عبد الجنة فى يوم سبع مرات إلا قالت الجنة : يارب إن عبدك فلاناً يسألنى فأدخلنيه » .

وقال أبو يعلى الموصلى : حدثنا أبو خيثمة زهير بن حرب ؛ حدثنا جرير عن يونس عن أبى حازم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما استجار عبد من النار سبع مرات إلا قالت النار : إن عبدك فلاناً

استجار منى فأجره ، ولا يسأل عبد الجنة سبع مرات إلا قالت الجنة : يارب إن عبدك فلاناً سألنى فأدخله الجنة » ، وإسناده على شرط الصحيحين .

وقال أبو داود فى مسنده : حدثنا شعبة : حدثنى يونس بن حبان: سمع أباعلقمة عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قال : أسأل الله الجنة سبعاً ، قالت الجنة : اللهم أدخله الجنة » .

وقال الحسن بن سفيان : حدثنا المقدمى حدثنا عمر بن على عن يحيى بن عبدالله عن أبيه عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أكثروا مسألة الله الجنة واستعيذوا به من النار ؛ فإنهما شافعتان مشفعتان ، وإن العبد إذا أكثر مسألة الله الجنة قالت الجنة : يارب عبدك هذا الذى سألنيك فأسكنه إياى . وتقول النار : يارب عبدك هذا الذى استعاذ بك منى فأعذه » .

وقد كان جماعة من السلف لا يسألون الله الجنة ويقولون : حسبنا أن يجيرنا من النار ، فمنهم أبو الصهباء صلة بن أشيم صلى ليلة إلى السحر ، ثم رفع يديه وقال : اللهم أجرنى من النار أو مثلى يجترىء أن يسألك الجنة . ومنهم عطاء السلمى ، كان لا يسأل الجنة ، فقال له صالح المرى : إن أبان حدثنى عن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « يقول الله عز وجل: انظروا فى ديوان عبدى،فمن رأيتموه سألنى الجنة أعطيته ، ومن استعاذ بى من النار أعذته » فقال عطاء : كفانى أن يجيرنى من النار ، ذكرها أبو النعيم .

وقد روى أبو داود فىسننه من حديث جابر فى قصة صلاة معاذ وتطويله بهم، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال للفتى ــ يعنى الذى شكاه ــ « كيف تصنع يا ابن أخى إذا صليت ؟ قال : أقرأ بفاتحة الكتاب وأسأل الله الجنة وأعوذ به من النار ، وإنى لا أدرى مادندنتك ودندنة معاذ ؟ فقال النبى صلى الله عليه وسلم : إنى ومعاذاً حولها ندندن » .

وفى سنن أبى داود من حديث محمد بن المنكدر عن جابر عن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يسأل بوجه الله إلا الجنة » رواه عن

أحمد بن عمرو العصفرى ، حدثنا يعقوب بن إسحاق ، حدثنا سليمان بن معاذ عن محمد ، فذكره .

وقد تقدم فى أول الكتاب حديث الليث عن معاوية عن صالح عن عبد الملك ابن أبى بشير يرفع الحديث : « ما من يوم إلا والجنة والنار يسألان . تقول الجنة : يا رب قد طابت ثمارى ، واطردت أنهارى ، واشتقت إلى أوليائى ، فعجل إلى بأهلى » الحديث

فالجنة تطلب أهلها بالذات ، وتجذبهم إليها جذباً . والنار كذلك ، وقد أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا نزال نذكرهما ولا ننساهما .

كما روى أبو يعلى الموصلى فى مسنده : حدثنا إسحاق بن أبى إسرائيل ، حدثنا أيوب بن أبى شبيب الصنعانى قال : كان فيما عرضنا على رباح بن زيد ، حدثنى عبدالله ابن نمير سمعت عبد الرحمن بن يزيد يقول : سمعت عبدالله بن عمر يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا تنسوا العظيمتين ، قلنا : وما العظيمتان يا رسول الله ؟ قال : الجنة والنار » .

وذكر أبو بكر الشافعى من حديث كليب بن حرب قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « اطلبوا الجنة جهدكم واهربوا من النار جهدكم ، فإن الجنة لا ينام طالبها ، وإن النار لا ينام هاربها ، وإن الآخرة اليوم محفوفة بالمكاره ، وإن الدنيا محفوفة باللذات والشهوات ، فلا تلهينكم عن الآخرة » .

الباب الحادى والعشرون

فى أسماء الجنة ومعانيها واشتقاقاتها

ولها عدة أسماء باعتبار صفاتها ، ومسماها واحد باعتبار الذات ، فهى مترادفة من هذا الوجه ، وتختلف باعتبار الصفات فهى متباينة من هذا الوجه ، وهكذا أسماء الرب سبحانه وتعالى ، وأسماء كتابه ، وأسماء رسله ، وأسماء اليوم الآخر ، وأسماء النار .

الإسم الأول : الجنة . وهو الاسم العام المتناول لتلك الدار وما اشتملت عليه من أنواع النعيم واللذة والبهجة والسرور وقرة الأعين . وأصل اشتقاق هذه اللفظة من الستر والتغطية ومنه الجنين لاستتاره فى البطن ، والجان لاستتاره عن العيون ، والمجن لستره ووقايته الوجه ،والمجنون لاستتاره عقله وتواريه عنه ، والجان وهى الحية الصغيرة الرقيقة ، ومنه قول الشاعر :

فذقت وجلت واسبكرت وأكملت فلو جن إنسان من الحسن جنت

أى لو غطى وستر عن العيون لفعل بها ذلك . ومنه سمى البستان جنة ؛ لأنه يستر داخله بالأشجار ويغطيه ، ولا يستحق هذا الاسم إلا موضع كثير الأشجار مختلف الأنواع ، والجنة ـ بالضم ـ ما يستجن به من ترس أو غيره .

ومنه قوله تعالى :(اتخذوا أيمانهم جنة)[1] أى يستترون بها من إنكار المؤمنين عليهم .

ومنه الجنة ـ بالكسر ـ الجن كما قال تعالى:(من الجنة والناس)[2] وذهبت طائفة من المفسرين إلى أن الملائكة يسمون جنة ، واحتجوا بقوله تعالى : (وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً)[3] قالوا : وهذا النسب قولهم الملائكة بنات الله ، ورجحوا هذا القول بوجهين :

---

(١) سورة المجادلة آية ١٦ (٢) سورة الناس آية ٦ (٣) سورة الصافات آية ١٥٨ .

أحدهما : أن النسب الذى جعلوه إنما زعموا أنه بين الملائكة وبينه لا بين الجنة وبينه .

الثانى : قوله تعالى : (ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون)[١] أى قد علمت الملائكة أن الذين قالوا هذا القول محضرون للعذاب . والصحيح خلاف ما ذهب إليه هؤلاء ، وأن الجنة هم الجن نفسهم كما قال تعالى : (من الجنة والناس) وعلى هذا ففى الآية قولان :

أحدهما : قول مجاهد ، قال : قالت كفار قريش : الملائكة بنات الله ، فقال لهم أبو بكر : فمن أمهاتهم ؟ قالوا : سروات الجن . وقال الكلبى : قالوا تزوج من الجن فخرج من بينهما الملائكة . وقال قتادة : قالوا : صاهر الجن .

والقول الثانى هو قول الحسن قال : أشركوا الشياطين فى عبادة الله فهو النسب الذى جعلوه . والصحيح قول مجاهد وغيره وما احتج به أصحاب القول الأول ليس بمستلزم لصحة قولهم ، فإنهم لما قالوا : الملائكة بنات الله وهم من الجن عقدوا بينه وبين الجن نسباً بهذا الإيلاد وجعلوا هذا النسب متولداً بينه وبين الجن ، وأما قوله : (ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون) فالضمير يرجع إلى الجنة أى قد علمت الجنة أنهم محضرون الحساب. قاله مجاهد أى لوكان بينه وبينهم نسب لم يحضروا للحساب كما قال تعالى : (وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم ؟)[٢] ، فجعل سبحانه وتعالى عقوبتهم بذنوبهم وإحضارهم للعذاب مبطلا لدعواهم الكاذبة ، وهذا التقدير فى الآية أبلغ فى إبطال قولهم من التقدير الأول ، فتأمله والمقصود ذكر أسماء الجنة .

فصل

الإسم الثانى : دار السلام وقد سماها الله بهذا الإسم فى قوله : (لهم دار السلام عند ربهم)[٣] ، وقوله : (والله يدعو إلى دار السلام)[٤] ، وهى أحق بهذا

---

(١) سورة الصافات آية ١٥٨

(٢) سورة المائدة آية ١٨ .

(٣) سورة الأنعام آية ١٢٧ .

(٤) سورة يونس آية ٢٥ .

الإسم فإنها دار السلامة من كل بلية وآفة ومكروه ، وهى دار الله واسمه سبحانه وتعالى السلام الذى سلمها وسلم أهلها : (وتحيتهم فيها سلام) ، (والملائكة يدخلون عليهم من كل باب ٭ سلام عليكم بما صبرتم)(١) ، والرب تعالى يسلم عليهم من فوقهم ، كما قال تعالى : (لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون ٭ سلام قولا من رب رحيم)(٢) وسيأتى حديث جابر فى سلام الرب تبارك وتعالى عليهم فى الجنة ، وكلامهم كلهم فيها سلام أى لا لغو فيها ولا فحش ولا باطل ، كما قال تعالى : (لا يسمعون فيها لغواً إلا سلاماً)(٣) .

وأما قوله تعالى : (وأما إن كان من أصحاب اليمين ٭ فسلام لك من أصحاب اليمين)(٤) فأكثر المفسرين حاموا حول المعنى وما وردوه ، وقالوا أقوالا لا يخفى بعدها عن المقصود .

وإنما معنى الآية والله أعلم : فسلام لك أيها الراحل عن الدنيا حال كونك من أصحاب اليمين ، أى فسلامه لك كائناً من أصحاب اليمين الذين سلموا من الدنيا وأنكادها ، ومن النار وعذابها ، فبشر بالسلامة عند ارتحاله من الدنيا وقدومه على الله كما يبشر الملك روحه عند أخذها بقوله : أبشرى بروح وريحان ورب غير غضبان . وهذا أول البشرى التى للمؤمن فى الآخرة .

فصل

الإسم الثالث : دار الخلد . وسميت بذلك ، لأن أهلها لا يظعنون عنها أبداً كما قال تعالى : (عطاء غير مجذوذ) وقال : (إن هذا لرزقنا ماله من نفاد)(٥) وقال : (أكلها دائم وظلها) وقال : (وماهم منها بمخرجين) وسيأتى إبطال قول من قال من الجهمية والمعتزلة بفنائها أو فناء حركات أهلها إن شاء الله تعالى .

---

(١) سورة الرعد الآيتان ٢٣ و ٢٤ .

(٢) سورة يس الآيتان ٥٧ و ٥٨ .

(٣) سورة مريم آية ٦٢ .

(٤) سورة الواقعة الآيتان ٩٠ و ٩١ .

(٥) سورة ص آية ٥٤ .

فصـل

الإسم الرابع : دار المقامة ، قال تعالى حكاية عن أهلها : (وقالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور * الذى أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب)(١) .

قال مقاتل : أنزلنا دار الخلود ، أقاموا فيها أبداً لا يموتون ، ولا يتحولون منها أبداً .

قال الفراء والزجاج : المقاومة مثل الإقامة يقال : أقمت بالمكان إقامة ومقامة ومقاماً .

فصـل

الإسم الخامس : جنة المأوى ، قال تعالى : (عندها جنة المأوى) والمأوى مفعل من أوى يأوى إذا انضم إلى المكان وصار إليه واستقر به .

وقال عطاء عن ابن عباس : هى الجنة التى يأوى إليها جبريل والملائكة .

وقال مقاتل والكلبى : هى جنة تأوى إليها أرواح الشهداء .

وقال كعب : جنة المأوى جنة فيها طير خضر ترتع فيها أرواح الشهداء .

وقالت عائشة رضى الله عنها وزر بن حبيش : هى جنة من الجنان .

والصحيح أنه اسم أسماء الجنة كما قال تعالى . (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى ، فإن الجنة هى المأوى)(٢) وقال فى النار : (فإن الجحيم هى المأوى) وقال : (ومأواكم النار) .

---

(١) سورة فاطر الآيتان ٣٤ و ٣٥ .
(٢) سورة النازعات الآيتان ٤٠ و ٤١ .

فصـل

الإسم السادس : جنات عدن ، فقيل : هي اسم الجنة من الجنان . والصحيح أنه اسم لجملة الجنان وكلها جنات عدن قال تعالى : (جنات عدن التى وعد الرحمن عباده بالغيب)[١] ، وقال تعالى : (جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً ولباسهم فيها حرير)[٢] وقال تعالى : (ومساكن طيبة فى جنات عدن)[٣] والاشتقاق يدل على أن جميعها جنات عدن فإنه من الإقامة والدوام يقال عدن بالمكان إذا أقام به ، وعدنت البلد توطنته ، وعدنت الإبل بمكان كذا لزمته فلم تبرح منه .

وقال الجوهرى : ومنه جنات عدن أى إقامة ومنه سمى المعدن ـ بكسر الدال ـ لأن الناس يقيمون فيه الصيف والشتاء ، ومركز كل شىء معدنه . والعادن : الناقة المقيمة فى المرعى .

فصـل

الإسم السابع : دار الحيوان ،قال تعالى : (وإن الدار الآخرة لهى الحيوان)[٤] المراد الجنة عند أهل التفسير ، قالوا : وإن الآخرة يعنى الجنة لهى دار الحياة التى لا موت فيها . فقال الكلبى : هى حياة لا موت فيها. وقال الزجاج : هى دار الحياة الدائمة . وأهل اللغة على أن الحيوان بمعنى الحياة . قال أبو عبيدة وابن قتيبة الحياة الحيوان، قال أبو عبيدة.الحياة والحيوان الحى ـ بكسر الحاء ـ واحد قال أبو على : يعنى أنها مصادر ، فالحياة فعله كالجابة والحيوان كالنزوان والغليان ، والحى كالعى قال العجاج :

---

(١) سورة مريم آية ٦١ .
(٢) سورة فاطر آية ٣٣ .
(٣) سورة الصف آية ١٢ .
(٤) سورة العنكبوت آية ٦٤ .

* كنا بها إذا الحياة حى *

أى إذا الحياة حياة . أما أبو زيد فخالفهم وقال : الحيوان مافيهروح . والموتان والموات ما لا روح فيه . والصواب : أن الحيوان يقع على ضربين : أحدهما : مصدر ، كما حكاه أبو عبيدة . والثانى : وصف كما حكاه أبو زيد، وعلى قول أبى زيد : الحيوان مثل الحى خلاف الميت ورجح القول الأول بأن الفعلان بابه المصادر كالنزوان والغليان بخلاف الصفات فإن بابها فعلان كسكران وغضبان ، وأجاب من رجح القول الثانى بأن فعلان قد جاء فى الصفات أيضاً قالوا ، رجل ضميان للسريع الخفيف. وزفيان قال فى الصحاح : ناقة زفيان سريعة وقوس زفيان سريعة الإرسال للسهم . فيحتمل قوله تعالى : (وإن الدار الآخرة لهى الحيوان) معنيين .

أحدهما : أن حياة الآخرة هى الحياة ، لأنها لا تنغيص فيها ولا نفاد لها أى لا يشوبها ما يشوب الحياة فى هذه الدار ، فيكون الحيوان مصدراً على هذا .

الثانى : أن يكون المعنى أنها الدار التى لا تفنى ولا تنقطع ولا تبيد كما يفنى الأحياء فى هذه الدنيا ، فهى أحق بهذا الإسم من الحيوان الذى يفنى ويموت .

فصـــــل

الإسم الثامن : الفردوس قال تعالى : (أولئك هم الوارثون * الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون)[1] وقال تعالى : (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا * خالدين فيها)[2] والفردوس : إسم يقال على جميع الجنة ، ويقال على أفضلها وأعلاها ، كأنه أحق بهذا الإسم من غيره من الجنات . وأصل الفردوس : البستان والفراديس البساتين . قال كعب : هو البستان الذى فيه الأعناب ، وقال الليث: الفردوس جنة ذات كروم . يقال : كرم مفردس أى معرش . وقال الضحاك : هى الجنة الملتفة بالأشجار ، وهو اختيار المبرد وقال الفردوس فيما سمعت

(١) سورة المؤمنون آية ١١ .
(٣) سورة الكهف آية ١٠٧ .

من كلام العرب : الشجر الملتف والأغلب عليه العنب، وجمعه : الفراديس : قال :
ولهذا سمى باب الفراديس بالشام ، وأنشد لجرير :

فقلت للركب إذا جد المسير بنا　　يا بعد نيرين من باب الفراديس

وقال مجاهد : هذا البستان بالرومية. واختاره الزجاج فقال: هو بالرومية منقول
إلى لفظ العربية . قال : وحقيقته أنه البستان الذى يجمع كل ما يكون في البساتين :
قال حسان :

وإن ثواب الله كل مخلد　　جنان من الفردوس فيها يخلد

فصل

الإسم التاسع : جنات النعيم . قال تعالى : (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات
لهم جنات النعيم)[1] ، وهذا أيضاً اسم جامع لجميع الجنات لما تضمنته من الأنواع
التى يتنعم بها من المأكول والمشروب والملبوس والصور والرائحة الطيبة والمنظر
البهيج ، والمساكن الواسعة . وغير ذلك من النعيم الظاهر والباطن .

فصل

الإسم العاشر : المقام الأمين . قال تعالى : (إن المتقين فى مقام أمين)[2] ،
والمقام : موضع الإقامة ، والأمين : الآمن من كل سوء وآفة ومكروه وهو الذى
قد جمع صفات الأمن كلها ، فهو آمن من الزوال والخراب وأنواع النقص ، وأهله
آمنون فيه من الخروج والنغص والنكد (والبلد الأمين) الذى قد أمن أهله فيه
مما يخاف منه سواهم ، وتأمل كيف ذكر سبحانه الأمن فى قوله تعالى: (إن المتقين
فى مقام أمين) وفى قوله تعالى : (يدعون فيها بكل فاكهة آمنين)[3] فجمع لهم

(١) سورة لقمان آية ٨ .
(٢) سورة الدخان آية ٥١ .
(٣) سورة الدخان آية ٥٥ .

بين أمن المكان وأمن الطعام ، فلا يخافون انقطاع الفاكهة ولا سوء عاقبتها ومضرتها ، وأمن الخروج منها ، فلا يخافون ذلك ، وأمن الموت فلا يخافون فيها موتاً .

فصل

الإسم الحادى عشر والثانى عشر : مقعد الصدق ، وقدم الصدق ، قال تعالى : ﴿ إن المتقين فى جنات ونهر. فى مقعد صدق ﴾[1] ، فسمى جنته مقعد صدق لحصول كل ما يراد من المقعد الحسن فيها كما يقال: مودة صادقة إذا كانت ثابتة تامة وحلاوة صادقة وحملة صادقة ومنه الكلام الصدق لحصول مقصوده منه ،وموضع هذه اللفظة فى كلامهم الصحة والكمال ومنه الصدق فى الحديث والصدق فى العمل ، والصديق الذى يصدق قوله بالعمل ، والصدق ـ بالفتح ـ الصلب من الرماح ، ويقال للرجل الشجاع ، إنه لذو مصدق أى صادق الحملة. وهذا مصداق هذا أى ما يصدقه ، ومنه قدم صدق ولسان صدق ومدخل صدق ومخرج صدق ، وذلك كله للحق الثابت المقصود الذى يرغب فيه بخلاف الكذب الباطل الذى لا شىء تحته وهو لا يتضمن أمراً ثابتاً قط ، وفسر قوم قدم صدق بالجنة ، وفسر بالأعمال التى تنال بها الجنة وفسر بالسابقة التى سبقت لهم من الله وفسر بالرسول الذى على يده وهدايته نالوا ذلك ، والتحقيق أن الجميع حق فإنهم سبقت لهم من الله الحسنى بتلك السابقة ، أى بالأسباب التى قدرها لهم على يد رسوله ، وادخر لهم جزاءها يوم القيامة ،ولسان الصدق وهو لسان الثناء الصادق بمحاسن الأفعال وجميل الطرائق ، وفى كونه لسان صدق إشارة إلى مطابقته للواقع ، وأنه ثناء بحق لا بباطل، ومدخل الصدق ومخرج الصدق وهو المدخل والمخرج الذى يكون صاحبه فيه ضامناً على الله وهو دخوله وخروجه بالله ولله، وهذه الدعوة من أنفع الدعاء للعبد ، فإنه لا يزال داخلا فى أمر وخارجاً من أمر ، فمتى كان دخوله لله وبالله وخروجه كذلك ، كان قد أدخل مدخل صدق وأخرج مخرج صدق . والله المستعان .

---

(١) سورة القمر الآيتان ٥٤ و٥٥ .

الباب الثانى والعشرون

فى عدد الجنات وأنها نوعان : جنتان من ذهب وجنتان من فضة

الجنة : اسم شامل لجميع ما حوته من البساتين والمساكن والقصور وهى جنات كثيرة جداً ، كما روى البخارى فى صحيحه عن أنس بن مالك : أن أم الربيع بنت البراء وهى أم حارثة بن سراقة « أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت : يا نبى الله ألا تحدثنى عن حارثة ؟ وكان قتل يوم بدر أصابه سهم غرب . فإن كان فى الجنة صبرت وإن كان غير ذلك اجتهدت عليه فى البكاء ، قال : يا أم حارثة ، إنها جنان فى الجنة ، وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى » .

وفى الصحيحين من حديث أبى موسى الأشعرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « جنتان من ذهب آنيتهما وحليتهما وما فيهما ، وجنتان من فضة آنيتهما وحليتهما وما فيهما ، وما بين القوم أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه فى جنة عدن » وقد قال تعالى : (ولمن خاف مقام ربه جنتان)[1] فذكرهما ثم قال : (ومن دونهما جنتان)[2] فهذه أربع قد اختلف فى قوله ومن دونهما هل المراد به أنهما فوقهما أو تحتهما على قولين : فقالت طائفة : من دونهما أى أقرب منهما إلى العرش فيكونان فوقهما .

وقالت طائفة : بل معنى من دونهما تحتهما . قالوا : وهذا المنقول فى لغة العرب إذا قالوا : هذا دون هذا ، أى دونه فى المنزلة . كما قال بعضهم لمن بالغ فى مدحه : أنا دون ما تقول فوق ما فى نفسك ، وفى الصحاح دون نقيض فوق وهو تقصير عن الغاية ، ثم قال : ويقال هذا دون هذا أى أقرب منه والسياق يدل على تفضيل الجنتين الأولين من عشرة أوجه :

---

(١) سورة الرحمن آية ٤٦ .

(٢) سورة الرحمن آية ٦٢ .

أحدها : قوله : (ذواتا أفنان) وفيه قولان : أحدهما : أنه جمع فنن ، وهو الغصن . والثانى : أنه جمع فن وهو الصنف أى ذواتا أصناف شتى من الفواكه وغيرها ، ولم يذكر ذلك فى اللتين بعدهما .

الثانى : قوله : (فيهما عينان تجريان) وفى الأخريين (فيهما عينان نضاختان)[١] والنضاخة : هى الفوارة والجارية السارحة وهى أحسن من الفوارة ، فإنهما تتضمن الفوران والجريان .

الثالث : أنه قال : (فيهما من كل فاكهة زوجان)[٢] ، وفى الأخريين : (فيهما فاكهة ونخل ورمان)[٣] ، ولا ريب أن وصف الأولين أكمل ، واختلف فى هذين الزوجين بعد الاتفاق على أنهما صنفان. فقالت طائفة : الزوجان الرطب واليابس الذى لا يقصر فى فضله وجودته عن الرطب ، وهو يتمتع به كما يتمتع باليابس ، وفيه نظر لا يخفى . وقالت طائفة : الزوجان صنف معروف وصنف من شكله غريب . وقالت طائفة : نوعان ولم تزد . والظاهر والله أعلم : أنه الحلو والحامض والأبيض والأحمر ، وذلك لأن اختلاف أصناف الفاكهة أعجب وأشهى وألذ للعين والفم .

الرابع : أنه قال : (متكئين على فرش بطائنها من إستبرق)[٤] ، وهذا تنبيه عن فضل الظهائر وخطرها وفى الأخريين قال : (متكئين على رفرف خضر وعبقرى حسان)[٥] وفسر الرفرف بالمحابس والبسط ، وفسر بالفرش ، وفسر بالمحابس فوقها . وعلى كل قول فلم يصفه بما وصف به فرش الجنتين الاولين .

الخامس : أنه قال : (وجنى الجنتين دان) أى قريب وسهل يتناولونه كيف شاؤوا ولم يذكر ذلك فى الأخريين .

---

(١) سورة الرحمن آية ٦٦ .
(٢) سورة الرحمن آية ٥٢ .
(٣) سورة الرحمن آية ٦٨ .
(٤) سورة الرحمن آية ٥٤ .
(٥) سورة الرحمن آية ٧٦ .

السادس : أنه قال : (فيهن قاصرات الطرف) أى قد قصرن طرفهن على أزواجهن ، فلا يرون غيرهم لرضاهن بهم ومحبتهن لهم ، وذلك يتضمن قصر أطراف أزواجهن عليهن فلا يدعهم حسنهن أن ينظروا إلى غيرهن . وقال فى الآخرين : (حور مقصورات فى الخيام) ، ومن قصرت طرفها على زوجها باختيارها أكمل ممن قصرت بغيرها .

السابع : أنه وصفهن بشبه الياقوت والمرجان فى صفاء اللون وإشراقه وحسنه ، ولم يذكر ذلك فى التى بعدها .

الثامن : أنه قال سبحانه وتعالى فى الجنتين الأوليين : (هل جزاء الإحسان) وهذا يقتضى أن أصحابهما من أهل الإحسان المطلق الكامل ، فكان جزاؤهم بإحسان كامل .

التاسع : أنه بدأ بوصف الجنتين الأوليين وجعلهما جزاء لمن خاف مقامه ، وهذا يدل على أنهما أعلى جزاء الخائف لمقامه ، فرتب الجزاء المذكور على الخوف ترتيب المسبب على سببه ، ولما كان الخائفون على نوعين مقربين وأصحاب يمين ذكر جنتى المقربين ثم ذكر جنتى أصحاب اليمين .

العاشر : أنه قال : (ومن دونهما جنتان) والسياق يدل على أنه نقيض فوق . كما قال الجوهرى ، فإن قيل : فكيف انقسمت هذه الجنان الاربع على من خاف مقام ربه ؟ قيل : لما كان الخائفون نوعين كما ذكرنا ، كان للمقربين منهم الجنتان العاليتان ، ولأصحاب اليمين الجنتان اللتان دونهما ، قيل : فهل الجنتان لمجموع الخائفين يشتركون فيهما أم لكل واحد جنتان وهما البستانان ؟ قيل : هذا فيه قولان للمفسرين . ورجح القول الثانى بوجهين : أحدهما : من جهة النقل . والثانى : من جهة المعنى فأما الذى من جهة النقل فإن أصحاب هذا القول رووا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : هما « بستانان فى رياض الجنة » وأما الذى من

جهة المعنى فإن إحدى الجنتين جزاء أداء الأوامر . والثانية : جزاء اجتناب المحارم .

فإن قيل : فكيف قال في ذكر النساء (فيهن) في الموضعين، ولما ذكر غيرهن قال (فيهما) ؟

قيل : لما ذكر الفرش قال بعدها : (فيهن خيرات حسان) ثم أعاده في الجنتين الأخريين بهذا اللفظ ، ليتشاكل اللفظ والمعنى . والله أعلم .

الباب الثالث والعشرون

فى خلق الرب تبارك وتعالى بعض الجنان وغرسها بيده تفضيلا لها على سائر الجنان

وقد اتخذ الرب تعالى من الجنان داراً اصطفاها لنفسه وخصها بالقرب من عرشه وغرسها بيده ، فهى سيدة الجنان والله سبحانه وتعالى يختار من كل نوع أعلاه وأفضله ، كما اختار من الملائكة جبريل ، ومن البشر محمداً صلى الله عليه وسلم ، ومن السموات العليا ، ومن البلاد مكة ، ومن الأشهر الحرم ، ومن الليالى ليلة القدر ، ومن الأيام يوم الجمعة ، ومن الليل وسطه ، ومن الأوقات أوقات الصلاة ، إلى غير ذلك فهو سبحانه وتعالى : (يخلق ما يشاء ويختار)(١) .

وقال الطبرانى فى معجمه : حدثنا مطلب بن شعيب الأزدى ، حدثنا عبد الله ابن صالح ، حدثنى الليث. قال الطبرانى فى معجمه ، وحدثنا أبو الزنباع روح بن الفرج ، حدثنا يحيى بن بكير ، حدثنا الليث عن زيادة بن محمد الأنصارى عن محمد بن كعب القرظى عن فضالة بن عبيد عن أبى الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ينزل الله تعالى فى آخر ثلاث ساعات يبقين من الليل ، فينظر الله فى الساعة الأولى منهن فى الكتاب الذى لا ينظر فيه غيره فيمحو ما يشاء ويثبت ، ثم ينظر فى الساعة الثانية إلى جنة عدن وهى مسكنه الذى يسكن فيه ، ولا يكون معه فيها أحد إلا الأنبياء والشهداء والصديقون ، وفيها مالم تره عين أحد ، ولا خطر على قلب بشر ، ثم يهبط آخر ساعة من الليل فيقول : ألا مستغفر يستغفرنى فأغفر له ؟ ألا سائل يسألنى فأعطيه ؟ ألا داع يدعونى فأستجيب له ؟ حتى يطلع الفجر » قال تعالى : (وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً)(٢) فيشهده الله تعالى وملائكته .

---

(١) سورة القصص آية ٦٨ .

(٢) سورة الإسراء آية ٧٨ .

قال الحسن بن سفيان . حدثنا أبو الطاهر أحمد بن عمرو بن السرح قال : حدثنى خالى عبد الرحمن بن عبد الحميد بن سالم ، حدثنا يحيى بن أيوب عن داود بن أبى هند عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله بنى الفردس بيده وحظرها على كل مشرك وكل مدمن خمر ومتكبر » وقد ذكر الدارمى والنجار وغيرهما من حديث أبى معشر نجيح بن عبد الرحمن - متكلم فيه - عن عون بن عبد الله بن الحارث بن نوفل عن أخيه عبد الله بن عبد الله عن أبيه عبد الله بن الحارث قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خلق الله ثلاثة أشياء بيده : خلق آدم بيده ، وكتب التوراة بيده ، وغرس الفردوس بيده ، ثم قال . وعزتى وجلالى لا يدخلها مدمن خمر ولا الديوث ، قالوا : يارسول الله قد عرفنا مدمن الخمر فما الديوث ؟ قال الذى يقر السوء فى أهله » قلت : المحفوظ أنه موقوف .

قال الدارمى : حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا عبد الواحد بن زياد ، حدثنا عبيد بن مهران ، حدثنا مجاهد ، قال . قال عبد الله بن عمر : « خلق الله أربعة أشياء بيده : العرش والقلم وعدن وآدم عليه السلام ، ثم قال لسائر الخلق كن فكان » وحدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا أبو عوانة عن عطاء بن السائب عن ميسرة قال : « إن الله لم يمس شيئاً من خلقه غير ثلاث : خلق آدم بيده ، وكتب التوراة بيده ، وغرس جنة عدن بيده » حدثنا محمد بن المنهال ، حدثنا يزيد بن زريع ، حدثنا سعيد ابن أبى عروبة عن قتادة عن أنس عن كعب قال : « لم يخلق الله بيده غير ثلاث خلق آدم بيده وكتب التوراة بيده وغرس جنة عدن بيده . ثم قال لها : تكلمى . قالت : قد أفلح المؤمنون » ، وقال أبو الشيخ : حدثنا أبو يعلى ، حدثنا أبو الربيع ، حدثنا يعقوب القمى ، حدثنا حفص بن حميد عن شمر بن عطية قال : « خلق الله جنة الفردوس بيده فهو يفتحها كل يوم خمس مرات ، فيقول : ازدادى طيباً لأوليائى . ازدادى حسناً لأوليائى » .

وذكر الحاكم عنه عن مجاهد قال : « إن الله تعالى غرس جنات عدن بيده فلما تكاملت أغلقت فهى تفتح فى كل سحر ، فينظر الله إليها فتقول قد أفلح المؤمنون »

وذكر البيهقى من حديث البغوى حدثنا يونس بن عبيد الله البصرى ، حدثنا عدى ابن الفضل عن الجريرى عن أبى نضرة عن أبى سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله أحاط حائط الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة . وغرس غرسها بيده ، وقال لها تكلمى فقالت : قد أفلح المؤمنون . فقال : طوبى لك منزل الملوك » .

وقال ابن أبى الدنيا : حدثنا محمد بن أبى المثنى البزار ، حدثنا بشير بن حسن عن سعيد بن أبى عروبة عن قتادة عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خلق الله جنة عدن بيده لبنة من درة بيضاء ولبنة من ياقوتة حمراء ولبنة من زبرجدة خضراء، بلاطها المسك وحصباؤها اللؤلؤ وحشيشها الزعفران. ثم قال لها. انطقى . قالت : قد أفلح المؤمنون . فقال الله عز وجل: وعزتى وجلالى لا يجاورنى فيك بخيل ، ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون)»[1] ، وتأمل هذه العناية كيف جعل هذه الجنة التى غرسها بيده لمن خلقه بيده ولأفضل ذريته اعتناء وتشريفاً وإظهاراً لفضل ما خلقه بيده وشرفه وميزه بذلك عن غيره . وبالله التوفيق ، فهذه الجنة فى الجنان كآدم فى نوع الحيوان .

وقد روى مسلم فى صحيحه عن المغيرة بن شعبة عن سعيد عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : «سأل موسى عليه السلام ربه ما أدنى أهل الجنة منزلة ؟ قال : رجل يجىء بعد ما دخل أهل الجنة فيقال له : ادخل الجنة . فيقول : رب كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم ؟ ! ! فيقال له : أترضى أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا ؟ فيقول رضيت رب ، فيقول له : لك ذلك ومثله ومثله ومثله ، فقال فى الخامسة : رضيت رب قال رب فأعلاهم منزلة ؟ قال أولئك الذين أردت، غرست كرامتهم بيدى وختمت عليها فلم ترعين ، ولم تسمع أذن ، ولم يخطر على قلب بشر » ومصداقه من كتاب الله : (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين)[2] .

---

(١) سورة الحشر آية ٩ .

(٢) سورة السجدة آية ١٧ .

الباب الرابع والعشرون

ذكر بوابى الجنة وخزنتها واسم مقدمهم ورئيسهم

قال تعالى : (وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً ، حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم)[1] والخزنة جمع خازن مثل حفظة وحافظ وهو المؤتمن على الشيء الذى قد استحفظه .

وروى مسلم فى صحيحه من حديث سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس رضى الله عنه قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « آتى باب الجنة يوم القيامة فأستفتح فيقول الخازن : من أنت ؟ فأقول محمد ، فيقول : بلى ، أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك » .

وقد تقدم حديث أبى هريرة المتفق عليه : « من أنفق زوجين فى سبيل الله دعاه خزنة الجنة كل خزنة باب أى فهلم . قال أبو بكر : يا رسول الله ذاك الذى لا توى عليه ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : إنى لأرجو أن تكون منهم » وفى لفظ «هل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها ؟ قال نعم. وأرجو أن تكون منهم» .

لما سمت همة الصديق إلى تكميل مراتب الإيمان . وطمعت نفسه أن يدعى من تلك الأبواب كلها ، سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم هل يحصل ذلك لأحد من الناس ليسعى فى العمل الذى ينال به ذلك ، فخبره بحصوله وبشره بأنه من أهله . وكأنه قال : هل تكمل لأحد هذه المراتب فيدعى يوم القيامة من أبوابها كلها ؟

فلله ما أعلى هذه الهمة وأكبر هذه النفس . قد سمى الله سبحانه وتعالى كبير هذه الخزنة رضوان. وهو اسم مشتق من الرضا وسمى خازن النار مالكا وهو اسم مشتق من الملك ، وهو القوة والشدة حيث تصرفت حروفه .

---

(١) سورة الزمر آية ٧٣ .

الباب الخامس والعشرون

فى ذكر أول من يقرع باب الجنة

وقد تقدم من حديث أنس ورواه الطبرانى بزيادة فيه قال : « فيقوم الخازن فيقول لا أفتح لأحدقبلك ، ولا أقوم لأحد بعدك » وذلك أن قيامه إليه صلى الله عليه وسلم خاصة إظهاراً لمزيته ورتبته ولا يقوم فى خدمة أحد بعده بل خزنة الجنة يقومون فى خدمته ، وهوكالملك عليهم ، وقد أقامه الله فى خدمة عبده ورسوله حتى مشى إليه وفتح له الباب .

وقد روى أبو هريرة رضى الله تعالى عنه ، عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أنا أول من يفتح الجنة إلاأن امرأة تبادرنى فأقول لها مالك ومن أنت ؟ فتقول: أنا امرأة قعدت على يتامى » .

وفى الترمذى من حديث ابن عباس قال : «جلس ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ينتظرونه قال : فخرج حتى إذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم فقال بعضهم : عجباً إن لله من خلقه خليلا اتخذ إبراهيم خليلا ، وقال آخر : ماذلك بأعجب من كليمه موسى كلمه تكليما .

وقال آخر : فعيسى كلمة الله وروحه ، وقال آخر : آدم اصطفاه الله فخرج عليهم فسلم وقال : « سمعت كلامكم وعجبكم إن إبراهيم خليل الله وهو كذلك ، وموسى نجى الله وهو كذلك ، وعيسى روحه وكلمته وهو كذلك ، وآدم اصطفاه الله وهو كذلك ، ألا وأنا حبيب الله ولا فخر ، وأنا أول شافع وأول مشفع يوم القيامة ولا فخر ، وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر ، وأنا أول من يحرك حلقة الجنة فيفتح لى فأدخلها ، ومعى فقراء المؤمنين ولا فخر وأنا أكرم الاولين والآخرين ولا فخر » .

وعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنا أول الناس

خروجاً إذا بعثوا وأنا خطيبهم إذا أنصتوا ، وقائدهم إذا وفدوا ، وشافعهم إذا حبسوا ، وأنا مبشرهم إذا أيسوا ، لواء الحمد بيدى ، ومفاتيح الجنة يومئذ بيدى ، وأنا أكرم ولد آدم يومئذ على ربى ولا فخر ، يطوف على ألف خادم كأنهم اللؤلؤ المكنون » ، رواه الترمذى والبيهق واللفظ له .

وفى صحيح مسلم من حديث المختار بن فلفل عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنا أكثر الناس تبعاً يوم القيامة ، وأنا أول من يقرع باب الجنة » .

الباب السادس والعشرون

فى ذكر أول الأمم دخولا الجنة

وفى الصحيحين من حديث همام بن عنبة عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نحن السابقون الاولون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم » أى لم يسبقونا إلا بهذا القدر ، فمعنى بيد معنى سوى وغير إلا ونحوها .

وفى صحيح مسلم من حديث أبى صالح عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نحن الآخرون الاولون يوم القيامة ، ونحن أول من يدخل الجنة ، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم ، فاختلفوا فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه » .

وفى الصحيحين من حديث طاوس عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : « نحن الآخرون الاولون يوم القيامة ، نحن أول الناس دخولا الجنة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم » .

وروى الدارقطنى من حديث زهير بن محمد عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن الجنة حرمت على الأنبياء كلهم حتى أدخلها ، وحرمت على الأمم حتى تدخلها أمتى » قال الدارقطنى : غريب عن الزهرى ولا أعلم روى عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن الزهرى غير هذا الحديث ، ولا رواه إلا عمرو بن أبى سلمة عن زهير .

فهذه الأمة أسبق الأمم خروجاً من الارض وأسبقهم إلى أعلى مكان فى الموقف ، وأسبقهم إلى ظل العرش ، وأسبقهم إلى الفصل والقضاء بينهم ، وأسبقهم إلى الجواز

على الصراط ، وأسبقهم إلى دخول الجنة ، فالجنة محرمة على الأنبياء حتى يدخلها محمد صلى الله عليه وسلم ، ومحرمة على الأمم حتى تدخلها أمته .

وأما أول الأمة دخولا فقال أبو داود في سننه : حدثنا هناد بن السرى عن عبد الرحمن بن محمد المحاربى عن عبد السلام بن حرب عن أبي خالد الدالانى عن أبي خالد مولى آل جعدة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أتاني جبريل فأخذ بيدى فأرانى باب الجنة الذى تدخل منه أمتى فقال أبو بكر : يا رسول الله ، وددت أنى كنت معك حتى أنظر إليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما إنك يا أبا بكر أول من يدخل الجنة من أمتى » وقوله : « وددت أنى كنت معك » حرصاً منه على زيادة اليقين ، وأن يصير الخبر عياناً . كما قال إبراهيم الخليل (رب أرنى كيف تحيي الموتى ، قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى)[1] ، وأما الحديث الذى رواه ابن ماجه في سننه : حدثنا إسماعيل بن عمر الطلحى ، أنبأنا داود بن عطاء المدينى عن صالح بن كيسان عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن أبي بن كعب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أول من يصافحه الحق عمر ، وأول من يسلم عليه وأول من يأخذ بيده فيدخله الجنة » فهو حديث منكر جداً ، قال الإمام أحمد : داود بن عطاء ليس بشيء ، وقال البخاري : منكر الحديث .

---

(١) سورة البقرة آية ٢٦٠ .

الباب السابع والعشرون

في ذكر السابقين من هذه الأمة إلى الجنة وصفتهم

فى الصحيحين من حديث همام بن منبه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر لايبصقون فيها ولايتغوطون فيها ولايتمخطون فيها آنيتهم وأمشاطهم الذهب والفضة ، ومجامرهم الألوة ، ورشحهم المسك ، ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ ساقهما من وراء اللحم من الحسن ، لا اختلاف بينهم ولا تباغض ، قلوبهم على قلب رجل واحد ، يسبحون الله بكرة وعشياً » .

وفى الصحيحين أيضاً من حديث أبى زرعة عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ، والذين يلونهم على أشد كوكب درى فى السماء إضاءة لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتفلون ولا يتمخطون ، أمشاطهم الذهب ورشحهم المسك ومجامرهم الألوة ، وأزواجهم الحور العين ، أخلاقهم على خلق رجل واحد ، على صورة أبيهم آدم ستون ذراعاً فى السماء » .

وروى شعبة بن قيس عن حبيب عن أبى ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أول من يدعى إلى الجنة يوم القيامة الحامدون الذين يحمدون الله فى السراء والضراء » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا إسماعيل بن إبراهيم ، حدثنا هشام الدستوائى عن يحيى بن أبى كثير عن عامر العقيلى عن أبيه عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عرض على أول ثلاثة من أمتى يدخلون الجنة وأول ثلاثة

يدخلون النار ، فأما أول ثلاثة يدخلون الجنة : فالشهيد وعبد مملوك لم يشغله رق الدنيا عن طاعة ربه ، وفقير متعفف ذو عيال ، وأول ثلاثة يدخلون النار : فأمير مسلط ، وذو ثروة من مال لا يؤدى حق الله من ماله ، وفقير فخور » .

وروى الإمام أحمد فى مسنده والطبرانى فى معجمه واللفظ له من حديث أبى عشابة المعافرى أنه سمع عبدالله بن عمر يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هل تدرون أول من يدخل الجنة ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : فقراء المهاجرين الذين تتقى بهم المكاره ، ويموت أحدهم وحاجته فى صدره لا يستطيع لها قضاء ، تقول الملائكة : ربنا نحن ملائكتك وخزنتك وسكان سمواتك لا تدخلهم الجنة قبلنا ، فيقول : عبادى لا يشركون بى شيئاً تتقى بهم المكاره ، يموت أحدهم وحاجته فى صدره لم يستطع لها قضاء ، فعند ذلك تدخل عليهم الملائكة من كل باب ، سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار » .

ولما ذكر الله تعالى أصناف بنى آدم سعيدهم وشقيهم ، قسم سعيدهم إلى قسمين سابقين وأصحاب يمين فقال : « والسابقون السابقون » واختلف فى تقريرها على ثلاثة أقوال : أحدها : أنه من باب التوكيد اللفظى ويكون الخبر قوله : « أولئك المقربون » — والثانى : أن يكون السابقون الأول مبتدأ والثانى خبر له على حد قولك : زيد أى زيد الذى سمعت به هو زيد كما قال :

وكقول الآخر :

* أنا أبو النجم وشعرى شعرى *

* إذ الناس ناس والزمان زمان *

قال ابن عطية : وهذا قول سيبويه . والثالث : أن يكون الأول غير الثانى ، ويكون المعنى السابقون فى الدنيا إلى الخيرات هم السابقون يوم القيامة إلى الجنات ، والسابقون إلى الإيمان هم السابقون إلى الجنان ، وهذا أظهر ، والله أعلم .

فإن قيل : فما تقول فى الحديث الذى رواه الإمام أحمد والترمذى وصححه

من حديث بريدة بن الحصيب قال : « أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا بلالا فقال : بلال ، بم سبقتنى إلى الجنة فما دخلت الجنة قط إلا سمعت خشخشتك أمامى . ودخلت البارحة فسمعت خشخشتك أمامى ، فأتيت قصر مربع مشرف من ذهب ، فقلت : لمن هذا القصر ؟ قالوا : لرجل من أمة محمد ، قلت : أنا محمد . لمن هذا القصر ؟ قالوا لعمر بن الخطاب ، فقال بلال : يارسول الله ما أذنت قط إلا وصليت ركعتين ، وما أصابنى حدث قط إلا توضأت عندها ورأيت أن لله على ركعتين ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فبذلك »

قيل : تتلقاه بالقبول والتصديق ، ولا يدل على أن أحداً يسبق رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الجنة ، وأما تقدم بلال بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتقدم دخوله بين يديه كالحاجب والخادم .

وقد روى فى حديث : « أن النبى صلى الله عليه وسلم يبعث يوم القيامة وبلال بين يديه ينادى بالأذان » فتقدمه بين يديه صلى الله عليه وسلم كرامة لرسوله ، وإظهاراً لشرفه وفضله ، ولا سبقاً من بلال له ، بل هذا السبق من جنس سبقه إلى الوضوء ، ودخول المسجد ونحوه . والله أعلم .

الباب الثامن والعشرون

في سبق الفقراء الأغنياء إلى الجنة

قال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا حماد بن سلمة عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم ، وهو خمسمائة عام » وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح ورجال إسناده احتج بهم مسلم في صحيحه .

وروى الترمذي من حديث ابن عباس الدوري عن المقبري عن سعيد ابن أبي أيوب عن عمرو بن جابر الحضرمي عن جابر بن عبدالله عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « يدخل فقراء أمتي الجنة قبل الأغنياء بأربعين خريفاً » .

وفي صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء بأربعين خريفاً » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا حسين بن محمد ، حدثنا دويد عن سليم بن بشير عن عكرمة عن ابن عباس قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « التقى مؤمنان على باب الجنة ، مؤمن غني ومؤمن فقير كانا في الدنيا ، فأدخل الفقير الجنة وحبس الغني ماشاء الله أن يحبس ، ثم أدخل الجنة فلقيه الفقير فقال : أي أخي ، وماذا حبسك ؟ والله لقد احتبست حتى خفت عليك . فيقول : أي أخي ، وإني حبست بعدك محبساً فظيعاً كريهاً ، ما وصلت إليك حتى سال مني العرق، ما لو ورده ألف بعير كلها آكلة حمض لصدرت عنه » .

وقال الطبراني : حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي وعلي بن عبدالله الرازي قالا : حدثنا علي بن مهران العطار ، حدثنا عبد الملك بن أبي كريمة عن سفيان الثوري عن محمد بن زيد عن أبي حازم عن أبي هريرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن فقراء المؤمنين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم ، وذلك خمسمائة عام » وذكر الحديث بطوله .

والذى فى الصحيح أن سبقهم لهم بأربعين خريفاً . فإما أن يكون هو المحفوظ، وإما أن يكون كلاهما محفوظاً ، وتختلف مدة السبق بحسب أحوال الفقراء والأغنياء ، فمنهم من يسبق بخمسمائة كما يتأخر مكث العصاة من الموحدين فى النار بحسب أحوالهم. والله أعلم .

ولكن ههنا أمر يجب التنبيه عليه، وهو أنه لا يلزم من سبقهم لهم فى الدخول ارتفاع منازلهم عليهم ، بل قد يكون المتأخر أعلى منزلة ، وإن سبقه غيره فى الدخول، والدليل على هذا أن من الأمة من يدخل الجنة بغير حساب ، وهم السبعون ألفاً ، وقد يكون بعض من يحاسب أفضل من أكثرهم ، والغنى إذا حوسب على غناه فوجد قد شكر الله تعالى فيه وتقرب إليه بأنواع البر والخير والصدقة والمعروف كان أعلى درجة من الفقير الذى سبقه فى الدخول ، ولم يكن له تلك الأعمال ،ولاسيما إذا شاركه الغنى فى أعماله وزاد عليه فيها . والله لا يضيع أجر من أحسن عملا .

فالمزية مزيتان ، مزية سبق ، ومزية رفعة ، وقد يجتمعان وينفردان ، فيحصل لواحد السبق والرفعة ، ويعدمهما آخر ، ويحصل لآخر السبق دون الرفعة . ولآخر الرفعة دون السبق ، وهذا بحسب المقتضى للأمرين أو لأحدهما وعدمه ، وبالله التوفيق .

الباب التاسع والعشرون

فى ذكر أصناف أهل الجنة الذى ضمنت لهم دون غيرهم

قال تعالى : (وسارعوا إلى مغفرة من ربكم ، وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين . الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين . والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ، ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون. أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين)[1] .

فأخبر أنه أعد الجنة للمتقين دون غيرهم ، ثم ذكر أوصاف المتقين فذكر بذلهم للاحسان فى حالة العسر واليسر والشدة والرخاء ، فإن الناس من يبذل فى حال اليسر والرخاء ، ولا يبذل فى حال العسر والشدة ، ثم ذكر كف أذاهم عن الناس بحبس الغيظ بالكظم ، وحبس الانتقام بالعفو . ثم ذكر حالهم بينهم وبين ربهم فى ذنوبهم، وأنها إذا صدرت منهم قابلوها بذكر الله والتوبة والاستغفار وترك الإصرار ، فهذا حالهم مع الله وذاك حالهم مع خلقه ، وقال تعالى : (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم)[2] ، فأخبر تعالى أنه أعدها للمهاجرين والأنصار وأتباعهم بإحسان ، فلا مطمع لمن خرج عن طريقتهم فيها . وقال تعالى : (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون . الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون . أولئك هم المؤمنون حقاً لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم)[3] فوصفهم بإقامة حقه باطناً وظاهراً ، وبأداء حق عباده .

---

(١) سورة آل عمران الآيات ١٣٣ ـ ١٣٦ .
(٢) سورة التوبة آية ١٠٠ .
(٣) سورة الأنفال الآيات ٢ ـ ٤ .

وفى صحيح مسلم عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « ولما كان يوم حنين أقبل نفر من صحابة النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا : فلان شهيد وفلان شهيد وفلان شهيد ، حتى مروا على رجل فقالوا : فلان شهيد ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كلا إنى رأيته فى النار فى بردة غلها أو عباءة ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا ابن الخطاب ، إذهب فناد فى الناس إنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون ، قال : فخرجت فناديت إنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون » وللبخارى معناه .

وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بلالا ينادى فى الناس : « إنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة » وفى بعض طرقه ومؤمنة ، وفى الحديث قصة .

وفى صحيح مسلم من حديث عياض بن حمار المجاشعى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم فى خطبته : « ألا إن ربى أمرنى أن أعلمكم ما جهلتم مما علمنى من يومى هذا ، كل مال نحلته عبدا حلال ، وإنى خلقت عبادى حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم فحرمت عليهم ما أحللت لهم ، وأمرتهم أن يشركوا بى ما لم أنزل به سلطاناً ، وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب . وقال : إنما بعثتك لأبتليك وأبتلى بك . وأنزلت عليك كتاباً لا يغسله الماء تقرأه نائماً ويقظان . وإن الله أمرنى أن أحرق قريشاً ، فقلت : رب إذا يثلغوا رأسى فيدعوه خبزة ، قال استخرجهم كما أخرجوك وأغزهم نغزك ، وانفق فسينفق عليك وابعث جيشاً نبعث خمسة مثله ، وقاتل بمن أطاعك من عصاك ، وقال وأهل الجنة ثلاثة : ذو سلطان مقسط متصدق موفق ، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذى قربى ومسلم ، وعفيف متعفف ذو عيال ، وأهل النار خمسة : الضعيف الذى لا زبر له الذين هم فيكم تبعاً لا يبغون فيكم أهلا ولا مالا ، والخائن الذى لا يخفى له طمع وإن دق إلا خانه ، ورجل لا يصبح ولا يمسى إلا وهو يخادعك عن أهلك ومالك ، وذكر البخل . أو الكذب والشنظير الفحاش ، وإن الله أوحى إلى أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد ، ولا يبغى أحد على أحد » .

وفى الصحيحين من حديث حارثة بن وهب قال : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : «ألا أخبركم بأهل الجنة، كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لأبره، ألا أخبركم بأهل النار ؟ كل عتل جواظ متكبر » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا على بن إسحاق قال : أنبأنا عبدالله ، أنبأنا موسى ابن على بن رباح قال : سمعت أبى يحدث عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن أهل النار كل جعظرى جواظ مستكبر جماع مناع ، وأهل الجنة الضعفاء المغلوبون » .

وذكر خلف بن خليفة عن أبى هاشم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا أخبركم برجالكم من أهل الجنة : النبى فى الجنة ، والصديق فى الجنة ، والشهيد فى الجنة، والرجل يزور أخاه فى ناحية المصر لا يزوره إلا لله فى الجنة . ونساؤكم من أهل الجنة : الودود الولود التى إذا غضب أو غضبت جاءت حتى تضع يدها فى يد زوجها ثم تقول : لا أذوق غمضاً حتى ترضى» أخرج النسائى من هذا الحديث فضل النساء خاصة وباقى الحديث على شرطه .

وروى الإمام أحمد فى مسنده بإسناد صحيح عن عبدالله بن عمرو بن العاص عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إن أهل النار كل جعظرى جواظ متكبر جماع مناع ، وأهل الجنة الضعفاء المغلوبون » .

وقال ابن ماجه فى سننه : حدثنا محمد بن يحيى وزيد بن أخرم قالا : أنبأنا مسلم بن إبراهيم ، حدثنا أبو هلال الراسبى ، حدثنا عقبة بن أبى ثبيت الراسبى عن أبى الجوزاء عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أهل الجنة من ملأ أذنيه من ثناء الناس خيراً وهو يسمع ، وأهل النار من ملأ أذنيه من ثناء الناس شراً وهو يسمع » .

وفى الصحيحين عن أنس بن مالك قال : « مر بجنازة فأثنى عليها خير ، فقال نبى الله وجبت وجبت وجبت ، ومر بجنازة فأثنى عليها شراً فقال : وجبت وجبت وجبت ، فقال عمر : فداك أبى وأمى ، مر بجنازة فأثنى عليها خير فقلت: وجبت وجبت

وجبت : ومر بجنازة فأثنى عليها شر ، فقلت : وجبت وجبت وجبت ، ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أثنيتم عليه خيراً وجبت له الجنة ، ومن أثنيتم عليه شراً وجبت له النار ، وأنتم شهداء الله فى الأرض » .

وفى الحديث الآخر : « يوشك أن تعلموا أهل الجنة من أهل النار ، قالوا : كيف يارسول الله ؟ قال : بالثناء الحسن وبالثناء السيء » وبالجملة فأهل الجنة أربعة أصناف ، ذكرهم الله سبحانه وتعالى فى قوله : (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا)[1] فنسأل الله أن يجعلنا منهم بمنه وكرمه .

---

(١) سورة النساء آية ٦٩ .

الباب الثلاثون

فى أن أكثر أهل الجنة هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم

وفى الصحيحين من حديث عبدالله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أما ترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة ؟ فكبرنا ، ثم قال : أما ترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة ؟ فكبرنا ، ثم قال : إنى لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة ، وسأخبركم عن ذلك ، ما المسلمون فى الكفار إلا كشعرة بيضاء فى ثور أسود أو كشعرة سوداء فى ثور أبيض » هذا لفظ مسلم .

وعند البخارى : « وكشعرة سوداء فى ثور أبيض » بغير ألف .

وعن بريدة بن الحصيب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أهل الجنة عشرون ومائة صف هذه الأمة منها ثمانون صفاً » رواه الإمام أحمد والترمذى ، وإسناده على شرط الصحيح ، ورواه الطبرانى فى معجمه من حديث عبد الله بن عباس ، وفى إسناده خالد بن يزيد البجلى .

وقد تكلم فيه ورواه أيضا من حديث القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كيف أنتم وربع الجنة لكم ، ولسائر الناس ثلاثة أرباعها ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : كيف أنتم وثلثها ؟ قالوا : ذاك أكثر ، قال : كيف والشطر لكم ؟ قالوا : ذاك أكثر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أهل الجنة عشرون ومائة صف لكم منها ثمانون صفا » قال الطبرانى : لم يرو هذا الحديث عن القاسم بن عبد الرحمن ، إلا الحرث بن خضيرة تفرد به عبد الواحد بن زياد .

وقال عبد الله بن أحمد: حدثنا موسى بن غيلان بن هاشم بن مخلد ، حدثنا عبد الله بن المبارك عن سفيان عن أبى عمرو عن أبى هريرة قال : « لما نزلت (ثلة من الأولين

وثلة من الآخرين)[١] . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنتم ربع أهل الجنة ، أنتم ثلث أهل الجنة ، أنتم نصف أهل الجنة . أنتم ثلثا أهل الجنة » قال الطبرانى : تفرد برفعه ابن المبارك عن الثورى .

وقال خثيمة بن سليمان القرشى : حدثنا أبو قلابة هو عبد الملك بن محمد بن بكار الصيرفى ، حدثنا حماد بن عيسى ، حدثنا سفيان الثورى عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « أهل الجنة عشرون ومائة صف أنتم منها ثمانون صفاً » وهذه الأحاديث قد تعددت طرقها واختلفت مخارجها وصح سند بعضها ولا تنافى بينها وبين حديث الشطر ، لأنه صلى الله عليه وسلم رجا أولا أن يكونوا شطر أهل الجنة ، فأعطاه الله سبحانه رجاءه ، وزاد عليه سدساً آخر .

وقد روى أحمد فى مسنده من حديث أبى الزبير أنه سمع جابراً يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «أرجو أن يكون من يتبعنى من أمتى يوم القيامة ربع أهل الجنة » قال : فكبرنا ، ثم قال : فأرجو أن تكونوا الشطر » وإسناده على شرط مسلم .

---

(١) سورة الواقعة الآيتان ٣٩ و ٤٠ .

الباب الحادى والثلاثون

فى أن النساء فى الجنة أكثر من الرجال وكذلك هم فى النار

ثبت فى الصحيحين من حديث أيوب عن محمد بن سيرين قال : « أما تفاخروا وأما تذاكروا الرجال أكثر فى الجنة أم النساء ؟ فقال أبو هريرة : ألم يقل أبو القاسم صلى الله عليه وسلم : إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر والتى تليها على أضوإ كوكب درى فى السماء لكل امرىء منهم زوجتان اثنتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم » ، ومافى الجنة عزب ، فإن كن من نساء الدنيا فالنساء فى الدنيا أكثر من الرجال ، وإن كن من الحور العين لم يلزم أن يكن فى الدنيا أكثر .

والظاهر أنهن من الحور العين لما رواه الإمام أحمد : حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة ، حدثنا يونس عن محمد بن سيرين ، عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم : « للرجل من أهل الجنة زوجتان من الحور العين على كل واحدة سبعون حلة يرى مخ ساقها من وراء الثياب » .

فإن قيل : فكيف تجمعون بين هذا الحديث وبين حديث جابر المتفق عليه : شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم العيد صلى قبل أن يخطب بغير أذان ولا إقامة ، ثم خطب بعد ما صلى فوعظ الناس وذكرهم ، ثم أتى النساء فوعظهن ومعه بلال فذكرهن وأمرهن بالصدقة قال : فجعلت المرأة تلقى خاتمها ، وخرصها والشىء كذلك ، فأمر النبى صلى الله عليه وسلم بلالا فجمع ما هناك ، قال : إن منكن فى الجنة ليسير ، فقالت امرأة : يارسول الله ، لم ؟ قال : إنكن تكثرن اللعن ، وتكفرن العشير » .

وفى الحديث الآخر : « إن أقل ساكنى الجنة النساء » .

قيل : هذا يدل على أنهن إنما كن فى الجنة أكثر بالحور العين التى

خلقن فى الجنة وأقل ساكنيها نساء الدنيا ، فنساء الدنيا أقل أهل الجنة ، وأكثر أهل النار » .

وأما كونهن أكثر أهل النار ، فلما روى البخارى فى صحيحه من حديث عمران بن حصين قال : بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اطلعت فى النار فرأيت أكثر أهلها النساء ، واطلعت فى الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء »

وفى صحيح مسلم عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «اطلعت فى الجنة فرأيت أكثر أهلها من الفقراء ، واطلعت فى النار فرأيت أكثر أهلها النساء » .

وروى الإمام أحمد بإسناد صحيح عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اطلعت فى النار فرأيت أكثر أهلها النساء ، واطلعت فى الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء »

وفى المسند أيضاً من حديث عبدالله بن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «اطلعت فى الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء. واطلعت فى النار فرأيت أكثر أهلها الأغنياء والنساء » .

وفى الصحيح من حديث ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يامعشر النساء تصدقن وأكثرن الاستغفار ، فإنى رأيتكن أكثر أهل النار، فقالت امرأة منهن خدلة : ومالنا يارسول الله أكثر أهل النار ؟ قال : تكثرن اللعن ، وتكفرن العشير ، ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذى لب منكن ، قالت : يارسول الله وما نقصان العقل والدين ؟قال : أما نقصان العقل فشهادة امرأتين تعدل بشهادة رجل ، فهذا نقصان العقل ، وتمكث الأيام لا تصلى وتفطر ، فهذا نقصان الدين »

وأما كونهن أقل أهل الجنة ، ففى أفراد مسلم عن مطرف بن عبد الله : أنه

كانت له امرأتان ، فجاء من عند إحداهما ، فقالت الأخرى جئت من عند فلانة ، فقال : جئت من عند عمران بن حصين ، فحدثنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن أقل ساكنى الجنة النساء » .

فإن قيل : فما تصنعون بالحديث الذى رواه أبو يعلى الموصلى ، حدثنا عمرو ابن الضحاك بن مخلد ، حدثنا أبو عاصم الضحاك بن مخلد ، حدثنا أبو رافع إسماعيل ابن رافع عن محمد بن زياد عن محمد بن كعب القرظى عن رجل من الأنصار عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو فى طائفة من أصحابه، نذكر حديثاً طويلا وفيه : « فيدخل الرجل منهم على ثنتين وسبعين زوجة مما ينشىء الله تعالى ، وثنتين من ولد آدم لهما فضل على من أنشأ الله ، بعبادتهما الله فى الدنيا » وذكر الحديث .

قيل : هذا قطعة من حديث الصور الطويل ولا يعرف إلا من حديث إسماعيل ابن رافع ، وقدضعفه أحمد ويحيي وجماعة ، وقال الدارقطنى وغيره: متروك الحديث. وقال ابن عدى : أحاديثه كلها مما فيه نظر .

وأما البخارى فقال فيه ما حكاه الترمذى عنه قال : سمعت محمداً يقول فيه : هو ثقة مقارب الحديث .

قلت : ولكن إذا روى مثل هذا ما يخالف الأحاديث الصحيحة لم يلتفت إلى روايته ، وأيضاً فالرجل الذى روى عنه القرظى لا يدرى من هو ؟ .

وقد روى عنه أحمد فى مسنده من حديث عمارة بن خزيمة بن ثابت قال : كنا مع عمرو بن العاص فى حج أو عمرة حتى إذا كنا بمر الظهران فإذا امرأة فى هودجها . قال : فمال فدخل الشعب فدخلنا معه فقال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذا المكان ، فإذا نحن بغربان كثيرة فيها غراب أعصم أحمر المنقار والرجلين ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يدخل الجنة من النساء إلا مثل هذا الغراب فى هذه الغربان » والأعصم من الغربان الذى فى جناحه

ريشة بيضاء ، قال الجوهرى : ويقال هذا كقولهم : ألا بلق المقوق ، وبيض الانوق ، لكل شيء يعز وجوده .

وفى النهاية : الغراب الأعصم هو الأبيض الجناحين ، وقيل الأبيض الرجل ، أراد قلة من يدخل الجنة من النساء ، لأن هذا الوصف فى الغربان قليل عزيز .

وفى حديث آخر : « المرأة الصالحة مثل الغراب الأعصم . قيل : وما الغراب الأعصم يا رسول الله ؟ قال : الذى إحدى رجليه بيضاء »

وفى حديث آخر : « عائشة فى النساء ، كالغراب الأعصم فى الغربان » .

الباب الثانى والثلاثون

فيمن يدخل الجنة من هذه الأمة بغير حساب وذكر أوصافهم

ثبت فى الصحيحين من حديث الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يدخل الجنة من أمتى زمرة هم سبعون ألفاً تضيء وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر ، فقام عكاشة بن محصن الأسدى يرفع نمرة عليه ، فقال : يارسول الله ، ادع الله أن يجعلنى منهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم اجعله منهم ، فقام رجل من الأنصار فقال : يارسول الله ، ادع الله أن يجعلنى منهم ، فقال : سبقك بها عكاشة » .

وفى الصحيحين من حديث سهل بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ليدخلن الجنة من أمتى سبعون ألفاً بغير حساب أو سبعمائة ألف آخذ بعضهم ببعض حتى يدخل أولهم وآخرهم الجنة ، وجوههم على صورة القمر ليلة البدر » فهذه هى الزمرة الأولى ، وهم يدخلونها بغير حساب .

والدليل عليه ما ثبت فى الصحيحين والسياق لمسلم ، حدثنا سعيد بن منصور ، حدثنا هشام ، أنبأنا حصين بن عبد الرحمن قال : كنت عند سعيد بن جبير فقال : « أيكم الذى رأى الكوكب الذى انقض البارحة ؟ قلت : أنا ، ثم قلت : أما إنى لم أكن فى صلاة ولكنى لدغت . قال : فما صنعت ؟ قلت : استرقيت . قال : فما حملك على ذلك ؟ قلت : حديث حدثناه الشعبى . قال : وما حدثكم الشعبى ؟ قلت : حدثنا عن بريدة بن الحصيب الأسلمى أنه قال : لا رقية إلا من عين أو حمة ، فقال : قد أحسن من انتهى إلى ما سمع ، ولكن حدثنا ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « عرضت على الأمم فرأيت النبى ومعه الرهط ، والنبى معه الرجل والرجلان ، والنبى وليس معه أحد ، ورفع إلى سواد عظيم فظننت أنهم أمتى فقيل لى : هذا موسى وقومه ، ولكن انظر إلى الأفق ، فنظرت ، فإذا سواد عظيم ، فقيل لى : هذه أمتك ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب ، ثم نهض

فدخل منزله،فخاض الناس فى أولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب ، فقال بعضهم : لعلهم الذين صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم .وقال بعضهم : فلعلهم الذين ولدوا فى الإسلام فلم يشركوا بالله شيئا وذكروا أشياء ، فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ما الذى تخوضون فيه ؟ فأخبروه ، فقال : هم الذين لا يرقون ولا يسترقون ، ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون ، فقام عكاشة بن محصن فقال : ادع الله أن يجعلنى منهم ، فقال : أنت منهم ثم قام رجل آخر فقال :ادع الله أن يجعلنى منهم ، فقال : سبقك بها عكاشة » ، وليس عند البخارى لا يرقون .

قال شيخنا وهو الصواب ، وهذه اللفظة وقعت مقحمة فى الحديث ، وهى غلط من بعض الرواة ،فإن النبى صلى الله عليه وسلم جعل الوصف الذى يستحق به هؤلاء دخول الجنة بغير حساب ، وهو تحقيق التوحيد وتجريده فلا يسألون غيرهم أن يرقيهم ، ولا يتطيرون ، وعلى ربهم يتوكلون ، والطيرة نوع من الشرك ويتوكلون على اللهوحده لا على غيرهم ، وتركهم الاسترقاء والتطير هو من تمام التوكل على الله كما فى الحديث « الطيرة شرك » .

قال ابن مسعود : وما منا إلا من تطير ، ولكن الله يذهبه بالتوكل، فالتوكل ينافى التطير ، وأما رقية العين ، فهى إحسان من الراقى قد رقى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل وأذن فى الرقى وقال لا بأس بها مالم يكن فيها شرك ، واستأذنوه فيها فقال : « من استطاع منكم أن ينفع أخاه فلينفعه » ، وهذا يدل على أنها نفع وإحسان ، وذلك مستحب مطلوب لله ورسوله ، فالراقى محسن والمسترقى سائل راج نفع الغير والتوكل ينافى ذلك .

فإن قيل : فعائشة قد رقت رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبريل قد رقاه ، أجل ، ولكن هو لم يسترق ، وهو صلى الله عليه وسلم لم يقل : ولا يرقيهم راق ، وإنما قال : لا يطلبون من أحد أن يرقيهم ، وفى امتناعه صلى الله عليه وسلم أن يدعو الرجل الثانى سد لباب الطلب ، فإنه لو دعا لكل من سأله ذلك فربما طلبه من ليس من أهله . والله أعلم .

وفى صحيح مسلم من حديث محمد بن سيرين عن عمران بن حصين قال : قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً بغير حساب ولا عذاب ، قيل : ومن هم ؟ قال : هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون » .

وفي صحيحه أيضاً من حديث ابن الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله قال : « سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يذكر حديثاً طويلا ، وفيه فتنجو أول زمرة وجوههم كالقمر ليلة البدر سبعون ألفاً لا يحاسبون ، ثم الذين يلونهم كأضوإ نجم في السماء ، ثم كذلك » ، وذكر تمام الحديث .

وقال أحمد بن منيع في مسنده : حدثنا عبد الملك بن عبد العزيز ، حدثنا حماد عن عاصم عن زر عن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عرضت على الأمم بالموسم فتراءيت على أمتي ثم رأيتهم فأعجبني كثرتهم ، وهيئتهم قد ملؤا السهل والجبل ، فقال : إن مع هؤلاء سبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب . وهم الذين لا يسترقون ، ولا يكتوون ، وعلى ربهم يتوكلون ، فقام عكاشة بن محصن فقال : يارسول الله ، ادع الله أن يجعلني منهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنت منهم ، فقام رجل آخر ، فقال : سبقك بها عكاشة » ، وإسناده على شرط مسلم ،

الباب الثالث والثلاثون

فى ذكر حثيات الرب تبارك وتعالى الذين يدخلهم الجنة

قال أبو بكر بن أبى شيبة : حدثنا إسماعيل بن عياش عن محمد بن زياد قال : سمعت أبا أمامة الباهلى يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « وعدنى ربى أن يدخل الجنة من أمتى سبعين ألفاً بغير حساب ، مع كل ألف سبعون ألفاً لا حساب عليهم ولا عذاب وثلاث حثيات من حثيات ربى » .

قلت : وإسماعيل بن عياش إنما يخاف من تدليسه وضعفه ، فأما تدليسه فقد قال الطبرانى : حدثنا أحمد بن المعلى الدمشقى والحسين بن إسحق التسترى قالا : حدثنا هشام بن عمار قال : حدثنا إسماعيل بن عياش قال : أخبرنى محمد بن زياد الألهانى قال : سمعت أبا أمامة فذكره ، وأما ضعفه فإنما هو فى غير حديث الشاميين ، وهذا من روايته عن الشاميين ، وأيضا فقد جاء من غير طريقه .

قال أبو بكر بن أبى عاصم : حدثنا دحيم ، حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثنا صفوان بن عمرو عن سليم بن عامر عن أبى اليمان الهوزنى عن أبى أمامة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله وعدنى أن يدخل الجنة من أمتى سبعين ألفا بغير حساب ، قال يزيد ابن الأخنس : والله ما أولئك فى أمتك يارسول الله إلا مثل الذباب الأصفر فى الذباب ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فإن الله وعدنى سبعين ألفاً مع كل ألف سبعون ألفا وزاد فى ثلاث حثيات » .

قال أبو عبد الله المقدسى أبو اليمان اسمه عامر بن عبد الله بن لحى ودحيم لقب واسمه عبد الرحمن بن إبراهيم القاضى شيخ البخارى ، ومن فوقه إلى أبى أمامة من رجال الصحيح إلا الهوزنى . وما علمت فيه جرحا .

قال الطبرانى : حدثنا أحمد بن خليد ، حدثنا أبو توبة ، حدثنا معاوية بن

سلام عن زيد بن سلام أنه سمع أبا سلام يقول : حدثني عامر بن يزيد البكالي أنه سمع عتبة بن عبد السلمي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن ربي عز وجل وعدني أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفاً بغير حساب ، ثم يشفع كل ألف لسبعين ألفاً ، ثم يحثي ربي تبارك وتعالى بكفيه ثلاث حثيات ، فكبر عمر ، وقال : إن السبعين الأول يشفعهم الله في آبائهم وأبنائهم وعشائرهم وأرجو أن يجعلني الله في إحدى الحثيات الأواخر » قال الحافظ أبو عبدالله محمد بن عبد الواحد: لا أعلم لهذا الإسناد علة .

قال الطبراني : وحدثنا أحمد بن خالد ، حدثنا أبو توبة ، حدثنا معاوية بن سلام عن زيد بن سلام أنه سمع أبا سلام يقول : حدثني عبد الله بن عامر بن قيس الكندي أن أبا سعيد الأنماري حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن ربي عز وجل وعدني أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفاً بغير حساب ويشفع كل ألف لسبعين ألفاً ، ثم يحثي ربي ثلاث حثيات بكفيه ، قال ابن قيس : فقلت لأبي سعيد : أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم بأذني ووعاه قلبي ، قال أبو سعيد : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وذلك إن شاء الله يستوعب مهاجري أمتي ، ويوفي الله عز وجل بقيته من أعرابنا » قال الطبراني : لم يرو هذا الحديث عن أبي سعيد الأنماري إلا بهذا الإسناد وتفرد به معاوية ابن سلام . وقد رواه محمد بن سهل بن عسكر عن أبي توبة الربيع بن نافع بإسناده ، وفيه قال أبو سعيد : « فحسب ذلك عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فبلغ أربعمائة ألف ألف وتسعمائة ألف ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن ذلك يستوعب إن شاء الله مهاجري أمتي » .

قال الطبراني : حدثنا محمد بن صالح بن الوليد النرسي ، ومحمد بن يحيى بن منده الأصبهاني قالا : أخبرنا أبو حفص عمرو بن علي ، حدثنا معاذ بن هشام ، حدثني أبي عن قتادة عن أبي بكر بن أنس عن أبي بكر بن عمير عن أبيه أن

النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله وعدنى أن يدخل من أمتى ثلاثمائة ألف الجنة ، فقال عمير : يا رسول الله ، زدنا فقال : هكذا بيده ، فقال عمير : يارسول الله ، زدنا ، فقال عمر : حسبك ياعمير ، فقال : مالنا ولك يا ابن الخطاب ، وما عليك أن يدخلنا الله الجنة ، فقال عمر : إن الله عز وجل إن شاء أدخل الناس الجنة بحفنة أو بحثية واحدة ، فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم : صدق عمر » قال محمد بن عبد الواحد : لا أعرف لعمير حديثاً غيره .

وفى الحلية من حديث سليمان بن حرب ، حدثنا أبو هلال عن قتادة عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « وعدنى ربى عز وجل أن يدخل من أمتى الجنة مائة ألف ، فقال أبو بكر : يا رسول الله زدنا ، قال : وهكذا وأشار سليمان حرب بيده كذلك قال : يارسول الله زدنا ، فقال عمر : إن قادر أن يدخل الناس الجنة بحفنة واحدة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : صدق عمر » رواه عنه أبو إبراهيم بن الهيثم البلدى ، وفيه ضعف تفرد به ، أبو هلال الراسبى بصرى واسمه محمد بن سليمان .

وقال عبد الرزاق : أنبأنا معمر عن قتادة عن النضر بن أنس عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله وعدنى أن يدخل الجنة من أمتى أربعمائة ألف ، قال أبو بكر : زدنا يارسول الله ، قال : وهكذا وجمع بين يديه قال : زدنا يا رسول الله قال وهكذا ، فقال عمر حسبك يا أبا بكر فقال أبو بكر : دعنى وما عليك أن يدخلنا الجنة كلنا ! ! فقال عمر : إن شاء الله أدخل خلقه الجنة واحد ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : صدق عمر » تفرد به عبد الرزاق .

وقال أبو يعلى الموصلى فى مسنده : حدثنا محمد بن أبى بكر ، حدثنا عبد القاهر ابن السرى السلمى ، حدثنا حميد عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يدخل الجنة من أمتى سبعون ألفاً قالوا : زدنا يا رسول فقال : وهكذا وحثى بيده ، قالوا : يا نبى الله ، أبعد الله من دخل النار بعد هذا » قال محمد بن عبد الواحد

لا أعلمه ، روى عن أنس بهذا الطريق ، وسئل يحي بن معين عن عبد القاهر فقال: صالح ، وأصحاب هذه الحثيات هم الذين وقعوا فى قبضته الأولى سبحانه يوم القبضتين .

فإن قيل : فكيف كانوا أولا قبضة واحدة ثم صاروا ثلاث حثيات مع العدد المذكور ؟ قيل : الرب سبحانه وتعالى أخرج يوم القبضتين صورهم وأشباحهم ، وقد روى أنهم كانوا كالذر ، وأما يوم الحثيات ، فيكونون أتم ما كانوا خلقة وأكمل أجساماً ، فناسب أن تتعدد الحثيات بكلتا اليدين. والله أعلم .

الباب الرابع والثلاثون

فى ذكر تربة الجنة وطينتها وحصبائها وبنائها

قال الإمام أحمد : حدثنا أبو النضر وأبو كامل قالا : أنبأنا زهير ، حدثنا سعيد الطائى ، حدثنا أبومدله مولى أم المؤمنين سمع أباهريرة يقول : « قلنايارسول الله إذا رأيناك رقت قلوبنا وكنا من أهل الآخرة ، وإذا فارقناك أعجبتنا الدنيا وشممنا النساء والأولاد ، قال: لو تـكونون على كل حال على الحال التى أنتم عليها عندى لصافحتـكم الملائـكة بأكفهم ولزارتـكم فى بيوتـكم ، ولو لم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون كى يغفر الله لهم ، قال قلنا : يارسول الله ، حدثنا عن الجنة ما بناؤها ؟ قال : لبنة ذهب ولبنة فضة ، وملاطهاالمسك، وحصباؤهااللؤلؤ والياقوت، وترابها الزعفران ، ومن يدخلها ينعم لا ييأس ، ويخلد لا يموت ، لا تبلى ثيابه ، ولا يفنى شبابه ، ثلاثة لا ترد دعوتهم : الإمام العادل والصائم حتى يفطر ، ودعوة المظلوم تحمل على الغمام ، وتفتح لها أبواب السموات ،ويقول الرب : وعزتى وجلالى لأنصرنك ولو بعد حين » .

وروى أبو بكر بن مردويه من حديث الحسن عن ابن عمر قال : « سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عن الجنة فقال : من يدخل الجنة يحيا لا يموت وينعم لا ييأس ، لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه ، قيل : يارسول الله كيف بناؤها ؟ قال : لبنة من ذهب ولبنة من فضة ، وملاطها مسك أذفر ، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت ، وترابها الزعفران » هكذا جاء فى هذه الاحاديث أن ترابها الزعفران .

وكذلك روى عن يزيد بن زريع ، حدثنا سعيد عن قتادة عن العلاء بن زياد عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة وترابها الزعفران وطينها المسك » .

وفى الصحيحين من حديث الزهرى عن أنس بن مالك قال : « كان أبو ذر يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أدخلت الجنة فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ ، وإذا ترابها المسك » وهو قطعة من حديث المعراج .

وقد روى مسلم فى صحيحه من حديث حماد بن سلمة عن الحريرى عن أبى نضرة عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سأل ابن صياد عن تربة الجنة ، فقال : درمكة بيضاء مسك خالص ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : صدق » ثم رواه عن أبى بكر بن أبى شيبة ، عن أبى أسامة عن الحريرى ، عن أبى نضرة أن ابن صياد سأل النبى صلى الله عليه وسلم عن تربة الجنة فقال : « درمكة بيضاء مسك خالص » .

وقال سفيان بن عيينة عن مجالد عن الشعبي عن جابر بن عبدالله قال: « جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد قد غلب أصحابك اليوم ، قال : وبأى شيء غلبوا ؟ قال : سألهم اليهود كم عدد خزنة النار ، فقالوا : لا ندرى ، حتى نسأل نبينا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أيغلب قوم سئلوا عما لا يعلمون. فقالوا حتى نسأل نبينا ؟ ! ! ولكن هم أعداء الله سألوا نبيهم أن يريهم الله جهرة، على بأعداء الله فإنى سائلهم عن تربة الجنة وأنها درمكة ، فلما أن جاؤوه قالوا : يا أبا القاسم كم عدة خزنة النار ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بيديه كلتيهما هكذا وهكذا ، وقبض واحدة أى تسعة عشر ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما تربة الجنة ؟ فنظر بعضهم إلى بعض وقالوا : خبزة يا أبا القاسم ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم الخبزة من الدرمكة » .

فهذه ثلاث صفات فى تربتها لا تعارض بينها ، فذهبت طائفة من السلف إلى أن تربتها متضمنة للنوعين : المسك والزعفران . قال أبو بكر بن أبى شيبة : حدثنا محمد بن أبى عبيد عن أبيه عن الأعمش عن مالك بن الحارث قال : قال مغيث بن سمى : الجنة ترابها المسك والزعفران ، ويحتمل معنيين آخرين :

أحدهما : أن يكون التراب من زعفران ، فإذا عجن بالماء صار مسكا ، والطين

يسمى تراباً ، ويدل على هذا قوله فى اللفظ الآخر : ملاطها المسك ، والملاط الطين ، ويدل عليه أن فى حديث العلاء بن زياد : « ترابها الزعفران وطينها المسك » فلما كانت تربتها طيبة وماؤها طيباً فانضم أحدهما إلى الآخر حدث لهما طيب آخر فصار مسكا .

المعنى الثانى : أن يكون زعفراناً باعتبار اللون مسكا باعتبار الرائحة ، وهذا من أحسن شيء يكون ، البهجة والإشراق لون الزعفران والرائحة رائحة المسك ، وكذلك تشبيهها بالدرمك وهو الخبز الصافى الذى يضرب لونه إلى صفرة مع لينها ونعومتها ، وهذا معنى ما ذكره سفيان بن عيينة عن أبى نجيح عن مجاهد بهذا ، أرض الجنة من فضة وترابها المسك ، فاللون فى البياض لون الفضة والرائحة رائحة المسك .

وقد ذكر ابن أبى الدنيا من حديث أبى بكر بن أبى شيبة عن عمر بن عطاء بن زرارة عن سالم بن المغيث عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم « أرض الجنة بيضاء عرصتها صخور الكافور ، وقد أحاط به المسك مثل كثبان الرمل ، فيها أنهار مطردة ، فيجتمع فيها أهل الجنة أدناهم وآخرهم فيتعارفون فيبعث الله ريح الرحمة ، فتهيج عليهم ريح المسك ، فيرجع الرجل إلى زوجته وقد ازداد حسناً وطيباً فتقول : لقد خرجت من عندى وأنا بك معجبة ، وأنا بك الآن أشد إعجاباً » .

وقال ابن أبى شيبة : حدثنا معاوية بن هشام ، حدثنا على بن صالح عن عمر ابن ربيعة عن الحسن عن ابن عمر قال : « قيل يارسول الله ، كيف بناء الجنة ؟ قال : لبنة من فضة ولبنة من ذهب وملاطها مسك أذفر وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت وترابها الزعفران » .

وقال أبو الشيخ : حدثنا الوليد بن أبان ، حدثنا أسيد بن عاصم حدثنا الحوضى ، حدثنا عدى بن الفضل ، حدثنا سعيد الحريرى عن أبى نضرة عن أبى سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله بنى جنات عدن بيده ، وبناؤها لبنة من ذهب ولبنة من فضة ، وجعل ملاطها المسك الأذفر ، وترابها الزعفران ،

وحصباءها اللؤلؤ، ثم قال لها: تكلمي، فقالت: قد أفلح المؤمنون، فقالت الملائكة: طوبى لك منزل الملوك » .

وقال أبو الشيخ : حدثنا عمرو بن الحسين ، حدثنا أبو علاثة ، حدثنا ابن جريج عن عطاء عن عبيد بن عمير عن أبي بن كعب قال :قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « قلت ليلة أسري بي يا جبريل إنهم سيسألوني عن الجنة ؟ قال : فأخبرهم أنها من درة بيضاء وأن أرضها عقيان » والعقيان : الذهب ، فإن كان ابن علاثة حفظه فهي أرض الجنتين الذهبيتين ، فيكون جبريل أخبره بأعلى الجنتين وأفضلهما . والله أعلم .

الباب الخامس والثلاثون

فى ذكر نورها وبياضها

قال أحمد بن منصور الرمادى : أنبأنا كثير بن هشام ، حدثنا هشام بن زياد وأبو المقدام عن حبيب بن الشهيد ، عن عطاء بن أبى رباح ، عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « خلق الله الجنة بيضاء ، وأحب الزى إلى الله البياض ، فليلبسه أحياؤكم وكفنوا فيه موتاكم ، ثم أمر برعاء الشاء فجمعت ، فقال : من كان منكم ذا غنم سود فليخلط بها بيضاء ، فجاءته امرأة فقالت : يا رسول الله ، إنى اتخذت غنما سوداً فلا أراها تنمو ، قال : عفرى » وقوله : (عفرى) أى بيضى .

وذكر أبو نعيم من حديث عباد بن عباد ، حدثنا هشام بن زياد عن يحى بن عبد الرحمن عن عطاء عن ابن عباس يرفعه : « إن الله خلق الجنة بيضاء ، وإن أحب اللون إلى الله البياض ، فليلبسه أحياؤكم وكفنوا فيه موتاكم » .

وذكر من طريق عبد الحميد بن صالح ، حدثنا أبو شهاب عن حمزة عن عمرو ابن دينار عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عليكم بالبياض ، فإن الله خلق الجنة بيضاء فليلبسه أحياؤكم وكفنوا فيه موتاكم » .

وروينا من طريق البخارى ، حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثنا سويد بن سعيد ، حدثنا عبد ربه الحنفى عن خاله الزميل بن السماك أنه سمع أباه يحدث أنه لقى عبد الله ابن عباس بالمدينة بعد ما كف بصره فقال : « يا ابن عباس ، ما أرض الجنة ؟ قال : مرمرة بيضاء من فضة كأنها مرآة ، قلت : فما نورها ؟ قال : ما رأيت الساعة التى تكون فيها قبل طلوع الشمس فذلك نورها إلا أنه ليس فيها شمس ولا زمهرير » وذكر الحديث . وسيأتى إن شاء الله تعالى .

وفى حديث لقيط بن عامر الطويل الذى رواه عبد الله بن أحمد فى مسند أبيه عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وذكر الحديث ، وقال : « وتحتبس الشمس والقمر

فلا يرون منهما واحداً ، قال : قلت يارسول الله فبم نبصر ؟ قال : مثل بصرك فى ساعتك هذه ، وذلك مع طلوع الشمس فى يوم أشرقته الأرض وواجهته الجبال » .

وفى سنن ابن ماجه من حديث الوليد بن مسلم ، عن محمد بن مهاجر ، عن الضحاك المغافرى ، عن سليمان بن موسى حدثنى كريب أنه سمع أسامة بن زيد يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا هل مشمر للجنة فإن الجنة لا خطر لها ، هى ورب الكعبة نور يتلألأ ، وريحانة تهتز ، وقصر مشيد ، ونهر مطرد ، وثمرة نضيجة ، وزوجة حسناء جميلة ، وحلل كثيرة ، ومقام فى أبد فى دار سليمة ، وفاكهة وخضرة وحبرة ونعمة فى محلة عالية بهية ، قالوا : نعم يا رسول الله ، نحن المشمرون لها ، قال : قولوا إن شاء الله ، قال القوم : إن شاء الله » .

الباب السادس والثلاثون

فى ذكر غرفها وقصورها ومقاصيرها

قال الله تعالى : (لـكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية)[1] فأخبر أنها غرف فوق غرف وأنها مبنية بناء حقيقة لئلا تتوهم النفوس أن ذلك تمثيل وأنه ليس هناك بناء بل تتصور النفوس غرفا مبنية كالملالى بعضها فوق بعض ، حتى كأنها ينظر إليها عياناً ، ومبنية صفة للغرف الأولى والثانية ، أى لهم منازل مرتفعة وفوقها منازل أرفع منها ، وقال تعالى : (أولئك يجزون الغرفة بما صبروا)[2] ، والغرفة جنس كالجنة ، وتأمل كيف جمل جزاءهم على هذه الأقوال المتضمنة للخضوع والذل والاستـكانة لله الغرفة والتحية والسلام فى مقابلة صبرهم على سوء خطاب الجاهلين لهم ، فبدلوا بذلك سلام الله وملائـكته عليهم .

وقال تعالى : (وما أموالـكم ولا أولادكم بالتى تقربـكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحاً فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم فى الغرفات آمنون)[3] ،وقال تعالى : (يغفر لـكم ذنوبكم ويدخلـكم جنات تجرى من تحتها الأنهار ، ومساكن طيبة فى جنات عدن)[4] ، وقال تعالى عن امرأة فرعون إنها قالت : (رب ابن لى عندك بيتاً فى الجنة)[5] .

وروى الترمذى فى جامعه من حديث عبد الرحمن بن إسحق عن النعمان بن سعيد ، عن على قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن فى الجنة لغرفاً يرى ظهورها من بطونها ، وبطونها من ظهورها ، فقام أعرابى فقال : يارسول الله، لمن هى ؟ قال : لمن طيب الـكلام ، وأطعم الطعام ، وأدام الصيام، وصلى بالليل والناس

---

(١) سورة الزمر آية ٢٠ .
(٢) سورة الفرقان آية ٧٥ .
(٣) سورة سبأ آية ٣٧ .
(٤) سورة الصف آية ١٢ .
(٥) سورة التحريم آية ١١ .

نيام » قال الترمذى : هذا حديث غريب ، لا نعرفه إلا من حديث عبد الرحمن ابن إسحاق .

وقال الطبراني : حدثنا عبدان بن أحمد ، حدثنا هشام بن عمار ، حدثنا الوليد ابن مسلم ، حدثنا معاوية بن سلام عن زيد بن سلام ، قال : حدثنى أبو معانق الأشعرى ، حدثنى أبو مالك الأشعرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن الجنة غرفاً يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها ، أعدها الله لمن أطعم الطعام ، وأدام الصيام ، وصلى بالليل والناس نيام » .

وقال ابن وهب : حدثنا حي عن عبد الرحمن ، عن عبدالله بن عمرو ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن في الجنة غرفاً يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها ، قال أبو مالك الأشعرى : لمن هى يارسول الله ؟ قال : لمن أطاب الكلام وأطعم الطعام ، وبات قائماً والناس نيام » .

قال محمد بن عبدالواحد ، وهو عندى إسناد حسن ، وذكر أبى مالك فيه يدل على صحته ، لأن أبا مالك قد رواه وإسناده أيضاً حسن ، وقد تقدم حديث أبى سعيد المتفق عن صحته : « إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف كما تراءون الكوكب الغابر من الأفق » .

وفى الصحيحين من حديث أبى موسى الأشعرى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن للمؤمن فى الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلا ، فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضاً » ، وقد تقدم قوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح : « من بنى مسجداً بنى الله له بيتاً فى الجنة » ، وقوله فى حديث أبى موسى : « يقول عز وجل لمن حمد واسترجع عند موت ولده : ابنوا لعبدى بيتاً فى الجنة وسموه بيت الحمد » .

وفى الصحيحين من حديث عبدالله بن أبى أوفى وأبى هريرة وعائشة « أن جبريل قال للنبي صلى الله عليه وسلم : هذه خديجة أقرئها السلام من ربها ، وأمره أن يبشرها

ببيت في الجنة ، من قصب لا صخب فيه ولا نصب » والقصب ههنا : قصب اللؤلؤ المجوف .

وقد روى ابن أبى الدنيا من حديث يزيد بن هرون ، عن حماد بن سلمة ، عن عكرمة عن أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم : قال« إن فى الجنة لقصراً من لؤلؤ ليس فيه صدع ولا وهن ، أعده الله عز وجل لخليله إبراهيم » .

وفى الصحيحين من حديث حميد عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أدخلت الجنة فإذا أنا بقصر من ذهب فقلت : لمن هذا القصر ؟ قالوا : لشاب من قريش فظننت أنى أنا هو ، فقلت : ومن هو ؟ قالوا لعمر بن الخطاب » وهو فيهما من حديث جابر ولفظه : « فأتيت على قصر مربع مشرف من ذهب » وقد تقدم .

وقال ابن أبى الدنيا : حدثنا شجاع بن الأشرس قال : سمعت عبد العزيز بن أبى سلمة الماجشون عن حميد عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « دخلت الجنة فإذا فيها قصر أبيض قال : قلت لجبريل : لمن هذا القصر ؟ قال : لرجل من قريش ، فرجوت أن أكون أنا ، فقلت : لأى قريش؟ قال : لعمر بن الخطاب » وهذا إن كان محفوظاً فبياضه نوره وإشراقه وضياؤه . والله أعلم .

وقال الحسن : قصر من ذهب لا يدخله إلا نبى أو صديق أو شهيد أو حكم عدل يرفع بها صوته .

وقال الأعمش عن مالك بن الحرث عن مغيث بن سمى قال : إن الجنة قصوراً من ذهب ، وقصوراً من فضة ، وقصوراً من لؤلؤ ، وقصوراً من ياقوت ، وقصوراً من زبرجد . وقال الأعمش عن مجاهد عن عبيد بن عمير ، قال : إن أدنى أهل الجنة منزلة من له دار من لؤلؤة واحدة منها غرفها وأبوابها .

وروى البيهقى من حديث حفص بن عمر ، حدثنا بن قيس الملائى عن عطاء ابن أبى رباح ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن فى الجنة لغرفاً فإذا كان ساكنها فيها لم يخف عليه ما خلفها ، وإذا كان خلفها لم يخف

عليه ما فيها ، قيل : لمن هى يارسول الله ؟ قال : لمن أطاب الكلام ، وواصل الصيام ، وأطعم الطعام ، وأفشى السلام ، وصلى والناس نيام ، قال: وما طيب الكلام ؟ قال : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، فإنها تأتى يوم القيامة ، ولها مقدمات ومعقبات ، قيل : وما وصال الصيام ؟ قال : من صام شهر رمضان ثم أدرك شهر رمضان فصامه . قيل : وما إطعام الطعام ؟ قال : من قات عياله وأطعمهم ، قيل : وما إفشاء السلام ؟ قال : مصافحة أخيك وتحيته ، قيل : وما الصلاة والناس نيام ؟ قال : صلاة العشاء الآخرة » قال حفص بن عمر : هذا مجهول لم يروه عنه غير على بن حرب . فيما أعلم .

قلت : هذا يلقب بالكفرة ـ بفتح الكاف وسكون الفاء ـ وقد روى عنه محمد بن غالب تمتام وعلى بن حرب وهما ثقتان ، ولكن ضعفه ابن عدى وابن حبان وحديثه هذا له شواهد . والله أعلم .

وفى فوائد ابن السماك : حدثنا عبد الرحمن بن محمد بن منصور ، حدثنا أبى ، حدثنا عبد الرحمن بن عبد المؤمن قال : سمعت محمد بن واسع يذكر عن الحسن ، عن جابر بن عبدالله قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : «ألا أحدثكم بغرف الجنة؟ قال : قلنا : بلى يا رسول الله بأبينا أنت وأمنا ، قال : إن فى الجنة غرفاً من أصناف الجوهر ، كله يرى ظاهرها من باطنها ، وباطنها من ظاهرها ، فيها من النعيم واللذات مالا عين رأت ولا أذن سمعت ، قال : قلنا: يارسول الله ، لمن هذه الغرف ؟ قال : لمن أفشى السلام ، وأطعم الطعام ، وأدام الصيام ، وصلى بالليل والناس نيام ، قال : قلنا : يارسول الله ، ومن يطيق ذلك ؟ قال : أمتى تطيق ذلك ، وسأخبركم عن ذلك : من لقى أخاه فسلم عليه فقد أفشى السلام ، ومن أطعم أهله وعياله من الطعام حتى يشبعهم فقد أطعم الطعام ، ومن صام رمضان ، ومن كل شهر ثلاثة أيام ، فقد أدام الصيام ، ومن صلى صلاة العشاء الأخيرة فى جماعة فقد صلى الليل والناس نيام ـ اليهود والنصارى والمجوس » وهذا الإسناد وإن كان لا يحتج به وحده ، فإذا انضم إليه ما تقدم استفاد قوة مع أنه قد روى بإسنادين آخرين .

الباب السابع والثلاثون

فى ذكر معرفتهم لمنازلهم ومساكنهم إذا دخلوا الجنة وإن لم يروها قبل ذلك

قال تعالى : (والذين قتلوا فى سبيل الله فلن يضل أعمالهم * سيهديهم ويصلح بالهم * ويدخلهم الجنة عرفها لهم)[1] قال مجاهد : يهتدى أهلها إلى بيوتهم ومساكنهم لا يخطئون كأنهم ساكنوها منذ خلقوا لا يستدلون عليها أحداً ،

وقال ابن عباس فى رواية أبى صالح : « هم أعرف بمنازلهم من أهل الجمعة إذا انصرفوا إلى منازلهم » ، وقال محمد بن كعب : يعرفونها كما تعرفون بيوتكم فى الدنيا ، إذا انصرفتم من يوم الجمعة . هذا قول جمهور المفسرين وتلخيص أقوالهم ما قاله أبو عبيدة عرفها لهم أى بينها لهم حتى عرفوها من غير استدلال .

وقال مقاتل بن حيان : بلغنا أن الملك الموكل بحفظ بنى آدم يمشى فى الجنة ويتبعه ابن آدم حتى يأتى أقصى منزل هو له فيعرفه ، كل شىء أعطاه الله فى الجنة ، فإذا دخل إلى منزله وأزواجه انصرف الملك عنه . وقال سلمة بن كهيل : طرقها لهم. ومعنى هذا : أنه طرقها لهم حتى يهتدوا إليها .

وقال الحسن : وصف الله الجنة فى الدنيا لهم فإذا دخلوها عرفوها بصفتها . وعلى هذا القول فالتعريف وقع فى الدنيا ، ويكون المعنى يدخلهم الجنة التى عرفها لهم ، وعلى القول الأول يكون التعريف واقعاً فى الآخرة هذا كله إذا قيل إنه من التعريف .

وفيها قول آخر : إنه من العرف وهو الرائحة الطيبة ، وهذا اختيار الزجاج ، أى طيبها . ومنه طعام معرف أى مطيب .

وقيل : هو من العرف ، وهو التتابع أى تابع لهم طيباتها وملاذها ، والقول

---

(١) سورة محمد الآيات ٤ ـ ٦ .

هو الأول ، وأنه سبحانه أعلمها وبينها بما يعلم به كل أحد منزله وداره فلا يتعداه إلى غيره .

وفى صحيح البخارى من حديث قتادة عن أبى سعيد الخدرى أن نبى الله صلى الله عليه وسلم قال : « إذا خلص المؤمنون من النار حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار ، يتقاصون مظالم كانت بينهم فى الدنيا حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم بدخول الجنة ، والذى نفسى بيده إن أحدهم بمنزله فى الجنة أدل منه بمسكنه كان فى الدنيا » .

وفى سند آخر من حديث أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والذى بعثنى بالحق ما أنتم فى الدنيا بأعرف بأحوالكم ومساكنكم من أهل الجنة بأزواجهم ومساكنهم إذا دخلوا الجنة » .

الباب الثامن والثلاثون

فى كيفية دخولهم الجنة وما يستقبلون عند دخولها

وقد تقدم قوله تعالى : (وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً)[1] وقال تعالى : (يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً)[2] .

وقال ابن أبى الدنيا : حدثنا محمد بن عباد بن موسى العكلى ، حدثنا يحى ابن سليم الطائفى ، حدثنا إسماعيل بن عبدالله المكى ، حدثنا أبو عبدالله أنه سمع الضحاك بن مزاحم يحدث عن الحرث عن على أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية : (يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً)[2] قال : قلت يارسول الله ، ما الوفد إلا ركب ؟ قال النبى صلى الله عليه وسلم : « والذى نفسى بيده إنهم إذا خرجوا من قبورهم استقبلوا بنوق بيض لها أجنحة عليها رحال الذهب، شرك نعالهم نور يتلألأ كل خطوة منها مثل مد البصر ، وينتهون إلى باب الجنة ، فإذا حلقة من ياقوتة حمراء على صفائح الذهب ، وإذا شجرة على باب الجنة ينبع من أصلها عينان ، فإذا شربوا من إحداها جرت فى وجوههم نضرة النعيم ، وإذا توضأوا من الأخرى لم تشعث أشعارهم أبداً ، فيضربون الحلقة بالصفيحة ، فلو سمعت طنين الحلقة فيبلغ كل جوراء أن زوجها قد أقبل فتستخفها العجلة فتبعث قيمتها فيفتح له الباب ، فلو أن الله عز وجل عرفه نفسه لخر ساجداً مما يرى من النور والبهاء ، فيقول : أنا قيمك الذى وكلت بأمرك ، فيتبعه فيقفو أثره ، فيأتى زوجته فتستخفها العجلة فتخرج من الخيمة فتعانقه وتقول : أنت حبى وأنا حبك ، وأنا الراضية فلا أسخط أبداً ، وأنا الناعمة فلا أبأس أبداً ، والخالدة فلا أظعن أبداً ، فيدخل بيتاً من أساسه إلى سقفه مائة ذراع مبنى على جندل اللؤلؤ والياقوت طرائق حمر

---

(١) سورة الزمر آية ٧٣ .
(٢) سورة مريم آية ٨٥ .

وطرائق خضر وطرائق صفر ، ما منها طريقة تشاكل صاحبتها ، فيأتى الأريكة فإذا عليها سرير على السرير سبعون فراشاً عليهاسبعون زوجة على كل زوجة سبعون حلة يرى مخ ساقها من باطن الجلد يقضى جماعهن فى مقدار ليلة ، تجرى من تحتهم أنهار مطردة أنهار من ماء غير آسن صاف ليس فيه كدر ، وأنهارمن عسل مصفى لم يخرج من بطون النحل ، وأنهار من خمر لذة للشاربين لم تعصره الرجال بأقدامها ، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه لم يخرج من بطون الماشية ، فإذا اشتهوا الطعام ، جاءتهم طيور بيض ، فترفع أجنحتها فيأكلون من جنوبها من أى الألوان شاؤوا ، ثم تطير فتذهب ، فيها ثمار متدلية ، إذا اشتهوها انشعب الغصن إليهم ، فيأكلون من أى الثمار شاؤوا ، إن شاء قائماً وإن شاء متكئاً ، وذلك قوله عز وجل : (وجنى الجنتين دان) وبين أيديهم خدم كاللؤلؤ » هذا حديث غريب ، وفى رفعه نظر ، والمعروف أنه موقوف على على ، وقال ابن أبى الدنيا : حدثنا محمد بن عمر بن سليمان ، حدثنا محمد بن فضيل عن عبد الرحمن بن إسحاق عن النعمان ابن سعد فى هذه الآية : (يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً)[1] . قال : « أما والله لا يحشر الوفد على أرجلهم ، ولكن يؤتون بنوق لم تر الخلائق مثلها ، عليها رحال الذهب ، وأزمتها الزبرجد ، فيركبون عليها حتى يضربوا باب الجنة » .

وقال على بن الجعد فى الجعديات : أنبأنا زهير بن معاوية ، عن أبى إسحاق ، عن عاصم بن ضمرة عن على قال : « يساق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً ، حتى إذا انتهوا إلى باب من أبوابها وجدوا عنده شجرة يخرج من تحت ساقها عينان تجريان ، فعمدوا إلى إحداهما كأنما أمروا بها فشربوا منها ، فأذهبت ما فى بطونهم من أذى وقذى وبأس ، ثم عمدوا إلى الأخرى فتطهروا منها فجرت عليهم نضرة النعيم ، فلن تغير أبشارهم أو تغير بعدها أبداً ولن تشعث أشعارهم كأنما دهنوا بالدهان ، ثم انتهوا إلى خزنة الجنة فقالوا : سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين . قال : ثم تلقاهم الولدان يطيفون بهم كما يطيف ولدان أهل الدنيا بالحميم يقدم من غيبته ، فيقولون : أبشر بما أعد الله لك من الكرامة . كذا قال ، ثم

---

(١) سورة مريم آية ٨٥ .

ينطلق غلام من أولئك الولدان إلى بعض أزواجه من الحور العين فيقول : قد جاء فلان باسمه الذى يدعى به فى الدنيا فتقول : أنت رأيته ؟ فيقول : أنا رأيته ، وهو ذا بأثرى ، فيستخف إحداهن الفرح حتى تقوم على أسكفة بابها ، فإذا انتهى إلى منزله نظر إلى أساس بنائه ، فإذا جندل اللؤلؤ فوقه صرح أخضر وأصفر وأحمر من كل لون ، ثم رفع رأسه فنظر إلى سقفه ، فإذا مثل البرق ، فلولا أن الله قدره له لألم أن يذهب بصره ، ثم طأطأ رأسه فنظر إلى أزواجه ، وأكواب موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابى مبثوثة ، فنظروا إلى تلك النعمة ، ثم اتكئوا وقالوا : الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله . ثم ينادى مناد : تحيون فلا تموتون أبدا ، وتقيمون فلا تظعنون أبدا ، وتصحون فلا تمرضون أبداً » .

وقال عبدالله بن المبارك : أنبأنا سليمان بن المغيرة عن حميد بن هلال قال : « ذكر لنا أن الرجل إذا دخل الجنة صور صورة أهل الجنة ، وألبس لباسهم وحلى حليهم ، ورأى أزواجه وخدمه ، ويأخذه سوار الفرح لو كان ينبغى أن يموت لمات من سوار فرحه ، فيقال له : أرأيت سوار فرحتك هذه ، فإنها قائمة لك أبداً » .

قال ابن المبارك ، وأخبرنا راشد بن سعد : أنبأنا زهرة بن معبد القرشى عن أبى عبد الرحمن الجيلى قال : « إن العبد أول ما يدخل الجنة يتلقاه سبعون ألف خادم كأنهم اللؤلؤ » .

قال ابن المبارك ، وأنبأنا يحيى بن أيوب ، حدثنى عبيد الله بن زحر ، عن محمد بن أبى أيوب المخزومى ، عن أبى عبد الرحمن المعافرى قال : « إنه ليصف للرجل من أهل الجنة سماطان لا يرى طرفاهما من غلمانه ، حتى إذا مر مشوا وراءه » .

وقال أبو نعيم : أنبأنا أبو سلمة عن الضحاك قال : « إذا دخل المؤمن الجنة دخل أمامه ملك فأخذ به فى سككها ، فيقول له : انظر ما ترى ؟ قال : أرى أكثر

قصور رأيتها من ذهب وفضة ، وأكثر أنيس . فيقول له الملك : فإن هذا أجمع لك، حتى إذا رفع إليهم استقبلوه من كل باب ، ومن كل مكان يقولون : نحن لك ، ثم يقول : امش ، فيقول : ماذا ترى ، فيقول : أرى أكثر عساكر رأيتها من خيام وأكثر أنيس ، قال : فإن هذا أجمع لك ، فإذا رفع إليهم استقبلوه فقالوا : نحن لك نحن لك » .

وفى الصحيحين من حديث سهل بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ليدخلن الجنة من أمتى سبعون ألفاً أو سبعمائة ألف متماسكون آخذ بعضهم ببعض لا يدخل أولهم حتى يدخل آخرهم ، وجوههم على صورة القمر ليلة البدر ».

الباب التاسع والثلاثون

فى ذكر صفة أهل الجنة فى خلقهم وخلقهم وطولهم وعرضهم ومقدار أسنانهم

قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق قال : حدثنا معمر عن همام عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خلق الله عز وجل آدم على صورته طوله ستون ذراعا فلما خلقه قال له : اذهب فسلم على أولئك النفر ، وهم نفر من الملائكة جلوس فاستمع ما يحيونك ، فإنها تحيتك وتحية ذريتك ، قال : فذهب فقال : السلام عليكم ، فقالوا : السلام عليك ورحمة الله قال : فكل من يدخل الجنة على صورة آدم طوله ستون ذراعا ، فلم يزل ينقص الخلق بعده حتى الآن » متفق على صحته .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد بن هرون وعفان بن مسلم قالا : حدثنا حماد ابن سلمة ، عن على بن زيد بن جدعان ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبى هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يدخل أهل الجنة الجنة جرداً مرداً بيضاً جماداً مكحلين أبناء ثلاث وثلاثين وهم على خلق آدم ستون ذراعاً فى عرض سبعة أذرع » قيل : تفرد به حماد عن على بن زيد .

وفى جامع الترمذى من حديث شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم عن معاذ ابن جبل أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « يدخل أهل الجنة الجنة جرداً مرداً مكحلين أبناء ثلاث وثلاثين » قال هذا حديث حسن غريب .

وقال أبو بكر بن أبى داود : حدثنا محمود بن خالد وعباس بن الوليد قال : حدثنا عمر عن الأوزاعى عن هرون بن رئاب عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يبعث أهل الجنة على صورة آدم فى ميلاد ثلاث وثلاثين سنة جرداً مرداً مكحلين ، ثم يذهب بهم إلى شجرة فى الجنة فيكسون منها لا تبلى ثيابهم ولا يفنى شبابهم » .

وقال الترمذى : حدثنا سويد بن نصر حدثنا عبدالله بن المبارك عن رشيدين ابن سعد عن عمرو بن الحارث أن دراجا أبا السمح حدثه عن أبى الهيثم عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من مات من أهل الجنة من صغير أو كبير يردون بنى ثلاثين سنة فى الجنة لا يزيدون عليها أبداً . وكذلك أهل النار » فإن كان هذا محفوظاً لم يناقض ماقبله ، فإن العرب إذا قدرت بعدد له نيف فإن لهم طريقين ، تارة يذكرون النيف للتحرير وتارة يحذفونه ، وهذا معروف فى كلامهم وخطاب غيرهم من الأمم .

وقال ابن أبى الدنيا : حدثنا القاسم بن هشام ، حدثنا صفوان بن صالح ، حدثنا رواد بن الجراح العسقلانى ، حدثنا الأوزاعى عن هارون بن رباب عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يدخل أهل الجنة الجنة على طول آدم ستين ذراعا بذراع الملك ، على حسن يوسف ، وعلى ميلاد عيسى ، ثلاث وثلاثين سنة ، وعلى لسان محمد ، مرد مكحلون » .

وقال ابن وهب: حدثنا معاوية بن صالح ، عن عبد الوهاب بن بخت، عن أبى الزناد ، عن الأعرج ، عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن أهل الجنة يدخلون الجنة على قدر آدم ستون ذراعا ، وعلى ذلك قطعت سررهم » .

وقد تقدم أن أول زمرة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر، وأن الذين يلونهم على ضوء أشد كوكب فى السماء إضاءة . وأما الأخلاق فقد قال تعالى : (ونزعنا مافى صدورهم من غل إخواناً على سرر متقابلين)[1] ، فأخبر عن تلاقى قلوبهم وتلاقى وجوههم . وفى الصحيحين : « أخلاقهم على خلق رجل واحد على صورة أبيهم آدم عليه السلام ستون ذراعاً فى السماء » والرواية على خلق ـ بفتح الخاء وسكون اللام ـ والأخلاق كما تكون جمعاً للخلق بالضم فهى جمع للخلق بالفتح ، والمراد : تساويهم فى الطول والعرض والسن وإن تفاوتوا فى الحسن والجمال ، ولهذا فسره بقوله على صورة أبيهم آدم عليه السلام ستون ذراعاً فى السماء ، وأما أخلاقهم وقلوبهم ففى الصحيحين من حديث أبى هريرة : « أول زمرة تلج الجنة » الحديث .

---

(١) سورة الحجر آية ٤٧ .

وقد تقدم وفيه لا اختلاف بينهم ولا تباغض ، قلوبهم على قلب رجل واحد، يسبحون الله بكرة وعشية ، وكذلك وصف الله سبحانه وتعالى نساءهم بأنهم أتراب. أى : فى سن واحدة ليس فيهن العجائز والشواب ، وفى هذا الطول والعرض والسن من الحكمة مالا يخفى ، فإنه أبلغ وأكمل فى استيفاء اللذات ؛ لأنه أكمل سن القوة مع عظم آلات ، وباجتماع الأمرين يكون كمال اللذة وقوتها ، بحيث يصل فى اليوم الواحد إلى مائة عذراء ، كما سيأتى إن شاء الله تعالى ، ولا يخفى التناسب الذى بين هذا الطول والعرض ، فإنه لو زاد أحدهما على الآخر فات الاعتدال وتناسب الخلقة، يصير طولا مع دقة أو غلظاً مع قصر ، كلاهما غير مناسب ، والله أعلم .

الباب الأربعون

فى ذكر أعلى أهل الجنة منزلة وأدناهم ،

أعلاهم منزلة سيد ولد آدم صلوات الله وسلامه عليه

قال تعالى : (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات ، وآتينا عيسى ابن مريم البينات)[1] ، قال مجاهد وغيره : منهم من كلم الله موسى ، ورفع بعضهم درجات ، هو محمد صلى الله عليه وسلم ، وفى حديث الإسراء المتفق على صحته : أنه صلى الله عليه وسلم ، لما جاوز موسى قال : « رب لم أظن أن ترفع على أحدا » ، ثم علا فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله ، حتى جاوز سدرة المنتهى :

وفى صحيح مسلم من حديث عمرو بن العاص أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ، ثم صلوا على ، فإنه من صلى على صلاة واحدة صلى الله عليه عشرا ، ثم سلوا لى الوسيلة ، فإنها منزلة فى الجنة لاتنبغى إلا لعبد من عباد الله ، وأرجو أن أكون أنا هو ، فمن سأل لى الوسيلة حلت له الشفاعة » .

وفى صحيح مسلم من حديث المغيرة بن شعبة عن النبى صلى الله عليه وسلم : « إن موسى سأل ربه : ما أدنى أهل الجنة منزلة ؟ فقال : رجل يجىء بعد ما دخل أهل الجنة الجنة ، فيقال له : ادخل الجنة ، فيقول : رب كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم ؟ فيقال له : أترضى أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا ، فيقول : رضيت رب ، فيقول لك ذلك ومثله ومثله ومثله ومثله ، فقال فى الخامسة : رضيت رب ، قال : رب فأعلاهم منزلة ؟ قال : أولئك الذين أردت غرست كرامتهم بيدى ، وختمت عليهم فلم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر » :

---

(١) سورة البقرة آية ٢٥٣ .

وقال الترمذي : حدثنا عبد بن حميد ، أنبأنا شبابة عن إسرائيل عن ثوير قال: سمعت ابن عمر يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر إلى جناته وأزواجه ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة ألف عام ، وأكرمهم على الله من ينظر إلى وجهه غدوة وعشية ، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : (وجوه يومئذ ناضرة . إلى ربها ناظرة)[1] قال : وقد روى هذا الحديث من غير وجه ، عن إسرائيل ، عن ثوير ، عن ابن عمر غير مرفوع . قال : ورواه عبد الملك بن أبجر ، عن ثوير ، عن ابن عمر موقوفاً ، ورواه عبد الله الأشجعي ، عن سفيان ، عن ثوير ، عن مجاهد ، عن ابن عمر نحوه ولم يرفعه .

قلت: ورواه الطبراني في معجمه من حديث أبي معاوية : عن عبد الملك بن أبجر ، عن ثوير ، عن ابن عمر مرفوعاً : « إن أدنى أهل الجنة منزلة لرجل ينظر في ملكه ألف سنة يرى أقصاه كما يرى أدناه ، ينظر إلى أزواجه وسرره وخدمه » الحديث . ورواه أبو نعيم ، عن إسرائيل ، عن ثوير قال : سمعت ابن عمر يقول : قال إسرائيل : لا أعلم ثويرا إلا رفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا حسن هو ابن موسى، حدثنا سكين بن عبد العزيز، حدثنا أبو الأشهب الضرير ، عن شهر بن حوشب ، عن أبي هريرة قال :قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إن أدنى أهل الجنة منزلة سبع درج وهو على السادسة وفوقه السابعة ، وإن له ثلثمائة خادم ويغدى عليه ويراح كل يوم بثلثمائة صحفة ولا أعلمه ، قال :إلا من ذهب في كل صحفة لون ليس في الآخر ، وإنه ليلذ أوله كما يلذ آخره، وعن الأشربة بثلثمائة إناء في كل إناء لون ليس في الآخر، وإنه ليلذ أوله كما يلذ آخره، وإنه ليقول : يارب لو أذنت لي لأطعمت أهل الجنة وسقيتهم لم ينقص مما عندي شيء ، وإن له من الحور العين لاثنتين وسبعين زوجة سوى أزواجه من الدنيا ، وإن الواحدة منهن لتأخذ مقعدها قدر ميل من الأرض » .

قلت : سكين بن عبد العزيز ضعفه النسائي وشهر بن حوشب ضعفه مشهور والحديث منكر يخالف الأحاديث الصحيحة ، فإن طول ستين ذراعا لا يحتمل أن يكون مقعد صاحبه بقدر ميل من الأرض . والذي في الصحيحين ، في أول زمرة

(١) سورة القيامة الآيتان ٢٢ و ٢٣ .

تابع الجنة : لكل امرىء منهم زوجتان من الحور العين ، فكيف يكون لأدناهم اثلتان وسبعون من الحور العين ؟ وأقل ساكنى الجنة نساء الدنيا ، فكيف يكون لأدنى أهل الجنة جماعة منهن ؟ وأيضاً فإن الجنتين الذهبيتين أعلى من الفضيتين ؟ فكيف يكون أدناهم فى الذهبيتين ؟

قال الدولابى : شهر بن حوشب لا يشبه حديثه حديث الناس ، وقال ابن عون ابن حوشب : شهراً تركوه ، وقال النسائى وابن عدى : ليس بالقوى ، وقال أبو حاتم : لا يحتج به وتركه شعبة ويحيى بن سعد ، وهذان من أعلم الناس بالحديث، ورواته وعلله ، وإن كان غير هؤلاء ، قد وثقه وحسن حديثه ، فلا ريب أنه إذا انفرد بما يخالف ما رواه الثقات لم يقبل . والله أعلم .

الباب الحادي والأربعون

في تحفة أهل الجنة إذا دخلوها

روى مسلم في صحيحه من حديث ثوبان قال : « كنت قائما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجاء حبر من أحبار اليهود فقال : السلام عليك يا محمد ، فدفعته دفعة كاد يصرع منها ، فقال : لم تدفعني ؟ فقلت : ألا تقول يا رسول الله ؟ فقال اليهودي : إنما ندعوه باسمه الذي سماه به أهله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن اسمي محمداً الذي سماني به أهلي ، فقال اليهودي : جئت أسألك ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أينفعك بشيء إن حدثتك ؟ فقال : أسمع بأذني ، فنكت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعود معه ، فقال : سل ؟ فقال اليهودي : أين تكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : في الظلمة دون الجسر ، قال : فمن أول الناس أجازة يوم القيامة ؟ قال : فقراء المهاجرين ، قال اليهودي : فما تحفتهم حين يدخلون الجنة ؟ قال : زيادة كبد النون ، قال : فما غذاؤهم على أثرها ؟ قال : ينحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل من أطرافها ، قال : فما شرابهم ؟ قال من عين فيها تسمى سلسبيلا ، قال : صدقت ، قال : وجئت أسألك عن شيء لا يعلمه أحد من أهل الأرض إلا نبي أو رجل أو رجلان ، قال : أينفعك إن حدثتك ؟ قال : أسمعك بأذني ، قال : جئت أسألك عن الولد ؟ قال: ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر ، فإذا اجتمعا فعلا مني الرجل مني المرأة أذكرا بإذن الله تعالى ، وإن علا مني المرأة مني الرجل آنثا بإذن الله تعالى ، قال اليهودي . لقد صدقت وإنك لنبي ، ثم انصرف . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد سألني عنه ومالي علم بشيء منه ، حتى آتاني الله عز وجل به » .

وفي صحيح البخاري عن أنس قال : « سمع عبد الله بن سلام مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، وهو في أرض يخترف ، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم

فقال : « إنى سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبى : فما أول أشراط الساعة ؟ وما أول طعام أهل الجنة ؟ وما ينزع الولد إلى أبيه أو إلى أمه ؟ قال : أخبرنى بهن جبريل آنفاً ، قال : جبريل ؟ قال نعم ، قال ذاك عدو اليهود من الملائكة، فقرأ هذه الآية : (قل من كان عدواً لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله)[1] أما أول أشراط الساعة : فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب ، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة : فزيادة كبد الحوت ، وإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد، وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزعت ، قال : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله، يا رسول الله ، إن اليهود قوم بهت ، وإنهم إن يعلموا بإسلامى قبل أن تسألهم يبهتونى ، فجاءت اليهود فقال : أى رجل عبدالله فيكم ؟ قالوا : خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا ، قال : أفرأيتم إن أسلم عبدالله ؟ فقالو : أعاذه الله من ذلك ، فخرج عبدالله فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ، فقالوا : شرنا وابن شرنا وانتقصوه ، فقال : هذا الذى كنت أخاف يارسول الله » .

وفى الصحيحين من حديث عطاء بن يسار ، عن أبى سعيد الخدرى قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : « تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفؤها الجبار بيده كما يتكفأ أحدكم خبزته فى السفر لأهل الجنة ، فأتى رجل من اليهود فقال : بارك الرحمن عليك يا أبا القاسم ، ألا أخبرك بنزل أهل الجنة يوم القيامة ؟ قال : بلى ، قال: تكون الأرض خبزة واحدة ، كما قال النبى صلى الله عليه وسلم ، فنظر النبى صلى الله عليه وسلم إلينا ثم ضحك حتى بدت نواجذه ، ثم قال : ألا أخبرك بأدامهم ؟ قال : أدامهم بالأدم والنون قال : وما هذا ؟ قال : ثور ونون يأكل من زيادة كبدهما سبعون ألفا » .

وقال عبدالله بن المبارك : حدثنا ابن لهيعة ، حدثنى يزيد بن أبى حبيب ، أن أبا الخير أخبره ، أن أبا العوام أخبره ، أنه سمع كعباً يقول : « إن الله عز وجل يقول لأهل الجنة : ادخلوها إن لكل ضيف جزورا ، وإنى أجزركم اليوم ، فأتى بثور وحوت ، فيجزر لأهل الجنة .

(١) سورة البقرة آية ٩٧ .

الباب الثانى والأربعون

فى ذكر ريح الجنة ومن مسيرة كم ينشق

قال الطبرانى : حدثنا موسى بن حازم الأصبهانى ، حدثنا محمد بن بكير الحضرمى، حدثنا مروان بن معاوية الفزارى ، عن الحسن بن عمرو ، عن مجاهد ، عن جنادة ابن أبى أمية ، عن عبدالله بن عمرو ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من قتل قتيلا من أهل الذمة لم يرح رائحة الجنة ، وأن ريحها ليوجد من مسيرة مائة عام » ورواه البخارى فى الصحيح ، عن قيس بن حفص ، عن عبد الواحد بن زياد ، عن الحسن بن عمرو الفقيمى ، عن مجاهد ، عن عبدالله بن عمرو ولم يذكر بينهما جنادة . وقال : « ليوجد من مسيرة أربعين عاما » .

وقال الترمذى : حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا معدى بن سليمان هو البصرى ، عن ابن عجلان ، عن أبيه ، عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ألا من قتل نفسا معاهدا له ذمة الله وذمة رسوله ، فقد أخفر بذمة الله، فلا يراح رائحة الجنة ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة سبعين خريفاً » .

قال : وفى الباب عن أبى بكرة وحديث أبى هريرة حديث حسن صحيح قال محمد ابن عبد الواحد وإسناده عندى على شرط الصحيح .

قلت : وقد رواه الطبرانى من حديث عيسى بن يونس ، عن عوف الأعرابى ، عن محمد ابن سيرين ، عن أبى هريرة يرفعه : « من قتل نفساً معاهدة بغير حقها لم يرح رائحة الجنة ، وإن ريح الجنة يوجد من مسيرة مائة عام » .

وقال الطبرانى : حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، عن عبد الرزاق ، عن قتادة ، عن الحسن أو غيره ، عن أبى بكرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ريح الجنة يوجد من مسيرة مائة عام » ، وهذه الألفاظ لا تعارض بينها بوجه .

وقد أخرجا فى الصحيحين من حديث أنس قال : « لم يشهد عمى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدراً ، قال : فشق عليه ، قال : أول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم غبت عنه ، فإن أرانى الله مشهداً فيما بعد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليرين الله ما أصنع ، قال : فهاب أن يقول غيرها ، قال : فشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد ، قال : فاستقبل سعد بن معاذ فقال له : أين ؟ فقال: واها لريح الجنة أجده دون أحد ، قال : فقاتلهم حتى قتل ، قال : فوجد فى جسده بضع وثمانون من بين ضربة وطعنة ورمية . فقالت أخته عمة الربيع بنت النضر : فما عرفت أخى إلا ببنانه ، ونزلت هذه الآية : (من المؤمنين رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه)[1] . قال : فكانوا يرون أنها نزلت فيه وفى أصحابه »
وريح الجنة نوعان : ريح يوجد فى الدنيا تشمه الأرواح أحيانا لا تدركه العباد ، وريح يدرك بحاسة الشم للأبدان ، كما تشم روائح الأزهار وغيرها ، وهذا يشترك أهل الجنة فى إدراكه فى الآخرة من قرب وبعد ، وأما فى الدنيا فقد يدركه من شاء الله من أنبيائه ورسله ، وهذا الذى وجده أنس بن النضر يجوز أن يكون من هذا القسم ، وأن يكون من الأول . والله أعلم .

وقال أبو نعيم : حدثنا محمد بن معمر ، حدثنا محمد بن أحمد المؤذن ، حدثنا عبد الواحد بن غياث ، أنبأنا الربيع بن بدر ، وحدثنا هرون بن رياب عن مجاهد عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن رائحة الجنة توجد من مسيرة خمسمائة عام » .

وقال الطبرانى : حدثنا محمد بن عبدالله الحضرمى ، حدثنا محمد بن أحمد بن محمد ابن طريف ، حدثنا محمد بن كثير ، حدثنى جابر الجعفى عن أبى جعفر محمد بن على عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ريح الجنة يوجد من مسيرة ألف عام ، والله لا يجدها عاق ولا قاطع رحم » .

وقال أبو داود الطيالسى فى مسنده : حدثنا شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من ادعى

(١) سورة الأحزاب آية ٢٣ .

إلى غير أبيه لم يرح رائحة الجنة ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام ، وقد أشهد الله سبحانه عباده فى هذه الدار آثاراً من آثار الجنة وأنموذجا منها من الرائحة الطيبة ، واللذات المشتهاة ، والمناظر البهية ، والفاكهة الحسنة . والنعيم والسرور ، وقرة العين .

وقد روى أبو نعيم من حديث الأعمش عن أبى سفيان عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يقول الله عز وجل للجنة : طيبي لأهلك فتزداد طيباً ، فذلك البرد الذى يجده الناس بالسحر من ذلك ، كما جعل سبحانه نار الدنيا وآلامها وغمومها وأحزانها تذكرة بنار الآخرة ، قال تعالى فى هذه النار : (نحن جعلناها تذكرة)[1] وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن شدة الحر والبرد من أنفاس جهنم ؛ فلابد أن يشهد عباده أنفاس جنته وما يذكرهم بها . والله المستعان .

(١) سورة الواقعة آية ٧٣ .

الباب الثالث والأربعون

فى الأذان الذى يؤذن به مؤذن الجنة فيها

روى مسلم فى صحيحه من حديث أبى سعيد الخدرى وأبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ينادى مناد : آن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً ، وآن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبداً ، وآن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً ، وآن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبداً » ، وذلك قول الله عز وجل : (ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون)[1] . قال عثمان بن أبى شيبة : حدثنا يحيى بن آدم ، حدثنا حمزة الزيات ، عن أبى إسحق ، عن الأغر ، عن أبى هريرة وأبى سعيد عن النبى صلى الله عليه وسلم « (ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون)قال :نودوا أن صحوا فلاتسقموا أبداً ، واخلدوا فلاتموتوا أبداً، وانعموا فلا تبأسوا أبداً » .

وفى صحيح مسلم من حديث حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن عبد الرحمن ابن أبى ليلى ، عن صهيب أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إذا دخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، نادى مناد : يا أهل الجنة ، إن لكم عندالله موعدا ، فيقولون : ما هو ؟ ألم يثقل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة وينجنا من النار ؟ فيكشف الحجاب فينظرون إلى الله ، فو الله ما أعطاهم الله شيئا هو أحب إليهم من النظر إليه » .

وقال عبد الله بن المبارك : أنبأنا أبو بكر الألهانى ، أخبرنى أبو تميم الهجيمى ، قال : سمعت أبا موسى الأشعرى يخطب على منبر البصرة يقول : إن الله عز وجل يبعث يوم القيامة ملكا إلى أهل الجنة ، فيقول : يا أهل الجنة ، هل أنجزكم الله ما وعدكم ؟ فينظرون فيرون الحلى والحلل والأنهار ، والأزواج المطهرة فيقولون :

---

(١) سورة الأعراف آية ٤٣ .

نعم ، قد أنجزنا ما وعدنا ، قالوا ذلك ثلاث مرات ، فينظرون فلا يفتقدون مما وعدوا فيقولون : نعم ، فيقول : قد بقي شيء ، إن الله يقول (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة)(١) : ألا إن الحسنى الجنة ، والزيادة النظر إلى وجه الله » .

وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله عز وجل يقول لأهل الجنة ، يا أهل الجنة ، فيقولون : لبيك ربنا وسعديك ، فيقول : هل رضيتم ؟ فيقولون : ومالنا لا نرضى وقد أعطيتنا مالم تعط أحداً من خلقك ، فيقول : أنا أعطيكم أفضل من ذلك ،قالوا : ربنا وأي شيء أفضل من ذلك ؟ قال : أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدا » ومن تراجم البخاري عليه باب كلام الرب مع أهل الجنة : وسيأتي في هذا أحاديث نذكرها في باب معقود لذلك إن شاء الله .

وفي الصحيحين من حديث نافع عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يدخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، ثم يقوم مؤذن بينهم فيقول : يا أهل الجنة لا موت ويا أهل النار لا موت ، كل خالد فيما هو فيه » وهذا الأذان وإن كان بين الجنة والنار فهو يبلغ جميع أهل الجنة والنار ، ولهم فيها نداء آخر يوم زيارتهم ربهم تبارك وتعالى يرسل إليهم ملكا ، فيؤذن فيهم بذلك فيتسارعون إلى الزيارة ، كما يؤذن مؤذن الجمعة إليها ، وذلك في مقدار يوم الجمعة ، كما سيأتي مبينا في باب زيارتهم الرب عز وجل . والله أعلم .

---

(١) سورة يونس آية ٢٦ .

الباب الرابع والأربعون

فى أشجار الجنة وبساتينها وظلالها

قال تعالى: (وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين فى سدر مخضود، وطلح منضود، وظل ممدود، وماء مسكوب، وفاكهة كثيرة. لا مقطوعة ولا ممنوعة)(١)، وقال تعالى: (ذواتا أفنان) وهو جمع فنن وهو الغصن، وقال: (فيها فاكهة ونخل ورمان).

والمخضود: الذى قد خضد شوكه أى نزع وقطع، فلا شوك فيه. هذا قول ابن عباس ومجاهد ومقاتل وقتادة وأبى الأحوص وقسامة بن زهير وجماعة. واحتج هؤلاء بحجتين:

إحداها: أن الخضد فى اللغة القطع، وكل رطب قضبته فقد خضدته، وخضدت الشجر إذا قطعت شوكه فهو خضيد ومخضود، ومنه الخضد، على مثال الثمر، وهو كل ما قطع من عود رطب خضد بمعنى مخضود كقبض وسلب، والخضاد شجر رخو لا شوك فيه.

الحجة الثانية: قال ابن أبى داود: حدثنا محمد بن مصفى، حدثنا محمد ابن المبارك، حدثنا يحيى بن حمزة، حدثنا ثور بن يزيد، حدثنى حبيب بن عبيد عن عتبة بن السلمى قال: «كنت جالساً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجاء أعرابى فقال: يارسول الله، أسمعك تذكر فى الجنة شجرة لا أعلم شجرة أكثر شوكا منها - يعنى الطلح - فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله جعل مكان كل شوكة منها ثمرة مثل خصوة التيس الملبود فيها سبعون لونا من الطعام لا يشبه لون آخر» (الملبود) الذى قد اجتمع شعره بعضه على بعض، وقال عبد الله بن المبارك: أنبأنا صفوان بن عمرو، عن سليم بن عامر قال: «كان أصحاب رسول الله صلى الله

---

(١) سورة الواقعة الآيات ٢٧ - ٣٣.

عليه وسلم يقولون إن شاء الله لينفعنا بالأعراب ومسائلهم ، أقبل أعرابى يوماً ، فقال : يارسول الله ، ذكر الله فى الجنة شجرة مؤذية وما كنت أرى فى الجنة شجرة تؤذى صاحبها ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وما هى ؟ قال: السدر ، فإن له شوكا مؤذياً . قال : أليس الله يقول : فى سدر مخضود ؟ ! ! خضد الله شوكه فجعل مكان كل شوكة ثمرة » وقالت طائفة : المخضود هو : الموقر حملا . وأنكر عليهم هذا القول وقالوا : لا يعرف فى اللغة الخضد بمعنى الحمل ، ولم يصب هؤلاء الذين أنكروا هذا القول ، بل هو قول صحيح ، وأربابه ذهبوا إلى أن الله سبحانه وتعالى لما خضد شوكه وأذهبه ، وجعل مكان كل شوكة ثمرة أوقرت بالحمل . والحديثان المذكوران يجمعان القولين .

وكذلك قول من قال : المخضود الذى لا يعقر اليد ولا يرد اليد عنه شوك ولا أذى فيه،فسره بلازم المعنى ، وهكذا غالب المفسرين يذكرون لازم المعنى المقصود تارة ، وفرداً من أفراده تارة ، ومثالا من أمثلته فيحكيها الجامعون للغث والسمين أقوالا مختلفة، ولا اختلاف بينها .

فصل

وأما الطلح ، فأكثر المفسرين قالوا : إنه شجرة الموز . قال مجاهد : أعجبهم طلح وج وحسنه ، فقيل لهم : « وطلح منضود » وهذا قول على بن أبى طالب ، وابن عباس ، وأبى هريرة ، وأبى سعيد الخدرى .

وقالت طائفة أخرى : بل هو شجر عظام طوال ، وهو شجر البوادى الكثير الشوك عند العرب، قال حاديهم :

بشرها دليلها وقالا غدا ترين الطلح والجبالا

ولهذا الشجر نور ورائحة وظل ظليل ، وقد نضد بالحمل والثمر مكان الشوك . وقال ابن قتيبة : هو الذى نضد بالحمل أو بالورق والحمل من أوله إلى آخره ، فليس له ساق بارز ، وقال مسروق : ورق الجنة نضيد من أسفلها إلى أعلاها ، وأنهارها تجرى من غير أخدود .

وقال الليث : الطلح : شجر أم غيلان ليس له شوك أحجن من أعظم العضاه شوكا وأصلبه عوداً وأجوده صمغاً . قال أبو إسحاق : يجوز أن يعنى به شجر أم غيلان ، لأن له نوراً طيب الرائحة جداً ، فوعدوا بما يحبون مثله ، إلا أن فضله على ما فى الدنيا كفضل سائر ما فى الجنة على سائر ما فى الدنيا ، فإنه ليس فى الجنة مما فى الدنيا إلا الأسامى ، والظاهر أن من فسر الطلح المنضود بالموز ، إنما أراد التمثيل به لحسن نضده ، وإلا فالطلح فى اللغة : هو الشجر العظام من البوادى والله أعلم .

وفى الصحيحين من حديث أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها ، فاقرؤا إن شئتم ، وظل ممدود » .

وفى الصحيحين أيضاً من حديث أبى حازم عن سهل بن سعد ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن فى الجنة لشجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها » قال أبو حازم : فحدثنا به النعمان بن أبى عياش الزرقى فقال : حدثنى أبو سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إن فى الجنة لشجرة يسير الراكب الجواد المضمر السريع فى ظلها مائة عام لا يقطعها » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرحمن بن مهدى ، حدثنا شعبة عن أبى الضحاك ، سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها سبعين أو مائة سنة ، هى شجرة جنة الخلد » .

وقال وكيع : حدثنا إسماعيل بن أبى خالد ، عن زياد مولى بنى مخزوم ، عن الزهرى ، عن أبى هريرة رضى الله عنه : « إن فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام . اقرؤا إن شئتم وظل ممدود ، فبلغ ذلك كعباً فقال : صدق ، والذى أنزل التوراة على لسان موسى ، والفرقان على لسان محمد صلى الله عليه وسلم ، لو أن رجلا ركب جذعة أو جذعاً ، ثم دار بأصل تلك الشجرة مائة عام ما بلغها حتى يسقط هرماً ، إن الله غرسها بيده ونفخ فيها ، وإن أصلها من وراء سورة الجنة ، وما فى الجنة نهر إلا وهو يخرج من أصل تلك الشجرة » :

وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا إبراهيم عن سعيد الجوهرى ، حدثنا أبو عامر العقدى ، حدثنا ربيعة بن صالح عن سلمة بن وهران عن عكرمة عن ابن عباس قال: « الظل الممدود : شجرة فى الجنة على ساق قدر ما يسير الراكب المجد فى ظلها مائة عام فى كل نواحيها ، فيخرج إليها أهل الجنة أهل الغرف وغيرهم يتحدثون فى ظلها، قال فيشتهى بعضهم ويذكر لهو الدنيا ، فيرسل الله ريحا من الجنة فتحرك تلك الشجرة بكل لهو كان فى الدنيا » .

وفى جامع الترمذى من حديث أبى حامد عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما فى الجنة شجرة إلا وساقها من ذهب » قال هذا حديث حسن .

وعن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يقول الله أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، اقرؤا إن شئتم : (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون)(١) ، وفى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها ، اقرؤا إن شئتم (وظل ممدود) وموضع سوط من الجنة خير من الدنيا وما فيها ، اقرؤا إن شئتم (فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز)(٢) » ، رواه بهذا اللفظ والسياق الترمذى والنسائى وابن ماجه وصدره فى الصحيحين .

وفى صحيح البخارى من حديث أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن فى الجنة لشجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها ، وإن شئتم فاقرؤا (وظل ممدود وماء مسكوب)(٣) » وقال ابن أبى وهب : حدثنا عمرو بن الحارث أن دراجا أبا السمح حدثه عن أبى الهيثم عن أبى سعيد الخدرى قال : « قال رجل يارسول الله ، ما طوبى ؟ قال : شجرة فى الجنة مسيرة مائة سنة، ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها » ، وقد رواه عنه حرملة بزيادة وقال : أخبرنى ابن وهب ، أخبرنى عمرو ، أن دراجاً حدثه أن أبا الهيثم حدثه عن أبى سعيد

---

(١) سورة السجدة آية ١٧

(٢) سورة آل عمران آية ١٨٥ .

(٣) سورة الواقعة آية ٣١ .

الخدرى « أن رجلا قال: يا رسول الله ، طوبى لمن آراك وآمن بك ، فقال : طوبى لمن رآنى وآمن بى ، ثم طوبى، ثم طوبى، ثم طوبى لمن آمن بى ولم يرنى ، فقال رجل: يارسول الله ، وما طوبى ؟ قال : شجرة فى الجنة مسيرة مائة عام ، ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها » .

قلت : وأول هذا الحديث فى المسند ولفظه « طوبى لمن رآنى وآمن بى ، وطوبى لمن آمن بى ولم يرنى سبع مرات » .

وقال ابن المبارك : حدثنا سفيان عن حماد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : « نخل الجنة جذوعها من زمرد أخضر وكربها ذهب أحمر وسعفها كسوة لأهل الجنة منها مقطعاتهم وحللهم ، وثمرها أمثال القلال والدلاء ، أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل ، وألين من الزبد ليس فيها عجم » .

وقال الإمام أحمد بن على : حدثنا بحر ، حدثنا هشام بن يوسف ، حدثنا معمر عن يحيى بن أبى كثير عن عامر بن زيد البكالى أنه سمع عتبة بن عبد السلمى يقول: « جاء أعرابى إلى النبى صلى الله عليه وسلم فسأله عن الحوض وذكر الجنة ، ثم قال الأعرابى : فيها فاكهة ؟ قال : نعم وفيها شجرة تدعى طوبى ، فذكر شيئاً لا أدرى ما هو ؟ فقال : أى شجر أرضنا تشبهه ؟ قال : ليست تشبه شيئاً من شجر أرضك ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : أتيت الشام ؟ قال : لا ، قال تشبه شجرة بالشام تدعى الجوزة تنبت على ساق واحد وينفرش أعلاها ، قال ، ما عظم أصلها ؟ قال : لو ارتحلت جذعة من إبل أهلك ما أحاطت بأصلها حتى تنكسر ترقوتها هرما ، قال: فيها عنب . قال : فما عظم العنقود. قال: مسيرة شهر للغراب لايقع ولا يفتر ، قال : فما عظم الحبة . قال : هل ذبح أبوك تيساً من غنمه قط عظيما ؟ قال : نعم ، قال فسلخ إهابه فأعطاه أمك ، وقال لها : اتخذى لنا منه دلوا ؟ قال : نعم ، قال الأعرابى : فإن تلك الحبة لتشبعنى أنا وأهل بيتى ، قال : نعم وعامة عشيرتك » .

قال أبو يعلى الموصلى فى مسنده : حدثنا عبد الرحمن بن صالح ، حدثنا يونس بن بكير ، عن محمد وابن إسحاق ، عن يحيى بن عباد ، عن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عن أسماء بنت أبى بكر قالت : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذكر سدرة المنتهى فقال : يسير فى ظل الفنن منها الراكب مائة سنة ، أو

قال : يستظل فى الفنن منها مائة راكب فيها ، فراش الذهب كأن ثمرها القلال »
ورواه الترمذى وقال : شك يحي وهو حديث حسن غريب .

وقال عبدالله بن المبارك : أنبأنا ابن عيينة عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال :
« أرض الجنة من ورق وترابها مسك وأصول أشجارها ذهب وورق وأفنانها
لؤلؤ وزبرجد وياقوت ، والورق والثمر تحت ذلك ، فمن أكل قائماً لم يؤذه ، ومن
أكل جالساً لم يؤذه ، ومن أكل مضطجعاً لم يؤذه ، وذللت قطوفها تذليلا » .

وقال أبو معاوية : حدثنا الأعمش عن أبى ظبيان عن جرير بن عبدالله قال :
« نزلنا الصفاح ، فإذا رجل نائم تحت شجرة قد كادت الشمس أن تبلغه ، قال :
فقلت للغلام : انطلق بهذا النطع فأظله ، قال : فانطلق فأظله ، فلما استيقظ إذا هو
سلمان فأتيته أسلم عليه ، فقال : يا جرير ، تواضع لله ، فإن من تواضع لله رفعه الله يوم
القيامة ، يا جرير ، هل تدرى ما الظلمات يوم القيامة ؟ قلت : لا أدرى . قال : ظلم
الناس بينهم ، ثم أخذ عويداً لا أكاد أراه بين أصبعيه ، فقال : يا جرير ، إذا طلبت
مثل هذا فى الجنة لم تجده ، قلت يا عبد الله ، فأين النخل والشجر ؟ قال : أصولها
اللؤلؤ والذهب وأعلاها الثمر » .

الباب الخامس والأربعون

في ثمارها وتعداد أنواعها وصفاتها وريحانها

قال تعالى : (وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقاً قالوا هذا الذى رزقنا من قبل وأوتوا به متشابهاً ، ولهم أزواج مطهرة)[1] .

وقولهم هذا الذى زرقنا من قبل أى شبيهه ونظيره لا عينه ، وهل المراد هذا الذى رزقنا فى الدنيا نظيره من الفواكه والثمار ، أو هذا نظير الذى رزقناه قبل فى الجنة ؟

قيل : فيه قولان : ففى تفسير السدى عن أبى مالك وأبى صالح : عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قالوا : هذا الذى رزقناه من قبل أنهم أتوا بالثمرة فى الجنة ، فلما نظروا إليها قالوا : هذا الذى رزقنا من قبل فى الدنيا . قال مجاهد : ما أشبهه به ، وقال ابن زيد : هذا الذى رزقنا من قبل فى الدنيا ، وأتوا به متشابهاً يعرفونه ، وقال آخرون : هذا الذى رزقنا من قبل من ثمار الجنة ، من قبل هذا لشدة مشابهة بعضه بعضاً فى اللون والطعم . واحتج أصحاب هذا القول بحجج :

إحداها : أن المشابهة التى بين ثمار الجنة بعضها لبعض أعظم من المشابهة التى بينها وبين ثمار الدنيا ، ولشدة المشابهة قالوا : هذا هو .

الحجة الثانية : ما حكاه ابن جرير عنهم قال : ومن علة قائلى هذا القول أن ثمار الجنة كلما نزع منها شىء عاد مكانه آخر مثله كما كان . حدثنا ابن بشار ،

---

(٢) سورة البقرة الآية ٢٥ .

حدثنا ابن مهدى ، حدثنا سفيان سمعت ابن مرة يحدث عن أبى عبيدة وذكر ثمر الجنة ، وقال : كلما نزعت ثمرة عادت مكانها أخرى .

الحجة الثالثة : قوله : وأتوا به متشابهاً ، وهذا كالتعليل والسبب الموجب لقولهم هذا الذى رزقنا من قبل .

الحجة الرابعة : إن المعلوم أنه ليس كل مافى الجنة من الثمار قد رزقوه فى الدنيا وكثير من أهلها لا يعرفون ثمار الدنيا ولا رأوها ، ورجحت طائفة منهم ابن جرير وغيره القول الآخر ، واحتجت بوجوه . قال ابن جرير : والذى يحقق صحة قول القائلين : أن معنى ذلك هذا الذى رزقنا من قبل فى الدنيا أن الله جل ثناؤه قال : (كلما رزقوا منها من ثمرة رزقاً) يقولون : هذا الذى رزقنا من قبل ، ولم يخصص أن ذلك من قبلهم فى بعض دون بعض ، فإذا كان قد أخبر جل ذكره عنهم أن ذلك من قيلهم كلما رزقوا ثمرة ، فلا شك أن ذلك من قيلهم فى أول رزق رزقوه من ثمارها أتوا به بعد دخولهم الجنة واستقرارهم فيها ، الذى لم يتقدمه عندهم من ثمارها ثمرة ، فإذا كان لا شك أن ذلك من قيلهم فى أوله كما هو من قيلهم فى وسطه وما يتلوه ، فمعلوم أنه محال أن يقولوا لأول رزق رزقوه من ثمار الجنة : هذا الذى رزقنا من قبل هذا من ثمار الجنة ، وكيف يجوز أن يقولوا لأول رزق من ثمارها ولما يتقدمه عندهم غيرها هذا هو الذى رزقنا من قبل ، إلا أن ينسبهم ذو غية وضلال إلى قيل الكذب ، الذى قد طهرهم الله منه أو يدفع دافع أن يكون ذلك من قيلهم الأول ، رزق يرزقونه من ثمارها فيدفع صحة ما أوجب الله صحته من غير نصب ، دلالة على أن ذلك فى حال من أحوالهم دون حال . فقد تبين أن معنى الآية كلما رزقوا من ثمرة من ثمار الجنة فى الجنة قالوا : هذا الذى رزقنا من قبل فى الدنيا .

قلت : أصحاب القول الأول يخصون هذا العام بما عدا الرزق الأول ، لدلالة العقل والسياق عليه ، وليس هذا ببدع من طريقة القرآن وأنت مضطر إلى تخصيصه ولا بد بأنواع من التخصيصات :

أحدها : أن كثيراً من ثمار الجنة وهى التى لا نظير لها فى الدنيا ، لا يقال فيها ذلك .

الثانى : أن كثيرمن أهلها لم يرزقوا جميع ثمرات الدنيا التى لها نظير فى الجنة .

الثالث : أنه من المعلوم أنهم لا يستمرون على هذا القول أبد الآباد كلما أكلوا ثمرة واحدة قالوا: هذا الذى رزقنا فى الدنيا ، ويستمرون على هذا الكلام دائماً إلى غير نهاية ، والقرآن العظيم لم يقصد إلى هذا المعنى ولا هو مما يعتنى بهم من نعيمهم ولذتهم ، وإنما هو كلام مبين خارج على المعتاد المفهوم من الطيب .

ومعناه : أنه يشبه بعضه بعضاً ليس أوله خيراً من آخره ، ولا هو مما يعرض له ما يعرض لثمار الدنيا عند تقادم الشجر وكبرها من نقصان حملها وصغر ثمرها وغير ذلك ، بل أوله مثل آخره ، وآخره مثل أوله وهو خيار كله يشبه بعضه بعضاً ، فهذا وجه قولهم ولا يلزم مخالفة ما نصه الله سبحانه وتعالى ولا نسبة أهل الجنة إلى الكذب بوجه ، والذى يلزمهم من التخصص يلزمك نظيره وأكثر منه ، والله أعلم .

وأما قوله عز وجل : (وأتوا به متشابهاً) قال الحسن : خيار كله لارذل ، ألم تروا إلى ثمر الدنيا كيف تسترذلون بعضه وأن ذلك ليس فيه رذل ؟ وقال قتادة : خيارلا رذل فيه ، فإن ثمار الدنيا ينقى منها ويرذل منها ، وكذلك قال ابن جريج وجماعة ، وعلى هذا ، فالمراد بالتشابه التوافق والتماثل .

وقالت طائفة أخرى ، منهم ابن مسعود وابن عباس وناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : متشابهاً فى اللون والمرأى ، وليس يشبه الطعم ، قال مجاهد: متشابهاً لونه مختلفاً طعمه ، وكذا قال الربيع بن أنس ، وقال يحي بن أبى كثير « عشب الجنة الزعفران ، وكثبانها المسك ، ويطوف عليهم الولدان بالفاكهة فيأكلونها ثم يأتونهم بمثلها فيقولون : هذا الذى جئتمونا به آنفاً ،فيقول لهم الخدم: كلوا فإن اللون واحد والطعم مختلف ، فهو قوله عز وجل : (كلما رزقوا منها من ثمرة رزقاً قالوا هذا الذى رزقنا من قبل وأتوا به متشابهاً)[١] .

---

(١) سورة البقرة آية ٢٥ .

وقالت طائفة وناس معنى الآية : أن يشبه ثمر الدنيا غير أن ثمر الجنة أفضل وأطيب . قال ابن وهب : قال عبد الرحمن بن زيد: يعرفون أسماءه كما كانوا فى الدنيا التفاح بالتفاح ، والرمان بالرمان ، قالوا فى الجنة : هذا الذى رزقنا من قبل وأتوا به متشابهاً يعرفونه ، وليس هو مثله فى الطعم ، واختار ابن جرير هذا القول قال : ودليلنا على فساد قول من قال إن معنى الآية هذا الذى رزقنا من قبل أى فى الجنة ، وتلك الدلالة على فساد ذلك القول هى الدلالة على فساد قول من خالف قولنا فى تأويل قوله : وأتوا به متشابهاً . أن سبحانه وتعالى أخبر عن المعنى الذى من أجله قال القوم ، هذا الذى رزقنا من قبل وأتوا به متشابهاً .

قلت : وهذا لا يدل على فساد قولهم لما تقدم وقال : (جنات عدن مفتحة لهم الأبواب * متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب) وقال تعالى : (يدعون فيها بكل فاكهة آمنين) ، وهذا يدل على أمنهم من انقطاعها ومضرتها ، وقال تعالى : (وتلك الجنة التى أورثتموها بما كنتم تعملون * لكم فيها فاكهة كثيرة)(١) وقال تعالى : (وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة) أى لا تكون فى وقت دون وقت ، ولا تمنع ممن أرادها وقال : (فهو فى عيشة راضية * فى جنة عالية * قطوفها دانية) والقطوف : جمع قطف وهو مايقطف ، والقطف ، ـ بالفتح ـ الفعل ، أى ثمارها دانية قريبة ممن يتناولها فيأخذها كيف يشاء ، قال البراء بن عازب : يتناول الثمرة وهو نائم وقال تعالى : (ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا)(٢) ، قال ابن عباس : إذا هم أن يتناول من ثمارها تدلت له حتى يتناول ما يريد ، وقال غيره : قريب إليهم مذللة كيف شاؤا فهم يتناولونها قياماً وقعوداً ومضطجعين ، فيكون كقوله : (قطوفها دانية) . ومعنى تذليل القطف : تسهيل تناوله ، وأهل المدينة يقولون : ذلل النخل ، أى سو عروقها وأخرجها من السعف حتى يسهل تناولها ، وفى نصب دانية وجهان :

أحدها : أنه على الحال عطفاً على قوله متكئين .

---

(١) سورة الزخرف آية ٧٣ .

(٢) سورة الإنسان آية ١٤ .

والثانى : أنه صفة الجنة ، وقال تعالى : (فيهما من كل فاكهة زوجان) وفى الجنتين الآخريين (فيهما فاكهة ونخل ورمان) وخص النخل والرمان من بين الفاكهة بالذكر لفضلهما وشرفهما ، كما نص على حدائق النخل والأعناب فى سورة النبأ ، إذ هما من أفضل أنواع الفاكهة وأطيبها وأحلاها . وقد قال تعالى : (ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم)[1] .

وقال الطبرانى : حدثنا معاذ بن المثنى ، حدثنا على بن المدينى ، حدثنا ريحان ابن سعيد عن عبادة بن منصور عن أيوب عن أبى قلابة عن إسماعيل عن ثوبان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الرجل إذا نزع ثمرة من الجنة عادت مكانها أخرى » وقال عبدالله بن الإمام أحمد : حدثنى عقبة بن مكرم العمى ، حدثنا ربعى بن إبراهيم بن علية ، حدثنا عوف عن قسامة بن زهير عن أبى موسى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أهبط الله آدم عليه السلام من الجنة وعلمه صنعة كل شىء وزوده من ثمار الجنة فثماركم هذه من ثمار الجنة غير أنها تغير وتلك لا تغير » وقد تقدم أن سدرة المنتهى نبقها مثل القلال .

وفى صحيح مسلم من حديث أبى الزبير عن جابر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « عرضت على الجنة حتى لو تناولت منها قطفاً أخذته » وفى لفظ : « فتناولت منها قطفاً فقصرت عنه يدى » وقال أبو خيثمة : حدثنا عبدالله بن جعفر ، حدثنا عبيد الله ، حدثنا ابن عقيل عن جابر قال : « بينما نحن فى صلاة الظهر إذ تقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقدمنا ثم تناول شيئاً شيئاً ليأخذه ، ثم تأخر ، فلما قضى الصلاة قال له أبى بن كعب : يا رسول الله ، صنعت اليوم فى صلاتك شيئاً ما كنت تصنعه ؟ قال : إنه عرضت على الجنة وما فيها من الزهرة والنضرة فتناولت منها قطفاً من عنب لآتيكم به فحيل بينى وبينه ولو أتيتكم به لأكل منه من بين السماء والأرض لا ينقصونه » .

وقال ابن المبارك : أنبأنا سفيان عن حماد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : « ثمر الجنة أمثال القلال والدلاء ، أشد بياضاً من اللبن ، وأحلى من العسل ، وألين من الزبد ، ليس فيه عجم » .

---

(١) سورة محمد آية ١٥ .

وقال سعيد بن منصور : حدثنا شريك عن أبى إسحاق البراء بن عازب قال : « إن أهل الجنة يأكلون من ثمار الجنة قياماً وقعوداً ومضطجعين على أى حال شاؤا » .

وقال البزار فى مسنده : حدثنا أحمد بن الفرج الحمصى ، حدثنا عثمان بن سعيد ابن كثير بن دينار الحمصى ، حدثنا محمد بن المهاجر عن الضحاك المعافرى عن سليمان ابن موسى قال : حدثنى كريب أنه سمع أسامة بن زيد يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا مشمر للجنة فإن الجنة لا حظر لها ، هى ورب الكعبة نور يتلألأ ، وريحانة تهتز ، وقصر مشيد ، ونهر مطرد ، وثمرة نضيجة وزوجة حسناء جميلة ، وحلل كثيرة فى مقام أبداً فى دار سليمة ، فاكهة وخضرة وحبرة ونعمة فى محلة عالية بهية ، قالوا : نعم يا رسول الله نحن المشمرون لها ، قال : قولوا : إن شاء الله ، قال القوم : إن شاء الله » قال البزار : وهذا الحديث لا نعلم من رواه عن النبى صلى الله عليه وسلم إلا أسامة ولا نعلم له طريقاً عن أسامة إلا هذا الطريق ، ولا نعلم رواه عن الضحاك المعافرى إلا هذا الرجل محمد بن مهاجر .

وفى حديث لقيط بن صبرة الذى رواه عبدالله بن أحمد فى مسند أبيه وغيره : « قلت : يارسول الله على ما يطلع أهل الجنة ؟ قال : على أنهار من عسل مصفى ، وأنهار من كأس ما بها صداع ولا ندامة ، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ، وماء غير آسن وبفاكهة لعمر إلهك مما يعلمون وخير مثله معه ، وأما الريحان فهو كل نبت طيب الرائحة » قال الحسن وأبو العالية : وهو ريحاننا هذا يؤتى بغصن من ريحان الجنة فانشمه .

الباب السادس والأربعون

فى زرع الجنة

قال تعالى : (وفيها ما تشتهيه الأعين وتلذ الأعين)[1] ، وعن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يحدث يوماً وعنده رجل من أهل البادية : « أن رجلا من أهل الجنة استأذن ربه عز وجل فى الزرع فقال له : أولست فيما اشتهيت ؟ فقال : بلى ، ولكنى أحب أن أزرع فأسرع ، وبذر فبادر الطرف نباته واستواؤه واستحصاده وتكويره أمثال الجبال فيقول الله عز وجل : دونك يا ابن آدم ، فإنه لا يشبعك شىء ، فقال الأعرابى : يارسول الله ، لا نجد هذا إلاقرشياً أو أنصارياً ، فإنهم أصحاب زرع ، فأما نحن فلسنا بأصحاب زرع ، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم » رواه البخارى فى كتاب التوحيد فى باب كلام الرب تعالى مع أهل الجنة وخرجه فى غيره أيضاً . وهذا يدل على أن فى الجنة زرعا وذلك البذر منه ، وهذا أحسن أن تكون الأرض معمورة بالشجر والزرع .

فإن قيل : فكيف استأذن هذا الرجل ربه فى الزرع فأخبره أنه فى غنية عنه ؟ قيل : لعله استأذنه فى زرع يباشره ويزرعه بيده ، وقد كان فى غنية عنه ، وقد كفى مؤونته ، ولا أعلم ذكر الزرع فى الجنة إلا فى هذا الحديث . والله أعلم .

وروى إبراهيم بن الحكم عن أبيه عن عكرمة قال : « بينا رجل فى الجنة ، فقال فى نفسه : لو أن الله يأذن لى لزرعت ، فلا يعلم إلا الملائكة على أبوابه فيقولون : سلام عليكم يقول لك ربك : تمنيت فى نفسك شيئا فقد علمته ، وقد بعث الله معنا البذر فيقول : ابذروا فيخرج أمثال الجبال فيقول له الرب من فوق عرشه : كل يا ابن آدم فإن ابن آدم لا يشبع » والله أعلم .

---

(١) سورة الزخرف آية ٧١ .

الباب السابع والأربعون

فى ذكر أنهار الجنة وعيونها وأصنافها ومجراها الذى تجرى عليه

وقد تكرر فى القرآن فى عدة مواضع قوله تعالى : (جنات تجرى من تحتها الأنهار) ، وفى موضع : (تجرى تحتها الأنهار) ، وفى موضع : (تجرى من تحتهم الأنهار) وهذا يدل على أمور : أحدها : وجود الأنهار فيها حقيقة . الثانى : أنها جارية لا واقفة . الثالث : أنها تحت غرفهم وقصورهم وبساتينهم كما هو المعهود فى أنهار الدنيا ، وقد ظن بعض المفسرين أن معنى ذلك جريانها بأمرهم وتصريفهم لها كيف شاؤوا ، وكأن الذى حملهم على ذلك أنه لما سمعوا أن أنهارها تجرى فى غير أخدود فهى جارية على وجه الأرض حملوا قوله : (تجرى من تحتها الأنهار) على أنها تجرى بأمرهم إذ لا يكون فوق المكان تحته وهؤلاء أوتوا من ضعف الفهم ، فإن أنهار الجنة ــ وإن جرت فى غير أخدود ــ فهى تحت القصور والمنازل والغرف وتحت الأشجار ، وهو سبحانه لم يقل : من تحت أرضها ، وقد أخبر سبحانه عن جريان الأنهار تحت الناس فى الدنيا فقال : (ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم فى الأرض مالم نمكن لكم وأرسلنا السماء عليهم مدراراً ، وجعلنا الأنهار تجرى من تحتهم)[1] ، فهذا على ما هو المعهود المتعارف ، وكذلك ما حكاه من قول فرعون : (وهذه الأنهار تجرى من تحتى)[2] ، وقال تعالى : (فيهما عينان نضاختان) قال ابن أبى شيبة : حدثنا يحيى بن يمان عن أشعث عن جعفر عن سعيد قال « نضاختان بالماء والفواكه » وحدثنا ابن يمان عن أبى إسحاق عن أبان عن أنس قال : نضاختان بالمسك والعنبر ينضخان على دور أهل الجنة ، كما ينضخ المطر على دور أهل الدنيا ، وحدثنا عبدالله بن إدريس عن أبيه عن أبى إسحاق عن البراء قال : اللتان تجريان أفضل من النضاختين وقال تعالى : (مثل الجنة التى وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ،

---

(١) سورة الأنعام آية ٦

(٢) سورة الزخرف آية ٥١

وأنهار من خمر لذة للشاربين ، وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من الثمرات ومغفرة من ربهم)[١] .

فذكر سبحانه هذه الأجناس الاربعة ، ونفى عن كل واحد منها الآفة التى تعرض له فى الدنيا ، فآفة الماء أن يأسن ويأجن من طول مكثه ، وآفة اللبن أن يتغير طعمه إلى الحموضة ، وأن يصير قارصاً ، وآفة الخمر كراهة مذاقها المنافى للذة شربها ، وآفة العسل عدم تصفيته .

وهذا من آيات الرب تعالى أن تجرى أنهار من أجناس لم تجر العادة فى الدنيا بإجرائها ويجريها فى غير أخدود ، وينفى عنها الآفات التى تمنع كمال اللذة بها كما ينفى عن خمر الجنة جميع آفات خمر الدنيا من الصداع والغول واللغو والإنزاف وعدم اللذة ، فهذه خمس آفات من آفات خمر الدنيا تغتال العقل ويكثر اللغو على شربها ، بل لا يطيب لشرابها ذلك إلا باللغو ، وتنزف فى نفسها وتنزف المال ، وتصدع الرأس ، وهى كريهة المذاق ، وهى رجس من عمل الشيطان يوقع العداوة والبغضاء بين الناس ، وتصد عن ذكر الله وعن الصلاة ، وتدعو إلى الزنا ، وربما دعت إلى الوقوع على البنت والأخت وذوات المحارم ، وتذهب الغيرة ، وتورث الخزى والندامة والفضيحة ، وتلحق شاربها بأنقص نوع الإنسان وهم المجانين ، وتسلبه أحسن الأسماء والسمات ، وتكسوه أقبح الأسماء والصفات ، وتسهل قتل النفس وإفشاء السر الذى فى إفشائه مضرته أو إهلاكه ، ومؤاخاة الشياطين فى تبذير المال الذى جعله الله قياماً له ولم يلزمه مؤنته ، وتهتك الأستار ، وتظهر الأسرار ، وتدل على العورات وتهون ارتكاب القبائح والمآثم ، وتخرج من القلب تعظيم المحارم ومدمنها كعابد وثن ، وكم أهاجت من حرب وأفقرت من غنى ، وأذلت من عزيز ، ووضعت من شريف ، وسلبت من نعمة وجلبت من نقمة ، وفسخت مودة ، ونسجت عداوة ، وكم فرقت بين رجل وزوجته فذهبت بقلبه وراحت بلبه ، وكم أورثت من حسرة وأجرت من عبرة ، وكم أغلقت فى وجه شاربها باباً من الشر ، وكم أوقعت فى بلية وعجلت من منية ، وكم أورثت من خزية ، وجرت على شاربها من محنة ،

(١) سورة محمد آية ١٥ .

وجرت عليه من سفلة ، فهى جماع الإثم ، ومفتاح الشر ، وسلابة النعم ، وجالبة النقم ، ولو لم يكن من رذائلها إلا أنها لا تجتمع هى وخمر الجنة فى جوف عبد ، كما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من شرب الخمر فى الدنيا لم يشربها فى الآخرة » . لكفى .

وآفات الخمر أضعاف ما ذكرنا وكلها منتفية عن خمر الجنة .

فإن قيل : فقد وصف سبحانه الأنهار بأنها جارية ، ومعلوم أن الماء الجارى لا يأسن ، فما فائدة قوله : غير آسن ؟

قيل : الماء الجارى وإن كان لا يأسن ، فإنه إذا أخذ منه شىء وطال مكثه أسن ، وماء الجنة لا يعرض له ذلك ، ولو طال مكثه ما طال .

وتأمل اجتماع هذه الأنهار الأربعة التى هى أفضل أشربة الناس ، فهذا لشربهم وطهورهم ، وهذا لقوتهم وغذائهم ، وهذا للذتهم وسرورهم ، وهذا لشفائهم ومنفعتهم . والله أعلم .

فصل

وأنهار الجنة تتفجر من أعلاها ، ثم تنحدر نازلة إلى أقصى درجاتها ، كما روى البخارى فى صحيحه من حديث أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن فى الجنة مائة درجة أعدها الله عز وجل للمجاهدين فى سبيله بين كل درجتين كما بين السماء والأرض ، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس ، فإنه وسط الجنة ، وأعلى الجنة ، وفوقه عرش الرحمن ، ومنه تفجر أنهار الجنة » .

وروى الترمذى نحوه من حديث معاذ بن جبل وعبادة بن الصامت ، ولفظ حديث عبادة : « الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين مسيرة مائة عام والفردوس أعلاها درجة ، ومنها الأنهار الأربعة والعرش ، فإن سألتم الله فاسألوه الفردوس الأعلى » .

وفي المعجم للطبراني من حديث الحسن عن سمرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الفردوس ربوة الجنة وأعلاها وأوسطها ومنها تفجر أنهار الجنة » .

وفي صحيح البخاري من حديث شعبة عن قتادة قال : أخبرني أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « رفعت إلى سدرة المنتهى في السماء السابعة نبقها مثل قلال هجر ، وورقها مثل آذان الفيلة ، ويخرج من ساقها نهران ظاهران ، ونهران باطنان ، فقلت : يا جبريل ، ما هذا ؟ قال : أما النهران الباطنان ففي الجنة ، وأما الظاهران فالنيل والفرات » .

وفي صحيحه أيضاً من حديث همام عن قتادة عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « بينما أنا أسير في الجنة إذا أنا بنهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف ، فقلت : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذا الكوثر الذي أعطاك ربك ، قال : فضرب الملك بيده فإذا طينه مسك أذفر » .

وفي صحيح مسلم من حديث المختار بن فلفل عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الكوثر نهر في الجنة وعدنيه ربي عز وجل » وقال محمد بن عبدالله الأنصاري : حدثنا حميد الطويل عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « دخلت الجنة فإذي بنهر يجرى حافتاه خيام اللؤلؤ ، فضربت يدي إلى ما يجرى فيه من الماء فإذا أنا بمسك أذفر . فقلت : لمن هذا يا جبريل ؟ قال : هذا الكوثر الذي أعطاك الله عز وجل » .

قال الترمذي : حدثنا هناد ، حدثنا محمد بن فضيل عن عطاء بن السائب عن محارب بن دثار عن عبدالله بن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الكوثر نهر في الجنة حافتاه من ذهب ومجراه على الدر والياقوت ، تربته أطيب من المسك ، وماؤه أحلى من العسل ، وأبيض من الثلج » قال : هذا حديث حسن صحيح ، وقال أبو نعيم الفضل : حدثنا أبو جعفر هو الرازي ، حدثنا ابن أبي نجيح عن مجاهد : (إنا أعطيناك الكوثر)(١) قال : الخير الكثير . وقال أنس بن مالك :

(١) سورة الكوثر الآية ١ .

نهر فى الجنة ، وقالت عائشة : هو نهر فى الجنة ليس يدخل احد إصبعيه فى أذنيه إلا سمع خرير ذلك النهر ، وهذا معناه والله أعلم : أن خرير ذلك النهر يشبه الخرير الذى يسمعه حين يدخل إصبعيه فى أذنيه .

وفى جامع الترمذى من حديث الجريرى عن حكيم بن معاوية عن أبيه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إن فى الجنة بحر الماء ، وبحر العسل ، وبحر اللبن ، وبحر الخمر ، ثم تشقق الأنهار بعد » قال هذا حديث حسن صحيح .

وقال الحاكم : حدثنا الأصم ، حدثنا الربيع بن سليمان ، حدثنا أسد بن موسى ، حدثنا ابن ثوبان ، عن عطاء بن قرة ، عن عبدالله بن سمرة ، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من سره أن يسقيه الله عز وجل من الخمر فى الآخرة فليتركه فى الدنيا ، ومن سره أن يكسيه الله الحرير فى الآخرة فليتركه فى الدنيا ، وأنهار الجنة تفجر من تحت تلال أو تحت جبال المسك ، ولو كان أدنى أهل الجنة حلية عدلت بحلية أهل الدنيا جميعاً لكان ما يحليه الله به فى الآخرة أفضل من حلية أهل الدنيا جميعاً » .

وذكر الأعمش عن عمرو بن مرة عن مسروق عن عبدالله قال : « إن أنهار الجنة تفجر من جبل مسك » وهذا موقوف صحيح .

وذكر ابن مردويه فى مسنده : حدثنا أحمد بن محمد بن عاصم ، حدثنا عبد الله ابن محمد بن النعمان ، حدثنا مسلم بن إبراهيم ، حدثنا الحرث بن عبيد ، حدثنا أبو عمران الجونى عن أبى بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هذه الأنهار تشخب من جنة عدن فى جوبة ، ثم تصدع بعد أنهاراً » .

وقال ابن أبى الدنيا : حدثنا يعقوب بن عبيدة ، حدثنا يزيد بن هرون ، حدثنا الجريرى عن معاوية بن قرة عن أنس بن مالك قال ؟ « أظنكم تظنون أن أنهار الجنة أخدود فى الأرض ؟ لا والله إنها لسائحة على وجه الأرض إحدى حافيتها اللؤلؤ والأخرى الياقوت ، وطينها المسك الأذفر ، قلت : ما الأذفر ؟ قال :

الذى لاخلط له ، ورواه ابن مردويه فى تفسيره عن محمد بن أحمد حدثنا محمد بن أحمد بن يحيى ،حدثنا مهدى بن حكيم ، حدثنا يزيد بن هارون ، أخبرنا الجريرى عن معاوية بن قرة عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكره هكذا رواه مرفوعاً .

وقال أبو خيثمة : حدثنا عفان ، حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس أنه قرأ هذه الآية (إنا أعطيناك الكوثر) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أعطيت الكوثر فإذا هو يجرى ولم يشق شقاً ، وإذا حافتاه قباب اللؤلؤ فضربت بيدى إلى تربته فإذا مسك أذفر وإذا حصباؤه اللؤلؤ » .

وذكر سفيان الثورى عن عمرو بن مرة عن أبى عبيدة عن مسروق فى قوله تعالى : (وماء مسكوب) قال : أنهار تجرى فى غير أخدود قال : (ونخل طلعها هضيم) قال : من أصلها إلى فروعها أو من كلة نحوها .

وفى صحيح مسلم من حديث أبى هريرة قال:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سيحان وجيحان والفرات والنيل كل من أنهار الجنة » وقال عثمان بن سعيد الدارمى : حدثنا سعيد بن سابق ، حدثنا مسلمة بن على عن مقاتل بن حبان عن عكرمة ، عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « أنزل الله من الجنة خمسة أنهار : سيحون وهو نهر الهند ، وجيحون وهو نهر بلخ ، ودجلة والفرات وهما نهرا العراق ، والنيل وهو نهر مصر ، أنزلها الله من عين واحدة من عيون الجنة ، من أسفل درجة من درجاتها على جناح جبريل صلى الله عليه وسلم ، فاستودعها الجبال وأجراها فى الأرض ، وجعل فيها منافع للناس فى أصناف معايشهم ، فذلك قوله : (وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه فى الأرض وإنا على ذهاب به لقادرون)[1] .

فإذا كان عند خروج يأجوج ومأجوج أرسل جبريل فرفع من الأرض القرآن ، والعلم كله ، والحجر الأسود من ركن البيت ومقام إبراهيم وتابوت موسى

---

(١) سورة المؤمنون آية ١٨ .

بما فيه ، وهذه الأنهار الخمسة فرفع ذلك كله إلى السماء ، فذلك قوله تعالى : (وإنا على ذهاب به لقادرون) فإذا رفعت هذه الأشياء من الأرض ، فقد حرم أهلها خيرى الدنيا والآخرة » ورواه أحمد بن عدى فى ترجمة مسلمة ، هذا مع أحاديث غيره ، وقال عامة أحاديثه غير محفوظة ، وبالجملة فهو من الضعفاء . قال البخارى : منكر الحديث ، وقال النسائى : متروك ، وقال أبو حاتم : لا تشتغل به .

وقال عبدالله بن وهب : حدثنا سعيد بن أبى أيوب عن عقيل بن خالد عن الزهرى أن ابن عباس قال : « إن فى الجنة نهرا يقال له : البيدج ، عليه قباب من ياقوت تحته جوار ، يقول أهل الجنة : انطلقوا بنا إلى البيدج فيتصفحون تلك الجوارى فإذا أعجب رجلا منهم جارية مس معصمها فتتبعه » .

فصل

وأما العيون فقد قال تعالى : (إن المتقين فى جنات وعيون) وقال تعالى : (إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا ، عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا)[١] ، قال بعض السلف : معهم قضبان الذهب حيثما مالوا مالت معهم ، وقد اختلف فى قوله يشرب بها .

فقال الكوفيون : الباء بمعنى من أى يشرب منها .

وقال آخرون : بل الفعل مضمن . معنى يشرب بها : أى يروى بها ، فلما ضمنه معناه عداه تعديته ، وهذا أصح وألطف وأبلغ .

وقالت طائفة : الباء للظرفية ، والعين اسم للمكان ، كما تقول : كنا بمكان كذا وكذا ، ونظير هذا التضمين قوله تعالى : (ومن يرد فيه بإلحاد بظلم) ضمن معنى يهم فعدى تعديته وقال تعالى : (ويسقون فيها كأساً كان مزاجها زنجبيلا ، عيناً فيها تسمى سلسبيلا)[٢] فأخبر سبحانه عن العين التى يشرب بها المقربون صرفا ، أن شراب الأبرار يمزج منها ؛ لأن أولئك أخلصوا الأعمال كلها لله فأخلص شرابهم ،

---

(١) سورة الإنسان الآيتان ٥ و ٦ .
(٢) سورة الإنسان آية ١٧ .

وهؤلاء مزجوا لمزج شرابهم ، ونظير هذا قوله تعالى : (إن الأبرار لفى نعيم ، على الأرائك ينظرون ، تعرف فى وجوههم نضرة النعيم ، يسقون من رحيق مختوم ، ختامه مسك ، وفى ذلك فليتنافس المتنافسون ، ومزاجه من تسنيم ، عيناً يشرب بها المقربون)(١) ، فأخبر سبحانه عن مزاج شرابهم بشيئين ؟ بالكافور فى أول السورة ، والزنجبيل فى آخرها ، فإن فى الكافور من البرد وطيب الرائحة ، وفى الزنجبيل من الحرارة وطيب الرائحة ، وما يحدث لهم باجتماع الشرابين . ومجىء أحدهما على أثر الآخر حالة أخرى أكمل وأطيب وألذ من كل منهما بانفراده ، ويعدل كيفية كل منهما بكيفية الآخر ، وما ألطف موقع ذكر الكافور فى أول السورة ، والزنجبيل فى آخرها ، فإن شرابهم مزج أولا بالكافور ، وفيه من البرد ما يجىء الزنجبيل بعده فيعدله .

والظاهر أن الكأس الثانية غير الأولى ، وأنهما نوعان لذيذان من الشراب . أحدهما : مزج بكافور . والثانى : مزج بزنجبيل ، وأيضا فإنه سبحانه أخبر عن مزج شرابهم بالكافور وبرده فى مقابلة ماوصفهم به من حرارة الخوف ، والإيثار ، والصبر ، والوفاء بجميع الواجبات التى نبه على وفائهم بأضعفها ، وهو ماأوجبوه على أنفسهم بالنذر على الوفاء بأعلاها ، وهو ما أوجبه الله عليهم. ولهذا قال : (وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا)(٢) ، فإن فى الصبر من الخشونة وحبس النفس عن شهواتها ما اقتضى أن يكون فى جزائهم من سعة الجنة ، ونعومة الحرير ما يقابل ذلك الحبس والخشونة ، وجمع لهم بين النضرة والسرور ، وهذا جمال ظواهرهم ، وهذا حال بواطنهم ، كما جملوا فى الدنيا ظواهرهم بشرائع الإسلام ، وبواطنهم بحقائق الإيمان ، ونظيره قوله فى آخر السورة (عاليهم ثياب سندس خضر وإستبرق وحلوا أساور من فضة)(٣) فهذه زينة الظاهر ، ثم قال : (وسقاهم ربهم شراباً طهوراً) فهذه زينة الباطن المطهر لهم من كل أذى ونقص . ونظيره قوله تعالى لأبيهم آدم عليه السلام : (إن لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى ، وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى) فضمن له أن لا يصيبه ذل الباطن بالجوع ، ولا ذل الظاهر بالعرى ، وأن لا يناله حر الباطن بالظمأ ، ولا حر الظاهر بالضحى ، ونظير هذا ماعدده على عباده من نعمه أنه أنزل عليهم لباساً يوارى سوآتهم ، ويزين ظواهرهم ، ولباساً آخر يزين بواطنهم

(١) سورة المطففين الآيات ٢٢ ـ ٢٨ .
(٢) سورة الإنسان آية ١٢ .
(٣) سورة الإنسان آية ٢١ .

وقلوبهم،وهو لباس التقوى ، وأخبر أنه خير اللباسين ، وقريب من هذا إخباره أنه زين السماء الدنيا بزينة الكواكب ، وحفظاً من كل شيطان مارد ، فزين ظاهرها بالنجوم وباطنها بالحراسة ، وقريب منه أمره من أراد الحج بالزاد الظاهر ، ثم أخبر أن خير الزاد ، الزاد الباطن وهو التقوى ، وقريب منه قول امرأة العزيز عن يوسف ، (فذلكن الذى لمتنى فيه) فأرتهن حسنه وجماله ، ثم قالت : (ولقد راودته عن نفسه فاستعصم)[1] . فأخبرتهن بجمال باطنه وزينته بالعفة ، وهذا كثير فى القرآن لمتأمله .

---

(١) سورة يوسف آية ٣٢ .

الباب الثامن والأربعون

فى ذكر طعام أهل الجنة وشرابهم ومصرفه

قال تعالى : (إن المتقين فى ظلال وعيون ، وفواكه مما يشتهون ، كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون)(١) ، وقال تعالى : (فأما من أوتى كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرأوا كتابيه ، إنى ظننت أنى ملاق حسابيه ، فهو فى عيشة راضية ، فى جنة عالية ، قطوفها دانية ، كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم فى الأيام الخالية)(٢) ، وقال تعالى : (مثل الجنة التى وعد المتقون تجرى من تحتها الأنهار أكلها دائم وظلها)(٣) ، وقال تعالى : (وأمددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون ، يتنازعون فيها كأساً لا لغو فيها ولا تأثيم)(٤) وقال تعالى : (يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك ، وفى ذلك فليتنافس المتنافسون)(٥) .

وفى صحيح مسلم من حديث أبى الزبير عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يأكل أهل الجنة ويشربون ولا يتمخطون ولا يتغوطون ولا يبولون ، طعامهم ذلك جشاء كريح المسك ، يلهمون التسبيح والتكبير كما تلهمون النفس » ورواه أيضاً من رواية طلحة بن نافع عن جابر وفيه : « قالوا : فما بال الطعام ؟ قال : جشاء ورشح كرشح المسك ، يلهمون التسبيح والحمد » .

وفى المسند وسنن النسائى بإسناد صحيح على شرط الصحيح من حديث الأعمش ، عن ثمامة بن عقبة عن زيد بن أرقم قال : « جاء رجل من أهل الكتاب إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا أبا القاسم ، تزعم أن أهل الجنة يأكلون ويشربون ؟ قال : نعم ، والذى نفس محمد بيده إن أحدهم ليعطى قوة مائة رجل

---

(١) سورة المرسلات الآيات ٤١ ـ ٤٣ .

(٢) سورة الحاقة الآيات ١٩ ـ ٢٤

(٣) سورة الرعد آية ٣٥

(٤) سورة الطور الآيتان ٢٢ و ٢٣

(٥) سورة المطففين « ٢٥ و ٢٦

فى الأكل والشرب والجماع والشهوة ، قال : فإن الذى يأكل ويشرب تكون له الحاجة وليس فى الجنة أذى ، قال : تكون حاجة أحدهم رشحاً يفيض من جلودهم كرشح المسك فيضمر بدنه » .

ورواه الحاكم فى صحيحه ولفظه : « أتى النبى صلى الله عليه وسلم رجل من اليهود فقال : يا أبا القاسم ، ألست تزعم أن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ؟ ــ ويقول لأصحابه : إن أقر لى بهذا خصمته ــ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والذى نفس محمد بيده ، إن أحدهم ليعطى قوة مائة رجل فى المطعم والمشرب والشهوة والجماع ، فقال له اليهودى : فإن الذى يأكل ويشرب تكون له الحاجة ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : حاجتهم عرق يفيض من جلودهم مثل المسك ، فإذا البطن قد ضمر » .

وقال الحسن بن عرفة : حدثنا خلف بن خليفة عن حميد الأعرج عن عبد الله ابن الحارث عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنك لتنظر إلى الطير فى الجنة فتشتهيه فيخر بين يديك مشوياً » .

وقد تقدم حديث أنس فى قصة عبد الله بن سلام : فى أول ما يأكله أهل الجنة وشرابهم على أثره ، حديث أبى سعيد الخدرى : « تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفأها الجبار بيده نزلا لأهل الجنة » .

وقال الحاكم : أنبأنا الأصم ، حدثنا إبراهيم بن منقذ ، حدثنا إدريس بن يحيى ، حدثنى الفضل بن المختار عن عبيد الله بن موهب عن عصمة بن مالك الحطمى عن حذيفة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن فى الجنة طيراً أمثال البخاتى ، فقال أبو بكر : إنها لناعمة يارسول الله ، قال : أنعم منها من يأكلها وأنت ممن يأكلها يا أبا بكر » .

قال الحاكم وأنبأنا الأصم ، حدثنا يحيى بن أبى طالب ، أنبأنا عبد الوهاب ابن عطاء ، أنبأنا سعيد عن قتادة فى قوله تعالى : (ولحم طير مما يشتهون) قال : ذكر لنا أن أبا بكر قال : « يارسول الله ، إنى لأرى طير الجنة ناعمة كما أن أهلها ناعمون ، قال : من يأكلها أنعم منها ، وأنها أمثال البخاتى وإنى لأحتسب على الله

أن تأكل منها يا أبا بكر » ، وبهذا الإسناد عن قتادة عن أيوب رجل من أهل البصرة عن عبد الله بن عمرو في قوله تعالى : (يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب)(١) ، قال : يطاف عليهم بسبعين صحفة من ذهب كل صحفة منها فيها لون ليس فى الأخرى » .

وقال الدراودى : حدثنى ابن أخى ابن شهاب عن أبيه عن عبد الله بن مسلم أنه سمع أنس بن مالك يقول فى الكوثر : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «هو نهر أعطانيه ربى أشد بياضاً من اللبن ، وأحلى من العسل فيه طيور أعناقها كأعناق الجزر ، فقال عمر بن الخطاب : إنها يا رسول الله لناعمة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : آكلها أنعم منها » تابعه إبراهيم بن سعيد عن ابن أخى عن ابن شهاب ، وقال : فقال أبو بكر بدل عمر .

وقال عثمان بن سعيد الدارمى : حدثنا عبد الله بن صالح عن معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس فى قوله تعالى : (وكأس من معين) يقول الخمر لا فيها غول يقول ليس فيها صداع ، وفى قوله تعالى : (ولا هم عنها ينزفون) يقول : لا تذهب عقولهم ، وقوله تعالى (وكأسا دهاقا) يقول ممتلئة ، وقوله : (رحيق مختوم) يقول : الخمر ختم بالمسك : وقال علقمة عن ابن مسعود : (ختامه مسك) قال : خلطه وليس بخاتم ثم يختم .

قلت : يريد ـ والله أعلم ـ أن آخره مسك يخالطه فهو من الخاتمة ، وليس من الخاتم .

وقال زيد بن معاوية : سألت علقمة عن قوله تعالى : (ختامه مسك) فقرأتها (خاتمه مسك) فقال لى : ليست خاتمه ، ولكن اقرأه (ختامه مسك) قال علقمة : ختامه خلطه ، ، ألم تر أن المرأة من نسائكم تقول للطيب : إن خلطه من مسك لكذا وكذا .

وذكر سعيد بن منصور : حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق عن عبدالله فى قوله تعالى :(ومزاجه من تسنيم) قال : تمزج لأصحاب

(١) سورة الزخرف آية ٧١ .

اليمين ويشربها المقربون صرفاً . وكذلك قال ابن عباس : يشرب منها المقربون صرفاً ، وتمزج لمن دونهم .

وقال مجاهد : ختامه مسك يقول طيبه ، وهذا التفسير يحتاج إلى تفسير . ولفظ الآية أوضح منه . وكأنه والله أعلم ، يريد ما يبقى من أسفل الإناء من الدردى .

وذكر الحاكم من حديث آدم : حدثنا شيبان عن جابر عن ابن سابط عن أبى الدرداء فى قوله (ختامه مسك) قال : هو شراب أبيض مثل الفضة يختمون به آخر شرابهم ، لو أن رجلا من أهل الدنيا أدخل يده فيه ثم أخرجها ، لم يبق ذو روح إلا وجد ريح طيبها .

قال آدم : وحدثنا أبو شيبة عن عطاء قال : (التسنيم) : إسم العين التى يمزج بها الخمر .

وقال الإمام أحمد : حدثنا هشيم ، أنبأنا حصين عن عكرمة عن ابن عباس فى قوله : (وكأساً دهاقا) قال : هى المتابعة الممتلئة . قال : وربما سمعت العباس يقول : اسقنا وأدهق لنا . وقد تقدم الكلام على قوله تعالى : (إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا ، عيناً يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيراً) وعلى قوله (ويسقون فيها كأساً كان مزاجها زنجبيلا ، عيناً تسمى فيها سلسبيلا)[1] ، فقالت فرقة : سلسبيلا جملة مركبة من فعل وفاعل ، وسبيلا منصوب على المفعول ، أى سل سبيلا إليها وليس هذا بشىء ، وإنما السلسبيل كلمة مفردة وهى إسم للعين نفسها باعتبار صفتها ، ولقد شفى قتادة ومجاهد فى اشتقاق اللفظة فقال قتادة : سلسلة فهم يصرفونها حيث شاؤوا .

وهذا من الاشتقاق الأكبر ؛ وقال مجاهد : سلسلة السيل حديدة الجرية ، وقال أبو العالية : والمقابلان تسيل عليهم فى الطرق ، وفى منازلهم ، وهذا سلاستها وحدة جريتها ، وقال آخرون : معناها طيبة الطعم والمذاق . وقال أبو إسحاق : سلسبيل صفة لما كان فى غاية السلاسة ، فسميت العين بذلك .

---

(١) سورة الإنسان الآيتان ١٦ و ١٧ .

وقال ابن الأنبارى : الصواب فى سلسبيل : أنه صفة للماء ، وليس باسم للعين ، واحتج على ذلك بحجتين إحدهما : أن سلسبيلا مصروف ، ولو كان إسماً للعين لم يصرف للتأنيث والعلمية .

الثانية : أن ابن عباس قال : معناه أنها تنسل فى حلوقهم انسلالا .

قلت : ولا حجة له فى واحدة منهما ، أما الصرف فلاقتضاء رؤوس الآى له كنظائره ، وأما قول ابن عباس ، فإنما يدل على أن العين سميت بذلك باعتبار صفة السلالة والسهولة . فقد تضمنت هذه النصوص أن لهم فيها الخبز واللحم والفاكهة ، والحلوى وأنواع الأشربة من الماء واللبن والخمر ، وليس فى الدنيا مما فى الآخرة إلا الأسماء ، وأما المسميات فبينها من التفاوت مالا يعلمه البشر. فإن قيل :فأين يشوى اللحم وليس فى الجنة نار ؟ فقد أجاب عن هذا بعضهم بأنه يشوى بـ (كن) وأجاب آخرون : بأنه يشوى خارج الجنة ، ثم يؤتى به إليهم . والصواب : أنه يشوى فى الجنة بأسباب قدرها العزيز الحكيم لإنضاجه وإصلاحه ، كما قدر هناك أسباباً لإنضاج الثمر والطعام ، على أنه لا يمتنع أن يكون فيها نار تصلح لا تفسد شيئاً .

وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: « مجامرهم الألوة » و «المجامر» : جمع مجمر ، وهو البخور الذى يتبخر بإحراقه و « الألوة » : العود المطرى ، فأخبر أنهم يتجمرون به أى يتبخرون بإحراقه ، لتسطع لهم رائحته .

وقد أخبر سبحانه أن فى الجنة ظلال ، والظلال لا بد أن تفيء مما يقابلها فقال (هم وأزواجهم فى ظلال على الأرائك متكئون)(١) وقال : (إن المتقين فى ظلال وعيون) . وقال : (وندخلهم ظلا ظليلا) فالأطعمة والحلوى والتجمر تستدعى أسباباً تتم بها . والله سبحانه خالق السبب والمسبب ، وهو رب كل شيء ومليكه لا إله إلا هو ، وكذلك جعل لهم سبحانه أسباباً تصرف الطعام من الجشاء والعرق ، الذى يفيض من جلودهم ، فهذا سبب إخراجه ، وذاك سبب إنضاجه ، وكذلك جعل فى أجوافهم من الحرارة ما يطبخ ذلك الطعام ويلطفه ، ويهيئه لخروجه رشحاً وجشاء ، وكذلك ما هناك من الفواكه والثمار يخلق لها من الحرارة ما ينضجها

(١) سورة يس آية ٥٦

ويجعل سبحانه أوراق الشجر ظلالها ، فرب الدنيا والآخرة واحد ، وهو الخالق للأسباب والحكم ما يخلقه فى الدنيا والآخرة ، والأسباب مظهر أفعاله وحكمته ، ولكنها . تختلف ولهذا يقع التعجب من العبد لورود أفعاله سبحانه على أسباب غير الأسباب المعهودة المألوفة ، وربما حمله ذلك على الإنكار والكفر ، وذلك محض الجهل والظلم ، وإلا فليست قدرته سبحانه وتعالى مقصرة عن أسباب أخر ، ومسبباب ينشئها منها كما لاتقصر قدرته فى هذا العالم المشهود عن أسبابه ومسبباته ، وليس هذا بأهون عليه من ذلك .

ولعل النشأة الأولى التى أنشاها الرب سبحانه وتعالى فيها بالعيان والمشاهدة أعجب من النشأة الثانية التى وعدنا بها إذا تأملها اللبيب . ولعل إخراج هذه الفواكه والثمار من بين هذه التربة الغليظة ، والماء والخشب والهواء المناسب لها ، أعجب عند العقل من إخراجها من بين تربة الجنة ومائها وهوائها .

ولعل إخراج هذه الأشربة التى هى غذاء ودواء وشراب ولذة من بين فرث ودم ، ومن قىء ذباب أعجب من إجرائها أنهاراً فى الجنة بأسباب أخر ، ولعل إخراج جوهرى الذهب والفضة من عروق الحجارة من الجبال وغيرها ، أعجب من إنشائها هناك بأسباب أخر ، ولعل إخراج الحرير من لعاب دود القز ، وبنائها على أنفسها القباب البيض والحمر والصفر ، أحكم بناء أعجب من إخراجه من أكمام تنشق عنه شجر هناك قد أودع فيها وأنشىء منها ، ولعل جريان بحار الماء بين السماء والأرض على ظهور السحاب أعجب من جريانها فى الجنة في غير أخدود .

وبالجملة ، فتأمل آيات الله التى دعا عباده إلى التفكر فيها وجلها آيات دالة على كمال قدرته وعلمه ومشيئته وحكمته وملكه ، وعلى توحده بالربوبة والإلهية ، ثم وازن بينها وبين ما أخبر به من أمر الآخرة والجنة والنار ، تجد هذه أدل شىء على تلك ، شاهدة لها وتجدهما من مشكاة واحدة ورب واحد وخالق واحد ، ومالك واحد ، فبعداً لقوم لا يؤمنون .

الباب التاسع والأربعون

في ذكر آنيتهم التي يأكلون فيها ويشربون وأجناسها وصفاتها

قال تعالى : (يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب) فالصحاف جمع صحفة قال الكلبي، بقصاع من ذهب .وقال الليث : الصفحة قطعة مسلطحة عريضة والجمع صحاف ، قال الأعشى :

والمكاكيك والصحاف من الفضة والضامرات تحت الرجال

وأما الأكواب فجمع كوب، قال الفراء : الكوب المستدير الرأس الذى لا أذن له. وأنشد لمدى :

متكئاً تصفق أبوابه يسعى عليه العبد بالكوب

وقال أبو عبيد : الأكواب . الأباريق التى لا خراطيم لها . قال أبو إسحاق : واحدها كوب وهو إناء مستدير لا عروة له ، وقال ابن عباس : هى الأباريق التى ليست لها آذان ، وقال مقاتل هى أوان مستديرة الرأس ليس لها عرى .

وقال البخارى فى صحيحه : الأكواب : الأباريق التى لها خراطيم وقال تعالى : (يطوف عليهم ولدان مخلدون ، بأكواب وأباريق وكأس من معين)(١) الأباريق هى الأكواب التى لها خراطيم ، فإن لم يكن لها خراطيم ولا عرى فهى أكواب . وإبريق إفعيل من البريق ، وهو الصفاء فهو الذى يبرق لونه من صفائه ثم سمى كل ما كان على شكله إبريقا وإن لم يكن صافياً ، وأباريق الجنة من الفضة فى صفاء القوارير يرى من ظاهرها ما فى باطنها . والعرب تسمى السيف إبريقاً لبريق لونه ، ومنه قول ابن أحمر :

تعلقت إبريقاً وعلقت جفنه ليهلك حياً ذا زهاء وخامل

---

(١) سورة الواقعة الآيتان ١٧و١٨ .

وفى نوارد اللحيانى : امرأة إبريق إذا كانت براقة ، وقال تعالى : (ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب كانت قواريرا ،قواريرا من فضة قدروها تقديراً)(١) فالقوارير هى الزجاج ، فأخبر سبحانه وتعالى عن مادة تلك الآنية أنها من الفضة ، وأنها بصفاء الزجاج وشفافته . وهذا من أحسن الأشياء وأعجبها . وقطع سبحانه توهم كون تلك القوارير من زجاج فقال : (قواريرا من فضة) .

قال مجاهد وقتادة ومقاتل والكلبي والشعبي : قوارير الجنة من الفضة ، فاجتمع لها بياض الفضة وصفاء القوارير . قال ابن قتيبة : كل ما فى الجنة من الأنهار وسررها وفرشها وأكوابها مخالف لما فى الدنيا من صنعة العباد ، كما قال ابن عباس: ليس فى الدنيا شيء مما فى الجنة إلا الأسماء والأكواب فى الدنيا ، قد تكون من فضة وتكون من قوارير ، فأعلمنا الله أن هناك أكواباً لها بياض الفضة وصفاء القوارير ، قال : وهذا على التشبيه أراد قوارير كأنها من فضة ، وهذا كقوله تعالى : (كأنهن الياقوت والمرجان) ، أى لهن ألوان المرجان فى صفاء الياقوت . وهذا مردود عليه فإن الآية صريحة أنها من فضة ، و « من » ههنا لبيان الجنس كما تقول : خاتم من فضة ، ولا يراد بذلك أنه يشبه الفضة ، بل جنسه ومادته الفضة ، بل ولعله أشكل عليه كونها من فضة وهى قوارير ، وهو الزجاج وليس في ذلك إشكال لما ذكرناه .

وقوله : (قدروها تقديراً) التقدير : جعل الشيء بقدر مخصوص ، فقدرت الصناع هذه الآنية على قدر ريهم لا يزيد عليه ولا ينقص منه ، وهذا أبلغ فى لذة الشارب ، فلو نقص عن ريه لنقص التذاذه ، ولو زاد حتى يشمئز منه حصل له ملالة وسآمة من الباقى . هذا قول جماعة من المفسرين .

---

(١) سورة الإنسان الآيتان ١٥و١٦ .

قال الفراء : قدروا الكأس على قدر ري أحدهم ، لا فضل فيه ولا عجز عن ريه ، وهو ألذ الشراب .

وقال الزجاج : جعلوا الإناء على قدر ما يحتاجون إليه ويريدونه .

وقال أبو عبيد : يكون التقدير الذين يسقون يقدرونها . ثم يسقون ، يعني أن الضمير في قدروا للملائكة والخدم قدروا الكأس على قدر الري ، فلا يزيد عليه فيثقل الكف ولا ينقص منه فتطلب النفس الزيادة كما تقدم ، وقالت طائفة : الضمير يعود على الشاربين ، أي قدروا في أنفسهم شيئاً فجاءهم الأمر بحسب ما قدروه وأرادوه ، وقول الجمهور أحسن وأبلغ ، وهو مستلزم لهذا القول ، والله أعلم .

وأما الكأس ، فقال أبو عبيدة : هو الإناء بما فيه . وقال أبو إسحاق : الكأس الإناء إذا كان فيه خمر ، ويقع الكأس لكل إناء مع شرابه . والمفسرون فسروا الكأس بالخمر ، وهو قول عطاء والكلبي ومقاتل ؛ حتى قال الضحاك : كل كأس في القرآن ، فإنما عنى به الخمر . وهذا نظر منهم إلى المعنى المقصود : فإن المقصود ما في الكأس لا الإناء نفسه . وأيضاً فإن من الأسماء ما يكون إسماً للحال والمحل مجتمعين ومنفردين كالنهر والكأس . فإن النهر إسم للماء ولمحله معاً . ولكل منهما على انفراده ، وكذلك الكأس والقرية . ولهذا يجيء لفظ القرية مراداً به الساكن فقط والمسكن فقط والأمران معاً .

وقد أخرجا في الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « جنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما . وجنتان من فضة آنيتهما وما فيهما : وما بين القوم أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن » وفيهما أيضاً من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن في أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ، والذين يلونهم على أشد كوكب دري في السماء إضاءة ، لا يبولون ولا يتغوطون

ولا يتمخطون ولا يتفلون ، أمشاطهم الذهب ورشحهم المسك . ومجامرهم الألوة، وأزواجهم الحور العين، أخلاقهم على خلق رجل واحد . على صورة أبيهم آدم عليه السلام ستون ذراعا فى السماء» .

وفى الصحيحين من حديث حذيفة بن اليمان أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لا تشربوا فى آنية الذهب والفضة ولا تأكلوا فى صحافهما ،فإنها لهم فى الدنيا ولكم فى الآخرة » وقال أبو يعلى الموصلى فى مسنده : حدثنا ثوبان حدثنا سليمان بن المغيرة حدثنا ثابت قال: قال أنس « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبه الرؤيا ، فربما رأى الرجل الرؤيا فيسأل عنه إذا لم يكن يعرفه . فإذا أثنى عليه معروف كان أعجب لرؤياه إليه . فأتته امرأة فقالت : يارسول الله رأيت كأنى أتيت فأخرجت من المدينة فأدخلت الجنة ، فسمعت وجبة انتفتحت لها الجنة فنظرت . فإذا فلان ابن فلان وفلان ابن فلان فسمعت اثنى عشر رجلا . كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث سرية قبل ذلك فجىء بهم ،عليهم ثياب طلس تشخب أوداجهم، فقيل : اذهبوا بهم إلى نهر البيدخ أو البيدح . فغمسوا فيه فخرجوا ووجوههم كالقمر ليلة البدر . فأتوا بصفحة من ذهب فيها بسر، فأكلوا من ذلك البسر ما شاءوا . فما يقلبونها من وجه إلا أكلوا من الفاكهة ما أرادوا وأكلت معهم . فجاء البشير من تلك السرية فقال : أصيب فلان وفلان حتى عد اثنى عشر رجلا . فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم المرأة . فقال : قصى رؤياك فقصتها وجعلت تقول جىء بفلان وفلان كما قال » رواه الإمام أحمد فى مسنده بنحوه وإسناده على شرط مسلم .

الباب الخمسون

فى ذكر لباسهم وحليهم ومناديلهم وفرشهم وبسطهم ووسائدهم ونمارقهم وزرابيهم

قال تعالى : (إن المتقين فى مقام أمين * فى جنات وعيون * يلبسون من سندس وإستبرق متقابلين)(١) وقال تعالى : (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا * أولئك لهم جنات عدن تجرى من تحتهم الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ، ويلبسون ثياباً خضراً من سندس واستبرق متكئين فيها على الأرائك)(٢) .

قال جماعة من المفسرين : السندس مارق من الديباج ، والاستبرق ماغلظ منه .

وقالت طائفة : ليس المراد به الغليظ ، ولكن المراد به الصفيق .

وقال الزجاج : هما نوعان من الحرير ، وأحسن الألوان الأخضر ، وألين اللباس الحرير ، فجمع لهم بين حسن منظر اللباس والتذاذ العين به ، وبين نعومته والتذاذ الجسم به ، وقال تعالى : (ولباسهم فيها حرير) .

وههنا مسألة وهذا موضع ذكرها ، وهى أن الله سبحانه وتعالى أخبر أن لباس أهل الجنة حرير ، وصح عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من لبس الحرير فى الدنيا لم يلبسه فى الآخرة » متفق على صحته ، من حديث عمر بن الخطاب وأنس بن مالك . وقد اختلف فى المراد بهذا الحديث ، فقالت طائفة من السلف والخلف : إنه لايلبس الحرير فى الجنة ، ويلبس غيره من الملابس ، قالوا : وأما قوله تعالى : (ولباسهم

---

(١) سورة الدخان الآيات ٥١ ـ ٥٣ .

(٢) سورة الكهف الآيتان ٣٠ و ٣١ .

فيها حرير) فمن العام المخصوص. وقال الجمهور : وهذا من الوعيد الذى له حكم أمثاله من نصوص الوعيد ، التى تدل على أن الفعل مقتض لهذا الحكم . وقد يتخلف عنه لمانع .

وقد دل النص والإجماع على أن التوبة مانعة من لحوق الوعيد ويمنع من لحوقه أيضاً الحسنات الماحية والمصائب المكفرة ودعاء المسلمين ، وشفاعة من يأذن الله له فى الشفاعة فيه ، وشفاعة أرحم الراحمين إلى نفسه ، فهذا الحديث نظم الحديث الآخر من شرب الخمر فى الدنيا لم يشربها فى الآخرة . وقال تعالى : (وجزاهم بما صبروا جنة وحريراً)(١) وقال : (عاليهم ثياب سندس خضر وإستبرق)(٢) وتأمل ما دلت عليه لفظة (عاليهم) من كون ذلك اللباس ظاهراً بارزاً يجمل ظواهرهم ، ليس بمنزلة الشعار الباطن ، بل الذى يلبس فوق الثياب للزينة والجمال .

وقد اختلف القراء السبعة فى نصب (عاليهم) ورفعه على قراءتين . واختلف النحاة فى وجه نصبه هل هو على الظرف أو على الحال ، على قولين ، واختلف المفسرون : هل ذلك الولدان الذين يطوفون عليهم فيطوفون ، وعليهم ثياب السندس والاستبرق ، أو للسادات الذين يطوفون عليهم الولدان فيطوفون على ساداتهم ، وعلى السادات هذه الثياب . وليس الحال ههنا بالبين ولا تحته ذلك المعنى البديع الرائع .فالصواب أنه منصوب على الظرف فإن عالياً لما كان بمعنى فوق أجرى مجراه. قال أبو على : وهذا الوجه أبين وهو أن عالياً صفة فجعل ظرفاً كما كان قوله : (والركب أسفل منكم) كذلك وكما قالوا هو ناحية من الدار ، وأما من رفع عاليهم فعلى الابتداء وثياب سندس خبره ، ولا يمنع من هذا إفراد عال ، وجمع الثياب . لأن فاعلا قد يراد به الكثرة ، كما قال :

ألا إن جيرانى العشية رائح ... دعتهم دواع من هوى ومناوح

---

(١) سورة الإنسان آية ١٢ .

(٢) سورة الإنسان آية ٢١ .

قال تعالى : (مستكبرين به سامراً تهجرون)(١) ومن رفع خضراً أجراه صفة للثياب وهو الأقيس من وجوه :

أحدها : المطابقة بينهما فى الجمع .

الثانى : موافقته لقوله تعالى : (ويلبسون ثياباً خضراً) .

الثالث : تخلصه من وصف المفرد بالجمع ، ومن جرأجراه صفة للسندس على إرادة الجنس ، كما يقال : أهلك الناس الدينار الصفر والدرهم البيض .

وتترجح القراءة الأولى بوجه رابع أيضاً ، وهو : أن العرب تجىء بالجمع الذى هو فى لفظ الواحد ، فيجرونه مجرى الواحد كقوله تعالى : (الذى جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً)(٢) وكقوله :(كأنهم أعجاز نخل منقعر) (٣) فإذا كانوا قد أفردوا صفات هذا النوع من الجمع ، فإفراد صفة الواحد ، وإن كان فى معنى الجمع أولى .

وفى استبرق قراءتان : الرفع عطفاً على ثياب ، والجر عطفاً على سندس . وتأمل كيف جمع لهم بين نوعى الزينة الظاهرة من اللباس والحلى ، كما جمع لهم بين الظاهرة والباطنة كما تقدم قريباً . فجمل البواطن بالشراب الطهور ، والسواعد بالأساور ، والأبدان بثياب الحرير . وقال تعالى : (إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً ولباسهم فيها حرير)(٤) واختلفوا فى جر لؤلؤ ونصبه ، فمن نصبه ففيه وجهان :

أحدها : أنه عطف على موضع قوله : من أساور .

---

(١) سورة المؤمنون آية ٦٧ .
(٢) سورة يس آية ٨٠ .
(٣) سورة القمر آية : ٢٠
(٤) سورة الحج آية ٢٣ .

والثانى: أنه منصوب بفعل محذوف دل عليه الأول ، أى ويحلون لؤلؤاً ، ومن جره فهو عطف على الذهب ، ثم يحتمل أمرين :

أحدها : أن يكون لهم أساور من ذهب وأساور من لؤلؤ ، ويحتمل أن تكون الأساور مركبة من الأمرين معاً الذهب المرصع باللؤلؤ . والله أعلم بما أراده

قال ابن أبى الدنيا : حدثنى محمد بن رزق حدثنا زيد بن الحباب قال حدثنى عتبة بن سعد قاضى الرى عن جعفر بن أبى المغيرة عن شمر بن عطية عن كعب قال : « إن الله عز وجل ملكا منذ يوم خلق يصوغ حلى أهل الجنة إلى أن تقوم الساعة ، لو أن قلباً من حلى أهل الجنة أخرج لذهب بضوء شعاع الشمس ، فلا تسألوا بعد هذا عن حلى أهل الجنة » حدثنا الحسن بن يحي بن كثير العنبرى ، حدثنا أبى عن أشعث عن الحسن قال : « الحلى فى الجنة على الرجال أحسن منه على النساء » حدثنا أحمد بن منيع حدثنا الحسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا يزيد بن أبى حبيب عن دواد بن عامر بن سعد بن أبى وقاص عن أبيه عن جده عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لو أن رجلا من أهل الجنة اطلع فبدا سواره لطمس ضوء الشمس، كما تطمس الشمس ضوء النجوم » .

وقال ابن وهب: حدثنى ابن لهيعة عن عقيل بن خالد عن الحسن عن أبى هريرة قال : إن أبا أمامة حدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثهم وذكر حلى أهل الجنة فقال : « مسورون بالذهب والفضة مكللون بالدر ، عليهم أكاليل من در وياقوت متواصلة ، وعليهم تاج كتاج الملوك ، شباب مراد مكحلون » .

وقد أخرجا فى الصحيحين والسياق لمسلم عن أبى حازم قال : « كنت خلف أبى هريرة وهو يتوضأ للصلاة ، فكان يمد يده حتى يبلغ إبطه ، فقلت : يا أبا هريرة ما هذا الوضوء ؟ فقال يابنى فروخ أنتم ههنا ؟ لو علمت أنكم ههنا ما توضأت هذا الوضوء ، سمعت خليلى صلى الله عليه وسلم يقول : تبلغ الحلية من المؤمن حيث

يبلغ الوضوء » وقد احتج بهذا من يرى استحباب غسل العضد وإطالته ، والصحيح أنه لا يستحب ، وهو قول أهل المدينة ، وعن أحمد روايتان والحديث لا يدل على الإطالة ، فإن الحلية إنما تكون زينة فى الساعد والمعصم لا فى العضد والكتف . وأما قوله : « فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل » فهذه الزيادة مدرجة فى الحديث من كلام أبى هريرة ، لا من كلام النبى صلى الله عليه وسلم ، بين ذلك غير واحد من الحفاظ . وفى مسند الإمام أحمد فى هذا الحديث قال نعيم : فلا أدرى قوله من استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل ، من كلام النبي صلى الله عليه وسلم أو شيء قاله أبو هريرة من عنده ، وكان شيخنا يقول هذه اللفظة لا يمكن أن تكون من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن الغرة لا تكون فى اليد لا تكون إلا فى الوجه ، وإطالته غير ممكنة إذ تدخل فى الرأس فلا تسمى تلك غرة .

وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من يدخل الجنة ينعم ولا ييأس ، ولا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه ، فى الجنة مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » . وقوله لا تبلى ثيابه : الظاهر أن المراد به الثياب المعينة لا يلحقها البلى ، ويحتمل : أن يراد به الجنس ، بل لا يزال عليه الثياب الجدد ، كما أنها لا ينقطع أكلها فى جنسه ، بل كل مأكول يخلفه آخر . والله أعلم .

قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدى حدثنا محمد بن أبى الوضاح حدثنا العلاء بن عبد الله بن رافع حدثنا حنان بن خارجة عن عبدالله بن عمر قال : « جاء أعرابى حرمى فقال : يارسول الله أخبرنا عن الهجرة : إليك أينما كنت ، أم لقوم خاصة . أم إلى أرض معلومة ، إذا مت انقطعت ؟ فسأل ثلاث مرات ثم جلس ، فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسيراً ثم قال : أين السائل ؟ فقال: ها هو ذا يا رسول الله ، قال : الهجرة أن تهجر الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة ، ثم أنت مهاجر وإن مت بالحضر ، فقام آخر ، فقال : يارسول الله ، أخبرنى عن ثياب أهل الجنة أتخلق خلقاً أم تنسج نسجاً ؟ قال : فضحك بعض القوم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : تضحكون من جاهل يسأل عالماً !! فأسكت النبي صلى الله عليه وسلم ساعة ثم قال : أين السائل عن ثياب

أهل الجنة ؟ فقال : ها هو ذا يارسول الله ، قال : لا ، بل يشقق عنها ثمر الجنة » ثلاث مرات .

وقال الطبرانى فى معجمه : حدثنا أحمد بن يحيى الحلوانى والحسن بن على الفسوى قالا : حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا فضيل بن مرزوق عن أبى إسحق عن عمرو بن ميمون عن عبدالله عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «أول زمرة يدخلون الجنة كأن وجوههم ضوء القمر ليلة البدر ، والزمرة الثانية على لون أحسن كوكب درى فى السماء ، لكل واحد منهم زوجتان من الحور العين على كل زوجة سبعون حلة يرى مخ سوقها من وراء لحومها وحلها ، كما يرى الشراب الأحمر فى الزجاجة البيضاء » وهذا الإسناد على شرط الصحيح .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يونس بن محمد حدثنا الخزرجى بن عثمان السعدى حدثنا أبو أيوب مولى لعثمان بن عفان عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقيد سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا ومثلها معها ، ولقاب قوس أحدكم من الجنة خير من الدنيا ومثلها معها ، ولنصيف امرأة من الجنة خير من الدنيا ومثلها معها ، قال : قلت يارسول الله وما النصيف ؟ قال: الخمار » .

وقال ابن وهب : أخبرنا عمرو أن دراجا أبا السمح حدثه عن أبى الهيثم عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الرجل ليتكىء فى الجنة سبعين سنة قبل أن يتحول ، ثم تأتيه امرأة فتضرب على منكبيه فينظر وجهه فى خدها أصفى من المرآة ، وإن أدنى لؤلؤة عليها لتضىء ما بين المشرق والمغرب . فتسلم عليه فيرد السلام ، ويسألها من أنت ؟ فتقول أنا المزيد ، وأنه ليكون عليها سبعون ثوباً أدناها مثل النعمان من طوبى ، فينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك ، وأن عليها التيجان ، وإن أدنى لؤلؤة عليها لتضىء ما بين المشرق والمغرب » وروى الترمذى ذكر التيجان ، وإن أدنى لؤلؤة عن سويد بن نصر عن رشيد بن سعد عن عمرو به .

وقال ابن أبى الدنيا : حدثنا محمد بن إدريس الحنظلى حدثنا أبو عتبة حدثنا إسماعيل بن عياش عن سعيد بن يوسف عن يحيى بن أبى كثير عن أبى سلام الأسود

قال : سمعت أبا أمامة يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما منكم من أحد يدخل الجنة إلا انطلق به إلى طوبى ، فتفتح له أكمامها فيأخذ من أى ذلك شاء أبيض ، وإن شاء أحمر ، وإن شاء أخضر ، وإن شاء أصفر ، وإن شاء أسود ، ومثل شقائق النعمان وأرق وأحسن » .

قال ابن أبى الدنيا : وحدثنا سويد عن سعيد حدثنا عبد ربه بن بارق الحنفى عن خالد الزميل أنه سمع أباه قال : « قلت لابن عباس : ما حلل الجنة ؟ قال فيها شجرة فيها ثمر كأنه الرمان ، فإذا أراد ولى الله كسوة انحدرت إليه غصنها ، فانفلقت عن سبعين حلة ألوانا بعد ألوان ، ثم تنطبق ترجع كما كانت » .

قال وحدثنا عبد الله بن أبى خيثمة حدثنا الحسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنى دراج أبو السمح أن أبا الهيثم حدثه عن أبى سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رجلا قال له يا رسول الله « طوبى لمن رآك وآمن بك ، فقال : طوبى لمن رآنى وآمن بى وطوبى ، ثم طوبى ثم طوبى ، لمن آمن بى ولم يرنى ، فقال له رجل : وما طوبى ؟ قال : شجرة فى الجنة مسيرة مائة عام ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها » .

قال وحدثنى يعقوب بن عبيد حدثنا يزيد بن هارون أنبأنا حماد بن سلمة عن أبى المهزم قال : قال أبو هريرة : « دار المؤمن فى الجنة لؤلؤة فيها شجرة تنبت الحلل فيأخذ الرجل بأصبعيه — وأشار بالسبابة والإبهام — سبعين حلة ممنطقة باللؤلؤ والمرجان » .

قال وحدثنا حمزة بن العباس حدثنا عبد الله بن عثمان أنبأنا ابن المبارك أنبأنا صفوان بن حمزة عن شريح بن عبيد قال : قال كعب : « لو أن ثوبا من ثياب أهل الجنة لبس اليوم فى الدنيا لصعق من ينظر إليه وما حملته أبصارهم » .

وقال عبد الله بن المبارك : أنبأنا سليمان بن المغيرة عن حميد بن هلال عن بشر ابن كعب أو غيره قال : « ذكر لنا أن الزوجة من أزواج الجنة لها سبعون حلة هى أرق من شقيقكم هذا ، يرى مخ ساقها من وراء اللحم » .

وفى الصحيحين عن أنس بن مالك قال : « أهدى أكيدر دومة إلى النبي صلى الله عليه وسلم جبة من سندس ، فتعجب الناس من حسنها ، فقال: لمناديل سعد فى فى الجنة أحسن من هذا » .

وفى الصحيحين أيضاً من حديث البراء قال : « أهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثوب حرير ، فجعلوا يعجبون من لينه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: تعجبون من هذا ؟ لمناديل سعد بن معاذ فى الجنة أحسن من هذا » .

ولا يخفى ما فى ذكر سعد بن معاذ بخصوصه ههنا ، فإنه كان فى الأنصار بمنزلة الصديق فى المهاجرين واهتز لموته العرش ، وكان لا يأخذه فى الله لومة لائم، وختم الله له بالشهادة وآثر رضا الله ورسوله ، على رضا قومه وعشيرته وحلفائه ، ووافق حكمه الذى حكم به حكم الله فوق سبع سموأته ، ونعاه جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم يوم موته ، فحق له أن تكون مناديله ، التى يمسح بها يديه فى الجنة أحسن من حلل الملوك .

فصل

ومن ملابسهم التيجان على رؤوسهم

ذكر البيهقى من حديث يعقوب بن حميد بن كاسب أنبأنا هشام بن سليمان عكرمة عن إسماعيل بن رافع عن سعيد المقبرى وزيد بن أسلم عن أبى هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من قرأ القرآن فقام به آناء الليل والنهار ، ويحل حلاله ويحرم حرامه ، خلطه الله بلحمه ودمه ،وجعله رفيق السفرة الكرام البررة ، وإذا كان يوم القيامة كان القرآن له حجيجاً ، فقال : يارب كل عامل يعمل فى الدنيا يأخذ بعمله من الدنيا ، إلا فلانا كان يقوم فى آناء الليل وأطراف النهار ، فيحل حلالى ويحرم حرامى يقول : يارب ، فأعطه ، فيتوجه الله تاج الملوك ويكسوه من حلة الكرامة ، ثم يقول : هل رضيت ؟ فيقول : يارب أرغب له فى أفضل من هذا ، فيعطيه الله الملك بيمينه والخلد بشماله ثم يقول له : هل رضيت ؟ فيقول : نعم يارب » .

وذكر الإمام أحمد في المسند من حديث أبي بريدة عن أبيه يرفعه « تعلموا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة ، ثم سكت ساعة ثم قال : تعلموا سورة البقرة وآل عمران فإنهما الزهراوان ، وإنهما يظلان صاحبهما يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان أو فرقان من طير صواف ، والقرآن يلقى صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره كالرجل الشاحب ، فيقول له : هل تعرفني ؟ فيقول له : ما أعرفك ، فيقول له القرآن : أنا الذي أظمأتك في الهواجر وأسهرت ليلك ، وإن كل تاجر من وراء تجارته ، وإنك اليوم من وراء كل تجارة ، فيعطى الملك بيمينه والخلد بشماله ويوضع على رأسه تاج الوقار ، ويكسى والداه حلتين لا تقوم لهما الدنيا فيقولان : بم كسينا هذا ؟ فيقال : بأخذ ولدكما القرآن ، ثم يقال له اقرأ واصعد في درج الجنة وغرفها فهو في صعود ما دام يقرأ هذا كان أو ترتيلا » (البطلة) السحرة (والغيابة) ما أظل الإنسان فوقه .

وقال عبد الله بن وهب : أخبرني عمرو بن الحارث عن أبي السمح عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم « تلا قوله عز وجل (جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب) فقال: إن عليهم التيجان ، إن أدنى لؤلؤة منها لتضيء ما بين المشرق والمغرب » .

فصل

وأما الفرش فقد قال تعالى : (متكئين على فرش بطائنها من استبرق)[1] وقال تعالى : « وفرش مرفوعة » فوصف الفرش بكونها مبطنة بالاستبرق ، وهذا يدل على أمرين :

أحدهما : أن ظهائرها أعلى وأحسن من بطائنها ، لأن بطائنها للأرض ، وظهائرها للجمال والزينة والمباشرة . قال سفيان الثوري عن أبي إسحاق عن أبي هبيرة بن مريم عن عبدالله في قوله : بطائنها من استبرق ، قال : هذه البطائن قد خبرتم بها ، فكيف بالظهائر ؟ .

الثاني : يدل على أنها فرش عالية لها سمك وحشو بين البطانة والظهارة ، وقد

---

(١) سورة الرحمن آية ٥٤ .

حروى فى سمكها وارتفاعها آثار إن كانت محفوظة ، فالمراد ارتفاع محلها ، كما رواه الترمذى من حديث أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم « فى قوله (وفرش مرفوعة) قال : ارتفاعها كما بين السماء والأرض ، ومسيرة ما بينهما خمسمائة عام » قال الترمذى: حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث رشيدين بن سعد . قيل : ومعناه أن الارتفاع المذكور للدرجات والفرش عليها ، قلت رشدين بن سعد عنده مناكير . قال الدارقطنى ليس بالقوى ، وقال أحمد : لا يبالى عمن روى ، وليس به بأس فى الرقاق . وقال : أرجو أنه صالح الحديث ، وقال يحي بن معين : ليس بشىء ، وقال أبو زرعة : ضعيف ، وقال الجوزجانى : عنده مناكير ، ولاريب أنه كان سىء الحفظ ، فلا يعتمد على ما ينفرد به .

وقد قال ابن وهب : حدثنا عمرو بن الحارث عن دراج أبى السمح عن أبى الهيثم عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فى قوله (وفرش مرفوعة) قال : ما بين الفراشين كما بين السماء والأرض » وهذا أشبه أن يكون هو المحفوظ . فالله أعلم .

وقال الطبرانى : حدثنا المقدام بن داود حدثنا أسد بن موسى حدثنا حماد ابن سلمة عن على بن زيد عن مطرف عن عبدالله بن الشخير عن كعب « فى قوله عز وجل (وفرش مرفوعة) قال : مسيرة أربعين سنة » .

قال الطبرانى حدثنا إبراهيم بن نائلة حدثنا إسماعيل بن عمرو البجلى : حدثنا إسرائيل عن جعفر بن الزبير عن القاسم عن أبى أمامة قال : « سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الفرش المرفوعة قال : لو طرح فراش من أعلاها لهوى إلى قرارها مائة خريف » وفى رفع هذا الحديث نظر ، فقد قال ابن أبى الدنيا : حدثنا إسحاق بن إسماعيل حدثنا معاذ بن هشام قال : وجدت فى كتاب أبى عن القاسم عن أبي أمامة « فى قوله عز وجل (وفرش مرفوعة) قال : لو أن أعلاها سقط سما بلغ أسفلها أربعين خريفا » .

فصـــل

وأما البسط والزرابى فقد قال تعالى : (متـكئين على رفرف خضر وعبقرى حسان)[١] ، وقال تعالى : (فيها سرر مرفوعة ، وأكواب موضوعة ، ونمارق مصفوفة ، وزرابى مبثوثة)[٢] ، وذكر هشام عن أبى بشر عن سعيد بن جبير قال : (الرفرف) رياض الجنة و (العبقرى) عتاق الزرابى ، وذكر إسماعيل بن علية عن أبى رجاء عن الحسن فى قوله تعالى (متـكئين على رفرف خضر وعبقرى حسان) قال : هى البسط ، قال وأهل المدينة يقولون : هى البسط ، وأما النمارق ، فقال الواحدى : هى الوسائد ، فى قول الجميع واحدها : نمرقة ، بضم النون ، وحكى الفراء نمرقة بكسرها، وأنشد أبو عبيدة :

إذا ما بساط اللهو مد وقربت للذاته أنماطه ونمارقه

قال الـكلبي : وسائد مصفوفة بعضها إلى بعض . وقال مقاتل : هو الوسائد مصفوفة على الطنافس وزرابى ، يعنى البسط والطنافس واحدها زربية : فى قول جميع أهل اللغة والتعبير ، ومبثوثة مبسوطة منشورة .

فصـل

وأما الرفرف فقال الليث : ضرب من الثياب خضر تبسط . الواحد : رفرفة. وقال أبو عبيدة : لرفارف البسط ، وأنشد لابن مقبل :

وإنا لنزالون تغشى نعالنـــا سواقط من أصناف ربط ورفرف

وقال أبو إسحاق : قالوا : الرفرف ههنا رياض الجنة ، وقالوا : الرفرف الوسائد ، وقالوا : الرفرف المحابس ، وقالوا : فضول المحابس للفرش ، وقال المبرد :

---

(١) سورة الرحمن آية ٧٦ .

(٢) سورة الغاشية الآيات ١٣ ــ ١٦ .

هو فضول الثياب التى تتخذ الملوك فى الفرش وغيره ، قال الواحدى : وكان الأقرب هذا ، لأن العرب تسمى كسر الخباء والخرقة التى تخاط فى أسفل الخباء : رفرفاً ، ومنه الحديث فى وفاة النبى صلى الله عليه وسلم : « فرفع الرفرف فرأينا وجهه كأنه ورقة » قال ابن الأعرابى : الرفرف ههنا طرف البساط ، فشبه ما فضل من المحابس ، عما تحته بطرف الفسطاط فسمى رفرفاً .

قلت : أصل هذه الكلمة من الطرف أو الجانب فمنه الرفرف فى الحائط ، ومنه الرفرف وهو كسر الخباء وجوانب الدرع وما تدلى منها ، الواحدة رفرفة ، ومنه رفرف الطير إذا حرك جناحه حول الشىء يريد أن يقع عليه ، والرفرف ثياب خضر يتخذ منها المحابس . والواحدة رفرفة ، وكل ما فضل من شىء فثنى وعطف فهو رفرف « وفى حديث ابن مسعود ، فى قوله عز وجل . ﴿ لقد رأى من آيات ربه الكبرى ﴾[1] قال : رأى رفرفاً أخضر سد الأفق » وهو فى الصحيحين .

فصــل

وأما العبقرى ، فقال أبو عبيدة : كل شىء من البسط عبقرى . قال : ويرون أنها أرض توشى فيها ، وقال الليث : عبقر موضع بالبادية كثير الجن ، يقال : كأنهم جن وعبقر ، قال أبو عبيدة فى حديث النبى صلى الله عليه وسلم حين ذكر عمر : فلم أر عبقرياً يفرى فريه ، وإنما أصل هذا فيما يقال إنه نسب إلى عبقر ، وهى أرض يسكنها الجن ، فصار مثلا منسوب إلى شىء رفيع ، وأنشد لزهير :

بخيـــل عليها جنة عبقرية جديرون يوماً أن ينالوا فيستعلوا

وقال أبو الحسن الواحدى : وهذا القول هو الصحيح فى العبقرى ، وذلك أن العرب إذا بالغت فى وصف شىء نسبته إلى الجن أو شبهته بهم ، ومنه قول لبيد :

٭ جن النـــدا رواسياً أقدامها ٭

وقال آخر يصف امرأة :

جنية ولهـا جن يعلمها رمى القلوب بقوس ما لهـا وتر

---

(١) سورة النجم آية ١٨ .

وذلك أنهم يعتقدون فى الجن كل صفة عجيبة ، وأنهم يأتون بكل أمر عجيب »
ولما كان عبقر معروفاً بسكناهم نسبوا إلى كل شىء يبالغ فيه إليها يريدون بذلك أنه من عملهم وصنعهم هذا هو الأصل ، ثم صار العبقرى إسماً ونعتاً لكل ما بولغ فى صفته ،ويشهد لما ذكرنا بيت زهير ، فإنه نسب الجن إلى عبقر ، ثم رأينا أشياء كثيرة نسبت إلى عبقر غير البسط والثياب كقوله فى صفة عمر عبقرياً ، وروى سلمة عن الفراء .

قال العبقرى : السيد من الرجال ، وهو الفاخر من الحيوان والجوهر ، فلو كانت عبقر مخصوصة بالوشى ، لما نسب إليها غير الموشى ، وإنما ينسب إليها البسط الموشية العجيبة الصنعة كما ذكرنا ، كما نسب إليها كل ما بولغ فى وصفه ..

قال ابن عباس : وعبقرى يريد البسط والطنافس ، وقال الكلبى : هى الطنافس المجملة .

وقال قتادة هى عتاق الزرابى . وقال مجاهد : الديباج الغليظ ، وعبقرى جمع واحده عبقرية . ولهذا وصف بالجمع .

فتأمل كيف وصف الله سبحانه وتعالى الفرش بأنها مرفوعة ، والزرابى بأنها مبثوثة ، والنمارق بأنها مصفوفة ، فرفع الفرش دال على سمكها ولينها ، وبث الزرابى دال على كثرتها ، وأنها فى كل موضع لا يختص بها صدر المجلس دون مؤخره وجوانبه ، ووصف المساند، يدل على أنها مهيأة للاستناد إليها دائماً ليست مخبأة تصف فى وقت دون وقت . والله أعلم .

الباب الحادى والخمسون

فى كر خيامهم وسررهم وأرائكهم وبشخاناتهم

قال تعالى : (حور مقصورات فى الخيام)(١) وفى الصحيحين من حديث أبى موسى الأشعرى عن النبي صلى الله عليه وسلم : « إن للمؤمن فى الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلا ، فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضاً » .

وفى لفظ لهما : « فى الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة ، عرضها ستون ميلا فى كل زاوية منها أهل ، مايرون الآخرين يطوف عليهم المؤمن » .

وفى لفظ آخر لهما أيضاً « الخيمة درة طولها فى السماء ستون ميلا ، فى كل زاوية منها أهل المؤمن لا يراهم الآخرون » .

وللبخارى وحده لفظ « طولها ثلاثون ميلا » وهذه الخيم غير الغرف والقصور ، بل خيام فى البساتين وعلى شواطىء الأنهار .

وقال ابن أبى الدنيا : حدثنا الحسين بن عبد الرحمن عن أحمد بن أبى الحوارى قال سمعت أبا سليمان قال : « ينشأ خلق الحور العين إنشاء ، فإذا تكامل خلقهن ضربت عليهم الملائكة الخيام » وقال بعضهم: لما كنا أبكاراً ، وعادة البكر أن تكون مقصورة فى خدرها حتى يأخذها بعلها ، أنشأ الله تعالى الحور وقصرهن فى خدور الخيام ، حتى يجمع بينهن وبين أوليائه فى الجنة .

وقال ابن أبى الدنيا : حدثنا إسحاق حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن جابر عن القاسم بن أبى بزة عن أبى عبيدة عن مسروق عن عبد الله قال « لكل مسلم خيرة ولكل خيرة خيمة ، ولكل خيمة أربعة أبواب يدخل عليها كل يوم من كل باب تحفة وهدية وكرامة لم تكن قبل ذلك ، لا مزجات ولا زفرات ولا بخرات

---

(١) سورة الرحمن آية ٧٢

ولا طماحات ، حور عين كأنهن بيض مكنون » .

حدثنا على بن الجعد حدثنا شعبة عن عبد الملك بن ميسرة قال : سمعت أبا الأحوص يحدث عن عبدالله بن مسعود « فى قوله تعالى (حور مقصورات فى الخيام) قال : در مجوف » .

وقال عبد الله بن المبارك أنبأنا سليمان التيمى عن قتادة عن خليد القصرى عن أبى الدرداء قال : « الخيمة لؤلؤة واحدة لها سبعون باباً كلها من درة » .

قال ابن المبارك وأخبرنا همام عن قتادة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « الخيمة درة مجوفة فرسخ فى فرسخ لها أربعة آلاف مصراع من ذهب » .

وقال ابن أبى الدنيا فضيل بن عبد الوهاب حدثنا شريك عن منصور عن مجاهد : (حور مقصورات فى الخيام) قال فى خيام اللؤلؤ والخيمة لؤلؤة واحدة . حدثنى محمد بن جعفر حدثنا منصور حدثنا يوسف بن الصباح عن أبى صالح عن أبى عباس حور مقصورات فى الخيام قال : الخيمة درة من لؤلؤ مجوفة طولها فرسخ وعرضها فرسخ . ولها ألف باب من ذهب حولها سرادق دوره خمسون فرسخاً ، يدخل عليه من كل باب منها ملك بهدية من عند الله عز وجل وذلك قوله : (والملائكة يدخلون عليهم من كل باب)(١) والله أعلم .

وأما السرر فقال تعالى : (متكئين على سرر مصفوفة وزوجناهم بحور عين) وقال تعالى : (ثلة من الأولين وقليل من الآخرين ، على سرر موضونة متكئين عليها متقابلين) وقال تعالى : (فيها سرر مرفوعة) فأخبر تعالى عن سررهم بأنها مصفوفة بعضها إلى جانب بعض ليس بعضها خلف بعض ولا بعيداً من بعض . وأخبر أنها موضونة والوضن فى اللغة : النضيد والنسج المضاعف ، يقال : وضن فلان الحجر . والآجر بعضه فوق بعض ، فهو موضون .

وقال الليث الوضن : نسج السرير وأشباهه ويقال : درع موضونة مقاربة

(١) سورة الرعد آية ٢٣

النسج . وقال رجل من العرب لامرأته : ضنى متاع البيت ، أى قاربى بعضه من بعض .

قال أبو عبيدة والفراء والمبرد وابن قتيبة : موضونة منسوجة مضاعفة متداخلة بعضها على بعض، كما توضن حلق الدرع ، ومنه سمى الوضين وهو نطاق من سيور تنسج فيدخل بعضها على بعض ، وأنشدوا للأعشى :

ومن نسج داود موضونة تساق مع الحى عيرا فعيرا

قالوا موضونة : منسوجة بقضبان الذهب مشتبكة بالدر والياقوت والزبرجد . قال هشيم : أنبأنا حصين عن مجاهد عن ابن عباس قال : مرمولة بالذهب. وقال على ابن أبى طلحة عن ابن عباس موضونة : مصفوفة . فأخبر سبحانه أنها مرفوعة .

قال عطاء عن ابن عباس : قال سرر من ذهب مكللة بالزبرجد والدر والياقوت والسرير ، مثل ما بين مكة وأيلة .

وقال الكلبى : طول السرير فى السماء مائة ذراع ، فإذا أراد الرجل أن يجلس عليه تواضع له حتى يجلس عليه فإذا جلس عليه ارتفع إلى مكانه .

فصل

(وأما الأرائك) فهى جمع أريكة . قال مجاهد عن ابن عباس : (متكئين فيها على الأرائك) ،قال: لا تكون أريكة حتى يكون السرير فى الحجلة ، فإذا كان سريراً بغير حجلة لا يكون أريكة ، وإن كانت حجلة بغير سرير لم تكن أريكة ،ولا تكون أريكة إلا والسرير فى الحجلة ، فاذا اجتمعا كانت أريكة .

وقال مجاهد : هى الأسرة فى الحجال . قال الليث : الأريكة سرير حجلة فالحجلة والسرير أريكة وجمعها أرائك . وقال أبو إسحاق : الأرائك : الفرش

في الحجال. قلت : ههنا ثلاثة أشياء . أحدها : السرير . الثانية : الحجلة وهي البشخانة التي تعلق فوقه . والثالث : الفراش الذي على السرير ، ولا يسمى السرير أريكة ، حتى يجمع ذلك كله .

وفي الصحاح : الأريكة سرير متخذ مزين في قبة أو بيت ، فإذا لم يكن فيه سرير ، فهو حجلة ، والجمع الأرائك .

وفي الحديث : « أن خاتم النبي صلى الله عليه وسلم كان مثل زر الحجلة » وهو الزر الذي يجمع بين طرفيها من جملة أزرارها . والله أعلم .

الباب الثانى والخمسون

فى ذكر خدمهم وغلمانهم

قال تعالى : (يطوف عليهم ولدان مخلدون . بأكواب وأباريق وكأس معين)(١)
وقال تعالى : (ويطوف عليهم ولدان مخلدون إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤاً منثوراً)(٢)
قال أبو عبيدة والفراء : مخلدون لا يهرمون ولايتغيرون. قال والعرب تقول للرجل إذا كبر ولم يشمط : إنه لمخلد وإذا لم تذهب أسنانه من الكبر قيل : هو مخلد ، وقال آخرون : مخلدون مقرطون مسورون أى فى آذانهم القرطة وفى أيديهم الأساور. وهذا اختيار ابن الأعرابى ، قال : مخلدون مقرطون بالخلدة . وجمعها خلد وهى القرطة .

وروى عمرو عن أبيه : خلدجاريته، إذا حلاها بالخلد وهى القرطة ، وخلد إذا أسن ولم يشب،وكذلك قال سعيد بن جبيرمقرطون. واحتج هؤلاء بحجتين إحداهما: أن الخلود عام لكل من دخل الجنة ، فلابدأن تكون الولدان موصوفين بتخليد مختص بهم وذلك هو القرطة . الحجة الثانية . قول الشاعر :

ومخلدات باللجين كأنما أعجازهن رواكد الكثبان

وقال الأولون . الخلد هو البقاء . قال ابن عباس : غلمان لا يموتون . وقول ترجمان القرآن فى هذا كاف ، وهو قول مجاهدوالكلبى ، ومقاتل قالوا : لا يكبرون ولا يهرمون ولا يتغيرون ، وجمعت طائفة بين القولين ، وقالوا : هم ولدان لايعرض لهم الكبر والهرم وفى آذانهم القراطة. فمن قال مقرطون أراد هذا المعنى ، أن كونهم ولدان أمر لازم لهم وشبههم سبحانه باللؤلؤ المنثور لما فيه من البياض وحسن الخلقة

---

(١) سورة الواقعة الآيتان ١٧ ، ١٨ .
(٢) سورة الإنسان آية ١٩

وفى كونه منثوراً فائدتان : إحداهما الدلالة على أنهم غير معطلين بل مبثوثون فى خدمتهم وحوائجهم . والثانية : أن اللؤلؤ إذا كان منثوراً ولا سيما على بساط من ذهب أو حرير ، كان أحسن لمنظره وأبهى من كونه مجموعاً فى مكان واحد .

وقد اختلف فى هؤلاء الولدان هل هم من ولدان الدنيا أم أنشأهم الله فى الجنة إنشاء ؟ على قولين : فقال على بن أبى طالب والحسن البصرى : هم أولاد المسلمين الذين يموتون ولا حسنة لهم ولا سيئة لهم يكونون خدم أهل الجنة ، وولدانهم إذ الجنة لا ولادة فيها .

قال الحاكم ثنا عبد الرحمن بن الحسن ثنا إبراهيم بن الحسين ثنا آدم ثنا المبارك بن فضالة عن الحسن فى قوله : (ولدان مخلدون) قال: لم يكن لهم حسنات ولا سيئات فيعاقبون عليها فوضعوا بهذا الموضع . ومن أصحاب هذا القول من قال : هم أطفال المشركين ، فجعلهم الله خدماً لأهل الجنة، واحتج هؤلاء بما رواه يعقوب بن عبد الرحمن القارى عن أبى حازم ، قال المدينى عن يزيد الرقاشى عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «سألت ربى اللاهين من ذرية البشر أن يعذبهم فأعطانيهم فهم خدم أهل الجنة» يعنى الأطفال .

قال الدارقطنى : ورواه عبد العزيز الماجشون عن ابن المنكدر عن يزيد الرقاشى عن النبي صلى الله عليه وسلم انتهى ، ورواه فضيل بن سليمان عن عبد الرحمن بن إسحاق عن الزهرى عن أنس وهذه الطرق ضعيفة فيزيد واه . وفضيل بن سليمان متكلم فيه وعبد الرحمن بن إسحاق ضعيف .

قال ابن قتيبة : واللاهون من لهيت عن الشيء إذا غفلت عنه وليس هو من لهوت ، وأصحاب القول الأول لا يقولون : إن هؤلاء أولاد ولدوا لأهل الجنة فيها، وإنما يقولون : هم غلمان أنشأهم الله فى الجنة ، كما أنشأ الحور العين .

قالوا : وأما ولدان أهل الدنيا فيكونون يوم القيامة أبناء ثلاث وثلاثين لما رواه ابن وهب أنبأنا عمرو بن الحارث أن دراجا أبا السمح حدثه عن أبى الهيثم عن أبى سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من مات من أهل الجنة من صغير أو كبير يردون بنى ثلاثين سنة فى الجنة ، لا يزيدون عليها أبداً وكذلك أهل النار » رواه الترمذى .

والأشبه أن هؤلاء الولدان مخلوقون من الجنة كالحور العين خدماً لهم وغلماناً، كما قال تعالى : (ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون) وهؤلاء غير أولادهم، فإن من تمام كرامة الله تعالى لهم أن يجعل أولادهم مخدومين معهم ولا يجعلهم غلمانا لهم.

وقد تقدم فى حديث أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم : « أنا أول الناس خروجاً إذا بعثوا وفيه يطوف على ألف خادم كأنهم لؤلؤ مكنون » والمكنون : المستور المصون الذى لم تبتذله الأيادى ، وإذا تأملت لفظة الولدان ولفظة يطوف عليهم واعتبرتها بقوله : (ويطوف عليهم غلمان لهم) وضممت ذلك إلى حديث أبى سعيد المذكور آنفاً ، علمت أن الولدان غلمان أنشأهم الله تعالى فى الجنة خدماً لأهلها . والله أعلم .

الباب الثالث والخمسون

فى ذكر نساء أهل الجنة وأصنافهن وحسنهن وأوصافهن وجمالهن الظاهر والباطن الذى وصفهن الله تعالى به فى كتابه

قال تعالى :(وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقاً قالوا هذا الذى رزقنا من قبل وأتوا به متشابهاً ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون)(١) فتأمل جلالة المبشر ومنزلته وصدقه وعظمة من أرسله إليك بهذه البشارة وقدر ما بشرك به وضمنه لك على أسهل شىء عليك وأيسره ، وجمع سبحانه فى هذه البشارة بين نعيم البدن بالجنات وما فيها من الأنهار والثمار ، ونعيم النفس بالأزواج المطهرة ، ونعيم القلب وقرة العين بمعرفة دوام هذا العيش أبد الآباد وعدم انقطاعه .

والأزواج : جمع زوج ، والمرأة زوج للرجل وهو زوجها ، هذا هو الأفصح وهو لغة قريش وبها نزل القرآن كقوله (اسكن أنت وزوجك الجنة)(٢) ومن العرب من يقول : زوجة وهو نادر ، لا يكادون يقولونه ، وأما المطهرة فإن جرت صفة على الواحدة فيجرى صفة على جمع التكسير إجراء له مجرى جماعة . كقوله تعالى (مساكن طيبة)(وقرى ظاهرة) ونظائره ، والمطهرة : من طهرت من الحيض والبول والنفاس والغائط والمخاط والبصاق وكل قذر وكل أذى يكون من نساء الدنيا ، فطهر مع ذلك باطنها من الأخلاق السيئة والصفات المذمومة ، وطهر لسانها من الفحش والبذاء ، وطهر طرفها من أن تطمع به إلى غير زوجها ، وطهرت أثوابها من أن يعرض لها دنس أو وسخ .

قال عبد الله بن المبارك ثنا شعبة عن قتادة عن أبى نظرة عن أبى سعيد عن النبى

---

(١) سورة البقرة آية ٢٥

(٢) سورة البقرة آية ٣٥

صلى الله عليه وسلم : « لهم فيها أزواج مطهرة » قال : من الحيض والغائط والنجاسة والبصاق » وقال عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس: مطهرة لا يحضن ولا يحدثن ولا يتنخمن ، وقال ابن عباس أيضاً مطهرة من القذر والأذى ، وقال مجاهد: لا يبلن ولا يتغوطن ولا يمذين ولا يمنين ولا يحضن ولا يبصقن ولا يتنخمن ولا يلدن ، وقال قتادة: مطهرة من الإثم والأذى ، طهرهن الله سبحانه من كل بول وغائط وقذر ومأثم ، وقال عبد الرحمن بن زيد : المطهرة التي لا تحيض وأزواج الدنيا لسن بمطهرات ألا تراهن يدمين ويتركن الصلاة والصيام ، قال : وكذلك خلقت حواء حتى عصت ، فلما عصت قال الله : إني خلقتك مطهرة وسأدميك كما دميت هذه الشجرة .

وقال تعالى : (إن المتقين في مقام أمين : في جنات وعيون . يلبسون من سندس وإستبرق متقابلين ، كذلك وزوجناهم بحور عين ، يدعون فيها بكل فاكهة آمنين . لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى ووقاهم ربهم عذاب الجحيم)(١) فجمع لهم بين حسن المنزل وحصول الأمن فيه من كل مكروه واشتماله على الثمار والأنهار، وحسن اللباس وكمال العشرة لمقابلة بعضهم بعضاً ، وتمام اللذة بالحور العين ودعائهم بجميع أنواع الفاكهة مع أمنهم من انقطاعها ومضرتها وغائلتها ، وختام ذلك أعلمهم بأنهم لا يذوقون فيها هناك موتاً .

والحور : جمع حوراء وهي المرأة الشابة الحسناء الجميلة البيضاء شديدة سواد العين . وقال زيد بن أسلم : الحوراء التي يحار فيها الطرف ، وعين حسان الأعين ، وقال مجاهد : الحوراء التي يحار فيها الطرف من رقة الجلد وصفاء اللون .

وقال الحسن : الحوراء شديدة بياض العين شديدة سواد العين ، واختلف في اشتقاق هذه اللفظة ، فقال ابن عباس : الحور في كلام العرب البيض ، وكذلك قال قتادة : الحور البيض ، وقال مقاتل : الحور البيض الوجوه . وقال مجاهد :

---

(١) سورة الدخان الآيات ٥١ ـ ٥٦ .

الحور العين التي يحار فيهن الطرف باديا مخ سوقهن من وراء ثيابهن ، ويرى الناظر وجهه في كبد إحداهن كالمرآة من رقة الجلد ، وصفاء اللون . وهذا من الاتفاق وليست اللفظة مشتقة من الحيرة . وأصل الحور : البياض . والتحوير : التبييض . والصحيح : مأخوذ من الحور إن الحور في العين ، وهو شدة بياضها مع قوة سوادها فهو يتضمن الأمرين .

وفي الصحاح : الحور شدة بياض العين في شدة سوادها . امرأة حوراء : بينة الحور . وقال أبو عمرو : والحور : أن تسود العين كلها مثل أعين الظباء والبقر ، وليس في بني آدم حور ، وإنما قيل : النساء حور العين ، لأنهن شبهن بالظباء والبقر . وقال الأصمعي : ما أدري ما الحور في العين ؟ قلت : خالف أبو عمرو وأهل اللغة في اشتقاق اللفظة ورد الحور إلى السواد ، والناس وغيره إنما ردوه إلى البياض أو إلى بياض في سواد ، والحور في العين : معنى يلتئم من حسن البياض والسواد وتناسبهما واكتساب كل واحد منهما الحسن من الآخر ، عين حوراء : إذا اشتد بياض أبيضها وسواد أسودها ، ولا تسمى المرأة حوراء حتى يكون مع حور عينها بياض لون الجسد . والعين : جمع عيناء وهي العظيمة العين من النساء ، ورجل أعين ضخم العين إذا كان . وامرأة عيناء . والجمع عين . والصحيح : أن العين اللائي جمعت أعينهن صفات الحسن والملاحة ، قال مقاتل : العين حسان الأعين ومن محاسن المرأة اتساع عينها في طول ، وضيق العين في المرأة من العيوب ، وإنما يستحب الضيق منها في أربعة مواضع : فمها وخرق أذنها وأنفها ، وماهنالك ، ويستحب السعة منها في أربعة مواضع : وجهها وصدرها لونها وفرها وبياض عينها . ويستحب السواد منها في أربعة مواضع : عينها وكاهلها وهو مابين كتفيها ، وجبهتها ، ويستحسن البياض منها في أربعة مواضع : لونها وفرقها وثغرها وبياض عينها ، ويستحب السواد منها في أربعة مواضع : عينها وحاجبها وهدبها وشعرها ، ويستحب الطول منها في أربعة : قوامها وعنقها وشعرها وبنانها ، ويستحب القصر منها في أربعة : وهي معنوية لسانها ويدها ورجلها وعينها ، فتكون قاصرة الطرف قصيرة الرجل واللسان عن الخروج وكثرة الكلام ، قصيرة اليد عن تناول ما يكره الزوج ، وعن بذله ، وتستحب الرقة منها في أربعة : خصرها وفرقها وحاجبها وأنفها .

فصـل

وقوله تعالى : (وزوجناهم بحور عين) قال أبو عبيدة: جعلناهم أزواجاً كما يزوج النعل بالنعل جعلناهم اثنين اثنين . وقال يونس :قرناهم بهن وليس من عقد التزويج، قال : والعرب لا تقول :تزوجت بها وإنما تقول تزوجتها . قال ابن نصر هذا والتنزيل يدل على ما قاله يونس وذلك قوله تعالى : (فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها)(١) ولو كان على تزوجت بها لقال زوجناك بها . وقال ابن سلام : تميم تقول : تزوجت امرأة وتزوجت بها ، وحكاه الكسائي أيضاً . وقال الأزهري:تقول العرب: زوجته امرأة وتزوجت امرأة وليس من كلامهم : تزوجت بامرأة ، وقوله تعالى: (وزوجناهم بحور عين) أي قرناهم. وقال الفراء : هي لغة في ازدشنوءة قال الواحدي : وقول أبي عبيدة في هذا أحسن؛ لأنه جعله من التزويج الذي هو بمعنى جعل الشيء زوجاً ، لا بمعنى عقد النكاح ، ومن هذا يجوز أن يقال : كان فرداً فزوجته بآخر ، كما يقال شفعته بآخر ، وإنما تمتنع الباء عند من يمنعها ، إذا كان بمعنى عقد التزويج .

قلت : ولا يمتنع أن يراد الأمران معاً ، فلفظ التزويج يدل على النكاح ، كما قال مجاهد : أنكحناهم الحور ، ولفظ الباء تدل على الاقتران والضم ، وهذا أبلغ من حذفها والله أعلم . وقال تعالى : (فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان : فبأي آلاء ربكما تكذبان . كأنهن الياقوت والمرجان)(٢) وصفهن سبحانه بقصر الطرف في ثلاثة مواضع : أحدها : هذا . والثاني : قوله تعالى في الصافات (وعندهم قاصرات الطرف عين) . والثالث : قوله تعالى في ص (وعندهم قاصرات الطرف أتراب) والمفسرون كلهم على أن المعنى قصرة طرفهن على أزواجهن فلا يطمحن إلى غيرهم . وقيل : قصرن طرف أزواجهن عليهن فلا يدعهم حسنهن

(١) سورة الأحزاب آية ٣٧.

(٢) سورة الرحمن الآيات ٥٦ ـ ٥٨ .

وجمالهن ، أن ينظروا إلى غيرهن ، وهذا صحيح من جهة المعنى ، وأما من جهة اللفظ : فقاصرات صفة مضافة إلى الفاعل ، لحسان الوجوه وأصله قاصر طرفهن . أى ليس بطامح متعد .

قال آدم : حدثنا ورقاء عن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله (قاصرات الطرف) قال يقول قاصرات الطرف على أزواجهن فلا يبغين غير أزواجهن ، قال آدم : وحدثنا المبارك بن فضالة عن الحسن قال : قصرن طرفهن على أزواجهن فلا يردن غيرهم والله ما هن متبرجات ، ولا متطلعات ، وقال منصور عن مجاهد : قصرن أبصارهن وقلوبهن وأنفسهن على أزواجهن ، فلا يردن غيرهم . وفى تفسير سعيد عن قتادة قال : وقصرن أطرافهن على أزواجهن فلا يردن غيرهم ، وأما الأتراب فجمع ترب : وهو لدة الإنسان .

قال أبو عبيدة وأبو إسحاق : أقران أسنانهن واحدة ، قال ابن عباس : وسائر المفسرين مستويات على سن واحد وميلا واحد بنات ثلاث وثلاثين سنة . وقال مجاهد : أتراب : أمثال . وقال أبو إسحاق : هن فى غاية الشباب والحسن ، وسمى سن الإنسان وقرنه تربه ؛ لأنه مس تراب الأرض معه فى وقت واحد ، والمعنى من الإخبار باستواء أسنانهن أنهن ليس فيهن عجائز قد فات حسنهن ، ولا ولائد لا يطقن الوطء بخلاف الذكور ، فإن فيهم الولدان وهم الخدم ، وقد اختلف فى مفسر الضمير فى قوله فيهن فقالت طائفة : مفسره الجنتان وما حوتاه من القصور والغرف والخيام . وقالت طائفة : مفسره الفرش المذكورة فى قوله متكئين على فرش بطائنها من إستبرق)[1] ، وفى بمعنى على ، وقوله تعالى (لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان)[2] قال أبو عبيدة : لم يمسهن يقال ما طمث هذا البعير حبل قط أى ما مسه . وقال يونس : تقول العرب هذا جمل ماطمثه حبل قط أى مامسه . وقال الفراء : الطمث الافتضاض وهو النكاح بالتدمية ، والطمث هو الدم . وفيه

---

(١) سورة الرحمن آية ٥٤ .

(٢) سورة الرحمن آية ٥٦ .

لغتان طمث يطمث ويطمث . قال الليث : طمثت الجارية إذا افترعتها ، والطامث في لغتهم هي الحائض. قال أبو الهيثم : يقال للمرأة : طمثت تطمث إذا أدميت بالافتضاض، وطمثت على فعلت تطمث إذا حاضت أول ما تحيض فهي طامث ، وقال في قول الفرزدق :

جرجن للاتى لم يطمثن قبلى وهن أصح من بيض النعام

أى لم يمسسن قال المفسرون : لم يطأهن ولم يغشهن ولم يجامعهن هذه ألفاظهم ، وهم مختلفون في هؤلاء فبعضهم يقول هن اللواتى أنشئن في الجنة من حورها وبعضهم يقول يعنى نساء الدنيا أنشئن خلقاً آخر أبكاراً كما وصفن .

قال الشعبي : نساء من نساء الدنيا لم يمسسن منذ أنشئن خلقاً .

وقال مقاتل : لأنهن خلقن في الجنة ، وقال عطاء عن ابن عباس : هن الآدميات اللاتى متن أبكاراً .

وقال الكلبي : لم يجامعهن في هذا الخلق الذى أنشئن فيه إنس ولا جان .

قلت : ظاهر القرآن أن هؤلاء النسوة لسن من نساء الدنيا ، وإنما هن من الحور العين ، أما نساء الدنيا فقد طمثهن الإنس ونساء الجن قد طمثهن الجن والآية تدل على ذلك .

وقال أبو إسحق : وفى هذه الآية دليل على أن الجن يغشى ، كما أن الإنس يغشى. ويدل على أنهن الحور اللاتى خلقن في الجنة ، أنه سبحانه جعلهن مما أعده الله فى الجنة لأهلها من الفواكه والثمار والأنهار والملابس وغيرها ، ويدل عليه أيضاً الآية التى بعدها وهى قوله تعالى (حور مقصورات فى الخيام)[1] ثم قال (لم يطمثهن إنس قبلهم ولاجان) .

قال الإمام أحمد : والحور العين لا يمتن عند النفخة للصور ؛ لأنهن خلقن

(١) سورة الرحمن آية ٧٢ .

البقاء ، وفى الآية دليل لما ذهب إليه الجمهور ، أن مؤمن الجن فى الجنة كما أن كافرهم فى النار . وبوب عليه البخارى فى صحيحه فقال: باب ثواب الجن وعقابهم ، ونص عليه غير واحد من السلف ، قال ضمرة بن حبيب ، وقد سئل هل للجن ثواب ؟ فقال نعم ، وقرأ هذه الآية ثم قال: الإنسيات للانس والجنيات للجن ، وقال مجاهد فى هذه الآية : إذا جامع الرجل ولم يسم انطوى الجان على إحليله فجامع معه والضمير فى قوله (قبلهم) للمعنيين بقوله متكئين ، وهم أزواج هؤلاء النسوة .

وقوله (كأنهن الياقوت والمرجان)[1] قال الحسن وعامة المفسرين : أراد صفاء الياقوت فى بياض المرجان ، شبههن فى صفاء اللون وبياضه بالياقوت والمرجان . ويدل عليه ما قاله عبدالله : أن المرأة من نساء أهل الجنة لتلبس عليها سبعين حلة من حرير ، فيرى بياض ساقيها من ورائهن ذلك بأن الله يقول (كأنهن الياقوت والمرجان) ألا وإن الياقوت حجر لو جعلت فيه سلكا ثم استصفيته نظرت إلى السلك من وراء الحجر .

فصل

وقال تعالى فى وصفهن (حور مقصورات فى الخيام) المقصورات المحبوسات . قال أبو عبيدة: خدرن فى الخيام ، وكذلك قال مقاتل وفيه معنى آخر، وهو أن يكون المراد أنهن محبوسات على أزواجهن ، لا يرون غيرهم وهم فى الخيام ، وهذا معنى قول من قال : قصرن على أزواجهن فلا يردن غيرهم ، ولا يطمحن إلى من سواهم، وذكره الفراء .

قلت : وهذا معنى (قاصرات الطرف) لكن أولئك قاصرات بأنفسهن وهؤلاء مقصورات ، وقوله فى الخيام على هذا القول: صفة لحور، أى هن فى الخيام،

---

(١) سورة الرحمن آية ٥٨ .

وليس ممولا للقصورات ، وكأن أرباب هذا القول ، فسروا بأن يكن محبوسات في الخيام لا تفارقنها إلى الغرف والبساتين .

أصحاب القول الأول يجيبون عن هذا . بأن الله سبحانه وصفهن بصفات النساء المخدرات المصونات ، وذلك أجمل فى الوصف ، ولا يلزم من ذلك أنهن لا يفارقن الخيام إلى الغرف والبساتين ، كما أن نساء الملوك ودونهم من النساء المخدرات المصونات لا يمنعن أن يخرجن فى سفر وغيره إلى منتزه وبستان ونحوه . فوصفهن اللازم لهن القصر فى البيت ويعرض لهن مع الخدم الخروج إلى البساتين ونحوها ، وأما مجاهد فقال : مقصورات قلوبهن على أزواجهن في خيام اللؤلؤ ، وقد تقدم وصف النسوة الأول بكونهن قاصرات الطرف ، وهؤلاء بكونهن مقصورات ، والوصفان لكلا النوعين فإنهما صفتا كمال . فتلك الصفة قصر الطرف عن طموحه إلى غير الأزواج ، وهذه الصفة قصر الرجل على التبرج والبروز والظهور للرجال .

فصل

وقال تعالى : (فيهن خيرات حسان) فالخيرات جمع خيرة وهى مخففة من خيرة كسيدة ولينة ، وحسان : جمع حسنة فهن خيرات الصفات والأخلاق والشيم ، حسان الوجوه.

قال وكيع : حدثنا سفيان عن جابر عن القاسم عن أبي بزة عن أبي عبيدة عن مسروق عن عبد الله قال : « لكل مسلم خيرة ولكل خيرة خيمة ولكل خيمة أربعة أبواب يدخل عليها فى كل يوم من كل باب تحفة وهدية وكرامة لم تكن قبل ذلك ، لامرحات ولا ذفرات ولا بخرات ولا طماحات » .

فصل

وقال تعالى (إنا أنشأناهن إنشاء . فجعلناهن أبكارا . عربا أترابا ، لأصحاب اليمين)(١) أعاد الضمير إلى النساء ولم يجر لهن ذكر ؛ لأن الفرش دلت عليهن إذ هن محالهن . وقيل الفرش فى قوله (وفرش مرفوعة) كناية عن النساء ، كما يكنى عنهن بالقوارير والأزر وغيرها . ولكن قوله مرفوعة يأبى هذا إلا أن يقال: المراد رفعة القدر . وقد تقدم تفسير النبي صلى الله عليه وسلم للفرش وارتفاعها ، فالصواب أنها الفرش نفسها ودلت على النساء ؛ لأنها محلهن غالباً . قال قتادة وسعيد ابن جبير : خلقناهن خلقاً جديداً ، وقال ابن عباس : يريد نساء الآدميات . وقال الكلبي ومقاتل : يعنى نساء أهل الدنيا العجز الشمط . يقول تعالى : خلقناهن بعد الكبر والهرم بعد الخلق الأول فى الدنيا ، ويؤيد هذا التفسير حديث أنس المرفوع « هن عجائزكم العمش الرمض » رواه الثورى عن موسى بن عبيدة عن يزيد الرقاشى عنه ويؤيده ما رواه يحي الحمانى حدثنا ابن إدريس عن ليث عن مجاهد عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « دخل عليها وعندها عجوز فقال من هذه ؟ فقالت : إحدى خالاتى ، قال: أما إنه لايدخل الجنة العجوز ، فدخل على العجوز من ذلك ما شاء الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم (إنا أنشأناهن إنشاء) خلقاً آخر يحشرون يوم القيامة حفاة عراة غرلا وأول من يكسى إبراهيم خليل الله ، ثم قرأ النبي صلى الله عليه وسلم (إنا أنشأناهن إنشاء) » .

قال آدم بن أبي إياس حدثنا شيبان عن الزهرى عن جابر الجعفى عن يزيد ابن مرة عن سلمة بن يزيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى قوله (إنا أنشأناهن إنشاء) قال : يعنى الثيب والأبكار اللاتى كن فى الدنيا » .

قال آدم وحدثنا المبارك بن فضالة عن الحسن قال : قال رسول الله صلى الله

---

(١) سورة الواقعة الآيات ٣٥ ـ ٣٨ .

عليه وسلم « لا يدخل الجنة العجز فبكت عجوز ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أخبروها أنها يومئذ ليست بعجوز ، إنها يومئذ شابة، إن الله عز وجل يقول (إنا أنشأناهن إنشاء) » .

وقال ابن أبي شيبة حدثنا أحمد بن طارق حدثنا مسعدة بن اليسع حدثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن عائشة « أن النبي صلى الله عليه وسلم أتته عجوز من الأنصار فقالت : يارسول الله ادع الله أن يدخلني الجنة ، فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم : إن الجنة لا يدخلها عجوز ، فذهب نبي الله صلى الله عليه وسلم فصلى ثم رجع إلى عائشة فقالت عائشة : لقد لقيت من كلمتك مشقة وشدة ، فقال صلى الله عليه وسلم: إن ذلك كذلك إن الله تعالى إذا أدخلهن الجنة حولهن أبكاراً » .

وذكر مقاتل قولا آخر وهو اختيار الزجاج أنهن الحور العين التي ذكرهن ، قيل : أنشأهن الله عز وجل لأوليائه لم يقع عليهن ولادة » والظاهر أن المراد أنشأهن الله تعالى في الجنة إنشاء ويدل عليه وجوه :

أحدها : أنه قد قال في حق السابقين (يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب — إلى قوله — كأمثال اللؤلؤ المكنون) فذكر سررهم وآنيتهم وشرابهم وفاكهتهم وطعامهم وأزواجهم من الحور العين ، ثم ذكر أصحاب الميمنة وطعامهم وشرابهم وفرشهم ونساءهم ، والظاهر : أنهن مثل نساء من قبلهن خلقن في الجنة .

الثاني : أنه سبحانه قال (إنا أنشأهن إنشاء) وهذا ظاهر أنه إنشاء أول لا ثان ، لأنه سبحانه حيث يريد الإنشاء الثاني يقيده بذلك ، كقوله (وأن عليه النشأة الأخرى)[1] وقوله (ولقد علمتم النشأة الأولى)[2] .

الثالث : أن الخطاب بقوله (وكنتم أزواجاً ثلاثة) إلى آخره للذكور والإناث،

---

(١) سورة النجم ٤٧ (٢) سورة الواقعة آية ٦٢ .

والنشأة الثانية أيضا عامة للنوعين ، وقوله (إنا أنشأناهن إنشاء)(١) ظاهره اختصاصهن بهذا الإنشاء ، وتأمل تأكيده بالمصدر والحديث لا يدل على اختصاص العجائز المذكورات بهذا الوصف ، بل يدل على مشاركتهن للحور العين في هذه الصفات المذكورة ، فلا يتوهم انفراد الحور العين عنهن بما ذكر من الصفات ، بل هي أحق به منهن ، فالإنشاء واقع على الصنفين والله أعلم . وقوله (عربا) جمع عروب وهن المتحببات إلى أزواجهن . قال ابن الإعرابي : العروب من النساء المطيعة لزوجها المتحببة إليه . وقال أبو عبيدة : العروب الحسنة التبعل .

قلت : يريد حسن موافقتها وملاطفتها لزوجها عند الجماع ، وقال المبرد : هي العاشقة لزوجها وأنشد للبيد :

وفي الحدوج عروب غير فاحشة ريا الروادف يعشى دونها البصر

وذكر المفسرون في تفسير « العرب » أنهن العواشق المتحببات الغنجات الشكلات المتعشقات الغلمات المغنوجات ، كل ذلك من ألفاظهم . وقال البخارى في صحيحه : عربا مثقلة واحدها عروب ، مثل صبور وصبر تسميها أهل مكة العربة ، وأهل المدينة الغنجة ، وأهل العراق الشكلة « والعرب » المتحببات إلى أزواجهن . هكذا ذكره في كتاب « بدء الخلق » وقال في كتاب التفسير في سورة الواقعة : عربا مثقلة واحدها عروب مثل صبور وصبر تسميها أهل مكة العربة ، وأهل المدينة الغنجة ، وأهل العراق الشكلة . قلت : فجمع سبحانه بين حسن صورتها وحسن عشرتها ، وهذا غاية ما يطلب من النساء وبه تكمل لذة الرجل بهن وفي قوله (لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان)(٢) إعلام بكمال اللذة بهن ، فإن لذة الرجل بالمرأة التي لم يطأها سواه ، لها فضل على لذته بغيرها ، وكذلك هي أيضا .

فصل

وقال تعالى : (إن للمتقين مفازا . حدائق وأعنابا . وكواعب أترابا)(٣)

---

(١) سورة الواقعة آية ٣٥ .

(٢) سورة الرحمن آية ٥٦ .

(٣) سورة النبأ آية ٣٢ .

فالكواعب : جمع كاعب وهى الناهد. قال قتادة ومجاهد والمفسرون : قال الكلبى : هن الفلكات اللواتى تكعب ثديهن وتفلكت ، وأصل اللفظة من الاستدارة. والمراد أن ثديهن نواهد كالرمان ليست متدلية إلى أسفل ، ويسمين نواهد وكواعب.

فصـــــل

روى البخارى فى صحيحه عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لغدوة فى سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها ، ولقاب قوس أحدكم أو موضع قيده يعنى سوطه من الجنة خير من الدنيا وما فيها ، ولو اطلعت امرأة من نساء أهل الجنة إلى الأرض لملأت ما بينهما ريحاً ولأضاءت ما بينهما ، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها » .

وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم « إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر ، والتى تليها على أضوأ كوكب درى فى السماء ، ولكل امرىء منهم زوجتان ، يرى مخ سوقهما من وراء اللحم ، وما فى الجنة أعزب »

وقال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة حدثنا يونس عن محمد بن سيرين عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم « للرجل من أهل الجنة زوجتان من الحور العين ، على كل واحدة سبعون حلة يرى مخ ساقها من وراء الثياب »

وقال الطبرانى حدثنا بكر بن سهل الدمياطى حدثنا عمرو بن هشام البيرونى حدثنا سليمان بن أبى كريمة عن هشام بن حسان عن الحسن عن أبيه عن أم سلمة ، قالت « قلت يارسول الله أخبرنى عن قول الله عز وجل (حور عين) قال : حور بيض (عين) ضخام العيون شفر ، الحوراء بمنزلة جناح النسر ، قلت : أخبرنى عن قوله عز وجل (كأنهن لؤلؤ مكنون) قال : صفاؤهن صفاء الدر الذى فى الأصداف الذى لم تمسه الأيدى ، قلت: يارسول الله أخبرنى عن قوله عز وجل (فيهن خيرات حسان) قال:

خيرات الأخلاق حسان الوجوه ، قلت : يارسول الله أخبرني عن قوله عزوجل (كأنهن بيض مكنون) [١] قال : رقتهن كرقة الجلد الذى رأيته فى داخل البيضة مما يلى القشر وهو الغرقىء ، قلت يارسول الله أخبرنى عن قوله عز وجل (عرباً أترابا) قال : هن اللواتى قبضن فى دار الدنيا عجائز رمصاً شمطا خلقهن الله بعد الكبر، فجعلهن عذارى عرباً متعشقات متحببات أتراباً على ميلاد واحد ، قلت : يارسول الله نساء الدنيا أفضل أم الحور العين ؟ قال : بل نساء الدنيا أفضل من الحور كفضل الظهارة على البطانة ، قلت : يارسول الله وبم ذلك ، قال بصلاتهن وصيامهن وعبادتهن الله تعالى ، ألبس الله وجوههن النور وأجسادهن الحرير بيض الألوان خضر الثياب صفر الحلى مجامرهن الدر وأمشاطهن الذهب ، يقلن نحن الخالدات فلا نموت ونحن الناعمات فلا نبأس أبدا ، ونحن المقيمات فلا نظعن أبدا ، ونحن الراضيات فلا نسخط أبدا ، طوبى لمن كنا له وكان لنا ، قلت : يارسول الله المرأة منا تتزوج زوجين أو ثلاثة أو أربعة ثم تموت فتدخل الجنة ، ويدخلون معها ، من يكون زوجها ؟ قال : يا أم سلمة إنها تخير فتختار أحسنهم خلقا فتقول: أى رب ، إن هذا كان أحسنهم معى خلقا فى دار الدنيا فزوجنيه ، يا أم سلمة ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة » تفرد به سليمان بن أبى كريمة ضعفه أبو حاتم ، وقال ابن عدى عامة أحاديثه مناكير. ولم أر للمتقدمين فيه كلاما ثم ساق هذا الحديث من طريقه . وقال: لا يعرف إلا بهذا السند .

وقال أبو يعلى الموصلى حدثنا عمر بن الضحاك بن مخلد حدثنا أبو عاصم الضحاك ابن مخلد حدثنا أبو رافع إسماعيل بن رافع عن محمد بن زياد عن محمد بن كعب القرظى عن رجل من الأنصار، عن أبى هريرة قال: حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى طائفة من أصحابه، فذكر حديث الصور وفيه « فأقول يارب وعدتنى الشفاعة فشفعنى فى أهل الجنة يدخلون الجنة ، فيقول الله : قد شفعتك وأذنت لهم فى دخول الجنة » وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « والذى بعثنى بالحق ، ما أنتم

(١) سورة الصافات آية ٤٩ .

في الدنيا بأعرف بأزواجكم ومساكنكم من أهل الجنة بأزواجهم ومساكنهم ، فيدخل رجل منهم على اثنتين وسبعين زوجة مما ينشىء الله وثنتين من ولد آدم لهما فضل على من أنشأ الله، لعبادتهما الله عز وجل في الدنيا ، يدخل على الأولى منهما في غرفة من ياقوتة على سرير من ذهب مكلل باللؤلؤ عليه سبعون زوجاً من سندس وإستبرق ، وإنه ليضع يده بين كتفيها ثم ينظر إلى يده من صدرها ومن وراء ثيابها وجلدها ولحمها ، وإنه لينظر إلى مخ ساقها ، كما ينظر أحدكم إلى السلك في قصبة الياقوت ، كبده لها مرآة وكبدها له مرآة ، فبينا هو عندها لا يملها ولا تمله ، ولا يأتيها من مرة إلا وجدها عذراء ما يفتر ذكره ولا يشتكي قبلها ، فبينا هو كذلك إذ نودى إنا قد عرفنا أنك لا تمل ولا تمل ، إلا أنه لا مني ولا منية ، إلا أن تكون له أزواج غيرها فتخرج فتأتيهن واحدة واحدة كلما جاءت واحدة قالت : والله ما في الجنة شيء أحسن منك . وما في الجنة شيء أحب إلى منك » .

هذا قطعة من حديث الصور والذي تفرد به إسماعيل بن رافع . وقد روى له الترمذي وابن ماجه وضعفه أحمد ويحيي وجماعة . وقال الدارقطني وغيره : متروك الحديث . وقال ابن عدي: عامة أحاديثه فيها نظر . وقال الترمذي: ضعفه بعض أهل العلم. وسمعت محمداً ، يعني البخاري يقول : هو ثقة مقارب الحديث .

وقال لي شيخنا أبو الحجاج الحافظ : هذا الحديث مجموع من عدة أحاديث ساقه إسماعيل أو غيره هذه السياقة ، وشرحه الوليد بن مسلم في كتاب مفرد ، وما تضمنه معروف في الأحاديث. والله أعلم .

وقال عبد الله بن وهب حدثنا عمرو أن دراجاً حدثه عن أبي الهيثم عن أبي سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن أدنى أهل الجنة منزلة الذي له ثمانون ألف خادم واثنتان وسبعون زوجة، وينصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت كما بين الجابية وصنعاء » رواه الترمذي ولكن دراج أبو السمح بالطريق . قال أحمد : أحاديثه مناكير، وقال النسائي: منكر الحديث . وقال أبو حاتم: ضعيف . وقال النسائي أيضاً : ليس بالقوي. وساق له ابن عدي أحاديث وقال : عامتها لا يتابع عليها .

وقال الدار قطني : ضعيف . وقال : مرة متروك . وأما يحيي بن معين فقد وثقه -

وأخرج عنه أبو حاتم بن حبان في صحيحه ، وقال عثمان بن سعيد الدارمي عن علي ابن المديني : هو ثقة .

وقال ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث عن أبي السمح عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى : (كأنهن الياقوت والمرجان) قال : « ينظر إلى وجهه في خدها أصفى من المرآة ، وإن أدنى لؤلؤة عليها لتضيء ما بين المشرق والمغرب ، وإنه ليكون عليها سبعون ثوباً ينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك » .

وقال الفريابي : أنبأنا أبو أيوب سليمان بن عبد الرحمن حدثنا خالد بن يزيد بن أبي مالك عن أبيه عن خالد بن معدان عن أبي أمامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما من عبد يدخل الجنة إلا ويزوج ثنتين وسبعين زوجة ثنتان من الحور العين وسبعون من أهل ميراثه من أهل الدنيا ليس منهن امرأة إلا ولها قبل شهي وله ذكر لا ينثني » .

قلت : خالد هذا هو ابن يزيد بن عبد الرحمن الدمشقي وهاه ابن معين . وقال أحمد : ليس بشيء . وقال النسائي: غير ثقة وقال الدارقطني: ضعيف. وذكر ابن عدي له هذا الحديث مما أنكره عليه .

وقال أبو نعيم : حدثنا إبراهيم بن عبد الله ، حدثنا محمد بن حمويه ، حدثنا أحمد بن حفص ، حدثني أبي ، حدثني إبراهيم بن طهمان عن الحجاج عن قتادة عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « للمؤمنين في الجنة ثلاث وسبعون زوجة ، قلنا يارسول الله أوله قوة على ذلك ؟ قال : إنه ليعطى قوة مائة رجل » .

قلت : أحمد بن حفص هذا هو السعدي وله مناكير . والحجاج هو ابن أرطاة .
وقال الطبراني : حدثنا أحمد بن علي الأبار ، حدثنا أبو همام الوليد بن شجاع ، وأنبأنا محمد بن أحمد بن هشام بن حسان السنجري ببغداد ، حدثنا عبد الله بن عمرو ابن أبان قالا : حدثنا حسين بن علي الجعفي عن زائدة عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال : « قيل يارسول الله ، هل تصل إلى نسائنا في

الجنة ؟ فقال : إن الرجل ليصل فى اليوم إلى مائة عذراء » قال الطبرانى : لم يروه عن هشام إلا زائدة تفرد به الجعفى . قال محمد بن عبد الواحد المقدسى: ورجال هذا الحديث عندى على شرط الصحيح .

وقال أبو الشيخ : حدثنا أبو يحي بن مسلم الرازى ، حدثنا هناد بن السرى ، حدثنا أبو أسامة عن هشام بن حسان عن زيد بن أبى الحوارى وهو زيد العمى عن ابن عباس قال : « قيل يارسول الله أنفضى إلى نسائنا فى الجنة كما نفضى إليهن فى الدنيا ؟ قال : والذى نفس محمد بيده إن الرجل ليفضى فى الغداة الواحدة فى مائة عذراء » وزيد هذا قال فيه ابن معين: صالح ، وقال مرة : لا شىء ، وقال مرة : ضعيف ، يكتب حديثه وكذلك قال أبو حاتم وقال الدارقطنى : صالح ، وضعفه النسائى. وقال السعدى : متماسك. قلت : وحسبه رواية شعبة عنه .

فصل

والأحاديث الصحيحة إنما فيها أن لكل منهم زوجتين ، وليس فى الصحيح زيادة على ذلك ، فإن كانت هذه الأحاديث محفوظة ، فإما أن يراد بها ما لكل واحد من السرارى زيادة على الزوجتين ، ويكونون فى ذلك على حسب منازلهم فى القلة والكثرة كالخدم والولدان ، وإما أن يراد أنه يعطى قوة من يجامع هذا العدد ، ويكون هذا هو المحفوظ، فرواه بعض هؤلاء بالمعنى فقال: له كذا وكذا زوجة .

وقد روى الترمذى فى جامعه من حديث قتادة عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « يعطى المؤمن فى الجنة قوة كذا وكذا من الجماع ، قيل : يارسول الله أو يطيق ذلك ؟ قال يعطى قوة مائة » هذا حديث صحيح ، فلعل من رواه يفضى إلى مائة عذراء . رواه بالمعنى أو يكون تفاوتهم فى عدد النساء بحسب تفاوتهم فى الدرجات . والله أعلم .

ولا ريب أن للمؤمن فى الجنة أكثر من اثنتين ، لما فى الصحيحين ، من حديث أبى عمران الجونى عن أبى بكر عن عبد الله بن قيس عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن للعبد المؤمن فى الجنة لخيمة من لؤلؤة مجوفة طولها ستون ميلا للعبد المؤمن فيها أهلون فيطوف عليهم لا يرى بعضهم بعضاً » .

الباب الرابع والخمسون

فى ذكر المادة التى خلق منها الحور العين وما ذكر فيها من الآثار وذكر صفاتهن ومعرفتهن اليوم بأزواجهن

فأما المادة التى خلق منها الحور العين ، فقد روى البيهقى من حديث الحارث بن خليفة . حدثنا شعبة حدثنا إسماعيل بن علية عن عبد العزيز بن صهيب ، عن أنس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الحور العين خلقن من الزعفران » قال البيهقى : وهذا منكر بهذا الإسناد ، ولا يصح عن ابن علية .

قلت : ولكنه حديث فيه شعبة ، وقال الطبرانى : حدثنا أحمد بن رشدين ، حدثنا على بن الحسن بن هارون الأنصارى ، حدثنى الليث بن ابنة الليث عن أبى سليم قال حدثتنى عائشة بنت يونس امرأة الليث بن أبى سليم عن ليث بن أبى سليم عن مجاهد عن أبى أمامة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « خلق الحور العين من الزعفران » قال الطبرانى : لا يروى إلا بهذا الإسناد . تفرد به على بن الحسن بن هارون .

قلت : وقد رواه إسحاق بن راهويه عن عائشة بنت يونس قالت : سمعت زوجى ليث بن سليم يحدث عن مجاهد ، فذكره مرفوعاً إليه وهو أشبه بالصواب ، ورواه عقبة بن مكرم عن عبدالله بن زيادة عن ليث عن مجاهد عن ابن عباس قوله : ولا يصح رفع الحديث ، وحسبه أن يصل إلى ابن عباس ، وقال أبو سلمة بن عبد الرحمن : « إن لولى الله فى الجنة عروساً لم يلدها آدم ولا حواء ، ولكن خلقت من زعفران » وهذا مروى عن صحابيين وهما ابن عباس وأنس ، وعن تابعيين ، وهما أبو سلمة ومجاهد ، وبكل حال فهى من المنشآت فى الجنة ليست مولودات بين الآباء والأمهات . والله أعلم .

وقد رواه الطبرانى من حديث عبدالله بن زحر عن على بن زيد عن الهيثم عن

أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وهذا الإسناد لا يحتج به ، ورواه أبو نعيم حدثنا على بن محمد الطوسى ، حدثنا علي بن سعيد ، حدثنا محمد بن إسماعيل الحسانى حدثنا منصور بن المهاجر ، حدثنا أبو منصور الأبار عن أنس يرفعه : « لو أن حوراء بصقت في سبعة أبحر لعذبت البحار من عذوبة فمها ، وخلق الحور العين من الزعفران » وإذا كانت هذه الخلقة الآدمية التي هي أحسن الصور وأجملها ، مادتها من تراب وجاءت الصور من أحسن الصورة ، فما الظن بصورة مخلوقة من مادة الزعفران الذي هناك ! ! ! فالله المستعان .

وقد روى أبو نعيم من حديث عيسى بن يوسف بن الطباع ، حدثنا حلس بن محمد الكلابى ، حدثنا سفيان الثورى ، حدثنا مغيرة ، حدثنا إبراهيم النخعى عن علقمة عن عبدالله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يسطع نور في الجنة فرفعوا رؤوسهم فإذا هو من ثغر حوراء ، ضحكت في وجه زوجها » وروى نعمة بن الوليد حدثنا بحير بن سعيد عن خالد بن معدان عن كثير بن مرة قال : « إن من المزيد أن تمر السحابة بأهل الجنة فتقول ماذا تريدون أن أمطركم؟ فلا يتمنون شيئاً إلا أمطروا » قال : يقول كثير : لئن أشهدنى الله ذلك لأقولن أمطرينا جوارى مزينات ، وقد روى في مادة خلقهن صفة أخرى . قال ابن أبي الدنيا حدثنا خالد بن سعيد عن خداش حدثنا عبدالله بن وهب حدثنا سعيد بن أيوب عن عقيل بن خالد الزهرى أن ابن عباس قال : « إن فى الجنة نهراً يقال له البلدخ عليه قباب من ياقوت تحته حور ناشئات يقول أهل الجنة : انطلقوا بنا إلى البيدخ ، فيتصفحون تلك الجوارى فإذا أعجب رجل منهم جارية مس معصمها فتتبعه » وقال الليث بن سعد عن يزيد بن أبي حبيب عن الوليد بن عبدة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل : « يا جبريل قف بي على الحور العين ، فأوقفه عليهن . فقال : من أنتن ؟ فقلن : نحن جوارى قوم كرام حلوا فلم يظعنوا ، وشبوا فلم يهرموا ، ونقوا فلم يدرنوا » .

وقال ابن المبارك أنبأنا يحي عن أيوب عن عبدالله بن زحر . عن خالد بن عمران عن ابن عباس قال : « كنا جلوساً مع كعب يوماً فقال : لو أن يداً من

الحور دليت من السماء ، لأضاءت لها الأرض كما تضيء الشمس لأهل الدنيا ، ثم قال : إنما قلت : يدها ، فكيف بالوجه وبياضه وحسنه وجماله ! ! » .

وفي مسند الإمام أحمد من حديث كثير بن مرة عن معاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لاتؤذي امرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين:لا تؤذيه قاتلك الله ، فإنما هو عندك دخيل يوشك أن يفارقك إلينا » ، وفي مراسيل عكرمة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن الحور العين لأكثر عدداً منكن يدعون لأزواجهن يقلن اللهم أعنه على دينك، وأقبل بقلبه على طاعتك، وبلغه بعزتك يا أرحم الراحمين » ذكره ابن أبي الدنيا من حديث أسامة بن زيد عن عطاء عنه وذكر الأوزاعي عن حسان بن عطية عن ابن مسعود قال : « إن في الجنة حوراء يقال لها اللعبة ، كل حور الجنان يعجبن بها يضربن بأيديهن على كتفها ويقلن : طوبى لك يا لعبة ،لو يعلم الطالبون لك لجدوا ، بين عينيها مكتوب: من كان يبتغي أن يكون له مثلي فليعمل برضاء ربي » .

وقال عطاء السلمي لمالك بن دينار : « يا أبا يحيي شوقنا ، قال : يا عطاء إن في الجنة حوراء يتباهى أهل الجنة بحسنها لولا أن الله تعالى كتب على أهل الجنة أن لا يموتوا لماتوا من حسنها ، فلم يزل عطاء كمداً من قول مالك » .

وقال أحمد بن أبي الحواري : حدثني جعفر بن محمد قال : لقي حكيم حكيماً ، فقال : أتشتاق إلى الحور العين ؟ فقال : لا ، فقال،فاشتق إليهن ، فإن نور وجوههن من نور الله عز وجل ، فغشي عليه ، فحمل إلى منزله فجعلنا نعوده شهراً » .

وقال ربيعة بن كلثوم نظر إلينا الحسن ونحن حوله شباب فقال : « يا معشر الشباب،أما تشتاقون إلى الحور العين ؟ » وقال لي ابن أبي الحواري حدثني الحضرمي قال : « نمت أنا وأبو حمزة على سطح فجعلت أنظر إليه يتقلب على فرشه إلى الصباح، فقلت : يا أبا حمزة مارقدت الليلة ، فقال: إني لما اضطجعت تمثلت لي حوراء حتى كأني

أحسست بجلدها ، وقد مس جلدى ، فحدثت به أبا سليمان فقال : هذا رجل كان مشتاقا » .

وقال ابن أبى الحوارى : سمعت أبا سليمان يقول : « ينشأ خلق الحور العين إنشاء ، فإذا تكامل خلقهن ضرب عليهن الملائكة الخيام » .

وذكر ابن أبى الدنيا عن صالح المرى عن زيد الرقاشى قال : « بلغنى أن نوراً سطع فى الجنة لم يبق موضع من الجنة إلا دخل من ذلك النور فيه ، فقيل : ما هذا؟ قال : حوراء ضحكت فى وجه زوجها ، قال صالح : فشهق رجل من ناحية المجلس ، فلم يزل يشهق حتى مات » .

وقال ابن أبى الدنيا حدثنا بشر بن الوليد حدثنا سعيد بن زربى عن عبد الملك الجونى عن سعيد بن جبير ، قال: سمعت ابن عباس يقول : « لو أن حوراء أخرجت كفها بين السماء والأرض لافتتن الخلائق بحسنها ، ولو أخرجت نصيفها لكانت الشمس عند حسنها مثل الفتيلة فى الشمس لا ضوء لها ، ولو أخرجت وجهها لأضاء حسنها ما بين السماء والأرض » .

وقال ابن أبى الدنيا : حدثنى الحسين بن يحي وكثير العنبرى حدثنا خزيمة أبو محمد عن سفيان الثورى قال : « سطع نور فى الجنة لم يبق موضع من الجنة إلا دخل فيه من ذلك النور ، فنظروا فوجدوا ذلك من حوراء ضحكت فى وجه زوجها » ورواه الخطيب فى تاريخه من حديث عبد الله بن محمد السكرخى ، قال : حدثنى عيسى بن يوسف الطباع حدثنى حلس بن محمد حدثنا سفيان الثورى عن مغيرة عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « سطع نور فى الجنة فرفعوا أبصارهم فإذا هو من ثغر حوراء ضحكت فى وجه زوجها » .

وقال الأوزاعى عن يحي بن أبى كثير : « إذا سبحت المرأة من الحور العين

لم يبق شجرة فى الجنة إلا وردت »

وقال ابن المبارك حدثنا الأوزاعى عن يحيى بن أبى كثير : « إن الحور العين يتلقين أزواجهن عند أبواب الجنة فيقلن : طال ما انتظرناكم ، فنحن الراضيات فلا نسخط ، والمقيمات فلا نظعن ، والخالدات فلا نموت ، بأحسن أصوات سمعت وتقول : أنت حبي وأنا حبك ، ليس دونك تقصير ، ولا وراءك معدل » .

الباب الخامس والخمسون

فى ذكر نكاح أهل الجنة ووطئهم والتذاذهم بذلك أكمل لذة ونزاهة ذلك عن المذى والمنى والضعف ، وأنه لا يوجب غسلا

وقد تقدم حديث أبى هريرة : « قيل يا رسول الله ، أنفضى إلى نسائنافى الجنة ؟ فقال إن الرجل ليصل فى اليوم إلى مائة عذراء » وإن إسناده صحيح. وتقدم حديث أبى موسى المتفق على صحته : « إن للمؤمن فى الجنة خيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلا ، له فيها أهلون يطوف عليهم » .

وحديث أنس : « يعطى المؤمن فى الجنة قوة كذا وكذا من النساء » وصححه الترمذى وروى الطبرانى وعبدالله بن أحمد وغيرهما من حديث لقيط بن عامر أنه قال : « يا رسول الله على ما يطلع من الجنة ؟ قال: على أنهار من عسل مصفى وأنهار من كأس ما بها صداع ولا ندامة ، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وماء غير آسن ، وفاكهة لعمر إلهك مما تعلمون وخير من مثله وأزواج مطهرة . قلت : يا رسول الله أو لنا فيها أزواج مصلحات ؟ قال: الصالحات للصالحين ، تلذذوا بهن مثل لذاتكم فى الدنيا وتلذذكم ، غير أن لا توالد » .

وقال ابن وهب أخبرنى عمرو بن الحارث عن دراج عن أبى حجيرة عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « يارسول الله أنطأ فى الجنة ؟ قال : نعم والذى نفسى بيده دحماً ، دحماً : فإذا قام عنها رجعت مطهرة بكراً » .

وقال الطبرانى : حدثنا إبراهيم بن جابر الفقيه حدثنا محمد بن عبد الملك الدقيقى الواسطى حدثنا يعلى بن عبد الرحمن الواسطى حدثنا شريك عن عاصم الأحول عن أبى المتوكل عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أهل الجنة إذا جامعوا نساءهم عدن أبكاراً » قال الطبرانى: لم يروه عن عاصم إلا شريك تفرد به يعلى .

قال الطبراني : وحدثنا عبدان بن أحمد حدثنا محمد بن عبد الرحيم البرقي حدثنا عمرو بن أبي سلمة حدثنا صدقة عن هاشم بن زيد عن سليم بن أبي يحيي أنه سمع أبا أمامة يحدث أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وسئل « هل يتناكح أهل الجنة ؟ قال : بذكر لا يمل ، وشهوة لا تنقطع دحماً دحماً » .

قال الطبراني : وحدثنا أحمد بن يحيى الحلواني حدثنا سويد بن سعيد حدثنا خالد بن يزيد بن أبي مالك عن أبيه عن خالد بن معدان عن أبي أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل : « أيجامع أهل الجنة ؟ قال : دحاً دحاً ، ولكن لا مني ولا منية » وهاشم وخالد ، وإن تكلم فيهما فليس الاعتماد عليهما ، وقوله : « لا مني ولا منية » أي : لا إنزال ولا موت ، وقال أبو نعيم : حدثنا أبو علي محمد بن أحمد حدثنا بشر ابن موسى حدثنا أبو عبد الرحمن المقرى حدثنا عبد الرحمن بن زياد حدثنا عمارة ابن راشد عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سئل : « هل يمس أهل الجنة أزواجهم ؟ قال : نعم ، والذي بعثني بالحق بذكر لا يمل وفرج لا يحفى وشهوة لا تنقطع » .

وقال الحسن بن سفيان في مسنده : حدثنا هشام بن عمار حدثنا صدقة بن خالد حدثنا عثمان بن أبي العاتكة عن علي بن زيد عن القاسم عن أبي أمامة قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هل ينكح أهل الجنة ؟ قال : إي . والذي بعثني بالحق دحماً دحماً ، وأشار بيده ، ولكن لا مني ولا منية » وقال سعيد بن منصور حدثنا سفيان عن عمرو عن عكرمة في قوله تعالى : (إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون)[1] قال في افتضاض الأبكار . وقال عبدالله بن أحمد : حدثنا أبو الربيع الزهراني ومحمد بن حميد : قالا : حدثنا يعقوب بن عبدالله حدثنا حفص بن حميد عن بشر بن عطية عن شقيق بن سلمة عن عبدالله بن مسعود في قوله : (إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون) قال شغلهم : افتضاض العذارى . وقال الحاكم : أنبأنا الأصم أنبأنا العباس بن الوليد أخبرني شعيب عن الأوزاعي ، في قوله تعالى : (إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون) قال شغلهم : افتضاض الأبكار . قال مقاتل : شغلوا بافتضاض العذارى عن أهل النار فلا يذكرونهم ولا يهتمون لهم ، وقال أبو الأحوص : شغلوا بافتضاض الأبكار عن السرور في الحجال ، وقال سليمان

(١) سورة يس آية ٥٥

التيمى عن عن أبي مجلز ، قلت لابن عباس عن قول الله تعالى : (إن أصحاب الجنة اليوم فى شغل فاكهون) ما شغلهم ؟ قال : افتضاض الأبكار ، وقال ابن أبى الدنيا حدثنا فضيل بن عبد الواحد حدثنا يزيد بن زريع عن سليمان التيمى عن أبى عمرو عن عكرمة عن ابن عباس : (فى شغل فاكهون) قال : فى افتضاض العذارى . حدثنا إسحاق بن إبراهيم حدثنا يحيى بن يمان عن أشعث عن جعفر عن سعيد بن جبير « إن شهوته لتجرى فى جسده سبعين عاماً يجد اللذة ولا يلحقهم بذلك جنابة فيحتاجون إلى التطهير ، ولا ضعف ولا انحلال قوة ، بل وطئهم وطء التذاذ ونعيم لا آفة فيه بوجه من الوجوه » .

وأكمل الناس فيه أصونهم لنفسه فى هذه الدار عن الحرام ، فكما أن من شرب الخمر فى الدنيا لم يشربها فى الآخرة ، ومن لبس الحرير فى الدنيا لم يلبسه فى الآخرة ، ومن أكل فى صحاف الذهب والفضة فى الدنيا لم يأكل فيها فى الآخرة ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : « إنها لهم فى الدنيا ولكم فى الآخرة » .

فمن استوفى طيباته ولذاته وأذهبها فى هذه الدار حرمها هناك ، كما نعى سبحانه على من أذهب طيباته فى الدنيا ، واستمتع بها ولهذا كان الصحابة ومن تبعهم يخافون من ذلك أشد الخوف ، وذكر الإمام أحمد عن جابر بن عبدالله : « أنه رآه عمر ومعه لحم قد اشتراه لأهله بدرهم فقال : ما هذا ؟ !! قال لحم اشتريته لأهلى بدرهم ، فقال : أو كلما اشتهى أحدكم شيئاً اشتراه ! ! أما سمعت الله تعالى يقول : (أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا واستمتعتم بها)[1] .

وقال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا جرير بن حازم قال حدثنا الحسن قال : « قدم وفد أهل البصرة مع أبى موسى على عمر ، فكنا ندخل عليه كل يوم وله خبز ثلاثة ، وربما وافقناها مأدومة بالسمن ، وربما وافقناها مأدومة بالزيت ، وربما وافقناها مأدومة باللبن ، وربما وفقناها القلائد اليابسة ، قد دقت ثم أغلى بها ، وربما وافقناها اللحم الغريض وهو قليل ، فقال ذات يوم : إنى والله قد أرى تقديركم

(١) سورة الأحقاف آية ٢٠ .

وكراهيتكم لطعامى ، إنى والله لو شئت لكنت أطيبكم طعاماً ، وأرقكم عيشاً ، ولكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « عير قوماً بأمر فعلوه ، فقال : أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا واستمتعتم بها ، فمن ترك اللذة المحرمة لله استوفاها يوم القيامة أكمل ما تكون ، ومن استوفاها هنا حرمها هناك أو نقص كمالها ، فلا يجعل الله لذة من أوضع فى معاصيه ومحارمه ، كلذة من ترك شهوته لله أبداً » والله أعلم .

الباب السادس والخمسون

فى ذكر اختلاف الناس هل فى الجنة حمل وولادة أم لا ؟

قال الترمذى في جامعه حدثنا بندار حدثنا معاذ بن هشام قال حدثنى أبى عن عامر الأحول ، عن أبى الصديق الناجى عن أبى سعيد الخدرى ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « والمؤمن إذا اشتهى الولد فى الجنة كان حمله ووضعه وسنه فى ساعة كما يشتهى » . قال هذا حديث حسن غريب ، وقد اختلف أهل العلم فى هذا . فقال بعضهم : فى الجنة جماع ولا يكون ولد ، هكذا روى عن طاووس ومجاهد وإبراهيم النخعى . وقال محمد ـ يعنى البخارى ـ قال إسحاق بن إبراهيم فى حديث النبي صلى الله عليه وسلم : « إذا اشتهى المؤمن الولد فى الجنة كان فى ساعة كما يشتهى ولكن لا يشتهى » . قال محمد روى عن أبى ذر بن العقيلى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «إن أهل الجنة لا يكون لهم فيها ولد» وأبو الصديق الناجي اسمة بكر بن عمرو ، ويقال بكر بن قيس . انتهى كلام الترمذي.

قلت : إسناد حديث أبى سعيد على شرط الصحيح فرجاله محتج بهم فيه ، ولكنه غريب جداً ، وتأويل إسحاق فيه نظر ، فإنه قال : إذا اشتهى المؤمن الولد ، وإذا للمتحقق الوقوع ، ولو أريد ماذكره من المعنى ، لقال : لو اشتهى المؤمن الولد لكان حمله فى ساعة ، فإن مالا يكون أحق بأداة كما لو أن المتحقق الوقوع أحق بأداة ، إذا وقد قال أبو نعيم حدثنا عبدان بن أحمد حدثنا أحمد بن إسحاق حدثنا أبو أحمد الزبيرى حدثنا سفيان الثورى عن أبان عن أبى الصديق الناجى عن أبى سعيد الخدرى قال : « قيل يارسول الله أيولد لأهل الجنة ، فإن الولد من تمام السرور ؟ فقال : والذى نفسى بيده وما هو إلا كقدر ما يتمنى أحدكم فيكون حمله ورضاعه وشبابه » .

حدثنا أبو الحسن على بن إبراهيم بن أحمد الرازى بمكة حدثنا عبد الرحمن

ابن محمد بن إدريس حدثنا سليمان بن داود القزاز حدثنا يحيي بن حفص الأسدى . قال : سمعت أبا عمرو بن العلاء يحدث عن جعفر بن ثور العبدى عن أبى الصديق الناجى عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الرجل من أهل الجنه ليولد له كما يشتهى ، فيكون حمله وفصاله وشبابه فى ساعة واحدة » .

وحديث معاذ بن هشام قال فيه بندار عامر الأحول ، وقال عمرو بن على عاصم الأحول ، وقال الحاكم أنبأنا الأصم حدثنا محمد بن عيسى حدثنا سلام بن سليمان حدثنا سلام الطويل عن زيد العمى عن أبى الصديق الناجى عن أبى سعيد الخدرى يرفعه « إن الرجل من أهل الجنة ليشتهى الولد فى الجنة فيكون حمله وفصاله وشبابه فى ساعة واحدة » . قال البيهقى : وهذا إسناد ضعيف بمرة ، وأما حديث أبى رزين الذى أشار إليه البخارى فهو حديثه الطويل ، ونحن نسوقه بطوله نجمل به كتابنا فعليه من الجلالة والمهابة ونور النبوة ما ينادى على صحته .

قال عبدالله بن الإمام أحمد فى مسند أبيه : كتب إلى إبراهيم بن حمزة بن محمد بن حمزة عن مصعب بن زبير الزبيرى كتبت إليك بهذا الحديث وقد عرضته وسمعته على ما كتبت به إليك ، فحدث به عنى حدثنا عبد الرحمن بن المغيرة الحزامى حدثنى عبد الرحمن بن عابس المسمعى الأنصارى من بنى عمرو بن عوف عن دلهم بن الأسود بن عبدالله بن حاجب بن عامر بن المنتفق العقيلى عن أبيه عن عمه لقيط بن عامر . قال دلهم : وحدثنيه أبو الأسود عن عاصم بن لقيط أن لقيطاً خرج وافداً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه صاحب له يقال له نهيك بن عاصم بن مالك بن المنتفق . قال لقيط : فخرجت أنا وصاحبى حتى قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انصرف من صلاة الغداة ، فقام فى الناس خطيباً فقال : « ألا أيها الناس إنى قد خبأت لكم صوتى منذ أربعة أيام ألا لأسمعنكم ، ألا فهل من امرىء بعثه قومه ؟ فقالوا له : اعلم لنا ما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ألا ثم لعله أن يلهيه حديث نفسه أو حديث صاحبه أو يلهيه الضلال ألا إنى مسئول ،

ألا هل بلغت، ألا اسمعوا تعيشوا ، ألا اجلسوا ألا اجلسوا، قال : فجلس الناس ، وقمت أنا وصاحبي حتى إذا فرغ لنا فؤاده وبصره ، قلت : يارسول الله ما عندك من علم الغيب؟ فضحك لعمر الله وهز رأسه وعلم أني أبتغى سقطه، فقال ضن ربك بمفاتيح خمس من الغيب لا يعلمهن إلا الله ، وأشار بيده قلت : وما هى ؟ قال : علم المنية قد علم متى منية أحدكم ولا تعلمونه ، وعلم ما في غد ما أنت طاعم غداً ولا تعلمونه ، وعلم يوم الغيث يوم يشرف عليكم أذلين مشفقين، فيظل يضحك قد علم أن غيركم إلى قريب . قال لقيط : قلت : لن نعدم من رب يضحك خيراً ، وعلم يوم الساعة ، قلت : يارسول الله ، علمنا مما تعلم الناس وما تعلم ، فإنا من قبيل لا يصدقون تصديقنا أحد ، من مذحج التى تربوا علينا ، وخثعم التى توالينا ، وعشيرتنا التى نحن منها ، قال : تلبثون ما لبثتم ثم يتوفى نبيكم ثم تلبثو ن ما لبثتم ، ثم تبعث الصائحة . لعمر إلهك لا تدع على ظهرها شيئاً إلا مات ، والملائكة الذين مع ربك عز وجل ، فأصبح ربك يطوف فى الأرضين وخلت عليه البلاد ، فأرسل ربك السماء تهضب من عند العرش ، فلعمر إلهك ما تدع على ظهرها من مصرع قتيل ولا مدفن ميت إلا شقت القبر عنه حتى يخلقه من عند رأسه ، فيستوى جالساً فيقول : ربك مهيم ، لما كان فيه . يقول : يارب أمتنى اليوم ولعهده بالحياة عشية تحسبه حديثاً بأهله ، فقلت : يارسول الله ، كيف يجمعنا بعد ما تمزقنا الرياح والبلى والسباع ؟ فقال : أنبئك بمثل ذلك فى آلاء الله الأرض ، أشرفت عليها وهى مدرة بالية . فقلت : لا تحيا أبداً ثم أرسل ربك عليها السماء فلم تلبث عليك إلا أياما حتى أشرفت عليها وهى شربة واحدة ، ولعمر إلهك لهو أقدر على أن يجمعهم من الماء على أن يجمع نبات الأرض ، فيخرجون من الأضواء ومن مصارعهم فتنظرون إليه وينظر إليكم ، قال : قلت يارسول الله ، فكيف ونحن ملء الأرض وهو شخص واحد ينظر إلينا وننظر إليه ، قال : أنبئك بمثل ذلك فى آلاء الله: الشمس والقمر آية منه صغيرة ترونها ، ويريانكم ساعة واحدة ، لا تضارون فى رؤيتهما ، ولعمر إلهك ، لهو أقدر على أن يراكم وترونه منهما ، قلت : يارسول الله فما يفعل بنا ربنا ، إذا لقيناه ؟ قال : تعرضون عليه بادية له صفحاتكم لا تخفى عليه منكم خافية ، فيأخذ ربك عز وجل بيده غرفة من الماء ، فينضح قبلكم بها ، فلعمر إلهك ما يخطىء وجه أحد منكم منها قطرة . فأما المسلم فتدع وجهه مثل

الربطة البيضاء ، وأما الكافر فتخطم وجهه بمثل الحمم الأسود،ألا ثم ينصرف نبيكم رسول الله صلى الله عليه وسلم . وينصرف على أثره الصالحون فيسلكون جسراً من النار ، فيطأ أحدكم الجمرة فيقول : حس فيقول ربك : أو إنه ، فيطلعون على حوض الرسول صلى الله عليه وسلم على أظماء والله ناهلة قط رأيتها ، فلعمر ربك، ما يبسط واحد منكم يده إلا وقع عليها قدح مطهرة من الطوف والبول والأذى ، وتحبس الشمس والقمر ، فلا ترون منهما واحداً قال : قلت يارسول الله : فيم نبصر ؟ قال : بمثل بصرك ساعتك هذه ، وذلك مع طلوع الشمس فى يوم أشرقته الأرض ، ثم واجهته الجبال . قال : قلت : يارسول الله فيم نجزى من حسناتنا وسيئاتنا ؟ قال : الحسنة بعشر أمثالها والسيئة بمثلها إلا أن يعفو ، قال : قلت : يارسول الله ما الجنة ما النار ؟ قال لعمر إلهك إن للنار سبعة أبواب ما منهن بابان إلا يسير الراكب بينهما سبعين عاماً . وأن اللاجنة ثمانية أبواب ، ما منهن بابان إلا يسير الراكب بينها سبعين عاما ، قال : قلت يارسول الله فعلى ما نطلع من الجنة ؟ قال : على أنهار من عسل مصفى وأنهار من كأس ما بها من صداع ولا ندامة ، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وماء غير آسن وبفاكهة لعمر إلهك مما تعلمون وخير من مثله معه . وأزواج مطهرة ، قلت : يارسول الله ، ولنا فيها أزواج أو منهن صالحات ؟ قال : الصالحات للصالحين ، تلذون بهن مثل لذاتكم فى الدنيا ، ويلذذن بكم غير أن لا توالد ، قال لقيط : فقلت : أقصى ما نحن بالغون ومنتهون إليه ، فلم يجبه النبي صلى الله عليه وسلم : فقلت : يارسول الله على ما أبايعك فبسط النبي صلى الله عليه وسلم يده ، وقال : على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وأن لا تشرك بالله إلهاً غيره ، قال : قلت : وإن لنا ما بين المشرق والمغرب ؟ فقبض النبي صلى الله عليه وسلم يده وبسط أصابعه وظن أنى مشترط شيئاً لا يعطينه .

قال : قلت : نحل منهما حيث شئنا ولا يجنى على امرىء إلا نفسه فبسط يده ، وقال : ذلك لك تحل حيث شئت ولا يجنى عليك إلا نفسك . قال: فانصرفنا وقال: ها إن ذين ها إن ذين لعمر إلهك إن حدثت إلا أنهما من اتقى الناس فى الأولى والآخرة ، فقال له كعب بن الجدارية أخو بنى بكر بن كلاب :من هم يارسول الله؟ قال : بنو المنتفق أهل ذلك ، قال : فانصرفنا وأقبلت عليه فقلت : يارسول الله، هل

لأحد مما مضى من خبر فى جاهليتهم ؟ قال : قال رجل من عرض قريش : والله إن أباك المنتفق لفى النار ، قال فكأنه قد وقع جزء من جلدى ووجهى ولحمى مما قال لأبى على رؤوس الناس: فهممت أن أقول وأبوك يارسول الله ، ثم إذا الأخرى أجمل، فقلت يارسول الله وأهلك ؟ قال : وأهلى لعمر الله ما أتيت عليه من قبر عامرى أو قرشى من مشرك فقل أرسلنى إليك محمد صلى الله عليه وسلم ، فأبشرك بما يسوءك، تجر على وجهك وبطنك فى النار .

قال : قلت : يارسول الله مافعل الله بهم ذلك ، وقد كانوا على عمل لا يحسنون إلا إياه وكانوا يحسبونهم مصلحين ؟ قال : ذلك بأن الله عزوجل بعث فى آخر كل سبع أمم نبياً ، فمن عصى نبيه كان من الضالين ، ومن أطاع نبيه كان من المهتدين » .

هذا حديث كبير مشهور ولا يعرف إلا من حديث أبى القاسم عن عبد الرحمن ابن المغيرة بن عبدالرحمن المدنى ثم من رواية إبراهيم بن حمزة الزبيرى المدنى عنه ، وهما من كبار علماء المدينة ثقتان يحتج بهما فى الحديث ، احتج بهما الإمام محمد بن إسماعيل البخارى وروى عنهما فى مواضع من كتابه . رواه أئمة الحديث فى كتبهم منهم أبو عبد الرحمن بن عبدالله بن الإمام أحمد وأبو بكر أحمد بن عمرو ابن أبى العاصم وأبو القاسم الطبرانى ، وأبو الشيخ الحافظ وأبو عبدالله بن منده والحافظ وأبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه والحافظ أبو نعيم الأصفهانى وغيرهم على سبيل القبول والتسليم .

قال الحافظ أبو عبد الله بن منده : روى هذا الحديث محمد بن إسحاق الصنعانى وعبدالله بن أحمد بن حنبل وغيرهما وقرؤه بالعراق بمجمع العلماء وأهل الدين فلم ينكره أحد منهم ولم يتكلم فى إسناده ، وكذلك أبو زرعة وأبو حاتم على سبيل القبول . وقال أبو الخير بن حمدان : هذا حديث كبير ثابت مشهور .

وسألت شيخنا أبا الحاج المزى عنه فقال عليه جلالة النبوة ، وقال نفاة الإيلاد : فهذا حديث صريح فى إنتفاء الولادة وقوله إذا اشتهى معلق بالشرط ، ولا يلزم من التعليق وقوع المعلق ولا المعلق به ، وإذا وإن كانت ظاهرة فى المحقق فقد تستعمل لمجرد التعليق الأعم عن المحقق وغيره ، قالوا : وفى هذا الموضع يتعين ذلك لوجوه:

أحدها : حديث أبى رزين .

والثانى : قوله تعالى : (ولهم فيها أزواج مطهرة)(١) ، وهن اللاتى طهرن من الحيض والنفاس والأذى . قال سفيان: أنبأنا ابن أبى نجيح عن مجاهد : مطهرة من الحيض والغائط والبول والنخام والبصاق والمنى والولد ، وقال أبو معاوية حدثنا ابن جريج عن عطاء أزواج مطهرة قال: من الولد والحيض والغائط والبول .

الثالث : قوله غير أنه لا منى ولا منية وقد تقدم ، والولد إنما يخلق من ماء الرجل ، فإذا لم يكن هناك منى ولا مذى ولا نفخ فى الفرج لم يكن هنا إيلاد .

الرابع : أنه قد ثبت فى الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « يبقى فى الجنة فضل فينشىء الله لها خلقاً يسكنهم إياها ، ولو كان فى الجنة إيلاد لكان الفضل لأولادهم وكانوا أحق له من غيرهم » .

الخامس : أن الله سبحانه وتعالى جعل الحمل والولادة مع الحيض والمنى ، فلو كانت النساء يحبلن فى الجنة لم ينقطع عنهن الحيض والإنزال .

السادس : أن الله سبحانه قدر التناسل فى الدنيا ، لأنه قدر الموت وأخرجهم إلى هذه الدار قرناً بعد قرن ، وجعل لهم أمداً ينتهون إليه ، فلولا التناسل لبطل النوع الإنسانى ، ولهذا الملائكة لا تتناسل ، فإنهم لا يموتون كما تموت الإنس والجن ، فإذا كان يوم القيامة أخرج الله سبحانه الناس كلهم من الأرض ، وأنشأهم للبقاء لا للموت فلا يحتاجون إلى تناسل ، يحفظ النوع الإنسانى إذ هو منشأ للبقاء والدوام ، فلا أهل الجنة يتناسلون ولا أهل النار .

السابع : أنه سبحانه وتعالى قال : (والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم)(٢) فأخبر سبحانه أنه يكرمهم بإلحاق ذرياتهم الذين كانوا لهم فى الدنيا ، ولو كان ينشأ لهم فى الجنة ذرية أخرى ، لذكرهم كما ذكر ذرياتهم الذين كانوا فى الدنيا ، لأن قرة أعينهم كانت تكون بهم ، كما هى بذرياتهم من أهل الدنيا .

---

(١) سورة البقرة آية ٢٥ .

(٢) سورة الطور آية ٢١ .

الثامن : أنه إما أن يقال باستمرار التناسل فيها لا إلى غاية أو إلى غاية ، ثم تنقطع وكلاهما مما لا سبيل إلى القول به لاستلزام الأول اجتماع أشخاص لا تتناهى، واستلزام الثانى انقطاع نوع من لذة أهل الجنة وسرورهم وهو محال ، ولا يمكن أن يقال : يتناسل يموت معه نسل ويخلفه نسل ، إذ لا موت هناك .

التاسع : أن الجنة لا ينمو فيها الإنسان كما ينمو فى الدنيا ، فلا ولدان أهلها ينمون ويكبرون ولا الرجال ينمون كما تقدم ، بل هؤلاء ولدان صغار لا يتغيرون ، وهؤلاء أبناء ثلاث وثلاثين لا يتغيرون ، فلو كان فى الجنة ولادة لكان المولود ينمو ضرورة حتى يصير رجلا ومعلوم أن من مات من الأطفال يردون أبناء ثلاث وثلاثون من غير نمو يوضحه .

الوجه العاشر : أن الله سبحانه وتعالى ينشىء أهل الجنة نشأة الملائكة أو أكمل من نشأتهم بحيث لا يبولون ولا يتغوطون ولا ينامون ويلهمون التسبيح ولا يهرمون على تطاول الأحقاب ، ولا تنمو أبدانهم بل القدر الذى جعلوا عليه لازم لهم أبداً والله أعلم فهذا ما فى المسألة ،فأما قول بعضهم : إن القدرة صالحة والكل ممكن . وقول آخرين : إن الجنة دار المكلفين التى يستحقونها بالعمل. وأمثال هذه المباحث فرخيصة ، وهى فى كتب الناس . وبالله التوفيق .

قال الحاكم : قال الأستاذ أبو سهل : أهل الزيغ ينكرون هذا الحديث يعنى حديث الولادة فى الجنة . وقد روى فيه غير إسناد . وسئل النبى صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال : يكون ذلك على نحو مما روينا والله سبحانه وتعالى يقول : (وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين)[١] ، وليس بالمستحيل أن يشتهى المؤمن الممكن من شهواته المصفى المقرب المسلط على لذاته قرة وثمرة فؤاد من الذين أنعم الله عليهم بأزواج مطهرة .

فإن قيل : فى الحديث أنهن لا يحضن ولا ينفسن فأين يكون الولد ؟ .

قلت : الحيض سبب الولادة الممتد مدة بالحمل على الكثرة والوضع عليه ، كما

---

(١) سورة الزخرف آية ٧١ .

أن جميع بلاد الدنيا من المشارب والمطاعم والملابس على ماعرف من التعب والنصب، وما يعقبه كل منهما مما يحذر منه ويخاف من عواقبه ، وهذه خمرة الدنيا المحرمة المستولية على كل بلية قد أعدها الله تعالى لأهل الجنة منزوعة البلية موفرة اللذة فلم لا يجوز أن يكون على مثله الولد ! ! انتهى كلامه .

قلت : النافون للولادة فى الجنة لم ينفوها لزيغ قلوبهم ولكن لحديث أبى رزين « غير أن لا توالد » وقد حكينا قول عطاء وغيره أنهن مطهرات من الحيض والولد ، وقد حكى الترمذى عن أهل العلم من السلف والخلف في ذلك قولين ، وحكى قول أبي إسحاق بإنكاره ، وقال أبو أمامة فى حديثه : « غير أن لا منى ولا منية ، والجنة ليست دار تناسل بل دار بقاء وخلد لا يموت من فيها فيقوم نسله مقامه » وحديث أبى سعيد الخدرى هذا أجود أسانيده إسناد الترمذى ، وقد حكم بغرابته. وأنه لا يعرف إلا من حديث أبى الصديق الناجى ، وقد اضطرب لفظه فتارة يروى عنه إذا اشتهى الولد ، وتارة إنه ليشتهى الولد، وتارة إن الرجل من أهل الجنة ليولد له ، فالله أعلم ، فإن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قاله فهو الحق الذى لا شك فيه ، وهذه الألفاظ لا تنافى بينها ولا تناقض ، وحديث أبى رزين « غير أن لا توالد » إذ ذاك نفى للتوالد المعهود فى الدنيا ، ولا ينفى ولادة حمل الولد فيها ووضعه وسنه وشبابه فى ساعة واحدة ، فهذا ما انتهى إليه علمنا القاصر فى هذه المسألة ، وقد أتينا فيها بما لعلك لا تجده فى غير هذا الكتاب . والله أعلم .

الباب السابع والخمسون

فى ذكر سماع الجنة وغناء الحور العين وما فيه من الطرب واللذة

قال تعالى : (ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون ٭ فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم فى روضة يحبرون)[1] ، قال محمد بن جرير : حدثنى محمد بن موسى الحرشى قال : حدثنا عامر بن نساف قال : سألت يحى بن أبى كثير عن قوله عز وجل : (فهم فى روضة يحبرون) قال الحبرة : اللذة والسماع ، حدثنا عبدالله بن محمد الفريابى حدثنا ضمرة بن ربيعة عن الأوزاعى عن يحي بن أبى كثير فى قوله : (يحبرون) قال : السماع فى الجنة ولا يخالف هذا قول ابن عباس يكرمون وقال مجاهد ، وقتادة : ينعمون ، فلذة الأذن بالسماع من الحبرة والنعيم .

وقال الترمذى : حدثنا هناد وأحمد بن منيع قالا : حدثنا عبد الرحمن بن إسحاق عن النعمان بن سعد عن على قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن فى الجنة لمجتمعاً للحور العين يرفعن بأصوات لم تسمع الخلائق بمثلها ، يقلن : نحن الخالدات فلانبيد ، ونحن الناعمات فلا نبأس ، ونحن الراضيات فلانسخط ، طوبى لمن كان لنا وكن له » وفى الباب عن أبى هريرة وأبى سعيدوأنس وحديث على حديث غريب .

قلت : وفى الباب عن ابن أبى أوفى وأبى أمامة ، وعبدالله بن عمر أيضاً ، فأما حديث أبى هريرة : فقال جعفر الفريابى ، حدثنا سعدبن حفص حدثنا محمد بن مسلمة عن أبى عبد الرحمن عن زيد بن أبى أنيسة عن المنهال بن عمرو عن أبى صالح عن أبى هريرة قال: « إن فى الجنة نهراً طول الجنة حافتاه العذارى قيام متقابلات ، يغنين بأصوات حتى يسمعها الخلائق ، ما يرون فى الجنة لذة مثلها ، فقلنا : يا أبا هريرة وما ذاك الغناء ؟ قال إن شاء الله التسبيح والتحميد والتقديس وثناء على الرب عز وجل » هكذا رواه موقوفاً .

---

(١) سورة الروم الآيتان ١٤ و ١٥ .

وروى أبو نعيم فى صفة الجنة من حديث مسلمة بن على عن زيد بن واقد عن رجل عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن فى الجنة شجرة جذوعها من ذهب وفروعها من زبرجد ولؤلؤ فتبلها ريح فيصطفقن فما سمع السامعون بصوت شىء قط ألذ منه » .

وأما حديث أنس : فقال أبو نعيم : أنبأنا عبد الله بن جعفر حدثنا إسماعيل ابن عبدالله حدثنا عبد الرحمن بن إبراهيم حدثنا ابن أبى فديك عن ابن أبى ذئب عن عون بن الخطاب عن عبدالله بن رافع عن أبى الأسن عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الحور العين يغنين فى الجنة ، يقلن : نحن الحور الحسان ، خلقن لأزواج كرام » ورواه ابن أبى الدنيا حدثنا أبو خيثمة حدثنا إسماعيل بن عمر حدثنا ابن أبى ذئب عن أبى عبد الله بن رافع عن بعض ولد أنس فذكره .

وأما حديث ابن أبى أوفى : فقال أبو نعيم حدثنا محمد بن جعفر من أصله حدثنا موسى بن هارون حدثنا حامد بن يحيى البلخى حدثنا يونس بن محمد المؤدب حدثنا الوليد بن أبى ثور حدثنى سعد الطائى عن عبد الرحمن بن سابط عن ابن أبى أوفى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يزوج كل واحد من أهل الجنة أربعة آلاف بكر وثمانية آلاف أيم ومائة حوراء فيجتمعن فى كل سبعة أيام فيقلن بأصوات حسان ، لم تسمع الخلائق بمثلهن : نحن الخالدات فلا نبيد ، ونحن الناعمات فلا نبأس ونحن الراضيات فلا نسخط ، ونحن المقيمات فلا نظعن ، طوبى لمن كان لنا وكن له » .

وأما حديث أبى أمامة : فقال جعفر الفريابى حدثنا سليمان بن عبد الرحمن حدثنا خالد بن يزيد عن أبى مالك عن أبيه عن خالد بن معدان عن أبى أمامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما من عبد يدخل الجنة ، إلا ويجلس عند رأسه وعند رجليه ثنتان من الحور العين ، يغنيانه بأحسن صوت سمعه الإنس والجن ، وليس بمزامير الشيطان » .

وأما حديث ابن عمر : فقال الطبرانى حدثنا أبو رفاعة عمارة بن وثيمة بن موسى الفرات المصرى حدثنا سعيد بن أبى مريم حدثنا محمد بن جعفر بن أبى كثير عن زيد بن أسلم عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أزواج أهل الجنة ليغنين أزواجهن بأحسن أصوات ما سمعها أحد قط ، إن ما يغنين به : نحن الخيرات الحسان ، أزواج قوم كرام ، ينظرون بقرة أعين ، وإن ما يغنين به نحن الخالدات فلا نمتنه ، نحن الآمنات فلا نخفنه ، نحن المقيمات فلا نظعنه » قال الطبرانى لم يروه عن زيد بن أسلم إلا محمد تفرد به ابن أبى مريم .

وقال ابن وهب : حدثنى سعيد بن أبى أيوب قال : وقال رجل من قريش لابن شهاب : هل فى الجنة سماع فإنه حبب إلى السماع ؟ فقال إى والذى نفس ابن شهاب بيده ، إن فى الجنة لشجراً حمله اللؤلؤ والزبرجد ، وتحته جوار ناهدات يتغنين بألوان يقلن : نحن الناعمات فلا نبأس ، ونحن الخالدات فلا نموت ، فإذا سمع ذلك الشجر صفق بعضه بعضاً ، فأجبن الجوارى ، فلا ندرى أصوات الجوارى أحسن أم أصوات الشجر » .

قال ابن وهب وحدثنا الليث بن سعد عن خالد بن يزيد « أن الحور العين يغنين أزواجهن فيقلن : نحن الخيرات الحسان ، أزواج شباب كرام ، ونحن الخالدات فلا نموت ، ونحن الناعمات فلا نبأس ، ونحن الراضيات فلا نسخط ، ونحن المقيمات فلا نظعن ، فى صدر إحداهن مكتوب أنت حبى وأنا حبك انتهت نفسى عندك ، لم تر عيناى مثلك » وقال ابن المبارك حدثنا الأوزاعى حدثنا يحيى بن أبى كثير : « إن الحور العين يتلقين أزواجهن عند أبواب الجنة فيقلن : طالما انتظرناكم ، فنحن الراضيات فلا نسخط ، والمقيمات فلا نظعن ، والخالدات فلا نموت ، بأحسن أصوات سمعت . وتقول : أنت حبى وأنا حبك ، ليس دونك مقصر ولا وراءك معدل » .

فصـــل

ولهم سماع أعلى من هذا

وقال ابن أبى الدنيا حدثنى دهثم بن الفضل القرشى حدثنا رواد بن الجراح عن الأوزاعى : « قال بلغنى أنه ليس من خلق الله أحسن صوتاً من إسرافيل ، فيأمره الله تبارك وتعالى فيأخذ فى السماع ، فما يبقى ملك فى السموات إلا قطع عليه صلاته ، فيمكث بذلك ما شاء الله أن يمكث ، فيقول الله عز وجل : وعزتى لو يعلم العباد قدر عظمتى ما عبدوا غيرى » وحدثنى داود بن عمر الضبى حدثنا عبدالله بن المبارك عن مالك ابن أنس عن محمد بن المنكدر قال : « إذا كان يوم القيامة ناد مناد أين الذين كانوا ينزهون أسماعهم وأنفسهم عن مجالس اللهو ومزامير الشيطان أسكنوهم رياض المسك . ثم يقول للملائكة أسمعوهم تمجيدى وتحميدى » .

وقال ابن أبى الدنيا حدثنى محمد بن الحسن حدثنى عبدالله بن أبى بكر حدثنا جعفر بن سليمان عن مالك بن دينار فى قوله عز وجل :(وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب) قال : إذا كان يوم القيامة أمر بمنبر رفيع فوضع فى الجنة ، ثم نودى: ياداود مجدنى بذلك الصوت الحسن الرخيم الذى كنت تمجدنى به فى دار الدنيا ، قال : فيستفرغ صوت داود نعيم أهل الجنان فذلك قوله تعالى : (إن له عندنا لزلفى وحسن مآب)[1] .

وذكر حماد بن سلمة عن ثابت البنانى وحجاج الأسود عن شهر بن حوشب قال : « إن الله جل ثناؤه يقول للملائكة : إن عبادى كانوا يحبون الصوت الحسن فى الدنيا فيدعونه من أجلى فاسمعوا عبادى ، فيأخذوا بأصوات من تهليل وتسبيح وتكبير لم يسمعوا بمثله قط » .

---

(١) سورة ص آية ٤٠ .

وقال عبدالله ابن الإمام أحمد فى كتاب « الزهد » لأبيه حدثنى على بن مسلم الطوسى حدثنى سيار حدثنا جعفر حدثنا مالك بن دينار « فى قوله عز وجل : (وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب) قال: يقيم الله سبحانه داود عند ساق العرش ، فيقول : يا داود مجدنى اليوم بذلك الصوت الحسن الرخيم ، فيقول : إلهى كيف أمجدك وقد سلبتنيه فى دار الدنيا ؟ قال : فيقول : الله عز وجل ، فإنى أرده عليك ، قال : فيرده عليه فيزداد صوته قال : فيستفرغ صوت داود نعيم أهل الجنة » .

وقال ابن أبى الدنيا : حدثنا مسلم بن إبراهيم الحرانى حدثنا مسكين بن بكير الأوزاعى عن عبيدة بن أبى لبابة قال : « إن فى الجنة شجرة ثمرها زبرجد وياقوت ولؤلؤ ، فيبعث الله ريحاً فتصفق فتسمع لها أصوات لم يسمع الله منها » .

حدثنا أبو بكر بن يزيد ، وإبراهيم بن سعيد قالا : حدثنا أبو عامر العقدى حدثنا رفعة بن صالح عن سلمة بن زهرام عن عكرمة عن ابن عباس قال : « فى الجنة شجرة على ساق قدر ما يسير الراكب فى ظلها مائة عام ، فيتحدثون فى ظلها فيشتهى بعضهم ، فيذكر لهو الدنيا فيرسل الله ريحاً من الجنة ، فتحرك تلك الشجرة بكل لهو كان فى الدنيا » .

حدثنا إبراهيم بن سعيد حدثنا على بن عاصم حدثنى سعيد بن سعيد الحارثى قال : حدثت : « أن فى الجنة آجاماً من قصب من ذهب حملها اللؤلؤ فإذا اشتهى أهل الجنة أن يسمعوا صوتاً حسناً بعث الله على تلك الآجام ريحاً فتأتيهم بكل صوت يشتهونه » .

فصـل

ولهم سماع أعلى من هذا يضمحل دونه كل سماع ، وذلك حين يسمعون كلام الرب جل جلاله وخطابه وسلامه عليهم ومحاضرته لهم ، ويقرأ عليهم كلامه ، فإذا سمعوه منه ، فكأنهم لم يسمعوه قبل ذلك ، وسيمر بك أيها السنى من الأحاديث الصحاح والحسان في ذلك ما هو من أحب سماع لك فى الدنيا وألذ لأذنك وأقر لعينك ، إذ ليس فى الجنة لذة أعظم من النظر إلى وجه الرب تعالى ، وسماع كلامه منه ولا يعطى أهل الجنة شيئاً أحب إليهم من ذلك .

وقد ذكر أبو الشيخ عن صالح بن حبان عن عبدالله بن بريدة قال : « إن أهل الجنة يدخلون كل يوم مرتين على الجبار جل جلاله فيقرأ عليهم القرآن ، وقد جلس كل امرىء منهم مجلسه الذى هو مجلسه على منابر الدر والياقوت والزبرجد والذهب والزمرد ، فلم تقر أعينهم بشىء ، ولم يسمعوا شيئاً قط أعظم ولا أحسن منه ، ثم ينصرفون إلى رحالهم ناعمين قريرة أعينهم ، إلى مثلها من الغد » .

الباب الثامن والخمسون

فى ذكر مطايا أهل الجنة وخيولهم ومراكبهم

قال الترمذى حدثناعبدالله بن عبد الرحمن حدثنا عاصم بن على حدثنا المسعودى عن علقمة بن مرثد عن سليمان بن بريدة عن أبيه : « أن رجلا سأل النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله : هل فى الجنة من خيل ؟ قال : إن أدخلك الله الجنة فلا تشاء أن تحمل فيها على فرس من ياقوتة حمراء يطير بك فى الجنة حيث شئت ، قال : وسأله رجل ، فقال : يا رسول الله هل فى الجنة من إبل ؟ قال : فلم يقل ما قال لصاحبه ، قال : إن أدخلك الله الجنة يكن لك فيها ما اشتهت نفسك ولذت عينك » .

حدثنا سويد بن نصر أنبأنا عبدالله بن المبارك عن سفيان عن علقمة بن مرثد عن عبد الرحمن بن سابط عن النبى صلى الله عليه وسلم نحوه بمعناه ، وهذا أصح من حديث المسعودى حدثنا محمد بن إسماعيل بن سمرة الأحمسى ، حدثنا أبو معاوية عن واصل بن السائب عن أبى سورة عن أبى أيوب قال : « أتى النبى صلى الله عليه وسلم أعرابى فقال : يارسول الله إنى أحب الخيل أفى الجنة خيل ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا دخلت الجنة أتيت بفرس من ياقوتة له جناحان فحملت عليه ثم طار بك حيث شئت » .

قال الترمذى : هذا حديث إسناده ليس بالقوى ولا نعرفه من حديث أبى أيوب إلا من هذا الوجه ، وأبو سورة هو ابن أخى أبى أيوب يضعف فى الحديث . ضعفه ابن معين جداً ، وسمعت محمد بن إسماعيل يقول : أبو سورة هذا منكر الحديث ، يروى مناكير عن أبى أيوب لا يتابع عليه .

قلت : أما حديث علقمة بن مرثد، فقد اضطرب فيه علقمة، فمرة يقول عن سليمان ابن بريدة عن أبيه ، ومرة يقول عن عبد الرحمن بن سابط عن عمير بن ساعدة قال : « كنت أحب الخيل فقلت هل فى الجنة خيل يا رسول الله ؟ » .

ومرة يقول : قال رجل من الأنصار ، يقال له عمير بن ساعدة يا رسول الله

ومرة يقول عن عبد الرحمن بن سابط عن النبي صلى الله عليه وسلم ، والترمذى جعل هذا أصح من حديث المسعودى لأن سفيان أحفظ منه ، وأثبت . وقد رواه أبو نعيم من حديث علقمة هذا فقال عن أبى صالح عن أبى هريرة : « إن أعرابياً قال يارسول الله أفى الجنة إبل ؟ قال : ياأعرابى إن يدخلك الله الجنة رأيت فيها ما تشتهى نفسك وتلذ عينك » ورواه أيضاً من حديث علقمة عن يحي بن إسحاق عن عطاء بن يسار عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر الجنة فقال : « والفردوس أعلاها سموا وأوسطهامنه محلا ومنها تفجر أنهار الجنة ، وعليها يوضع العرش يوم القيامة ، فقام إليه رجل فقال : يارسول الله إنى رجل حبب إلى الخيل فهل فى الجنة خيل ؟ قال : إى والذى نفسى بيده إن فى الجنة لخيلا وإبلا هفافة تزف بين خلال ورق الجنة . يتزاورون عليها حيث شاؤوا ، فقام إليه رجل فقال : يارسول الله إنى حبب إلى الإبل » وذكر الحديث . وأما حديث أبى سورة فلا يعرف إلا من حديث واصل بن السائب عنه ولم يروه عنه غيره ، وغير يحي بن جابر الطائى وقد أخرج أبو داود حديث : « ستفتح عليكم الأمصار وتجندون إجناداً » وأخرج له ابن ماجه عن أبى أيوب : « رأيت النبى صلى الله عليه وسلم توضأ فخلل لحيته » وحديثاً آخر فى تفسير قوله تعالى (حتى تستأنسوا) وأخرج له الترمذى حديث « خيل الجنة » فقط . ورواه أبو نعيم من حديث جابر بن نوح عن واصل به وقال : « إن أهل الجنة ليتزاورون على نجائب بيض ، كأنهـا الياقوت ، وليس فى الجنة من البهائم إلا الخيل والإبل » .

وقال أبو الشيخ حدثنا القاسم بن زكريا حدثنا سويد بن سعيد حدثنا مروان ابن معاوية عن أبى الحكم عن أبى خالد عن الحسن البصرى عن جابر بن عبد الله عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إذا دخل أهل الجنة الجنة جاءتهم خيول من ياقوت أحمر لها أجنحة لا تبول ولا تروث ، فقعدوا عليها ثم طارت بهم فى الجنة ، فيتجلى لهم الجبار ، فإذا رأوه خروا سجداً فيقول لهم الجبار تعالى : ارفعوا رؤوسكم فإن هذا ليس يوم عمل ، إنمـا هو يوم نعيم وكرامة ، فيرفعون

رؤوسهم فيمطر الله عليهم طيباً ، فيمرون بكثبان المسك، فيبعث الله على تلك الكثبان ريحاً ، فتهيجها عليهم حتى إنهم ليرجعون إلى أهليهم وإنهم لشعث غبر » .

وقال عبد الله بن المبارك حدثنا همام عن قتادة عن عبد الله بن عمرو قال : « فى الجنة عتاق الخيل ، وكرائم النجائب » .

الباب التاسع والخمسون

فى زيارة أهل الجنة بعضهم بعضاً ، وتذاكرهم ما كان بينهم فى الدنيا

قال تعالى : (فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون ، قال قائل منهم إنى كان لى قرين ، يقول أئنك لمن المصدقين ، أئذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا لمدينون ، قال هل أنتم مطلعون ، فاطلع فرآه فى سواء الجحيم ، قال تالله إن كدت لتردين ، ولولا نعمة ربى لكنت من المحضرين)[1] فأخبر سبحانه وتعالى أن أهل الجنة ، أقبل بعضهم على بعض يتحدثون ويسأل بعضهم بعضاً ، عن أحوال كانت فى الدنيا ، فأفضت بهم المحادثة والمذاكرة إلى أن قال قائل منهم : إنى كان لى قرين فى الدنيا ينكر البعث والدار الآخرة ، ويقول ما حكاه الله عنه يقول : أئنك لمن المصدقين ، بأنا نبعث ونجازى بأعمالنا ونحاسب بها بعد أن مزقنا البلى ، وكنا تراباً وعظاماً ، ثم يقول المؤمن لإخوانه فى الجنة : هل أنتم مطلعون فى النار لننظر منزلة قرينى هذا وما صار إليه .

هذا أظهر الأقوال وفيها قولان آخران : أحدهما أن الملائكة تقول لهؤلاء المتذاكرين الذين يحدث بعضهم بعضاً : هل أنتم مطلعون ؟ رواه عطاء عن ابن عباس .

والثانى : أنه من قول الله عز وجل لأهل الجنة يقول لهم : هل أنتم مطلعون : والصحيح القول الأول . وأن هذا قول المؤمن لأصحابه ومحادثيه ، والسياق كله والإخبار عنه وعن حال قرينه قال كعب « بين الجنة والنار كوى ، فإذا أراد المؤمن أن ينظر إلى عدو كان له فى الدنيا اطلع من بعض تلك الكوى » .

وقوله : واطلع ، أى أشرف . قال مقاتل : لما قال لأهل الجنة هل أنتم مطلعون؟

---

(١) سورة الصافات الآيات ٥٠ ـ ٥٧ .

قالوا له : أنت أعرف به منا ، فاطلع أنت فأشرف فرأى قرينه فى سواء الجحيم ، ولولا أن الله عرفه إياه لما عرفه ، لقد تغير وجهه ولونه وغيره العذاب أشد تغيير : فعندها قال : تالله إن كدت لتردين، ولولا نعمة ربى لكنت من المحضرين . أى إن كدت لتهلكنى ، ولولا أن أنعم الله على بنعمته لكنت من المحضرين معك فى العذاب ، وقال تعالى (وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون ، قالوا إنا كنا قبل فى أهلنا مشفقين، فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم ، إنا كنا من قبل ندعوه إنه هو البر الرحيم)(١) وقال الطبرانى حدثنا الحسن بن إسحاق حدثنا سهل بن عثمان حدثنا المسيب بن شريك عن بشر بن نمير عن القاسم عن أبى أمامة قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أيتزاور أهل الجنة ؟ قال : يزور الأعلى الأسفل ، ولا يزور الأسفل الأعلى ، إلا الذين يتحابون فى الله يأتون منها حيث شاؤوا على النوق محتقبين الحشايا » .

وقال الدورقى : حدثنا أبو سلمة التبوذكى حدثنا سليمان بن المغيرة عن حميد بن هلال قال : « بلغنا أن أهل الجنة يزور الأعلى الأسفل ولا يزور الأسفل الأعلى » وقد تقدم حديث علقمة بن مرثد عن يحيى بن إسحاق عن عطاء بن يسار عن أبى هريرة ، وقال الطبرانى حدثنا محمد بن عبدوس حدثنا الحسن بن حماد حدثنا جابر ابن نوح عن واصل بن السائب عن أبى سورة عن أبى أيوب يرفعه « إن أهل الجنة يتزاورون على النجائب » وقد تقدم فأهل الجنة يتزاورون فيها ويستزير بعضهم بعضاً ، وبذلك تتم لذتهم وسرورهم . ولهذا قال حارثة للنبى صلى الله عليه وسلم وقد سأله : « كيف أصبحت ياحارثة ؟ قال: أصبحت مؤمناً حقاً ، قال : إن لكل حق حقيقة فما حقيقة إيمانك ؟ قال : عزفت نفسى عن الدنيا فأسهرت ليلى ، وأظمأت نهارى ، وكأنى أنظر إلى عرش ربى بارزاً ، وإلى أهل الجنة يتزاورون فيها ، وإلى أهل النار يعذبون فيها ، فقال: عبد نور الله قلبه » :

وقال ابن أبى الدنيا حدثنا عبد الله حدثنا سلمة بن شبيب حدثنا سعيد بن دينار

---

(١) سورة الروم الآيات ٢٥ ـ ٢٨ .

عن الربيع بن صبيح عن الحسن عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا دخل أهل الجنة الجنة ، فيشتاق الإخوان بعضهم إلى بعض ، قال : فيسير سرير هذا إلى سرير هذا وسرير هذا إلى سرير هذا ، حتى يجتمعا جميعاً ، فيقول أحدهما لصاحبه : تعلم متى غفر الله لنا ؟ فيقول صاحبه يوم كنا فى موضع كذا وكذا فدعونا الله فغفر لنا » . قال : وحدثنى حمزة بن العباس أنبأنا عبدالله بن عثمان أنبأنا ابن المبارك أنبأنا إسماعيل بن عياش قال حدثنى ثعلبة بن مسلم عن أيوب بن بشير العجلى عن شفى بن مانع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن من نعيم أهل الجنة أنهم يتزاورون على المطايا والنجب وأنهم يؤتون فى الجنة بخيل مسرجة ملجمة ، لا تروث ولا تبول ، فيركبونها حتى ينتهوا حيث شاء الله عز وجل فيأتيهم مثل السحابة فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ، فيقولون : مطرى علينا فما يزال المطر عليهم حتى ينتهى ذلك فوق أمانيهم .

ثم يبعث الله ريحاً غير مؤذية فتنسف كثائب من مسك عن أيمانهم وعن شمائلهم ، فيأخذ ذلك المسك فى نواصى خيولهم وفى مفارقهم وفي رؤوسهم ، ولكل رجل منهم جمة على ما اشتهت نفسه ، فيتعلق ذلك المسك فى تلك الجمام ، وفي الخيل ، وفيما سوى ذلك من الثياب ثم يقبلون حتى ينتهوا إلى ماشاء الله تعالى ، فإذا المرأة تنادى بعض أولئك : ياعبد الله أما لك فينا حاجة ؟ فيقول : ما أنت ومن أنت ؟ فتقول : أنا زوجتك وحبك ، فيقول : ما كنت علمت بمكانك . فتقول المرأة : أو ماعلمت أن الله قال (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون)(١) فيقول : بلى ، وربى ، فلعله يشتغل عنها بعد ذلك الموقف أربعين خريفاً ، لا يلتفت ولا يعود ما يشغله عنها إلا ما هو فيه من النعيم والكرامة » .

حدثنى حمزة أنبأنى عبد الله بن عثمان أنبأنا بن المبارك أنبأنا رشدين بن سعد قال حدثنى ابن أنعم أن أبا هريرة قال : « إن أهل الجنة ليتزاورون على العيس

---

(١) سورة السجدة آية ١٧ .

الجون ، عليها رحال الميس ، تثير مناسمها غبار المسك ، خطام أو زمام أحدها خير من الدنيا وما فيها » .

وذكر ابن أبي الدنيا من حديث أبي اليمان حدثنا إسماعيل بن عياش عن عمرو ابن محمد عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سأل جبريل عن هذه الآية (ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله)(١) قال : هم الشهداء يبعثهم الله متقلدين أسيافهم حول عرشه ، فأتاهم ملائكة من المحشر بنجائب من ياقوت ، أزمتها الدر الأبيض ، برحال الذهب أعنانها السندس والإستبرق ، ونمارقها ألين من الحرير ، مد خطاها مد أبصار الرجال ، يسيرون في الجنة على خيول ، يقولون عند طول النزهة : انطلقوا بنا ننظر كيف يقضي الله بين خلقه ، يضحك الله إليهم ، وإذا ضحك الله إلى عبد في موطن فلا حساب عليه » .

قال ابن أبي الدنيا وحدثنا الفضل بن جعفر بن حسن حدثنا أبي عن الحسن بن علي عن علي قال : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن في الجنة لشجرة يخرج من أعلاها حلل ، ومن أسفلها خيل من ذهب مسرجة ملجمة من در وياقوت ، لا تروث ولا تبول ، لها أجنحة خطوها مد بصرها ، فيركبها أهل الجنة فتطير بهم حيث شاؤوا ، فيقول الذين أسفل منهم درجة : يارب بما بلغ عبادك هذه الكرامة ؟ قال : فيقال لهم : كانوا يصلون في الليل وكنتم تنامون ، وكانوا يصومون وكنتم تأكلون ، وكانوا ينفقون وكنتم تبخلون ، وكانوا يقاتلون وكنتم تجبنون » .

---

(١) سورة الزمر آية ٦٨ .

فصل

ولهم زيارة أخرى أعلى من هذه وأجل ، وذلك حين يزورون ربهم تبارك وتعالى ، فيريهم وجهه ويسمعهم كلامه ، ويحل عليهم رضوانه .

وسيمر بك ذكر هذه الزيارة عن قريب ، إن شاء الله .

الباب الستون

فى ذكر سوق الجنة وما أعد الله تعالى فيه لأهلها

قال مسلم فى صحيحه حدثنا سعيد بن عبد الجبار الصيرفى حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت البنانى عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن فى الجنة لسوقاً يأتونها كل جمعة ، فتهب ريح الشمال فتحثو فى وجوههم وثيابهم فيزدادون حسناً وجمالا ، فيرجعون إلى أهليهم وقد ازدادوا حسناً وجمالا ، فيقول لهم أهلوهم : والله لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالا ، فيقولون : والله وأنتم لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالا » ورواه الإمام أحمد فى مسنده عن عفان عن حماد بن سلمة وقال « فيها كثبان المسك فإذا خرجوا إليها هبت الريح » .

وقال ابن أبى عاصم فى كتاب السنة : حدثنا هشام بن عمار حدثنا عبد الحميد ابن حبيب بن أبى العسر عن الأوزاعى عن حسان بن عطية عن سعيد بن المسيب أنه لقى أبا هريرة . فقال أبو هريرة : « أسأل الله أن يجمع بينى وبينك فى سوق الجنة . فقال سعيد أو فيها سوق؟ قال : نعم ، أخبرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم: أن أهل الجنة إذا دخلوها نزلوها بفضل أعمالهم فيؤذن لهم فى مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا فيزورون الله تبارك وتعالى ، فيبرز لهم عرشه ويتبدى لهم فى روضة من رياض الجنة ، فيوضع لهم منابر من نور ، ومنابر من لؤلؤ ، ومنابر من زبرجد ، ومنابر من ياقوت ، ومنابر من ذهب ، ومنابر من فضة ويجلس أدناهم وما فيها دنى، على كثبان المسك والكافور ، وما يرون أن أصحاب الكراسى بأفضل منهم مجلساً ، قال أبو هريرة : وهل نرى ربنا عز وجل ؟ قال : نعم ، قال : هل تتمارون فى رؤية الشمس والقمر ليلة البدر ؟ قلنا : لا ، قال: فكذلك لا تمارون فى رؤية ربكم ، ولا يبقى ذلك المجلس أحد إلا حاضره الله محاضرة ، حتى يقول : يافلان ابن فلان ، أتذكر يوم فعلت كذا وكذا ؟ فيذكره ببعض غدراته فى الدنيا ، فيقول : بلى . أفلم تغفر لى ؟ فيقول : بلى ، فبمغفرتى بلغت منزلتك هذه ،

قال : فبينما هم على ذلك ، إذ غشيتهم سحابة من فوقهم ، فأمطرت عليهم طيباً لم يجدوا مثل ريحه شيئاً قط، قال : ثم يقول ربنا تبارك وتعالى : قوموا إلى ما أعددت لكم من الكرامة فخذوا ما اشتهيتم ، قال : فيأتون سوقاً قد حفت بها الملائكة فيها ما لم تنظر العيون إلى مثله ولم تسمع الآذان ولم يخطر على القلوب ، قال : فيحمل لنا ما اشتهينا ليس يباع فيه ولا يشترى ، وفى ذلك السوق يلقى أهل الجنة بعضهم بعضاً ، قال : فيقبل ذو البزة المرتفعة فيلقى من هو دونه ومافيهم دنى، فيروعه مايرى عليه من اللباس والهيئة ، فما ينقضى آخر حديثه حتى يتمثل عليه أحسن منه ، وذلك أنه لا ينبغى لأحد أن يحزن فيها ، قال : ثم ننصرف إلى منازلنا فيلقانا أزواجنا فيقلن : مرحباً وأهلا بحبنا ، لقد جئت وإن بك من الجمال والطيب أفضل مما فارقتنا عليه ، فنقول : إنا جالسنا اليوم ربنا الجبار عز وجل ، ويحقنا أن ننقلب بمثل ما انقلبنا » ورواه الترمذى فى صفة الجنة عن محمد بن إسماعيل عن هشام بن عمار ، ورواه ابن ماجه عن هشام بن عمار وليس فى هذا الإسناد من ينظر فيه إلا عبد الحميد بن حبيب وهو كاتب الأوزاعى ، فلا ننكر عليه تفرده عن الأوزاعى بما لم يروه غيره . وقد قال الإمام أحمد وأبو حاتم الرازى: هو ثقة ؛ وأما دحيم والنسائى فضعفاه ، ولا نعرف أنه حدث عن غير الأوزاعى والترمذى. قال : فى هذا الحديث غريب . لانعرفه إلا من هذا الوجه .

قلت : وقد رواه ابن أبى الدنيا عن الحكم بن موسى حدثنا هقل بن زياد عن الأوزاعى قال : نبئت أن سعيد بن المسيب لقى أبا هريرة فذكره . وقال الترمذى : حدثنا أحمد بن منيع حدثنا أبو معاوية أنبأنا عبد الرحمن بن إسحاق عن النعمان بن سعد عن على بن أبى طالب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إن فى الجنة لسوقاً ما فيها شراء ولا بيع إلا الصور من الرجال والنساء ، فإذا اشتهى الرجل الصورة دخل فيها » قال هذا حديث غريب .

وقال عبد الله بن المبارك : أنبأنا سليمان التيمى عن أنس بن مالك قال : « يقول أهل الجنة انطلقوا إلى السوق ، فينطلقون إلى كثبان المسك ، فإذا رجعوا إلى أزواجهم ، قالوا : إنا لنجد لكن ريحاً ما كانت لكن ، قال : فيقلن لقد رجعتم بريح ما كانت لكم إذ خرجتم من عندنا » قال ابن المبارك وأنبأنا حميد الطويل عن

أنس بن مالك قال : إن فى الجنة سوقاً كثبان مسك يخرجون إليها ويجتمعون إليها، فيبعث الله ريحاً فتدخلها بيوتهم فيقول لهم أهلوهم إذا رجعوا إليهم : قد ازددتم أيضاً بعدنا حسناً » .

وقال الحافظ محمد بن عبد الله الحضرمى المعروف بمطين : حدثنا أحمد بن محمد ابن طريف البجلى حدثنا أبى حدثنا محمد بن كثير حدثنى جابر الجعفى عن أبى جعفر عن على بن الحسين عن جابر بن عبد الله قال : « خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن مجتمعون ، فقال : يامعشر المسلمين إن فى الجنة لسوقا ما يباع فيها ، ولا يشترى إلا الصور، من أحب صورة من رجل أو امرأة دخل فيها» . والله أعلم .

الباب الحادى والستون

فى ذكر زيادة أهل الجنة ربهم تبارك وتعالى

وقال الإمام الشافعى رضى الله عنه فى مسنده حدثنا إبراهيم بن محمد قال حدثنى موسى بن عبيدة قال حدثنى أبو الأزهر معاوية بن إسحاق بن طلحة عن عبد الله ابن عبيد بن عمير أنه سمع أنس بن مالك يقول : « أتى جبريل بمرآة بيضاء فيها وكت إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما هذا ؟ قال : الجمعة فضلت بها أنت وأمتك ، فالناس لكم فيها تبع اليهود والنصارى ، ولكم فيها خير ساعة، وفيها ساعة لا يوافقها مؤمن يدعو الله بخير إلا استجيب له، وهو عندنا يوم المزيد، قال النبي صلى الله عليه وسلم : يا جبريل وما يوم المزيد ؟ قال : إن ربك اتخذ من الفردوس وادياً أفيح فيه كثب المسك ، فإذا كان يوم القيامة أنزل الله تبارك وتعالى ما شاء من ملائكته وحوله منابر من نور عليها مقاعد النبيين ، وحف تلك المنابر بمنابر من ذهب مكللة بالياقوت والزبرجد ، عليها الشهداء والصديقون ، فجلسوا من ورائهم على تلك الكثب فيقول الله تعالى : أنا ربكم قد صدقتم وعدى فسلونى أعطكم ، فيقولون : ربنا نسألك رضوانك ، فيقول: قد رضيت عنكم ولكم ما تمنيتم ، ولدى مزيد ، فهم يحبون يوم الجمعة لما يعطيهم فيه ربهم من الخير ، وهو اليوم الذى استوى فيه ربكم على العرش وفيه خلق آدم عليه الصلاة والسلام ، وفيه تقوم الساعة »، ولهذا الحديث طرق سنشير إليها فى باب المزيد إن شاء الله تعالى .

وروى أبو نعيم من حديث شيبان بن خيبر بن فرقد عن الحسن عن أبى برزة الأسلمى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن أهل الجنة ليغدون فى حلة ويروحون فى أخرى كغدو أحدكم ورواحه ، إلى ملك من ملوك الدنيا ، كذلك يغدون ويروحون إلى زيارة ربهم عز وجل ، وذلك لهم بمقادير ومعالم يعلمون تلك الساعة

التى يأتون فيها ربهم عز وجل » قال وروى جعفر بن حسن بن فرقد عن أبيه مثله.
وذكر أبو نعيم أيضاً من حديث أبى إسحاق عن الحارث عن على قال : « إذا سكن أهل الجنة الجنة ، أتاهم ملك فيقول لهم : إن الله تبارك وتعالى يأمركم أن تزوروه ، فيجتمعون فيأمر الله تبارك وتعالى دواد عليه السلام ، فيرفع صوته بالتسبيح والتهليل، ثم يوضع مائدة الخلد قالوا : يارسول الله وما مائدة الخلد ؟ قال زاوية من زواياها أوسع مما بين المشرق والمغرب ، فيطعمون ثم يسقون ثم يكسون فيقولون : لم يبق إلا النظر فى وجه ربنا عز وجل ، فيتجلى لهم فيخرون سجداً ، فيقال لهم : لستم فى دار عمل، إنما أنتم فى دار جزاء

وقال ابن أبى الدنيا حدثنا أبو موسى إسحاق بن إبراهيم الهروى حدثنا القاسم بن يزيد الموصلى، قال : حدثنى أبو إلياس قال : حدثنى محمد بن على بن الحسين قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقال أبو نعيم حدثنا محمد بن على بن حنيش حدثنا إبراهيم بن شريك حدثنا أحمد بن يونس حدثنا المعافى بن عمران وكان من خيار الناس قال حدثنا إدريس بن سنان عن وهب بن منبه عن محمد بن على قال إدريس : ثم لقيت محمد بن على بن الحسين ابن فاطمة فحدثنى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن فى الجنة شجرة يقال لها طوبى ، لو سخر الجواد الراكب أن يسير فى ظلها لسار فيها مائة عام ، ورقها برود خضر ، وزهرها رياض صفر . وأفنانها سندس واستبرق ، وثمارها حلل ، وصمغها زنجبيل وعسل ، وبطحاؤها ياقوت أحمر وزمرد أخضر ، وترابها مسك وحشيشها زعفران ، منيع وإلا لنجوج يؤججان من غير وقود ويتفجر من أصلها أنهار السلسبيل والمعين والرحيق، وظلها مجلس من مجالس أهل الجنة يألفونه ومتحدث يجمعهم . فبينما هم يوماً يتحدثون فى ظلها إذ جاءتهم الملائكة يقودون نجباً جبلت من الياقوت ثم نفخ فيها الروح مزمومة بسلاسل من ذهب ، كأن وجوهها المصابيح نضارة وحسناً ، وبرهاخز

أحمر ، ومرعزى أبيض مختلطان لم ينظر الناظرون إلى مثلها ، عليها رحائل ألواحها من الدر والياقوت ، مفصصة باللؤلؤ والمرجان وصفافها من الذهب الأحمر ، ملبسة بالعبقرى والأرجوان ، فأناخوا إليهم تلك النجائب ، ثم قالوا لهم : إن ربكم تبارك وتعالى يقرئكم السلام ويستزيركم لتنظروا إليه ، وينظر إليكم، وتحيونه ويحييكم ويكلمكم وتكلمونه ، ويزيدكم من سعته وفضله ، إنه ذو رحمة واسعة وفضل عظيم .

فيتحول كل رجل منهم على راحلته ، ثم انطلقوا صفاً واحداً معتدلا لا يفوق منه شيء شيئاً ولا يقرب أذن ناقة أذن صاحبتها ولا تركب ناقة بركت صاحبتها، ولا يمرون بشجر من أشجار الجنة إلا أتحفتهم بثمرها ، ورحلت لهم عن طريقهم، كراهية أن ينثلم صفهم أو يفرق بين الرجل ورفيقه . فلما دفعوا إلى الجبار تبارك وتعالى أسفر لهم عن وجهه الكريم ، وتجلى لهم فى عظمته العظيمة ، فقالوا : ربنا أنت السلام ومنك السلام ولك حق الجلال والإكرام .

فقال لهم ربهم تبارك وتعالى: إنى السلام ومنى السلام ولى حق الجلال والإكرام، مرحباً بعبادى الذين حفظوا وصيتى ، وراعوا عهدى ، وخافونى بالغيب وكانوا منى على حال مشفقين ، قالوا : وعزتك وجلالك وعلو مكانك ما قدرناك حق قدرك، وما أدينا إليك كل حقك ، فائذن لنا بالسجود لك ، فقال لهم ربهم تبارك وتعالى : إنى قد وضعت عنكم مؤنة العبادة وأرحت لكم أبدانكم ، فلطالما ما أتعبتم لى الأبدان وأعنيتم لى الوجوه ، فالآن أفضيتم إلى روحى ورحمتى وكرامتى ، فاسألونى ماشئتم وتمنوا على أعطكم أمانيكم فإنى لن أجزيكم اليوم بقدر أعمالكم، ولكن بقدر رحمتى وكرامتى وطولى وجلالى وعلو مكانى وعظمة شأنى . فلا يزالون فى الأمانى والعطايا والمواهب ، حتى أن المقتصر من أمنيته ليتمنى مثل جميع الدنيا منذ خلقها الله عز وجل إلى يوم أفناها ، فقال لهم ربهم عز وجل : لقد قصرتم فى أمانيكم ورضيتم بدون ما يحق لكم فقد أوجبت لكم ما سألتم وتمنيتم وألحقت بكم

ذريتكم وزادتكم ماقصرت عنه أمانيكم » ولا يصح رفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وحسبه أن يكون من كلام محمد بن على ، فغلط فيه بعض هؤلاء الضعفاء ، فجعله من كلام النبي صلى الله عليه وسلم

وإدريس بن سنان هذا هو سبط وهب بن منبه ضعفه ابن عدى . وقال الدراقطنى : متروك . وأما أبو إلياس المتابع له فلايدرى من هو . أما القاسم بن يزيد الموصلى الراوى عنه فمجهول أيضاً ، ومثل هذا لايصح رفعه . والله أعلم .

وقال الضحاك فى قوله عز وجل (يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا)[1] قال: على النجائب عليها الرحال .

---

(١) سورة مريم آية ٨٥

الباب الثانى والستون

فى ذكر السحاب والمطر الذى يصيبهم فى الجنة

قد تقدم فى حديث سوق الجنة أنه يغشاهم يوم الزيارة سحابة من فوقهم فتمطر عليهم طيبا لم يجدوا مثل ريحه قط .

وقال بقية بن الوليد حدثنا بحير بن سعيد عن خالد بن معدان عن كثير بن مرة قال : « إن من المزيد أن تمر السحابة بأهل الجنة ، فتقول : ماذا تريدون أن أمطركم ؟ فلا يتمنون شيئاً إلا أمطروا » .

وقال ابن أبى الدنيا : حدثنى أزهر بن مروان حدثنا عبد الله بن عبد الله الشيبانى عن عبد الرحمن بن بديل عن أبيه عن صفى اليمانى ، قال : سأل عبد العزيز ابن مروان عن وفد أهل الجنة قال : إنهم يغدون إلى الله سبحانه وتعالى كل يوم خميس فتوضع لهم أسرة ، كل إنسان منهم أعرف بسريره منك بسريرك هذا الذى أنت عليه ، فإذا قعدوا عليه وأخذ القوم مجالسهم قال الله تعالى : أطعموا عبادى وخلقى وجيرانى ووفدى . فيطعموا ثم يقول : أسقوهم .

قال : فيأتون بآنية من الوان شتى مختمة فيشربون منها . ثم يقول : عبادى وخلقى وجيرانى ووفدى قد طعموا وشربوا فـكهوهم ، فتجىء ثمرات شجر تدلى فيأكلون منها ماشاؤوا، ثم يقول : عبادى وخلقى وجيرانى ووفدى قد طعموا وشربوا وفـكهوا أكسوهم ، فتجىء ثمرات شجر أصفر وأخضر وأحمر، وكل لون لم تنبت إلا الحلل ، فتنشر عليهم حللا وقمصاً ، ثم يقول: عبادى وخلقى وجيرانى ووفدى قد طعموا وشربوا وفـكهوا وكسوا ، طيبوهم فيتناثر عليهم المسك مثل رذاذ المطر .

ثم يقول : عبادى وجيرانى وخلقى ووفدى قد طعموا وشربوا وفـكهوا وكسوا

وطيبوا لأتجلين لهم حتى ينظروا إلى ، فإذا تجلى لهم فنظروا إليه نضرت وجوههم ، ثم يقال لهم : ارجعوا إلى منازلكم ، فتقول لهم أزواجهم : خرجتم من عندنا على صورة ، ورجعتم على غيرها؟ فيقولون : ذلك أن الله جل ثناؤه تجلى لنا فنظرنا إليه فنضرت وجوهنا » .

وقال عبد الله بن المبارك أنبأنا إسماعيل بن عياش قال حدثنى ثعلبة بن مسلم عن أيوب بن بشير العجلى عن شفى بن مانع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن من نعيم أهل الجنة أنهم يتزاورون على المطايا والنجب ، وأنهم يؤتون فى الجنة بخيل مسرجة ملجمة لا تروث ولا تبول ، يركبونها حتى ينتهوا حيث شاء الله ، فيأتيهم مثل السحابة فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ، فيقولون : أمطرى علينا فما يزال المطر عليهم حتى ينتهى ذلك فوق أمانيهم ، ثم يبعث الله ريحاً غير مؤذية فتنسف كثبانا من مسك عن أيمانهم وعن شمائلهم ، فيأخذون ذلك المسك فى نواصى خيولهم وفى مفارقها وفى رؤوسهم ولكل رجل منهم جملة على ما اشتهت نفسه ، فيتعلق ذلك المسك فى تلك الجمام . وفى الخيل وفيما سوى ذلك من الثياب ، ثم يقبلون حتى ينتهوا إلى ما شاء الله ، فإذا المرأة تنادى بعض أولئك : عبد الله أما لك فينا من حاجة ؟ فيقول : ما أنت ومن أنت ؟ فتقول : أنا زوجتك وحبك . فيقول : ما كنت علمت بمكانك ، فتقول المرأة : أو ما تعلم أن الله تعالى قال (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون)(١) فيقول : بلى وربى فلعله يشتغل عنها بعد ذلك الموقف أربعين خريفاً ، ما يشغله عنها إلا ما هو فيه من النعيم » .

---

(١) سورة السجدة آية ١٧

فصـل

وقد جعل الله سبحانه وتعالى السحاب وما يمطره سبباً للرحمة والحياة فى هذه الدار وجعله سبباً لحياة الخلق فى قبورهم حيث يمطر على الأرض أربعين صباحاً مطراً متداركاً من تحت العرش ، فينبتون تحت الأرض كنبات الزرع ويمشون يوم القيامة والسماء تطش عليهم ، وكأنه والله أعلم أثر ذلك المطر العظيم كما يكون فى الدنيا ، ويثير لهم سحابا فى الجنة يمطرهم ، ما شاؤوا من طيب وغيره ، وكذلك أهل النار ينشىء لهم سحابا يمطر عليهم عذاباً إلى عذابهم ، كما أنشأ لقوم هود وقوم شعيب ، سحابا أمطر عليهم عذابا أهلكهم فهو سبحانه ينشئه للرحمة والعذاب .

الباب الثالث والستون

فى ذكر ملك الجنة وأن أهلها كلهم ملوك فيها

قال تعالى (وإذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيراً)[1] قال ابن أبى نجيح عن مجاهد «ملكاً كبيراً» قال عظيما ، وقال استئذان الملائكة عليهم لاتدخل الملائكة عليهم إلا بإذن ، وقال كعب فى قوله تعالى : (وإذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكاً كبيراً) يرسل إليهم ربهم الملائكة فتأتى الملائكة فتستأذن عليهم الملائكة ، وقال : بعضهم الخدم ، ولا يدخل عليهم الملائكة إلا بإذن .

وقال الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس أنه ذكر مراكب أهل الجنة ثم تلا (وإذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكاً كبيراً) .

وقال ابن أبى الحوارى سمعت أبا سليمان يقول فى قوله عز وجل : (وإذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكاً كبيراً) قال : الملك الكبير ، إن رسول الله يأتيه بالتحفة واللطف ، فلا يصل إليه حتى يستأذن له عليه فيقول للحاجب : استأذن على ولى الله فإنى لست أصل إليه ، فيعلم ذلك الحاجب حاجباً آخر وحاجباً بعد حاجب ، ومن داره إلى دار السلام باب يدخل منه على ربه إذا شاء بلا إذن ، فالملك الكبير أن رسول رب العزة لا يدخل عليه إلا بإذن ، وهو يدخل على ربه بلا إذن .

وقال ابن أبى الدنيا : حدثنا صالح بن مالك حدثنا صالح المرى حدثنا يزيد الرقاشى عن أنس بن مالك يرفعه : « إن أسفل أهل الجنة أجمعين درجة من يقوم على رأسه عشرة آلاف خادم » حدثنا محمد بن عباد بن موسى أنبأنا زيد بن الحباب عن أبى هلال الراسبى ، أنبأنا الحجاج بن عتاب العبدى عن عبد الله بن معبد الزمانى عن أبى هريرة قال : « إن أدنى أهل الجنة منزلة وليس فيهم دنى، من يغدو عليه

---

(١) سورة الإنسان آية ٢٠ .

كل يوم ويروح خمسة عشر ألف خادم ، ليس منهم خادم إلا ومعه طرفة ليست مع صاحبه » وحدثنى محمد بن عباد حدثنا زيد بن الحباب عن أبى هلال حدثنا حميد ابن هلال : قال « ما من رجل من أهل الجنة إلا وله ألف خازن ليس منهم خازن إلا على عمل ليس عليه صاحبه » وحدثنى هارون بن سفيان أنبأنا محمد بن عمر أنبأنا الفضل بن فضالة عن زهرة بن معبد عن أبى عبد الرحمن الحبلى قال « إن العبد أول ما يدخل الجنة يتلقاه سبعون ألف خادم كأنهم اللؤلؤ » .

حدثنى هارون بن سفيان حدثنا محمد بن عمر أنبأنا محمد بن هلال عن أبيه عن أبى هريرة قال : « إن أدنى أهل الجنة منزلة وما فيهم دنىء لمن يغدو عليه عشرة آلاف خادم ، مع كل خادم طرفة ليست مع صاحبه » .

وقال عبد الله بن المبارك : حدثنا يحي بن أيوب حدثنى عبد الله بن رجز عن محمد بن أبى أيوب المخزومى عن أبى عبد الرحمن المغافرى قال : « إنه ليصف للرجل من أهل الجنة سماطان لا يرى طرفاهما من غلمانه ، حتى إذا مر مشوا وراءه » وقال أبو خيثمة حدثنا الحسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا دراج عن أبى الهيثم عن أبى سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أدنى أهل الجنة منزلة الذى له ثمانون ألف خادم واثنتان وسبعون زوجة ، وتنصب له قبة من لؤلؤ وياقوت وزبرجد ، كما بين الجابية وصنعاء » .

وقال عبد الله بن المبارك أنبأنا بقية بن الوليد حدثنى أرطاة بن المنذر قال : سمعت رجلا من مشيخة الجند يقال له : أبو الحجاج قال : جلست إلى أبى أمامة فقال : « إن المؤمن يكون متكئاً على أريكة إذا دخل الجنة وعنده سماطان من الخدم ، وعند طرف السماطين ، باب مبوب فيقبل الملك من ملائكة الله عز وجل ليستأذن فيقوم أدنى الخدم إلى الباب ، فإذا هو بالملك يستأذن فيقول للذى يليه : ملك يستأذن ، ويقول للذى يليه : ملك يستأذن ، حتى يبلغ المؤمن فيقول : ائذنوا له ، فيقول أقربهم إلى المؤمن ائذنوا له ، ويقول الذى يليه للذى يليه :

ائذنوا له كذلك ، حتى يبلغ أقصاهم الذى عند الباب فيفتح له ، فيدخل فيسلم ثم ينصرف » .

وقال ابن أبى الدنيا : حدثنى محمد بن الحسن حدثنا قبيصة حدثنا سليمان العنبرى عن الضحاك بن مزاحم قال : « بينا ولى الله فى منزله إذ أتاه رسول من الله عز وجل فقال للآذن : استأذن لرسول الله على ولى الله ، فيدخل الآذن فيقول له : يا ولى الله ، هذا رسول من الله يستأذن عليك ، قال : ائذن له فيأذن له فيدخل على ولى الله ، فيضع ما بين يديه تحفة ، فيقول : يا ولى الله إن ربك يقرأ عليك السلام ويأمرك أن تأكل من هذه ، قال : فيشبهه بطعام أكله أيضاً فيقول : إنما أكلت هذا الآن ، فيقول : إن ربك يأمرك أن تأكل منها ، فيأكل منها فيجد منها طعم كل ثمرة فى الجنة قال فذلك قوله تعالى (وأتوا به متشابها) » (١) .

وفى صحيح مسلم من حديث المغيرة بن شعبة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « سأل موسى ربه ما أدنى أهل الجنة منزلة ؟ قال : هو رجل يجىء بعد ما أدخل أهل الجنة الجنة ، فيقال له : ادخل الجنة ، فيقول : أى رب . كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم ، فيقال له : أترضى أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا ؟ فيقول : رضيت ربى ، فيقول له : لك ذلك ومثله ومثله ومثله ومثله ، فقال فى الخامسة : رضيت ربى فيقول هذا لك وعشرة أمثاله ولك ما اشتهت نفسك ، ولذت عينك فيقول رضيت ربى » وذكر الحديث . وقد تقدم ذكره بتمامه .

وقال البزار فى مسنده : حدثنا محمد بن المثنى حدثنا المغيرة بن سلمة حدثنا وهيب عن الجريرى عن أبى نضرة عن أبى سعيد قال : « خلق الله الجنة لبنة من فضة ، ولبنة من ذهب ، وغرسها بيده ، وقال لها : تكلمى ، فقالت : قد أفلح

---

(١) سورة البقرة آية ٢٥ .

المؤمنون ، فدخلها الملائكة ، فقالت : طوبى لك منزل الملوك » هكذا رواه وهيب عن الحريرى موقوفا ، ورواه عدى بن الفضل عن الحريرى فرفعه وقال البزار : ولا نعلم أحداً رفعه إلا عدى بن الفضل بهذا الإسناد ، وعدى بن الفضل ليس بالحافظ ، وهو شيخ بصرى .

قلت : عدى بن الفضل هذا انفرد به ابن ماجه ، وقد ضعفه يحيى بن معين وأبو حاتم . والحديث صحيح موقوف . والله أعلم .

وقد تقدم ذكر التيجان على رؤوسهم ، وإنما يلبسها الملوك .

الباب الرابع والستون

فى أن الجنة فوق ما يخطر بالبال أو يدور فى الخيال وأن موضع سوط منها خير من الدنيا وما فيها

قال تعالى (تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون ، فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون)(١) وتأمل كيف قابل ما أخفوه من قيام الليل بالجزاء الذى أخفاه لهم مما لاتعلمه نفس ، وكيف قابل قلقهم وخوفهم واضطرابهم على مضاجعهم ، حين يقوموا إلى صلاة الليل بقرة الأعين فى الجنة .

وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « قال الله عز وجل : أعددت لعبادى الصالحين ، مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، مصداق ذلك فى كتاب الله (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) » .

وفى لفظ آخر فيهما « يقول الله عز وجل : أعدت لعبادى الصالحين مالاعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، ذخرا بله ما أطلعتكم عليه ثم قرأ (فلا تعلم نفس — الآية) » .

وفى بعض طرق البخارى « قال أبو هريرة : اقرؤوا إن شئتم (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين) » .

وفى صحيح مسلم من حديث سهل بن سعد الساعدى قال : « شهدت مع

---

(١) سورة السجدة الآيتان ١٦ و ١٧ .

النبي صلى الله عليه وسلم مجلساً وصف فيه الجنة حتى انتهى . ثم قال فى آخر حديثه : فيها مالاعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، ثم قرأ هذه الآية (تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون ، فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) » .

وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقاب قوس أحدكم فى الجنة خير مما طلعت عليه الشمس أو تغرب » وقد تقدم حديث أبى أمامة عن النبى صلى الله عليه وسلم : « ألا مشمر للجنة ، فإن للجنة لاخطر لها هى ورب الكعبة نور يتلألأ ، وريحانة تهتز وقصر مشيد ، ونهر مطرد ، وثمرة نضيجة ، وزوجة حسناء جميلة ، وحلل كثيرة ، ومقام فى أبد فى دار سليمة ، وفاكهة وخضرة وحبرة ونعمة ، ومحلة عالية بهية » .

ولو لم يكن من خطر الجنة وشرفها إلا أنه لا يسأل بوجه الله غيرها ، لكفاها شرفا وفضلا ، كما فى سنن أبى داود من حديث سليمان بن معاذ عن ابن المنكدر عن جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لايسأل بوجه الله إلا الجنة » .

وفى معجم الطبرانى من حديث بقية عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لما خلق الله جنة عدن، خلق فيها مالاعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، ثم قال لها : تكلمى . فقالت : قد أفلح المؤمنون » .

وفى صحيح البخارى من حديث سهل بن سعد قال : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « موضع سوط فى الجنة خير من الدنيا ومافيها » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن همام عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقيد سوط أحدكم من الجنة خير مما بين السماء والأرض » وهذا الإسناد على شرط الصحيحين .

وقال الترمذي حدثنا سويد بن نصر حدثنا ابن المبارك أنبأنا ابن لهيعة عن يزيد ابن أبي حبيب عن داود بن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « لو أن أقل ظفر مما في الجنة بدا لتزخرفت له ما بين خوافق السموات والأرض ، ولو أن رجلا من أهل الجنة اطلع فبدا أساوره لطمس ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء الكواكب » قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب. لا نعرفه بهذا الإسناد إلا من حديث ابن لهيعة ، وقد روى يحي بن أيوب هذا الحديث عن يزيد ابن أبي حبيب وقال عن عمر بن سعد بن أبي وقاص عن النبي صلى الله عليه وسلم.

قلت: وقد رواه ابن وهب أنبأنا عمرو يعني ابن الحارث أن سليمان بن حميد حدثه أن عامر بن سعد بن أبي وقاص قال سليمان: لا أعلم إلا أنه حدثني عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: « لو أن أقل ظفر من الجنة برز للدنيا لتزخرفت له ما بين السماء والأرض ».

وفي الباب عن أنس بن مالك وأبي سعيد الخدري وعبد الله بن عمرو بن العاص « وكيف يقدر قدر دار غرسها الله بيده وجعلها مقراً لأحبابه ، وملأها من رحمته وكرامته ورضوانه ، ووصف نعيمها بالفوز العظيم وملكها بالملك الكبير ، وأودعها جميع الخير بحذافيره : وطهرها من كل عيب وآفة ونقص ، فإن سألت عن أرضها وتربتها فهي المسك والزعفران ، وإن سألت عن سقفها فهو عرش الرحمن ، وإن سألت عن ملاطها فهو المسك الأذفر ، وإن سألت عن حصبائها فهو اللؤلؤ والجوهر وإن سألت عن بنائها فلبنة من فضة ولبنة من ذهب.

وإن سألت عن أشجارها فما فيها شجرة إلا وساقها من ذهب وفضة ، لا من الحطب والخشب. وإن سألت عن ثمرها فأمثال القلال ألين من الزبد وأحلى من العسل.

وإن سألت عن ورقها فأحسن ما يكن من رقائق الحلل. وإن سألت عن أنهارها فأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين ، وأنهار من عسل مصفى.

وإن سألت عن طعامهم ففاكهة مما يتخيرون ، ولحم طير مما يشتهون ، وإن

سألت عن شرابهم فالتسنيم والزنجبيل والكافور . وإن سألت عن آنيتهم فآنية الذهب والفضة فى صفاء القوارير .

وإن سألت عن سعة أبوابها فبين المصراعين مسيرة أربعين من الأعوام ، وليأتين عليه يوم وهو كظيظ من الزحام ، وإن سألت عن تصفيق الرياح لأشجارها فإنها لتستفز بالطرب لمن يسمعها ، وإن سألت عن ظلها ففيها شجرة واحدة يسير الراكب المجد السريع فى ظلها مائة عام لا يقطعها ، وإن سألت عن سعتها فأدنى أهلها يسير فى ملكه وسرره وقصوره وبساتينه مسيرة ألفى عام .

وإن سألت عن خيامها وقبابها ، فالخيمة الواحدة من درة مجوفة طولها ستون ميلا من تلك الخيام ، وإن سألت عن علاليها وجواسقها فهى غرف من فوقها غرف مبنية تجرى من تحتها الأنهار ، وإن سألت عن ارتفاعها فانظر إلى الكوكب الطالع أو الغارب فى الأفق الذى لا تكاد تناله الأبصار .

وإن سألت عن لباس أهلها فهو الحرير والذهب ، وإن سألت عن فرشها فبطائنها من استبرق مفروشة فى أعلى الرتب ، وإن سألت عن أرائكها فهى الأسرة عليها البشخانات وهى الحجال مزررة بأزرار الذهب . فما لها من فروج ولا خلال .

وإن سألت عن وجوه أهلها وحسنهم فعلى صورة القمر . وإن سألت عن أسنانهم فأبناء ثلاث وثلاثين على صورة آدم عليه السلام أبى البشر ، وإن سألت عن سماعهم فغناء أزواجهم من الحور العين وأعلى منه سماع أصوات الملائكة والنبيين . وأعلى منهما خطاب رب العالمين .

وإن سألت عن مطاياهم التى يتزاورون عليها، فنجائب إن شاء الله مما شاء تسير بهم حيث شاؤوا من الجنان . وإن سألت عن حليهم وشارتهم فأساور الذهب واللؤلؤ على الرؤوس ملابس التيجيان . وإن سألت عن غلمانهم فولدان مخلدون كأنهم لؤلؤ مكنون .

وإن سألت عن عرائسهم وأزواجهم ، فهن الكواكب الأتراب ، اللائى جرى

فى أعضائهن ماء الشباب ، فللورد والتفاح مالبسته الخدود ، وللرمان ما تضمنته النهود ، وللؤلؤ المنظوم ما حوته الثغور ، وللرقة واللطافة مادارت عليه الخصور ، تجرى الشمس من محاسن وجهها إذا برزت ، ويضىء البرق من بين ثناياها إذا ابتسمت ، إذا قابلت حبها فقل ماتشاء فى تقابل النيرين ، وإذا حادثته فما ظنك بمحادثة الحبين . وإن ضمها إليه فما ظنك بتعانق الغصنين ، يرى وجهه فى صحن خدها ، كما يرى فى المرآة التى جلاها صيقلها ، ويرى مخ ساقها من وراء اللحم ولايستره جلدها ولا عظمها ولا حللها . لو اطلعت على الدنيا لملأت ما بين الأرض والسماء ريحا ، ولاستنطقت أفواه الخلائق تهليلا وتكبيراً وتسبيحاً ، ولتزخرف لها مابين الخافقين ، ولاغمضت عن غيرها كل عين ، ولطمست ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم ، ولآمن من على ظهرها بالله الحى القيوم . ونصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها ، ووصالها أشهى إليه من جميع أمانيها ، لاتزداد على طول الأحقاب إلا حسنا وجمالا ، ولا يزداد لها طول المدى إلا محبة ووصالا ، مبرأة من الحبل والولادة والحيض والنفاس ، مطهرة من المخاط والبصاق والبول والغائط وسائر الأدناس ، لا يفنى شبابها ، ولا تبلى ثيابها ولا يخلق ثوب جمالها ، ولا يمل طيب وصالها ، قد قصرت طرفها على زوجها ، فلا تطمح لأحد سواه ، وقصر طرفه عليها فى غاية أمنيته وهواه ، إن نظر إليها سرته ، وإن أمرها بطاعته أطاعته ، وإن غاب عنها حفظته ، فهو منها فى غاية الأمانى والأمان ، هذا ولم يطمثها قبله إنس ولا جان ، كلما نظر إليها ملأت قلبه سروراً ، وكلما حدثته ملأت أذنه لؤلؤا منظوماً ومنثوراً ، وإذا برزت ملأت القصر والغرفة نورا .

وإن سألت عن السن فأتراب فى أعدل سن الشباب ، وإن سألت عن الحسن فهل رأيت الشمس والقمر ، وإن سألت عن الحدق فأحسن سواد فى أصفى بياض فى أحسن حور ، وإن سألت عن القدود فهل رأيت أحسن الأغصان ، وإن سألت عن النهود فهن الكواعب ، نهودهن كألطف الرمان ، وإن سألت عن اللون فكأنه الياقوت والمرجان ، وإن سألت عن حسن الخلق فهن الخيرات الحسان ، اللاتى جمع لهن بين الحسن والإحسان ، فأعطين جمال الباطن والظاهر ، فهن أفراح النفوس وقرة النواظر .

وإن سألت عن حسن العشرة ولذة ماهنالك فهن العرب المتحببات إلى الأزواج بلطافة التبعل التى تمتزج بالروح أى امتزاج .

فما ظنك بامرأة إذا ضحكت فى وجه زوجها أضاءت الجنة من ضحكها . وإذا انتقلت من قصر إلى قصر . قلت : هذه الشمس متنقلة فى بروج فلكها ، وإذا حاضرت زوجها فياحسن تلك المحاضرة . وإن حاصرته فياللذة تلك المعانقة والمحاصرة :

وحديثها السحر الحلال لو أنه ... لم يجن قتل المسلم المتحرز

إن طال لم يملل وإن هى حدثت ... ود المحدث أنها لم توجز

وإن غنت فياللذة الأبصار والأسماع ، وإن آنست وأمتعت فياحبذا تلك المؤانسة والإمتاع . وإن قبلت فلا شىء أشهى إليه من ذلك التقبيل ، وإن نولت فلا ألذ ولا أطيب من ذلك التنويل .

هذا ، وإن سألت عن يوم المزيد وزيارة العزيز الحميد ورؤية وجهه المنزه عن التمثيل والتشبيه ، كما ترى الشمس فى الظهيرة والقمر ليلة البدر كما تواتر عن الصادق المصدوق النقل فيه ، وذلك موجود فى الصحاح والسنن والمسانيد . من رواية جرير وصهيب وأنس وأبى هريرة وأبى موسى وأبى سعيد ، فاستمع يوم ينادى المنادى : يا أهل الجنة ، إن ربكم تبارك وتعالى يستزيركم فحى على زيارته ، فيقولون : سمعاً وطاعة ، وينهضون إلى الزيارة مبادرين ، فإذا بالنجائب قد أعدت لهم فيستوون على ظهورها مسرعين ، حتى إذا انتهوا إلى الوادى الأفيح الذى جعل لهم موعداً . وجمعوا هناك فلم يغادر الداعى منهم أحداً ، أمر الرب تبارك وتعالى بكرسيه فنصب هناك ثم نصبت لهم منابر من نور ومنابر من لؤلؤ ، ومنابر من زبرجد ، ومنابر من ذهب ومنابر من فضة . وجلس أدناهم وحاشاهم أن يكون فيهم دنىء على كثبان المسك ما يرون أن أصحاب الكراسى فوقهم فى العطايا ، حتى إذا استقرت بهم مجالسهم واطمأنت بهم أماكنهم نادى المنادى : ياأهل الجنة إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه . فيقولون : ما هو ؟ ألم يبيض وجوهنا

ويثقل موازيننا . ويدخلنا الجنة ويزحزحنا عن النار . فبينما هم كذلك إذ سطع لهم نور أشرقت له الجنة فرفعوا رؤوسهم فإذا الجبار جل جلاله وتقدست أسماؤه ، قد أشرفت عليهم من فوقهم وقال : ياأهل الجنة ، سلام عليكم ، فلا ترد هذه التحية بأحسن من قولهم : اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت ياذا الجلال والإكرام ، فيتجلى لهم الرب تبارك وتعالى يضحك إليهم ، ويقول : يا أهل الجنة ، فيكون أول مايسمعون منه تعالى : أين عبادى الذين أطاعونى بالغيب ، ولم يرونى ، فهذا يوم المزيد ،فيجتمعون على كلمة واحدة أن قد رضينا فارض عنا ،فيقول : يا أهل الجنة ، إنى لولم أرض عنكم لم أسكنكم جنتى . هذا يوم المزيد فاسألونى . فيجتمعون على كلمة واحدة : أرنا وجهك ننظر إليه . فيكشف لهم الرب جل جلاله الحجب ، ويتجلى لهم فيغشاهم من نوره مالولا أن تعالى الله قضى أن لايحترقوا لاحترقوا . ولا يبقى فى ذلك المجلس أحد إلا حاضره ربه تعالى محاضرة حتى إنه ليقول يافلان أتذكر يوم فعلت كذا وكذا يذكره ببعض غدراته فى الدنيا ، فيقول : يارب ألم تغفر لى ؟ فيقول : بلى بمغفرتى بلغت منزلتك هذه .

فيالذة الأسماع بتلك المحاضرة وياقرة عيون الأبرار بالنظر إلى وجه الكريم فى الدار الآخرة وياذلة الراجعين بالصفقة الخاسرة . (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ، ووجوه يؤمئذ باسرة . تظن أن يفعل بها فاقرة) (١) .

فحى على جنات عدن فإنها ... منازلك الأول فيها المخيم
ولكننا سبى العدو فهل ترى ... نعود إلى أوطاننا ونسلم

---

(١) سورة القيامة الآيات ٢٢ ـ ٢٥ .

الباب الخامس والستون

فى رؤيتهم ربهم تبارك وتعالى بأبصارهم جهرة ، كما يرى القمر ليلة البدر وتجليه لهم ضاحكا إليهم

هذا الباب أشرف أبواب الكتاب وأجلها قدراً وأعلاها خطراً وأقرها لعيون أهل السنة والجماعة ، وأشدها على أهل البدعة والضلالة ، وهى الغاية التى شمر إليها المشمرون وتنافس فيها المتنافسون ، وتسابق إليها المتسابقون ، ولمثلها فليعمل العاملون. إذا ناله أهل الجنة نسوا ماهم فيه من النعيم ، وحرمانه والحجاب عنه لأهل الجحيم أشد عليهم من عذاب الجحيم ، اتفق عليها الأنبياء والمرسلون ، وجميع الصحابة والتابعون ، وأئمة الإسلام على تتابع القرون ، أنكرها أهل البدع المارقون ، والجهمية المتهوكون ، والفرعونية المعطلون ، والباطنية الذين هم من جميع الأديان منسلخون ، والرافضة الذين هم بحبائل الشيطان متمسكون ، ومن حبل الله منقطعون ، وعلى مسبة أصحاب رسول الله عاكفون . وللسنة وأهلها محاربون ، ولكل عدو لله ورسوله ودينه مسالمون ، وكل هؤلاء عن ربهم محجوبون وعن بابه مطرودون .

أولئك أحزاب الضلال وشيعة اللعين ، وأعداء الرسول وحزبه . وقد أخبر الله سبحانه عن أعلم الخلق به فى زمانه ، وهو كليمه ونجيه وصفيه من أهل الأرض ، أنه سأل ربه تعالى النظر إليه فقال له ربه تبارك وتعالى : (لن ترانى ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف ترانى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا)(١) وبيان الدلالة من هذه الآية من وجوه عديدة :

أحدها : أنه لا يظن بكليم الرحمن ورسوله الكريم عليه أن يسأل ربه مالا

---

(١) سورة الأعراف آية ١٤٣

يجوز عليه ، بل هو من أبطل الباطل وأعظم المحال ، وهو عند فروخ اليونان والصابئة والفرعونية بمنزلة أن يسأله أن يأكل ويشرب وينام ونحو ذلك مما يتعالى الله عنه ، فيالله العجب كيف صار أتباع الصابئة والمجوس والمشركين عباد الأصنام وفروخ الجهمية والفرعونية أعلم بالله تعالى من موسى بن عمران وبما يستحيل عليه ويجب له وأشد تنزيها له منه ؟ ! !

الوجه الثانى : أن الله سبحانه وتعالى لم ينكر عليه سؤاله ولو كان محالا لأنكره عليه ، ولهذا لما سأل إبراهيم الخليل ربه تبارك وتعالى أن يريه كيف يحيي الموتى لم ينكر عليه ، ولما سأل عيسى ابن مريم ربه إنزال المائدة من السماء لم ينكر سؤاله ، ولما سأل نوح ربه نجاة ابنه أنكر عليه سؤاله وقال (إنى أعظك أن تكون من الجاهلين . قال رب إنى أعوذ بك أن أسألك ماليس لى به علم وإلا تغفر لى وترحمنى أكن من الخاسرين) ١)

الوجه الثالث : أنه أجابه بقوله لن ترانى ولم يقل لا ترانى ، ولا أنى لست بمرئى ، ولا تجوز رؤيتى ، والفرق بين الجوابين ظاهر لمن تأمله .

وهذا يدل على أنه سبحانه وتعالى يرى ، ولكن موسى لا تحتمل قواه رؤيته فى هذا الدار لضعف قوة البشر فيها عن رؤيته تعالى يوضحه الوجه الرابع وهو قوله : (ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف ترانى) فأعلمه أن الجبل مع قوته وصلابته لا يثبت لتجليه له فى هذه الدار ، فكيف بالبشر الضعيف الذى خلق من ضعف . . ؟

الوجه الخامس : إن الله تعالى قادر على أن يجعل الجبل مستقراً مكانه ، وليس هذا بممتنع فى مقدوره ، بل هو ممكن وقد علق به الرؤية ، ولو كانت محالا فى ذاتها لم يعلقها بالممكن فى ذاته ، ولو كانت الرؤية محالا لكان ذلك نظير أن يقول : إن

---

(١) سورة هود الآيتان ٤٦ و ٤٧

استقر الجبل فسوف آكل وأشرب وأنام ، فالأمران عندكم سواء .

الوجه السادس : قوله سبحانه وتعالى (فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا) وهذا من أبين الأدلة على جواز رؤيته تبارك وتعالى ، فإنه إذا جاز أن يتجلى للجبل الذى هو جماد لا ثواب له ولا عقاب ، فكيف يمتنع أن يتجلى لأنبيائه ورسله وأوليائه فى دار كرامته ويريهم نفسه ؟ وأعلم سبحانه وتعالى موسى أن الجبل إذا لم يثبت لرؤيته فى هذا الدار ، فالبشر أضعف .

الوجه السابع : أن ربه سبحانه وتعالى قد كلمه منه إليه وخاطبه وناجاه وناداه ، ومن جاز عليه التكلم والتكليم وأن يسمع مخاطبة كلامه معه بغير واسطة فرؤيته أولى بالجواز ولهذا لا يتم إنكار التكليم وقد جمعت هذه الطوائف بين إنكار الأمرين ، فأنكروا أن يكلم أحد أو يراه أحد يراه أحد ، ولهذا سأله موسى النظر إليه لما أسمعه كلامه وعلم نبى الله جواز رؤيته من وقوع خطابه وتكليمه ، فلم يخبره باستحالة ذلك عليه ، ولكن أراه أن ما سأله لا يقدر على احتماله كما لم يثبت الجبل لتجليه .

وأما قوله تعالى « لن ترانى » فإنما يدل على النفى فى المستقبل ، ولا يدل على دوام النفى ولو قيدت بالتأبيد فكيف إذا أطلقت قال تعالى : (ولن يتمنوه أبدا) مع قوله تعالى (ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك)[1] .

---

(١) سورة الزخرف آية ٧٧

فصـل

الدليل الثانى قوله تعالى : (واتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه)(١) وقوله تعالى : (تحيتهم يوم يلقونه سلام) وقوله تعالى (فمن كان يرجو لقاء ربه) وقوله تعالى (قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله)(٢) وأجمع أهل اللسان على أن اللقاء متى نسب إلى الحى السليم من العمى والمانع اقتضى المعاينة والرؤية ولا ينتقض هذا بقوله تعالى (فأعقبهم نفاقا فى قلوبهم إلى يوم يلقونه) (٣) فقد دلت الأحاديث الصحيحة الصريحة على أن المنافقين يرونه تعالى فى عرصات القيامة ، بل والكفار أيضاً كما فى الصحيحين من حديث التجلى يوم القيامة وسيمر بك عن قريب إن شاء الله تعالى : وفى هذه المسألة ثلاثة أقوال لأهل السنة .

أحدها : أن لا يراه إلا المؤمنين .

والثانى : يراه جميع أهل الموقف مؤمنهم وكافرهم ، ثم يحتجب عن الكفار فلا يرونه بعد ذلك .

والثالث : يراه المنافقون دون الكفار .

والأقوال الثلاثة فى مذهب أحمد وهى لأصحابه ، وكذلك الأقوال الثلاثة بعينها لهم فى تكليمه ولهم ، ولشيخنا فى ذلك مصنف مفرد ، وحكى فيه الأقوال الثلاثة وحجج أصحابها ، وكذا قوله سبحانه وتعالى : (يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً فملاقيه) (٤). إن عاد الضمير على العمل فهو رؤيته فى الكتاب مسطوراً مثبتاً . وإن عاد على الرب سبحانه وتعالى فهو لقاؤه الذى وعد به .

---

(١) سورة البقرة آية ٢٢٣ (٢) سورة البقرة آية ٢٤٩
(٣) سورة التوبة آية ٧٧ (٤) سورة الانشقاق آية ٦

فصل

الدليل الثالث قوله تعالى : (والله يدعو إلى دار السلام ويهدى من يشاء إلى صراط مستقيم ، للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون)[1] فالحسنى الجنة ، والزيادة النظر إلى وجهه الكريم، كذلك فسرها رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى أنزل عليه القرآن ، فالصحابة من بعده كما روى مسلم فى صحيحه من حديث حماد بن سلمة عن ثابت عن عبد الرحمن ابن أبى ليلى عن صهيب قال : « قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) قال : إذا دخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، نادى مناديا أهل الجنة إن لكم عند الله موعداً ويريد أن ينجزكموه ، فيقولون : ما هو ؟ ألم يثقل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويزحزحنا عن النار ؟ ! فيكشف الحجاب فينظرون الله فما أعطاهم شيئاً أحب إليهم من النظر إليه ، وهى الزيادة » وقال الحسن بن عرفة حدثنا مسلم بن سالم البلخى عن نوح ابن أبى مريم عن أنس قال : « سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية : (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) قال للذين أحسنوا العمل فى الدنيا الحسنى وهى الجنة ، والزيادة :وهى النظر إلى وجه الله » .

وقال محمد بن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا إبراهيم بن المختار عن ابن جريج عن كعب بن عجرة عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى : (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) قال : الزيادة النظر إلى وجه الرحمن جل جلاله، قلت : عطاء هذا هو الخراسانى ، وليس عطاء بن أبى رباح .

قال ابن جرير وحدثنا ابن عبد الرحيم حدثنا عمرو بن أبى سلمة ، قال سمعت زهيراً وقال يعقوب بن سفيان حدثنا صفوان بن صالح حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا زهير بن محمد قال حدثنى من سمع أبا العالية الرياحى يحدث عن أبى بن كعب قال : « سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الزيادة فى كتاب الله

---

(١) سورة يونس الآيتان ٢٥، ٢٦

عز وجل قوله تعالى : (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة)[١] قال الحسنى : الجنة. والزيادة: النظر إلى وجه الله عز وجل» .

وقال أسد السنة : حدثنا قيس بن الربيع عن إبان عن أبي تميمة الهيجمى أنه سمع أبا موسى يحدث أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يبعث الله عز وجل يوم القيامة منادياً ينادى يا أهل الجنة ، بصوت يسمع أولهم وآخرهم ، إن الله وعدكم الحسنى، والحسنى الجنة، والزيادة النظر إلى وجه الله عز وجل » .

وقال ابن وهب أخبرنى شبيب عن أبان عن ابن تميمة الهيجمى ، أنه سمع أبا موسى الأشعرى يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله عزوجل يأمر يوم القيامة منادياً ينادى : يا أهل الجنة ، بصوت يسمع أولهم وآخرهم : إن الله وعدكم الحسنى وزيادة ، الحسنى : الجنة ، والزيادة : النظر إلى وجه الرحمن » .

وأما الصحابة : فقال ابن جرير : حدثنا ابن يسار حدثنا عبد الرحمن هو ابن مهدى حدثنا إسرائيل عن أبى إسحاق عن عامر بن سعد عن أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) قال : النظر إلى وجه الله الكريم .

وبهذا الإسناد عن أبى إسحق عن مسلم بن يزيد عن حذيفة : (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) قال : النظر إلى وجه ربهم تعالى .

وحدثنا على بن عيسى حدثنى شبابة حدثنا أبوبكر الهذلى قال : سمعت أبو تميمة الهجيمى يحدث عن أبى موسى الأشعرى قال : « إذا كان يوم القيامة يبعث الله تعالى إلى أهل الجنة منادياً ينادى : هل أنجزكم الله ما وعدكم ؟ فينظرون إلى ما أعد لهم من الكرامة فيقولون : نعم ، فيقول (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) النظر إلى وجه الرحمن عز وجل» .

---

(١) سورة يونس آية ٢٦

وقال عبد الله بن المبارك عن أبى بكر الهذلى أنبأنا أبو تميمة قال : سمعت أبا موسى الأشعرى يخطب الناس فى جامع البصرة ويقول : إن الله يبعث يوم القيامة ملكا إلى أهل الجنة ، فيقول : يا أهل الجنة ، هل أنجزكم الله ما وعدكم ؟ فينظرون فيرون الحلى والحلل والأنهار والأزواج المطهرة ، فيقول : نعم . قد أنجزنا الله ما وعدنا ، ثم يقول الملك : هل أنجزكم الله ما وعدكم ثلاث مرات ، فلا يفقدون شيئاً مما وعدوا فيقولون : نعم ، فيقول : قد بقى لكم شىء ، إن الله عز وجل يقول: (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) ألا إن الحسنى الجنة والزيادة النظر إلى وجه الله تعالى .

وفى تفسير أسباط بن نصر عن إسماعيل السدى عن أبى مالك وأبى صالح عن ابن عباس ، وعن مرة الهمدانى عن ابن مسعود : (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة لا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة) قال : أما الحسنى فالجنة ، وأما الزيادة فالنظر إلى وجه الله ، وأما القتر فالسواد .

وقال عبد الرحمن بن أبى ليلى وعامر بن سعد وإسماعيل بن عبد الرحمن السدى والضحاك بن مزاحم وعبد الرحمن بن سابط وأبو إسحاق السبيعى وقتادة وسعيد ابن المسيب والحسن البصرى وعكرمة مولى ابن عباس ومجاهد بن جبير : الحسنى الجنة والزيادة النظر إلى وجه الله تعالى ، وقال غير واحد من السلف فى الآية : (ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة)(١) بعد النظر إليه والأحاديث عنهم بذلك صحيحة ، ولما عطف سبحانه الزيادة على الحسنى التى هى الجنة دل على أنها أمر آخر وراء الجنة وقدر زائد عليها . ومن فسر الزيادة بالمغفرة والرضوان فهو من لوازم رؤية الرب تبارك وتعالى .

---

(١) سورة يونس آية ٢٦ .

فصـــل

الدليل الرابع : قوله تعالى : (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون)(١) ووجه الاستدلال بها أنه سبحانه وتعالى جعل من أعظم عقوبة الكفار كونهم محجوبين عن رؤيته واسماع كلامه فلو لم يره المؤمنون ، ولم يسمعوا كلامه . كانوا أيضاً محجوبين عنه ، وقد احتج بهذه الحجة الشافعي نفسه وغيره من الأئمة ، فذكر الطبراني وغيره عن المزني ، ، قال : سمعت الشافعي يقول فى قوله عز وجل : (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) فيها دليل على أن أولياء الله يرون ربهم يوم القيامة .

وقال الحاكم : حدثنا الأصم أنبأنا الربيع بن سليمان قال : حضرت محمد بن إدريس الشافعي ، وقد جاءته رقعة من الصعيد فيها ما تقول فى قول الله عز وجل : (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) فقال الشافعي : لما أن حجب هؤلاء فى السخط كان فى هذا دليل على أن أولياءه يرونه فى الرضى ، قال الربيع : فقلت يا أبا عبدالله وبه تقول ؟ قال نعم وبه أدين الله ، ولم يوقن محمد بن إدريس أنه يرى الله لما عبد الله عز وجل .

ورواه الطبراني فى شرح السنة من طريق الأصم أيضاً ،وقال أبو زرعة الرازي: سمعت أحمد بن محمد بن الحسين يقول : سئل محمد بن عبدالله بن الحكم ، هل يرى الخلق كلهم ربهم يوم القيامة المؤمنون والكفار ؟ فقال محمد بن عبد الله : ليس يراه إلا المؤمنون . قال محمد : وسئل الشافعي عن الرؤية فقال : يقول الله تعالى : (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) ففى هذا دليل على أن المؤمنون لايحجبون عن الله عز وجل .

---

(١) سورة المطففين آية ١٥ .

فصــل

والدليل الخامس : قوله عز وجل : (لهم ما يشاؤون فيها ولدينا مزيد)[١] قال الطبرانى : قال على بن أبى طالب وأنس بن مالك : هو النظر إلى وجه الله عز وجل، وقاله من التابعين زيد بن وهب وغيره .

فصل

لدليل السادس : قوله عز وجل :(لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار)(٢) والاستدلال بهذا أعجب فإنه من أدلة النفاة ، وقد قرر شيخناوجه الاستدلال به أحسن تقرير والطفه ، وقال لى أنا التزم أنه لا يحتج مبطل بآية أو حديث صحيح على باطله ، إلا وفى ذلك الدليل ما يدل على نقيض قوله. فمنها هذه الآية وهى على جواز الرؤية أدل منها على امتناعها . فإن الله سبحانه وتعالى إنما ذكرها فى سياق التمدح . ومعلوم أن المدح إنما يكون بالأوصاف الثبوتية ، وأما العدم المحض فليس بكمال ولايمدح الرب تبارك وتعالى بالعدم إذا تضمن أمراً وجوديا كتمدحه بنفى السنة . والنوم المتضمن كمال القيومية ونفى الموت المتضمن كمال الحياة ونفى اللغوب، والإحياء المتضمن كمال القدرة ونفى الشريك والصاحبة والولد والظهير المتضمن كمال ربوبيته وإلهيته وقهره .ونفى الأكل والشرب المتضمن كمال الصمدية وغناه ، ونفى الشفاعة عنده بدون إذنه المتضمن كمال توحيده وغناه عن خلقه ، ونفى الظلم المتضمن كمال عدله وعلمه وغناه . ونفى النسيان وعزوب شىء عن علمه المتضمن كمال علمه وإحاطته ، ونفى المثل المتضمن لكمال ذاته وصفاته . ولهذا لم يتمدح بعدم محض لا يتضمن أمراً ثبوتياً . فإن المعدوم يشارك الموصوف فى ذلك العدم ولا يوصف الكامل بأمر يشترك هو والمعدوم فيه فلو كان المراد بقوله : (لاتدركه الأبصار) أنه لا يرى بحال لم يكن فى ذلك مدح ولا كمال ، لمشاركة المعدوم له فى ذلك . فإن العدم الصرف لايرى ولاتدركه الأبصار ، والرب جل جلاله يتعالى أن يمدح

(١) سورة ق آية ٣٥

(٢)سورة الأنعام آية ١٠٣

بما يشاركه فيه العدم المحض ، فإذا المعنى أنه يرى ولا يدرك ولا يحاط به كما كان المعنى فى قوله : (وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة) أنه يعلم كل شىء وفى قوله : (وما مسنا من لغوب) أنه كامل القدرة وفى قوله : (ولا يظلم ربك أحداً) أنه كامل العدل وفى قوله : (لاتأخذه سنة ولا نوم) أنه كامل القيومية .

فقوله (لاتدركه الأبصار) يدل على غاية عظمته وأنه أكبر من كل شىء وأنه لعظمته لا يدرك ، بحيث يحاط به فإن الإدراك هو الإحاطة بالشىء وهو قدر زائد على الرؤية كما قال تعالى : (فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون قال كلا)[1] فلم ينف موسى الرؤية ولم يريدوا بقولهم : (إنا لمدركون) إنا لمرئيون . فإن موسى صلوات الله وسلامه عليه نفى إدراكهم إياهم بقوله « كلا » وأخبر الله سبحانه أنه لا يخاف دركهم بقوله : (ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي فاضرب لهم طريقا فى البحر يبساً لا تخاف دركا ولا تخشى)[2] فالرؤية والإدراك كل منهما يوجد مع الآخر وبدونه فالرب تعالى يرى ولا يدرك كما يعلم ولا يحاط به ، وهذا هو الذى فهمه الصحابة والأئمة من الآية .

قال ابن عباس : (لا تدركه الأبصار ، لا تحيط به الأبصار ، قال قتادة : هو أعظم من أن تدركه الأبصار ، وقال عطية : ينظرون إلى الله ولا تحيط أبصارهم به من عظمته وبصره يحيط بهم ، فذلك قوله تعالى : (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار) فالمؤمنون يرون ربهم تبارك وتعالى بأبصارهم عياناً ولاتدركه أبصارهم ، بمعنى أنها لا تحيط به إذ كان غير جائز أن يوصف الله عز وجل بأن شيئاً يحيط به وهو بكل شىء محيط ، وهكذا يسمع كلام من يشاء من خلقه ولا يحيطون بكلامه ، وهكذا يعلم الخلق ما علمهم ولا يحيطون بعلمه .

ونظير هذا : استدلالهم على نفى الصفات بقوله تعالى : (ليس كمثله شىء) وهذا من أعظم الأدلة على كثرة صفات كماله ونعوت جلاله ، وأنها لكثرتها وعظمتها وسعتها لم يكن له مثل فيها ، وإلا فلو أريد بها نفى الصفات لكان العدم المحض أولى

---

(١) سورة الشعراء آية ٦١ .

(٢) سورة طه آية ٧٧ .

بهذا المدح منه مع أن جميع العقلاء ، إنما يفهمون من قول القائل فلان لا مثل له وليس له نظير ، ولا شبيه ولا مثل ، أنه قد تميز عن الناس بأوصاف ونعوت لا يشاركونه فيها وكلما كثرت أوصافه ونعوته فات أمثاله ، وبعد عن مشابهة أضرابه، فقوله (ليس كمثله شيء) من أدل شيء على كثرة نعوته وصفاته وقوله (لا تدركه الأبصار) من أدل شيء على أنه يرى ولا يدرك وقوله : (هو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش ، يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها ، وهو معكم أينما كنتم ، والله بما تعملون بصير)(١) من أدل شيء على مباينة الرب لخلقه فإنه لم يخلقهم فى ذاته بل خلقهم خارجاً عن ذاته ، ثم بان عنهم باستوائه على عرشه ، وهو يعلم ما هم عليه فيراهم وينفذهم بصره ، ويحيط بهم علماً وقدرة وإرادة وسمعاً وبصراً ، فهذا معنى كونه سبحانه معهم أينما كانوا ، وتأمل حسن هذه المقابلة لفظاً ومعنى بين قوله: (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الابصار)(٢) فإنه سبحانه لعظمته يتعالى أن تدركه الأبصار وتحيط به ، وللطفه وخبرته يدرك الأبصار فلا تخفى عليه فهو العظيم فى لطفه، اللطيف فى عظمته ، العالى فى قربه ، القريب فى علوه ، الذى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير .

فصل

الدليل السابع قوله تعالى : (وجوه يومئذ ناضرة ◦ إلى ربها ناظرة)(٣) وأنت إذا أجرت هذه الآية من تحريفها عن مواضعها والكذب على المتكلم بها سبحانه فيما أراده منها وجدتها منادية نداء صريحاً ، أن الله سبحانه يرى عياناً بالأبصار يوم القيامة ، وإن أبيت إلا تحريفها الذى يسميه المحرفون تأويلا ، فتأويل نصوص المعاد والجنة والنار والميزان والحساب أسهل على أربابه من تأويلها ، وتأويل كل نص تضمنه القرآن والسنة ، كذلك ولا يشاء مبطل على وجه الأرض أن يتأول النصوص ويحرفها عن مواضعها إلا وجد إلى ذلك من السبيل ما وجده متأول مثل هذه النصوص . وهذا الذى أفسد الدين والدنيا ، وإضافة النظر إلى الوجه الذى هو محله

---

(١) سورة الحديد آية ٤ .

(٢) سورة الأنعام آية ١٠٣ .

(٣) سورة القيامة آية ٢٢

فى هذه الآية وتعديته بأداة إلى الصريحة فى نظر العين وإخلاء الكلام من قرينة تدل على أن المراد بالنظر المضاف إلى الوجه المعدى بإلى خلاف حقيقته ، وموضوعه صريح فى أن الله سبحانه وتعالى أراد بذلك نظر العين التى فى الوجه ، إلى نفس الرب جل جلاله ، فإن النظر له عدة استعمالات بحسب صلاته وتعديه بنفسه ، فإن عدى بنفسه فمعناه التوقف والانتظار كقوله : (انظرونا نقتبس من نوركم) (١) وإن عدى بفى فمعناه التفكر والاعتبار كقوله : (أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض) وإن عدى بإلى فمعناه المعاينة بالأبصار كقوله (انظر إلى ثمره إذا أثمر) (٢) فكيف إذا أضيف إلى الوجه الذى هو محل البصر ؟ ! .

قال يزيد بن هارون : أنبأنا مبارك عن الحسن قال : نظرت إلى ربها تبارك وتعالى فنظرت بنوره ، فاسمع الآن أيها السنى تفسير النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين وأئمة الإسلام لهذه الآية قال ابن مردويه فى تفسيره : حدثنا إبراهيم عن محمد حدثنا صالح بن أحمد حدثنا يزيد بن الهيثم حدثنا محمد بن الصباح حدثنا المصعب بن المقدام حدثنا سفيان عن ثوير بن أبى ناجية عن أبيه عن عبد الله ابن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى : (وجوه يومئذ ناضرة) قال من البهاء والحسن ، إلى ربها ناظرة ، قال : فى وجة الله عز وجل .

وقال أبو صالح عن ابن عباس، إلى ربها ناظرة . قال : تنظر إلى وجه ربها عز وجل ، وقال عكرمة : وجوه يومئذ ناضرة قال : من النعيم إلى ربها ناظرة ، قال : تنظر إلى ربها نظراً ، ثم حكى عن ابن عباس مثله . وهذا قول كل مفسر من أهل السنة والحديث .

فصل

وأما الأحاديث عن النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه الدالة على الرؤية فمتواترة، رواها عنه أبو بكر الصديق وأبو هريرة وأبو سعيد الخدرى وجرير بن عبد الله

---

(١) سورة الحديد آية ١٣ .

(٢) سورة الأنعام آية ٩٩ .

البجلى وصهيب بن سنان الرومى وعبدالله بن مسعود الهذلى وعلى بن أبى طالب وأبو موسى الأشعرى وعدى بن حاتم الطائى وأنس بن مالك الأنصارى وبريدة ابن الحصيب الأسلمى وأبو رزين العقيلى ، وجابر بن عبدالله الأنصارى ، وأبو أمامة الباهلى ، وزيد بن ثابت ، وعمار بن ياسر وعائشة أم المؤمنين ، وعبد الله بن عمر وعمارة بن روبية ، وسلمان الفارسى وحذيفة بن اليمان ، وعبد الله بن عباس وعبدالله بن عمرو بن العاص ، وحديثه موقوف ، وأبى بن كعب ، وكعب بن عجرة وفضالة بن عبيد وحديثه موقوف ، ورجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم غير مسمى .

فهاك سياق أحاديثهم من الصحاح والمسانيد والسنن وتلقها بالقبول والتسليم وانشراح الصدر لا بالتحريف ، والتبديل ، وضيق العطن ، ولا تكذب بها فمن كذب بها لم يكن إلى وجه ربه من الناظرين ، وكان عنه يوم القيامة من المحجوبين .

فصل

فأما حديث أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، فقال الإمام أحمد حدثنا إبراهيم ابن إسحق الطالقانى ، قال حدثنى النضر بن شميل المازنى ، قال حدثنى أبو نعامة : قال حدثنى أبو هنيدة البراء بن نوفل عن دالان العدوى عن حذيفة عن أبى بكر الصديق قال : «أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فصلى الغداة فجلس ، حتى إذا كان من الضحى ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم جلس مكانه حتى صلى الأولى والعصر والمغرب ، كل ذلك لا يتكلم حتى صلى العشاء الآخيرة ، ثم قام إلى أهله ، فقال الناس لأبى بكر : الا تسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شأنه ؟ صنع اليوم شيئاً لم يصنعه قط ، قال : فسأله ، فقال : نعم عرض على ماهو كائن من أمر الدنيا والآخرة ، فجمع الأولون والآخرون فى صعيد واحد ، فقطع الناس بذلك حتى انطلقوا إلى آدم صلى الله عليه وسلم والعرق يكاد يلجمهم ، فقالوا : يا آدم أنت أبو البشر ، وأنت اصطفاك الله عز وجل اشفع لنا إلى ربك ، قال : لقد لقيت مثل الذى لقيتم ، انطلقوا إلى أبيكم بعد أبيكم ، إلى نوح : (إن الله

اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين)(١) قال : فينطلقون إلى نوح صلى الله عليه وسلم ، فيقولون : اشفع لنا إلى ربك ، فأنت اصطفاك الله واستجاب لك فى دعائك ولم يدع على الأرض من الكافرين دياراً ، فيقول : ليس ذلكم عندى : انطلقوا إلى إبراهيم صلى الله عليه وسلم فإن الله اتخذه خليلا ، فينطلقون إلى إبراهيم ، فيقول : ليس ذلكم عندى انطلقوا إلى موسى صلى الله عليه وسلم فإن الله عز وجل كلمه تكليما ، فيقول موسى صلى الله عليه وسلم : ليس ذلك عندى ، انطلقوا إلى عيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم ، فإنه كان يبرىء الأكمه والأبرص ويحيي الموتى .فيقول عيسى : ليس ذلكم عندى . انطلقوا إلى سيد ولد آدم ، انطلقوا إلى محمد صلى الله عليه وسلم ، فليشفع لكم إلى ربكم عز وجل ، قال : فينطلق فيأتى جبريل ربه تبارك وتعالى فيقول له الله عز وجل : إئذن له وبشره بالجنة ، فينطلق به جبريل ربه صلى الله عليه وسلم فيخر ساجداً قدر جمعة ، ويقول الله عز وجل : ارفع رأسك وقل تسمع واشفع تشفع ، قال : فيرفع رأسه فإذا نظر إلى وجه ربه خر ساجداً قدر جمعة أخرى ، فيقول الله عز وجل: ارفع رأسك وقل تسمع ، واشفع تشفع ، قال : فيذهب ليقع ساجداً فيأخذ جبريل بضبعيه فيفتح الله عليه من الدعاء شيئاً لم يفتحه على بشر قط ، فيقول : أى رب خلقتنى سيد ولد آدم ولافخر ، وأول من تنشق الأرض عنه يوم القيامة ولافخر ، حتى إنه ليرد على الحوض أكثر مما بين صنعاء وأيلة ، ثم يقال : ادعوا الصديقين فيشفعون ، ثم يقال : ادعوا الأنبياء . قال فيجىء النبىومعه الصحابة ،والنبى ومعه الخمسة والستة . والنبي وليس معه أحد ، ثم يقال : ادعوا الشهداء فيشفعون لمن أرادوا ، قال : فإذا فعلت الشهداء ذلك ، قال : فيقول الله عز وجل : أنا أرحم الراحمين أدخلوا جنتى من كان لايشرك بى شيئاً ، قال : فيدخلون الجنة ، قال : ثم يقول الله عز وجل : انظروا فى أهل النار هل تلقون من أحد عمل خيراً قط ؟ قال : فيجدون فى النار رجلا ، فيقولون له هل عملت خيراً قط ؟ فيقول : لا غير أنى كنت أسامح الناس فى البيع ، فيقول الله عز وجل : اسمحوا لعبدى بسماحته إلى

---

(١) سورة آل عمران آية ٣٣ .

عبيدى . ثم يخرجون من النار رجلا يقول له : هل عملت خيراً قط ؟ فيقول : لا ، غير أنى أمرت ولدى إذا مت ، فأحرقونى فى النار ثم اطحنونى حتى إذا كنت مثل الكحل فاذهبوا بى إلى البحر فأذرونى فى الريح ، فوالله لا يقدر على رب العالمين أبداً . فقال الله عز وجل له : لم فعلت ذلك ؟ قال : من مخافتك ، قال ، فيقول الله عز وجل : انظر إلى ملك أعظم ملك ، فإن لك مثله وعشرة أمثاله ، قال فيقول : أتسخر بى وأنت الملك ، وذلك الذى ضحكت منه من الضحى » .

فصل

وأما حديث أبى هريرة وأبى سعيد فى الصحيحين من حديث أبى هريرة « أن ناسا قالوا يارسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل تضارون فى رؤية القمر ليلة البدر ؟ قالوا : لا يارسول الله ؟ قال : هل تضارون فى رؤية الشمس ليس دونها سحاب ؟ قالوا لا ، قال فإنكم ترونه كذلك ، يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول : من كان يعبد شيئاً فليتبعه ، فليتبع من كان يعبد الشمس الشمس ، ويتبع من كان يعبد القمر القمر ، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت ، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها فيأتيهم الله تعالى فى صورة غير صورته التى يعرفون ، فيقول : أنا ربكم فيقولون : نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا ، فإذا جاء ربنا عرفناه فيأتيهم الله عز وجل فى صورته التى يعرفون ، فيقول أنا ربكم ، فيقولون : أنت ربنا فيتبعونه ، ويضرب الصراط بين ظهرانى جهنم ، فأكون أنا وأمتى أول من يجيز ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل ، ودعوى الرسل يومئذ : اللهم سلم سلم ، وفى جهنم كلاليب مثل شوك السعدان ، هل رأيتم السعدان ؟ قالوا نعم يارسول الله ، قال : فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله عز وجل ، تخطف الناس بأعمالهم فمنهم الموبق بعمله ، ومنهم المجازى حتى ينجو ، فإذا فرغ الله من القضاء بين العباد ، وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل النار ، أمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئاً ممن أراد الله أن يرحمه ممن يقول : لا إله إلا الله ، فيعرفونهم بأثر السجود ، وتأكل النار من ابن آدم إلا أثر السجود ، حرم الله على النار أن تأكل أثر

السجود ، فيخرجون من النار قد امتحشوا فيصب عليهم ماء الحياة فينبتون كما تنبت الحبة فى حميل السيل ، ثم يفرغ الله من القضاء بين العباد ويبقى رجل مقبل بوجهه على النار ،وهو آخر أهل الجنة دخولا الجنة ، فيقول : أى رب اصرف وجهى عن النار ، فإنه قد قشبنى ريحها وأحرقنى ذكاؤها ، فيدعو الله ما شاء أن يدعوه ،ثم يقول تبارك وتعالى : هل عسيت إن فعلت ذلك أن تسأل غيره ؟ فيقول: لا أسألك غيره . فيعطى ربه من عهود ومواثيق ماشاء الله،فيصرف الله وجهه عن النار ، فإذا أقبل على الجنة ورآها سكت ما شاء الله أن يسكت ، ثم يقول : أى رب قدمنى إلى باب الجنة ، فيقول الله أليس قد أعطيت عهودك ومواثيقك لاتسألنى غير الذى أعطيتك ؟ ويلك ياابن آدم ما أغدرك ! ! فيقول أى رب فيدعو الله حتى يقول له : فهل عسيت إن أعطيتك ذلك أن تسألنى غيره ؟ فيقول : لا وعزتك ، فيعطى ربه ما شاء من عهود ومواثيق فيقدمه إلى باب الجنة ، فإذا قام على باب الجنة انفهقت له الجنة فرأى ما فيها من الخير والسرور ، فسكت ما شاء الله أن يسكت ، ثم يقول أى رب أدخلنى الجنة فيقول الله تبارك وتعالى له : أليس قد أعطيت عهودك ومواثيقك أن لاتسألنى غير ما أعطيت، ويلك ياابن آدم ماأغدرك ؟! فيقول : أى رب ، لا أكون أشقى خلقك فلا يزال يدعو الله حتى يضحك الله منه ، فإذا ضحك الله منه قال : ادخل الجنة ، فإذا دخلها قال الله له: تمن ، فيسأل ربه ويتمنى حتى أن الله ليذكره فيقول : تمن كذا وكذا حتى إذا انقطعت به الأمانى ، قال عز وجل : ذلك لك ومثله معه . قال أبو سعيد :وعشرة أمثاله معه.

قال عطاء بن يزيد وأبو سعيد الخدرى مع أبى هريرة لا يرد عليه من حديثه شيئاً حتى إذا حدث أبو هريرة قال : إن الله عز وجل قال لذلك الرجل ومثله معه . قال أبو سعيد وعشرة أمثاله معه يا أبا هريرة ما حفظت إلا قوله ذلك لك ومثله معه ، قال أبو سعيد : أشهد أنى حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله: ذلك لك وعشرة أمثاله ، قال أبو هريرة . وذلك الرجل آخر أهل الجنة دخولا الجنة » .

وفى الصحيحين أيضاً عن أبى سعيد الخدرى « أن ناسا فى زمن رسول الله

صلى الله عليه وسلم قالوا : يارسول الله ، هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم هل تضارون فى رؤية الشمس بالظهيرة صحواً ليس معها سحاب ؟ وهل تضارون فى رؤية القمر ليلة البدر صحواً ليس فيها سحاب ؟ قالوا : لا يارسول الله ؟ قال ما تضارون فى رؤيته تبارك وتعالى يوم القيامة ؟ إلا كما تضارون فى رؤية أحدهما ، إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن ، ليتبع كل أمة ما كانت تعبد ، فلا يبقى حد كان يعبد غير الله من الأصنام والأنصاب ، إلا يتسـ قطون فى النار حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر ـ فاجر،وغبرات أهل الـكتاب ، فتدعى اليهود فيقال لهم : ما كنتم تعبدون ؟ قالوا : كنا نعبد عزير ابن الله ، فيقال : كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد ، فماذا تبغون ؟ قالوا : عطشنا ياربنا فاسقنا ، فيشار إليهم ألا تردون ؟ فيحشرون إلى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضاً ، فيتساقطون فى النار ، ثم تدعى النصارى فيقال لهم :ما كنتم تعبدون ؟ قالوا كنا نعبد المسيح ابن الله ، فيقال لهم : كذبتم ، ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد ، فيقال لهم : ماذا تبغون؟ فيقولون عطشنا ياربنا فاسقنا ، قال : فيشار إليهم ألا تردون ، فيحشرون إلى جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعضاً فيتساقطون فى النار ، حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر ، أتاهم رب العالمين سبحانه وتعالى فى أدنى صورة من التى رأوه فيها . قال : فما تنتظرون ؟ لتتبع كل أمة ما كانت تعبد ، قالوا : ياربنا فارقنا الناس فى الدنيا أفقر ما كنا إليهم ولم نصاحبهم ، فيقول أنا ربكم فيقولون : نعوذ بالله منك لانشرك بالله شيئاً مرتين أو ثلاثا ، حتى إن بعضهم ليـكاد أن ينقلب فيقول هل بينـكم وبينه آية تعرفونه بها ؟ فيقولون : نعم ، فيـكشف عن ساق فلا يبقى من كاد يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود ، ولا يبقى من كان يسجد اتقاء ورياء إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة ، كلما أراد أن يسجد خر على قفاه .

ثم يرفعون رؤوسهم ، وقد تحول فى صورته التى رأوه فيها أول مرة ، فيقول : أنا ربكم فيقولون أنت ربنا ، ثم يضرب لهم الجسر على جهنم وتحل الشفاعة . قيل يارسول الله وما الجسر ؟ قال : دحض مزلة فيه خطاطيف وكلاليب وحسكة

تكون بنجد فيها شوكة يقال لها السعدان ، فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير ، وكأجاويد الخيل والركاب فناج مسلم ، ومخدوش مرسل ، ومكدوس فى نار جهنم ، حتى إذا خلص المؤمنون من النار ، فو الذى نفسى بيده ما من أحد منكم ناشد مناشدة فى استيفاء الحق من المؤمنين لله تعالى يوم القيامة لإخوانهم الذين فى النار ، يقولون : ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون ، فيقال لهم : أخرجوا من عرفتم فيحرم صورهم على النار فيخرجون خلقاً كثيراً ،قد أخذت النار إلى أنصاف ساقيه وإلى ركبتيه فيقولون : ربنا ما بقى فيها أحد ممن أمرتنا ، فيقول ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه ، فيخرجون خلقاً كثيراً ثم يقولون : ربنا لم نذر فيها ممن أمرتنا أحداً ثم يقول : ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه فيخرجون خلقاً كثيرا ، ثم يقولون : ربنا لم نذر فيها خيراً قط ، وكان أبو سعيد الخدرى يقول : إن لم تصدقونى بهذا الحديث فاقرؤوا إن شئتم (إن الله لايظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً) [1] . فيقول الله عز وجل : شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنين ولم يبق إلا أرحم الراحمين ، فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط قد عادوا حمما فيلقيهم فى نهر فى أفواه الجنة يقال له نهر الحياة،فيخرجون كما تخرج الحبة فى حميل السيل، ألا ترونها تكون إلى الحجر أو إلى الشجر ، ما يكون منها إلى الشمس أصيفر وأخيضر ، وما يكون منها إلى الظل يكون أبيض . فقالوا يارسول الله كأنك كنت ترعى بالبادية قال : فيخرجون كاللؤلؤ فى رقابهم الخواتيم يعرفهم أهل الجنة ، فيقول أهل الجنة : هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الله الجنه بغير عمل عملوه ، ولاخير قدموه ، ثم يقول: ادخلوا الجنة فما رأيتموه فهو لكم . فيقولون : ربنا أعطيتنا ما لم تعط أحداً من العالمين ، فيقول : لكم عندى أفضل من هذا . فيقولون :ياربنا وأى شىء أفضل من هذا ؟ فيقول تعالى رضائى فلا أسخط عليكم بعده أبداً » .

---

(١) سورة النساء آية ٤٠

فصل

وأما حديث جرير بن عبدالله ففى الصحيحين من حديث إسماعيل بن أبى خالد عن قيس بن أبى حازم عنه قال : « كنا جلوساً مع النبي صلى الله عليه وسلم فنظر إلى القمر ليلة أربع عشرة فقال إنكم سترون ربكم عياناً كما ترون هذا، لاتضامون فى رؤيته فإن استطعتم أن لاتغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل الغروب فافعلوا ثم قرأ قوله :(وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب)[(١)] ، رواه عن إسماعيل بن أبى خالد عبد الله بن إدريس الأزدى ويحي بن سعيد القطان وعبد الرحمن بن محمد المحاربى وجرير بن عبد الحميد وعبيد بن حميد وهشيم بن بشير وعلى بن عاصم وسفيان بن عيينة ومروان بن معاوية وأبو أسامة وعبد الله ابن نمير ومحمد بن عبيد وأخوه يعلى بن عبيد ووكيع بن الجراح ومحمد بن فضيل والطفاوى ويزيد بن هارون وإسماعيل بن أبى خالد وعنبسة بن سعيد والحسن ابن صالح بن حي وورقاء بن عمرو وعمار بن رزيق وأبو الأغر سعيد بن عبد الله ونصر بن طريف وعمار بن محمد والحسن بن عياش أخو أبى بكر ويزيد ابن عطاء وعيسى بن يونس وشعبة بن الحجاج وعبد الله بن المبارك وأبو حمزة السكرى وحسين بن واقد ومعمر بن سليمان وجعفر بن زياد وخداش بن المهاجر وهريم بن سفيان ومندل بن على وأخوه سنان بن على وعمر بن يزيد وعبدالغفار ابن القاسم ومحمد بن بشير الحريرى ومالك بن مغول وعصام بن النعمان وعلى بن القاسم الكندى وعبيد بن الأسود الهمدانى وعبد الجبار بن العباس والمعلى بن هلال ويحيى بن زكريا بن أبى زائدة والصباح بن محارب ومحمد بن عيسى وسعيد ابن حازم وأبان بن أرقم وعمرو بن النعمان ومسعود بن سعد الجعفى وعثمان بن على وحسن بن حبيب وسنان بن هارون البرجمى ومحمد بن يزيد الواسطى وعمرو ابن هشام ومحمد بن مروان ويعلى بن الحارث المحاربى وشعيب بن راشد والحسن ابن دينار وسلام بن أبى مطيع وداود بن الزبرقان وحماد بن ابى حنيفة ويعقوب بن

---

(١) سورة ق آية ٣٩

ابن حبيب وحكام بن سلم وأبو مقاتل بن حفص ومسيب بن شريك وأبو حنيفة النعمان بن ثابت وعمرو بن سمر الجعفي وعمر بن عبد الغفار التيمي وسيف بن هارون البرجمي أخو سنان وعابد بن حبيب ومالك بن سعير بن الخمس ويزيد ابن عطاء مولى أبي عوانة وخالد بن يزيد المصري وعبد الله بن موسى وخالد بن عبد الله الطحان وأبو كدينة يحي بن المهلب ورقبة بن مصقلة ومعمر بن سليمان الرقي ومرجى بن رجاء وعمرو بن جرير ويحي بن هاشم السمسار وإبراهيم بن طهمان وخارجة بن مصعب وعبد الله بن عثمان شريك، شعبة وعبد الله بن فروخ وزيد بن أبي أنيسة ،وجوده فقال : « فستعاينون ربكم عز وجل كما تعاينون هذا القمر » وأبو شهاب الخياط وقال « سترون ربكم عياناً » وحارثة بن هرم وعاصم بن حكيم ومقاتل بن سليمان وأبو جعفر الرازي والحسن بن أبي جعفر والوليد بن عمرو وأخوه عثمان بن عمرو وعبد السلام بن عبد الله بن قرة العنبري ويزيد بن عبد العزيز وعلى بن صالح بن حي وزفر بن الهذيل والقاسم ابن معن ، تابع إسماعيل بن أبي خالد عن قيس جماعة منهم بيان بن بشر ومجالد بن سعيد وطارق بن عبد الرحمن وجرير بن يزيد بن جرير البجلي وعيسى بن المسيب كلهم عن قيس بن أبي حازم عن جرير وكل هؤلاء شهدوا على إسماعيل بن أبي خالد وشهد إسماعيل بن أبي خالد على قيس وشهد قيس بن أبي حازم على جرير ابن عبد الله وشهد جرير بن أبي حازم عبد الله على رسول الله صلى الله عليه وسلم فكأنك تسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقوله ويبلغه لأمته ولاشيء أقر لأعينهم منه ، وشهدت الجهمية والفرعونية والرافضة والقرامطة والباطنية وفروخ الصابئة والمجوس واليونان بكفر من اعتقد ذلك وأنه من أهل التشبيه والتجسيم ، وتابعهم على ذلك كل عدو للسنة وأهلها ، والله تعالى ناصر كتابه وسنة رسوله ولو كره الكافرون .

فصل

وأما حديث صهيب فرواه مسلم في صحيحه من حديث حماد بن سلمة عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن صهيب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله عز وجل : تريدون شيئا أزيدكم ؟ يقولون : ألم تبيض وجوهنا ألم تدخلنا الجنة وتنجينا من النار ؟ قال : فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم ، ثم تلا هذه الآية (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة)[1] ، وهذا حديث رواه الأئمة عن حماد وتلقوه عن نبيهم بالقبول والتصديق .

فصل

وأما حديث عبد الله بن مسعود فقال الطبراني حدثنا محمد بن نصر الأزدي وعبد الله بن أحمد بن حنبل والحضرمي قالوا حدثنا إسماعيل بن عبيد الله بن أبي كريمة الحراني حدثنا محمد بن سلمة الحراني عن أبي عبد الرحيم عن زيد بن أنيسة عن المنهال بن عمرو عن أبي عبيدة بن عبد الله عن مسروق بن الأجدع حدثنا عبد الله بن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يجمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم ،قياماً أربعين سنة شاخصة أبصارهم إلى السماء ينتظرون فصل القضاء ، قال : وينزل الله عز وجل في ظلل من الغمام من العرش إلى الكرسي ، ثم ينادي مناد : أيها الناس ألم ترضوا من ربكم الذي خلقكم ورزقكم وأمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا أن يولى كل ناس منكم ما كانوا يتولون ويعبدون في الدنيا ، أليس ذلك عدلا من ربكم ؟ قالوا : بلى ، فينطلق كل قوم إلى ما كانوا يعبدون ويتولون في الدنيا ، قال : فينطلقون ، ويمثل لهم أشباه ما كانوا يعبدون . فمنهم من ينطلق إلى الشمس ومنهم من ينطلق إلى القمر وإلى الأوثان من الحجارة وأشباه ما كانوا يعبدون ، قال : ويمثل لمن كان يعبد عيسى شيطان عيسى ،ويمثل لمن

(١) سورة يونس آية ٢٦

كان يعبد عزيزاً شيطان عزيز ، ويبقى محمد صلى الله عليه وسلم وأمته ، فيأتيهم الرب عز وجل فيقول : ما بالكم لا تنطلقون كما انطلق الناس ؟ قال ، فيقولون : إن لنا إلها ما رأيناه بعد ، فيقول :هل تعرفونه إن رأيتموه؟ فيقولون : إن بيننا وبينه علامة إذا رأيناها عرفناه ، قال فيقول ماهى ؟ فيقولون يكشف عن ساقه، فعند ذلك يكشف عن ساق فيخرون له سجداً ويبقى قوم ظهورهم كصياصى البقر يريدون السجود فلا يستطيعون وقد كانوايدعون إلى السجود وهم سالمون ، ثم يقول : ارفعوا رؤوسكم فيرفعون رؤوسهم فيعطيهم نورهم على قدر أعمالهم فمنهم من يعطى نوره على قدر الجبل العظيم يسعى بين أيديهم ، ومنهم من يعطى نوراً أصغر من ذلك ، ومنهم من يعطى نوراً مثل النخلة بيمينه، ومنهم من يعطى نوراً أصغر من ذلك حتى يكون آخرهم رجلا يعطى نوره على إبهام قدمه يضىء مرة، ويطفأ مرة . فإذا أضاء قدمقدمهومشى ، وإذا طفىء قام والرب تبارك وتعالى أمامهم حتى يمر فى النار فيبقى أثره كحد السيف قال : ويقول مروا فيمرون على قدر نورهم منهم من يمر كطرف العين ومنهم من يمر كالبرق ، ومنهممن يمر كالسحاب ، ومنهم من يمر كانقضاض الكوكب ، ومنهم من يمر كالريح ، ومنهم من يمر كشد الفرس ، ومنهم كشد الرحل حتى يمر الذى أعطى نوره على قدر إبهام قدمه يحبو على وجهه ويديه ورجليه تجر يد وتعلق يد وتجر رجل وتعلق رجل ، وتصيب جوانبه النار ، فلا يزال كذلك حتى يخلص ،فإذا خلص وقف عليهم ثم قال : الحمد لله لقد أعطانى الله ما لم يعط أحداً إذ نجانى منها بعد أن رأيتها قال فينطلق به إلى غدير عند باب الجنة فيغتسل فيعود إليه ريح أهل الجنة وألوانهم ، فيرى ما فى الجنة من خلال الباب فيقول رب أدخلنى الجنة . فيقول الله تبارك وتعالى له : أتسأل الجنة وقد نجيتك من النار ؟ ! فيقول يارب اجعل بينى وبينها حجابا لا أسمع حسيسها . قال : فيدخل الجنة قال ويرى أو يرفع له منزل أمام ذلك ، كأنما الذى هو فيه إليه حلم ليدخله فيقول رب أعطنى ذلك المنزل فيقول : فلعلك إن أعطيتكه تسأل غيره ؟ فيقول: وعزتك لا أسأل غيره ، وأى منزل يكون أحسن منه ؟ ! قال فيعطاه فينزله . قال ويرى أو يرفع له أمام ذلك منزل آخر ليدخله فيقول رب أعطنى ذلك المنزل فيقول الله عز وجل فلعلك إن أعطيتكه تسأل غيره ، فيقول : لا وعزتك لا أسأل غيره وأى منزل يكون أحسن منه ؟ قال : فيعطاه فينزله قال : ويرى

أو يرفع له أمام ذلك منزل آخر كأنما الذى هو فيه إليه حلم، فيقول : رب أعطنى ذلك المنزل فيقول الله جل جلاله : فلعلك إن أعطيتكه تسأل غيره ، قال لا وعزتك لا أسأل غيره. وأى منزل يكون أحسن منه قال فيعطاه فينزل ثم يسكت ، فيقول الله عز وجل : ما لك لا تسأل ؟ فيقول : رب لقد سألتك حتى استحييتك وأقسمت لك حتى استحييتك ، فيقول الله عز وجل : ألا ترضى أن أعطيك مثل الدنيا منذ يوم خلقتها إلى يوم أفنيتها وعشرة أضعافه ؟ فيقول : أتستهزىء بى وأنت رب العزة، فيضحك الرب عز وجل من قوله . قال : فرأيت عبد الله بن مسعود إذا بلغ بهذا المكان من هذا الحديث ضحك. فقال له رجل : ياأبا عبد الرحمن قد سمعتك تحدث بهذا الحديث مراراً ، كلما بلغت هذا المكان من هذا الحديث ضحكت ؟ فقال إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث بهذا الحديث مراراً كلما بلغ هذا المكان من هذا الحديث ضحك حتى تبدو أضراسه . قال : فيقول الرب عز وجل : لا ، ولكنى على ذلك قادر سل ، فيقول : ألحقنى بالناس فيقول : الحق بالناس فينطلق يرمل فى الجنة حتى إذا دنا من الناس رفع له قصر من درة فيخر ساجداً فيقال له ارفع رأسك مالك ؟ فيقول رأيت ربى أو تراءى لى ربى ، فيقال له إنما هو منزل من منازلك .قال ثم يلقى فيها رجلا فيتهيأ للسجود فيقال له مه مالك ؟ فيقول: رأيت أنك ملك من الملائكة فيقول له إنما أنا خازن من خزانك عبد من عبيدك تحت يدى ألف قهرمان على مثل ما أنا عليه قال : فينطلق أمامه حتى يفتح له القصر . قال وهو فى درة مجوفة سقائفها وأبوابها وأغلاقها ومفاتيحها منها تستقبله جوهرة خضراء مبطنة بحمراء كل جوهرة تفضى إلى جوهرة على غير لون الأخرى فى كل جوهرة سرر وأزواج ووصائف أدناهن حوراء عيناء ،عليها سبعون حلة يرى مخ ساقها من وراء حللها ، كبدها مرآته إذا أعرض عنها إعراضة ازدادت فى عينه سبعين ضعفا عما كانت قبل ذلك ، فيقول لها : والله لقد ازددت فى عينى سبعين ضعفا ،فتقول له:والله وأنت لقد ازددت فى عينى سبعين ضعفاً . فيقال له : أشرف قال : فيشرف ، فيقال له : ملكك مسيرة مائة عام ينفذه بصره ، قال فقال عمر : ألا تسمع إلى ما يحدثنا ابن أم عبد يا كعب ، عن أدنى أهل الجنة منزلا فكيف أعلاهم ؟ .

قال كعب : ياأمير المؤمنين فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت إن الله عز وجل جعل داراً فيها ما شاء من الأزواج والثمرات من الأزواج والثمرات والأشربة ، ثم أطبقها فلم يرها أحد من خلقه لا جبريل ولا غيره من الملائكة ، ثم قرأ كعب (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) (١) قال : وخلق دون ذلك جنتين وزينهما بما شاء وأراهما من شاء من خلقه ، ثم قال : من كان كتابه فى عليين نزل تلك الدار التى لم يرها أحد حتى إن الرجل من أهل عليين ليخرج فيسير فى ملكه فلا تبقى خيمة من خيام الجنة إلا دخلها من ضوء وجهه فيستبشرون بريحه فيقولون : واهاً لهذا الريح هذا رجل من أهل عليين ، قد خرج يسير فى ملكه ، فقال : ويحك يا كعب هذه القلوب قد استرسلت فاقبضها ، فقال كعب : والذى نفسى بيده إن لجهنم يوم القيامة لزفرة ما يبقى من ملك مقرب ولا نبى مرسل إلا يخر لركبتيه حتى إن إبراهيم خليل الله يقول « رب نفسى نفسى حتى لو كان لك عمل سبعين نبيا إلى عملك لظننت أنك لا تنجو » .

هذا حديث كبير حسن رواه المصنفون فى السنة كعبد الله بن أحمد والطبرانى والدراقطنى فى كتاب الرؤية رواه عن ابن صاعد حدثنا محمد بن أبى عبد الرحمن المقرى قال حدثنا أبى حدثنا ورقاء بن عمر حدثنا أبو طيبة عن كرز بن وبرة عن نعيم بن أبى هند عن أبى عبيدة عن عبد الله ورواه من طريق عبد السلام بن حرب حدثنا الدالانى حدثنا المنهال بن عمرو عن أبى عبيدة به ورواه من طريق زيد بن أنيسة عن المنهال بن عمرو عن أبى عبيدة به ورواه من طريق أحمد ابن أبى طيبة عن كرز بن وبرة عن نعيم بن أبى هند عن أبى عبيدة .

---

(١) سورة السجدة آية ١٧

فصــل

وأما حديث علي بن أبي طالب فقال يعقوب بن سفيان حدثنا محمد بن المصفى حدثنا سويد بن عبد العزيز حدثنا عمرو بن خالد عن زيد بن علي عن أبيه عن جده عن علي بن أبي طالب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يزور أهل الجنة الرب تبارك وتعالى في كل جمعة وذكر ما يعطون . قال : ثم يقول الله تبارك وتعالى : اكشفوا حجابا ، فيكشف حجاب ثم حجاب ، ثم يتجلى لهم تبارك وتعالى عن وجهه ، فكأنهم لم يروا نعمة قبل ذلك ، وهو قوله تبارك وتعالى (ولدينا مزيد)[1] » .

فصل

وأما حديث أبي موسى ففي الصحيحين عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما ، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم تبارك وتعالى إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا حسن بن موسى وعثمان قالا حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن عمارة عن أبي بردة عن أبي موسى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يجمع الله الأمم في صعيد واحد يوم القيامة فإذا بدا الله أن يصدع بين خلقه ، مثل لكل قوم ما كانوا يعبدون فيتبعونهم حتى يقحمونهم النار ثم يأتينا ربنا عز وجل ونحن على مكان رفيع فيقول من أنتم ؟ فنقول : نحن المسلمون ، فيقول : ماتنتظرون ؟ فنقول : ننتظر ربنا عز وجل ، فيقول : وهل تعرفونه إن

---

(١) سورة ق آية ٣٥ .

رأيتموه ؟ فنقول نعم إنه لاعدل له فيتجلى لنا ضاحكا فيقول: أبشروا يامعشر المسلمين، فإنه ليس منكم أحد إلا جعلت فى النار يهوديا أو نصرانيا مكانه » .

وقال حماد بن سلمة عن على بن زيد عن عمارة القرشى عن أبى بردة عن أبى موسى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « يتجلى لنا ربنا تبارك وتعالى ضاحكا يوم القيامة » .

وذكر الدارقطنى من حديث أبان بن أبى عياش عن أبى تميمة الهجيمى عن أبى موسى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « يبعث الله يوم القيامة منادياً بصوت يسمعه أولهم وآخرهم أن الله عز وجل وعدكم الحسنى وزيادة ، فالحسنى الجنة والزيادة النظر إلى وجه الله عز وجل » .

فصل

وأما حديث عدى بن حاتم ففى صحيح البخارى قال : « بينا أنا عند النبى صلى الله عليه وسلم إذ أتى إليه رجل فشكا إليه الفاقة ثم أتى إليه آخر فشكا إليه قطع السبيل، فقال، ياعدى هل رأيت الحيرة ؟ قلت لم أرها وقد أنبئت عنها قال: فإن طالت بك حياة لترين الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لاتخاف أحداً إلا الله ، قلت : فبينما بينى وبين نفسى فأين دعار طيء الذين سعروا البلاد ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى ، قلت : كسرى بن هرمز ؟ قال : كسرى بن هرمز ، ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يخرج ملء كفه من ذهب أو فضة يطلب من يقبله منه فلا يجد أحداً يقبله منه ، وليقين الله أحدكم يوم يلقاه وليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان يترجم له ، فيقول : ألم أبعث إليك رسولا فيبلغك ؟ فيقول : بلى ، يارب فيقول : ألم أعطك مالا وأفضل عليك ؟ فيقول بلى ، فينظر عن يمينه فلا يرى إلا جهنم وينظر عن يساره فلا يرى إلا جهنم » .

قال عدى بن حاتم سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « اتقوا النار ولو بشق

تمرة ، فمن لم يجد شق تمرة فبكلمة طيبة ، قال عدى : فرأيت الظعينة ترتحل من الحيرة تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز ، ولئن طالت بكم حياة لترون ، ما قال النبي صلى الله عليه وسلم » .

فصل

وأما حديث أنس بن مالك ، ففي الصحيحين من حديث سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس بن مالك ، قال:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يجمع الله الناس يوم القيامة فيهتمون لذلك . وفي لفظ فيلهمون لذلك ، فيقولون : لو استشفعنا إلى ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا ؟ فيأتون آدم فيقول : أنت أبو الخلق ، خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك اشفع لنا عند ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا ، فيقول : لست هناكم ، فيذكر خطيئته التي أصاب فيستحي ربه منها ، ولكن ائتوا نوحاً أول رسول بعثه الله عز وجل ، قال:فيأتون نوحاً فيقول : لست هناكم فيذكر خطيئته التي أصاب فيستحي ربه منها ، ولكن ائتوا إبراهيم الذي اتخذه الله خليلا فيأتون إبراهيم فيقول : لست هناكم ويذكر خطيئته التي أصاب فيستحي ربه منها ، ولكن ائتوا موسى الذي كلمه الله تكليما وأعطاه التوراة فيأتون موسى فيقول : لست هناكم ويذكر خطيئته التي أصاب فيستحي ربه منها ، ولكن ائتوا عيسى روح الله وكلمته فيأتون عيسى روح الله وكلمته فيقول : لست هناكم ، ولكن ائتوا محمداً صلى الله عليه وسلم ، عبداً غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فيأتوني فأستأذن على ربي فيؤذن لي ، فإذا أنا رأيته فأقع ساجداً فيدعني ما شاء الله أن يدعني ، فيقال : يامحمد ارفع رأسك وقل تسمع وسل تعط ، واشفع تشفع ، فأرفع رأسي فأحمد ربي بتحميد يعلمنيه ربي ، فأشفع فيحد لي حداً فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة ، ثم أعود فأقع ساجداً ، فيدعني ماشاء الله أن يدعني ، ثم يقال : ارفع رأسك يامحمد وقل تسمع ، وسل تعط ، واشفع تشفع ، فأرفع رأسي فأحمد

ربى بتحميد يعلمنيه ربى ، ثم أشفع : فيحد لى حداً فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة ، قال : فلا أدرى فى الثالثة أو فى الرابعة ، قال : فأقول يارب ما بقى فى النار إلا من حبسه القرآن أى وجب عليه الخلود » .

وذكر ابن خزيمة عن ابن عبد الحكم عن أبيه وشعيب بن الليث عن الليث حدثنا معمر بن سليمان عن حميد عن أنس قال : « يلقى الناس يوم القيامة ماشاء الله يلقوه من الحبس فيقولون: انطلقوا بنا إلى آدم فيشفع لنا إلى ربنا ، فذكر الحديث إلى أن قال « فينطلقون إلى محمد صلى الله عليه وسلم فأقول أنا لها ، فأنطلق حتى أستفتح باب الجنة فيفتح لى فأدخل وربى على عرشه فأخر ساجداً » وذكر الحديث .

وقال أبو عوانة وابن أبى عروبة وهمام وغيرهم عن أنس فى هذا الحديث ، فأستأذن على ربى فإذا رأيته وقعت ساجداً، وقال عفان عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس، فآتى ربى وهو على سريره أو كرسيه فأخر له ساجداً . وساقه ابن خزيمة بسياق طويل . وقال فيه : فأستفتح فإذا نظرت إلى الرحمن وقعت له ساجداً .

ورؤية النبى صلى الله عليه وسلم لربه فى هذا المقام ثابتة عنه ثبوتاً يقطع به أهل العلم بالحديث والسنة ، وفى حديث أبى هريرة « أنا أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة ولا فخر ، وأنا سيد ولد آدم ولا فخر ، وأنا صاحب لواء الحمد ولا فخر ، وأنا أول من يدخل الجنة ولا فخر ، آخذ بحلقة باب الجنة ، فيؤذن لى فيستقبلنى وجه الجبار جل جلاله فأخر له ساجداً » .

وقال الدارقطنى : حدثنا محمد بن إبراهيم النسائى العدل بمصر حدثنا عبد الله ابن محمد بن جعفر القاضى حدثنا أبو بكر إبراهيم بن محمد حدثنا الخليل عن عمر الأشج عن سعيد بن أبى عروبة عن قتادة عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله عز وجل (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) [1] قال « النظر إلى وجه الله عز وجل » .

---

(١) سورة يونس آية ٢٦ .

حدثنا أبو صالح عبدالرحمن بن سعيد بن هارون الأصبهانى ومحمد بن جعفر ابن أحمد الطبرى ومحمد بن على بن إسماعيل الأيلى ، قال : حدثنا عبد الله بن روح المدائنى حدثنا سلام بن سليمان حدثنا ورقاء وإسرائيل وشعبة وجرير بن عبد الحميد كلهم قالوا: حدثنا ليث بن عثمان بن أبى حميد عن أنس بن مالك ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « أتانى جبريل وفى كفه كالمرآة البيضاء يحملها ، فيها كالنكتة السوداء فقلت : ماهذه التى فى يدك ياجبريل ؟ فقال : هذه الجمعة ، قلت : وما الجمعة ، قال لكم فيها خير كثير ، قلت : وما يكون لنا فيها ؟ قال يكون عيداً لك ولقومك من بعدك ، ويكون اليهود والنصارى تبعاً لك ، قلت : ومالنا فيها ؟ قال لكم فيها ساعة لا يسأل الله عبد فيها شيئاً هو له قسم ، إلا أعطاه إياه ، أو ليس له بقسم إلا ذخر له فى آخرته ما هو أعظم منه ، قلت : ما هذه النكتة التى هى فيها ؟ قال : هى الساعة ونحن ندعوه يوم المزيد ، قلت : وما ذاك ياجبريل ؟ قال إن ربك اتخذ فى الجنة وادياً فيه كثبان من مسك أبيض ، فإذا كان يوم الجمعة هبط من عليين على كرسيه فيحف الكرسى بكراسى من نور ، فيجىء النبيون حتى يجلسوا على تلك الكراسى ويحف الكراسى بمنابر من نور ومن ذهب مكللة بالجواهر ، ثم يجىء الصديقون والشهداء حتى يجلسوا على تلك المنابر ، ثم ينزل أهل الغرف من غرفهم ، حتى يجلسوا على تلك الكثبان ، ثم يتجلى لهم عز وجل فيقول : أنا الذى صدقتكم وعدى وأتممت عليكم نعمتى وهذا محل كرامتى ، فسلونى ، فيسألونه ، حتى تنتهى رغبتهم فيفتح لهم فى ذلك مالاعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، وذلك بمقدار منصرفكم من الجمعة ثم يرتفع على كرسيه عز وجل ويرتفع معه النبيون والصديقون ، ويرجع أهل الغرف إلى غرفهم وهى لؤلؤة بيضاء وزبرجدة خضراء وياقوتة حمراء ، غرفها وأبوابها وأنهارها مطردة فيها وأزواجها وخدامها وثمارها متدليات فيها ، فليسوا إلى شىء بأحوج منهم إلى يوم الجمعة ، ليزدادوا نظراً إلى ربهم ويزدادوا منه كرامة » .

هذا حديث كبير عظيم الشأن رواه أئمة السنة وتلقوه بالقبول وجمل به الشافعى مسنده ، فرواه عن إبراهيم بن محمد قال حدثنى موسى بن عبيدة قال حدثنى

أبو الأزهر عن عبد الله بن عبد بن عمير أنه سمع أنس بن مالك فذكر بنحوه وقد تقدم لفظه . ثم قال الشافعي أنبأنا إبراهيم قال حدثني أبو عمران إبراهيم بن الجعد عن أنس شبيها به وزاد فيه أشياء . ورواه محمد بن إسحق ، قال : حدثني ليث بن أبي سليم عن عثمان بن عمير عن أنس به وقال فيه « ثم يتجلى لهم ربهم عز وجل حتى ينظروا إلى وجهه الكريم » وذكر باقي الحديث ، ورواه عمرو بن أبي قيس عن أبي ظبية عن عاصم عن عثمان بن عمير أبي اليقظان عن أنس وجوده وفيه : «فإذا كان يوم الجمعة نزل على كرسيه ثم حف الكرسي بمنابر من نور ، فيجيء النبيون حتى يجلسوا عليها ويجيء أهل الغرف حتى يجلسوا على الكثب ، قال : ثم يتجلى لهم ربهم تبارك وتعالى ، فينظرون إليه فيقول : أنا الذي صدقتكم وعدي وأتممت عليكم نعمتي ، وهذا محل كرامتي اسألوني ، فيسألونه الرضى ، قال رضاي آمن لكم داري ، وأنا لكم كرامتي سلوني فيسألونه الرضى ، قال : فيشهدهم بالرضاء ثم يسألونه حتى تنتهي رغبتهم » وذكر الحديث ، ورواه علي بن حرب حدثنا إسحاق ابن سليمان حدثنا عنبسة بن سعيد عن عثمان بن عمير ورواه الحسن بن عرفة حدثنا عمار بن محمد بن أخت سفيان الثوري عن ليث بن أبي سليم عن عثمان وقال فيه ثم يرتفع على كرسيه ويرتفع معه النبيون والصديقون والشهداء ، ويرجع أهل الغرف إلى غرفهم .

ورواه الدارقطني من طريق آخر من حديث قتادة عن أنس قال سمعته يقول : « بينا نحن حول رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ قال : أتاني جبريل في يده كالمرآة البيضاء في وسطها كالنكتة السوداء ، قلت : ياجبريل ماهذا ؟ قال هذا يوم الجمعة ، يعرضه عليك ربك ليكون لك عيداً ولأمتك من بعدك ، قال : قلت ياجبريل ما هذه النكتة السوداء ؟ قال : هي الساعة وهي تقوم يوم الجمعة . وهو سيد أيام الدنيا ، ونحن ندعوه في الجنة يوم المزيد ، قال : قلت ياجبريل ولم تدعونه يوم المزيد ؟ قال : إن الله اتخذ في الجنة واديا أفيح ، من مسك أبيض ، فإذا كان يوم الجمعة نزل ربنا عز وجل على كرسيه إلى ذلك الوادي ، وقد حف الكرسي بمنابر من ذهب مكللة بالجوهر ، وقد حفت تلك المنابر بكراسي من نور . ثم يؤذن لأهل

الغرف فيقبلون يخوضون كثبان المسك إلى الركب ، عليهم أسورة الذهب والفضة وثياب السندس والحرير ، حتى ينتهوا إلى ذلك الوادى ، فإذا اطمأنوا فيه جلوساً بعث الله عليهم ريحاً يقال لها المثيرة ، فأثارت ينابيع المسك الأبيض فى وجوههم وثيابهم وهم يومئذ جرد مرد مكحلون أبناء ثلاث وثلاثين سنة على صورة آدم يوم خلقه الله عز وجل ، فينادى رب العزة تبارك وتعالى رضوان وهو خازن الجنة ، فيقول : يارضوان ارفع الحجب بينى وبين عبادى وزوارى ، فإذا رفع الحجب بينه وبينهم فرأوا بهاءه ونوره هموا له بالسجود فيناديهم تبارك وتعالى بصوته : ارفعوا رؤوسكم فإنما كانت العبادة فى الدنيا وأنتم اليوم فى دار الجزاء ، سلونى ماشئتم فأنا ربكم الذى صدقتكم وعدى ، وأتممت عليكم نعمتى ، فهذا محل كرامتى فسلونى ما شئتم ، فيقولون : ربنا وأى خير لم تفعله بنا ، ألست أعنتنا على سكرات الموت ، وآنست منا الوحشة فى ظلمات القبور ، وآمنت روعتنا عند النفخة فى الصور ؟ ألست أقلت عثراتنا ، وسترت علينا القبيح من فعلنا ، وثبت على جسر جهنم أقدامنا ؟ ألست الذى أدنيتنا من جوارك وأسمعتنا لذاذة منطقك ، وتجليت لنا بنورك فأى خير لم تفعله بنا ؟ فنعوذ بالله عز وجل ، فيناديهم بصوته فيقول : أنا ربكم الذى صدقتكم وعدى ، وأتممت عليكم نعمتى فسلونى ، فيقولون : نسألك رضاك فيقول : برضائى عنكم أقلتكم عثراتكم ، وسترت عليكم القبيح من أموركم ، وأدنيت منى جواركم ، وأسمعتكم لذاذة منطقى وتجليت لكم بنورى ، فهذا محل كرامتى فسلونى ، فيسألونه حتى تنتهى رغبتهم ثم يقول عز وجل سلونى فيسألونه حتى تنتهى رغبتهم ، ثم يقول عز وجل : سلونى ، فيقولون : رضينا ربنا وسلمنا فيزيدهم من مزيد فضله وكرامته مالاعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، ويكون ذلك مقدار تفرقهم من الجمعة ، قال أنس : فقلت بأبى وأمى يارسول الله وما مقدار تفرقهم ؟ قال : كقدر الجمعة إلى الجمعة ، قال : ثم يحمل عرش ربنا تبارك وتعالى معهم الملائكة والنبيون ثم يؤذن لأهل الغرف فيعودون إلى غرفهم وهما غرفتان من زمردتين خضراوين وليسوا إلى شىء أشوق منهم إلى الجمعة لينظروا إلى ربهم عز وجل، وليزيدهم من مزيد فضله وكرامته. قال أنس: سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس بينى وبينه أحد » .

ورواه الدارقطنى أيضاً عن أبى بكر النيسابورى قال أخبرنى أبو العباس بن الوليد بن يزيد قال أخبرنى محمد بن شعيب قال أخبرنى عمر مولى عفرة عن أنس، ورواه محمد بن خالد بن جنى حدثنا أبو اليمان الحكم بن نافع حدثنا صفوان قال : قال أنس : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . ورواه أبو بكر بن أبى شيبة حدثنا عبد الرحمن بن محمد عن ليث عن أبى عثمان عن أنس . ورواه إمام الأئمة محمد بن إسحق بن خزيمة عن زهير بن حرب حدثنا جرير عن ليث عن عثمان ابن أبى حميد عن أنس ورواه عن الأسود بن عامر قال ذكر لى عن شريك عن أبى اليقظان عن أنس ورواه ابن بطة فى الإبانة من حديث الأعمش عن أبى وائل عن حذيفة . وسيأتى سياقه وقد جمع ابن أبى داود طرقه .

فصـــــل

وأما حديث بريدة بن الحصيب فقال إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة حدثنا أبو خالد عبد العزيز بن أبان القرشى حدثنا بشير بن المهاجر عن عبد الله ابن بريدة عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أما منكم من أحد إلا سيخلو الله به يوم القيامة ، ليس بينه و بينه حجاب ولا ترجمان » .

فصــل

وأما حديث أبي رزين العقيلي فرواه الإمام أحمد من حديث شعبة وحماد بن سلمة عن يعلى بن عطاء عن وكيع بن خداش عن أبي رزين قال : « قلنا : يارسول الله أكلنا يرى ربه عز وجل يوم القيامة ؟ قال : نعم ، قلت : وما آية ذلك في خلقه ؟ قال : أليس كلكم ينظر إلى القمر ليلة البدر ؟ قلنا : نعم ، قال : الله أكبر وأعظم » .

قال عبد الله قال أبي والصواب حدس . وقال أبو داود سليمان بن الأشعث حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا حماد بن سلمة به فقد اتفق شعبة وحماد بن سلمة وحسبك بهما على روايته عن يعلى بن عطاء ورواه الناس عنهما وعن أبي رزين فيه إسناد آخر قد تقدم ذكره في حديثه الطويل وأبو رزين العقيلي له صحبة وعداده من أهل الطائف . وهو لقيط بن عامر ويقال لقيط بن صبرة ، هكذا قال البخاري ، وابن أبي حاتم وقيل : هما اثنان ، ولقيط بن عامر غير لقيط بن صبرة . والصحيح الأول . وقال ابن عبد البر : من قال لقيط بن صبرة نسبه إلى جده وهو لقيط بن عامر بن صبرة .

فصــل

وأما حديث جابر بن عبد الله فقال الإمام أحمد حدثنا روح بن جريج قال أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابراً يسأل عن الورود فقال : « نحن يوم القيامة على كذا وكذا ، أي فوق الناس ، فتدعى الأمم بأوثانها وما كانت تعبد الأول ، فالأول ، ثم يأتينا ربنا بعد ذلك فيقول : ومن تنتظرون ؟ فيقولون : ننتظر ربنا ، فيقول : أنا ربكم : فيقولون حتى ننظر إليك . فيتجلى لهم تبارك وتعالى يضحك . قال : فينطلق بهم ويتبعونه ويعطى كل إنسان منهم منافق أو مؤمن نوراً ، ثم يتبعونه على جسر

جهنم وعليه كلاليب وحسك ، تأخذ من شاء الله ثم يطفأ نور المنافق ثم ينجو المؤمنون فتنجو أول زمرة وجوههم كالقمر ليلة البدر وسبعون ألفا لا يحاسبون، ثم الذين يلونهم كأضوأ نجم فى السماء ثم كذلك ثم تحل الشفاعة حتى يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان فى قلبه من خير ما يزن شعيرة . فيجعلون بفناء الجنة ويجعل أهل الجنة يرشون عليهم المـاء حتى ينبتون نبات الشىء فى السيل ، ويذهب حراقه ثم يسأل حتى يجعل الله له الدنيا وعشرة أمثالها معها » .

رواه مسلم فى صحيحه وهذا الذى وقع فى الحديث من قوله: على كذا وكذا. قد جاء مفسراً فى رواية صحيحة ذكرها عبد الحق فى الجمع بين الصحيحين « نحن يوم القيامة على تل مشرفين على الخلائق » .

وقال عبد الرزاق أنبأنا رباح بن زيد قال حدثنى ابن جريج قال أخبرنى زياد ابن سعد أن أبا الزبير أخبره عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يتجلى لهم الرب تبارك ينظرون إلى وجهه ، فيخرون له سجداً ، فيقول ارفعوا رؤوسكم فليس هذا بيوم عبادة » .

وقال الدارقطنى : أنبأنا أحمد بن عيسى بن السكن حدثنا أحمد بن محمد بن عمر بن يونس حدثنا محمد بن شرحبيل الصنعانى قال حدثنى ابن جريج عن أبى الزبير عن جابر بن عبدالله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يتجلى لنـا ربنا عز وجل يوم القيامة ضاحكا » ورواه أبو قرة عن مالك بن أنس عن زياد ابن سعد حدثنا أبو الزبير عن جابر أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « إذا كان يوم القيامة جمعت الأمم ، فذكر الحديث ، وفيه : فيقولون أتعرفون الله عز وجل إن رأيتموه ؟ فيقولون : نعم ، فيقول : وكيف تعرفونه ولم تروه ؟ فيقولون : نعلم أنه لا عدل له ، قال : فيتجلى لهم تبارك وتعالى، فيخرون له سجداً » .

وقال ابن ماجه فى سننه : حدثنا محمد بن عبد الملك بن أبى الشوارب حدثنا

أبو عاصم العبادانى عن فضل بن عيسى الرقاشى عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبدالله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بينا أهل الجنة فى نعيمهم إذ سطع لهم نور فرفعوا رؤوسهم ، فإذا الرب جل جلاله قد أشرف عليهم من فوقهم فقال السلام عليكم ياأهل الجنة ، وهو قول الله عز وجل (سلام قولا من رب رحيم)(١) فلايلتفتون إلى شىء مماهم فيه من النعيم ماداموا ينظرون إليه حتى يحتجب عنهم وتبقى فيهم بركته ونوره » .

وقال حرب فى مسائله : حدثنا يحي بن أبى حزم حدثنا يحي بن أبو عاصم العبادانى فذكره . وعند البيهقى فى هذا الحديث سياق آخر رواه أيضاً من طريق العبادانى عن الفضل بن عيسى عن ابن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بينا أهل الجنة فى مجلس لهم إذ سطع لهم نور على باب الجنة ، فرفعوا رؤسهم فإذا الرب تبارك وتعالى قد أشرف . فقال تعالى : يا أهل الجنة سلونى . قالوا نسألك الرضى عنا قال: رضائى أحلكم دارى وأنالكم كرامتى ، هذا أوانها فسلونى ، قالوا : نسألك الزيادة . قال : فيؤتون بنجائب من ياقوت أحمر أزمتها زمرد أخضر وياقوت أحمر فجاءوا عليها تضع حوافرها عند منتهى طرفها ، فيأمر الله بأشجار عليها الثمار فتجىء جوارى الحور العين وهن يقلن : نحن الناعمات فلا نبأس ، ونحن الخالدات فلا نموت ، أزواج قوم مؤمنين كرام ، ويأمر الله عز وجل بكثبان من مسك أبيض أذفر فيثير عليهم ريحاً يقال لها : المثيرة ، حتى تنتهى بهم إلى جنة عدن وهى قصبة الجنة ، فتقول الملائكة : ياربنا قد جاء القوم ، فيقول مرحباً بالصادقين ومرحباً بالطائعين ، قال : فيكشف لهم الحجاب فينظرون إلى الله تبارك وتعالى ويتمتعون بنور الرحمن حتى لايبصر بعضهم بعضاً ، ثم يقول : ارجعوهم إلى القصور بالتحف فيرجعون وقد أبصر بعضهم بعضاً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فذلك قوله تعالى : (نزلا من غفور رحيم)(٢) .

رواه فى كتاب البعث والنشور وفى كتاب الرؤية قال : وقد مضى فى هذا

---

(١) سورة يس آية ٥٨ .
(٢) سورة فصلت آية ٣٢ .

الكتاب ، وفى كتاب الرؤية ما يؤكد هذا الخبر ، وقال الدراقطنى : أنبأنا الحسن ابن إسماعيل أنبأنا أبو الحسن على بن عبدة حدثنا يحي بن سعيد القطان عن ابن أبى ذئب عن محمد بن المنكدر عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله عز وجل يتجلى للناس عامة ويتجلى لأبى بكر خاصة » .

فصل

وأما حديث أبى أمامة قال ابن وهب أخبرنى يونس بن زيد عن عطاء الخراسانى عن يحي بن أبى عمرو الشيبانى عن عمرو بن عبد الله الحضرمى عن أبى أمامة قال : « خطبنا رسول صلى الله عليه وسلم يوماً فكان أكثر خطبته ذكر الدجال يحذرنا منه ، ويحدثنا عنه حتى فرغ من خطبته ، فكان فيما قال لنا يومئذ : إن الله عز وجل لم يبعث نبياً إلا حذره أمته وإنى آخر الأنبياء وأنتم آخر الأمم ،وهو خارج فيكم لا محالة فإن يخرج وأنا بين أظهركم فأنا حجيج كل مسلم ، وإن يخرج فيكم بعدى فكل امرىء حجيج نفسه ، والله خليفتى على كل مسلم ، إنه يخرج من خلة بين العراق والشام عاث يميناً وعاث شمالا ، ياعباد الله اثبتوا وإنه يبدأ فيقول : أنا نبى ولا نبى بعدى ، ثم يثنى فيقول أنا ربكم ولن تروا ربكم حتى تموتوا ، وأنه مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مؤمن . فمن لقيه منكم فليتفل فى وجهه وليقرأ الفواتح سورة أصحاب الكهف،وإنه يسلط على نفس من بنى آدم فليقتلها ثم يحييها وإنه لا يعدو ذلك ولا يسلط على نفس غيرها ،وإن من فتنته أن معه جنة وناراً ، فناره جنة وجنته نار،فمن ابتلى بناره فليغمض عينيه وليستغث بالله تكن برداً وسلاماً كما كانت النار برداً وسلاماً على إبراهيم ، وإن أيامه أربعون يوماً : يوماً كسنة ويوماً كشهر ويوماً كجمعة ويوماً كالأيام وآخر أيامه كالسراب ، يصبح الرجل عند باب المدينة فيسمى قبل أن يبلغ بابها الآخر ، قالوا : فكيف نصلى يارسول الله فى تلك الأيام ؟ قال تقدرون كما تقدرون فى الأيام الطوال » ورواه الدارقطنى عن ابن صاعد عن أحمد بن الفرج عن ضمرة بن ربيعة عن يحي بن أبى عمروية .

فصل

وأما حديث زيد بن ثابت ، فقال الإمام أحمد حدثنا أبو المغيرة قال حدثنى أبو بكر قال حدثنى ضمرة بن حبيب عن زيد بن ثابت « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم علمه دعاء وأمره أن يتعاهد به أهله كل يوم قال : قل حين تصبح: لبيك اللهم لبيك ، لبيك وسعديك والخير فى يديك ومنك وإليك ، اللهم وما قلت من قول أو نذرت من نذر أو حلفت من حلف فمشيئتك بين يديه ، ماشئت كان ومالم تشأ لم يكن ، ولا حول ولا قوة إلا بك إنك على كل شىء قدير ، اللهم وماصليت من صلاة فعلى من صليت ، وما لعنت من لعنة فعلى من لعنت ، أنت ولي فى الدنيا والآخرة توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين ، أسألك اللهم الرضا بعد القضاء وبرد العيش بعد الموت ، ولذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك ، من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة ، أعوذ بك اللهم أن أظلم ، أو أظلم أو أعتدى أو يعتدى على ، أو أكسب خطيئة محبطة أو ذنباً لاتغفره ، اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة ذا جلال والإكرام ، فإنى أعهد إليك فى هذه الحياة الدنيا وأشهدك وكفى بك شهيداً . إنى أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لاشريك لك، لك الملك ولك الحمد وأنت على كل شىء قدير ، وأشهد أن محمداً عبدك ورسولك وأشهد أن وعدك حق وأن لقاءك حق ، والجنة حق والساعة آتية لاريب فيها وأنت تبعث من فى القبور ، وأشهد أنك إن تكلنى إلى نفسى تكلنى إلى ضيعة وعورة وذنب وخطيئة، وإنى لا أثق إلا برحمتك فاغفر لى ذنبى إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت وتب على إنك أنت التواب الرحيم » رواه أبو داود فى صحيحه .

فصل

وأما حديث عمار بن ياسر فقال الإمام أحمد حدثنا إسحاق الأزرق عن شريك عن أبى هاشم عن أبى مجلز : «قال صلى بنا عمار صلاة فأوجز فيها فأنكروا ذلك فقال : ألم أتم الركوع والسجود ؟ قالوا : بلى ، قال : أما إنى قد دعوت فيها بدعاء ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو به : اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحينى ما علمت الحياة خيراً لى ، وتوفنى إذا علمت الوفاة خيراً لى ، وأسألك خشيتك فى الغيب والشهادة وكلمة الحق فى الغضب والرضا ، والقصد فى الفقر والغنى ، ولذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك فى غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة . اللهم زينا بزينة الإيمان واجعلنا هداة مهتدين » وأخرجه ابن حبان والحاكم فى صحيحيهما .

فصل

وأما حديث عائشة : ففى صحيح الحاكم من حديث الزهرى عن عروة عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجابر : « يا جابر ألا أبشرك ؟ قال بلى بشرك الله بخير . قال : شعرت أن الله أحيا أباك فأقعده بين يديه فقال: تمن على عبدى ماشئت أعطكه قال : يارب ماعبدتك حق عبادتك أتمنى عليك أن تردنى إلى الدنيا فأقاتل مع نبيك ، فأقتل فيك مرة أخرى ؛ قال إنه قد سلف منى أنك إليها لاترجع » وهو فى المسند من حديث جابر وفى مسنده أدخله .

وللترمذى فيه سياق أتم من هذا عن جابر قال : « لما قتل عبدالله بن عمرو ابن حزام يوم أحد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ياجابر ألا أخبرك ما قال الله عز وجل لأبيك ؟ قال بلى . قال: ما كلم الله عز وجل أحداً إلا من وراء حجاب

وكلم أباك كفاحاً. فقال : ياعبدى تمن على أعطك . قال : يارب تحيينى ، فأقتل فيك ثانية ، قال : إنه قد سبق منى أنهم إليها لا يرجعون ، قال : يارب فأبلغ من ورائى فأنزل الله عز وجل هذه الآية (ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً ـ الآية)(١) » قال الترمذى هذا حديث حسن غريب . قلت وإسناده صحيح ورواه الحاكم فى صحيحه .

فصل

وأما حديث عبد الله بن عمر ، فقال الترمذى حدثنا عبد بن حميد عن شبابة عن إسرائيل عن ثوير بن أبى فاختة ، وقال الطبرانى حدثنا أسد بن موسى حدثنا أبو معاوية محمد بن حازم عن عبد الملك بن أبجر عن ثوير بن أبى فاختة عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أدنى أهل الجنة منزلة لرجل ينظر فى ملكه ألفى سنة يرى أقصاه كما يرى أدناه ينظر إلى أزواجه وسرره وخدمه، وإن أفضلهم منزلة من ينظر إلى وجه الله تبارك وتعالى كل يوم مرتين » .

قال الترمذى : وروى هذا الحديث من غير وجه عن إسرائيل عن ثوير عن ابن عمر مرفوعاً ، ورواه عبد الملك بن أبجر عن ثوير عن مجاهد عن ابن عمر مرفوعاً. وروى الأشجعى عبيد الله بن سفيان الثورى بن ثوير عن مجاهد عن ابن عمر نحوه ولم يرفعه حدثنا بذلك أبو كريب قلت ورواه الحسن بن عرفة بن شبابة عن إسرائيل عن ثوير عن ابن عمر مرفوعاً وزاد فيه ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة)(٢) .

وقال سعيد بن هشيم بن بشير عن أبيه عن كريز بن حكيم عن نافع عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يوم القيامة أول يوم نظرت فيه

---

(١) سورة آل عمران آية ١٦٩ .

(٢) سورة القيامة آية ٢٣ .

عين إلى الله تبارك وتعالى » ورواه الدارقطني عن جماعة عن أحمد بن يحيى بن حبان الرقى عن إبراهيم بن خرزاذ عنه .

وقال الدارقطني : حدثنا أحمد بن سلمان حدثنا أحمد بن يونس حدثنا عبدالحميد بن صالح حدثنا أبو شهاب الخياط عن خالد بن دينار عن حماد بن جعفر عن عبدالله بن عمر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ألا أخبركم بأسفل أهل الجنة ، قالوا : بلى يارسول الله ، فذكر الحديث ــ إلى أن قال ــ حتى إذا بلغ النعيم منهم كل مبلغ وظنوا أن لا نعيم أفضل منه أشرف الرب تبارك وتعالى عليهم ، فينظرون إلى وجه الرحمن عز وجل، فيقول : ياأهل الجنة هللوني وكبروني وسبحوني بما كنتم تهللوني وتكبروني وتسبحوني في دار الدنيا فيتجاوبون بتهليل الرحمن فيقول تبارك وتعالى لداود : ياداود قم فمجدني . فيقوم داود فيمجد ربه عز وجل » .

وقال عثمان بن سعيد الدارمي في رده على بشر المريسي حدثنا أحمد بن يونس عن أبي شهاب الخياط عن خالد بن دينار عن حماد بن جعفر عن ابن عمر يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم : « إن أهل الجنة إذا بلغ النعيم منهم كل مبلغ وظنوا أن لا نعيم أفضل منه تجلى لهم الرب تبارك وتعالى فنظروا إلى وجه الرحمن ، فنسوا كل نعيم عاينوه حين نظروا إلى وجه الرحمن » .

فصل

وأما حديث عمارة بن رويبة فقال ابن بطة في الإبانة حدثنا عبد الغافر بن سلامة الحمصي حدثنا محمد بن عوف بن سفيان الطائي حدثنا أبو اليمان حدثنا إسماعيل بن عياش عن عبد الرحمن بن عبد الله بن إسماعيل بن أبي خالد عن أبي بكر بن عمارة بن رويبة عن أبيه قال : « نظر النبي صلى الله عليه وسلم إلى القمر ليلة البدر فقال : إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر ، لاتضارون في رؤيته »

فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس ، وصلاة قبل غروبها فافعلوا » .

قال ابن بطة وأخبرنى أبو القاسم بن عمر بن أحمد عن أبى بكر أحمد بن هارون حدثنا عبد الرازق بن منصور حدثنا المغيرة حدثنا المسعودى عن إسماعيل بن أبى خالد عن أبى بكر بن عمارة بن رويبة عن أبيه قال : « نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى القمر ليلة البدر فقال : إنكم سترون ربكم تبارك وتعالى ، كما ترون هذا القمر لا تضامون فى رؤيته ، فإن استطعتم أن لاتغلبوا على ركعتين قبل طلوع الشمس وركعتين بعد غروبها ، فافعلوا » .

فصل

وأما حديث سلمان الفارسى فقال أبو معاوية حدثنا عاصم الأحول عن أبى عثمان عن سلمان الفارسى قال : « يأتون النبى صلى الله عليه وسلم ، فيقولون : يانبى الله إن الله فتح بك وختم بك وغفر لك ، قم فاشفع لنا إلى ربك ، فيقول : نعم أنا صاحبكم فيخرج يحوش الناس حتى ينتهى إلى باب الجنة ، فيأخذ بحلقة الباب فيقرع فيقال من هذا ؟ فيقال محمد . فيفتح له فيجىء حتى يقوم بين يدى الله فيستأذن فى السجود فيؤذن له » الحديث .

فصل

وأما حديث حذيفة بن اليمان فقال ابن بطة أخبرنى أبو القاسم عمر بن أحمد عن أبى بكر أحمد بن هارون حدثنا يزيد بن جمهور حدثنا الحسن بن يحيى بن كثير العنبرى حدثنى أبى عن إبراهيم بن المبارك عن القاسم بن مطيب عن الأعمش عن أبى وائل عن حذيفة بن اليمان . وقال البزار حدثنا محمد بن معمر وأحمد بن عمرو ابن عبيد العصفرى قال حدثنا يحيى بن كثير حدثنا إبراهيم بن المبارك عن القاسم ابن مطيب عن الأعمش عن أبى وائل عن حذيفة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أتانى جبريل فإذا فى كفه مرآة كأصفى المرايا وأحسنها وإذا فى وسطها

نكتة سوداء ، قال : قلت : ياجبريل ما هذه ؟ قال هذه الدنيا صفاؤها وحسنها ، قال قلت : وما هذه اللمعة في وسطها ؟ قال هذه الجمعة ، قال قلت : وما الجمعة ؟ قال يوم من أيام ربك عظيم وسأخبر بك بشرفه وفضله وإسمه في الآخرة . أما شرفه وفضله في الدنيا فإن الله تعالى جمع فيه أمر الخلق ، وأما ما يرجى فيه فإن فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم أو أمة مسلمة يسألان الله فيها خيراً إلا أعطاهما إياه . وأما شرفه وفضله وإسمه في الآخرة فإن الله تبارك وتعالى إذا صير أهل الجنة إلى الجنة ، وأهل النار إلى النار ، وجرت عليهم أيامها وساعاتها ليس بها ليل ولا نهار إلا قد علم الله مقدار ذلك وساعاته ، فإذا كان يوم الجمعة في الحين الذي يبرز أو يخرج فيه أهل الجنة إلى جمعتهم نادى منادياً : ياأهل الجنة اخرجوا إلى دار المزيد ، لا يعلم سعته وعرضه وطوله إلا الله عز وجل ، في كثبان من المسك قال فيخرج غلمان الأنبياء بمنابر من نور ، ويخرج غلمان المؤمنين بكراسي من ياقوت ، قال : فإذا وضعت لهم وأخذ القوم مجالسهم بعث الله تبارك وتعالى عليهم ريحاً تدعى المثيرة ، تثير عليهم آثار المسك الأبيض تدخله من تحت ثيابهم وتخرجه في وجوههم وأشعارهم ، فتلك الريح أعلم كيف تصنع بذلك المسك من امرأة أحدكم لو دفع إليها ذلك الطيب بإذن الله تعالى ، قال : ثم يوحي الله سبحانه إلى حملة العرش فيوضع بين ظهراني الجنة وبينه وبينهم الحجب ، فيكون أول ما يسمعون منه أن يقول : أين عبادي الذين أطاعوني في الغيب ولم يروني وصدقوا رسلي واتبعوا أمري فسلوني فهذا يوم المزيد ، قال : فيجتمعون على كلمة واحدة : ربنا رضينا عنك فارض عنا ، قال : فيرجع الله تعالى في قولهم إن يا أهل الجنة أني لو لم أرض عنكم لما أسكنتكم جنتي فسلوني فهذا يوم المزيد ، قال : فيجتمعون على كلمة واحدة رضينا عنك فارض عنا ، قال : فيرجع الله عز وجل في قولهم أن يا أهل الجنة ، إني لو لم أرض عنكم لما أسكنتكم جنتي فهذا يوم المزيد فسلوني ، قال فيجتمعون على كلمة واحدة : رب وجهك ربه وجهك أرنا ننظر إليه ، قال : فيكشف الله تبارك وتعالى تلك الحجب ويتجلى لهم فيغشاهم من نوره شيء لولا أنه قضى عليهم أن لا يحترقوا لاحترقوا مما غشيهم من نوره ، قال : ثم يقال ارجعوا إلى منازلكم ، قال : فيرجعون إلى منازلهم وقد خفوا على أزواجهم وخفين عليهم مما غشيهم من نوره ، فإذا صاروا إلى منازلهم

يزاد النور و مكن حتى يرجعوا إلى صورهم التي كانوا عليها قال فيقول لهم أزواجهم: لقد خرجتم من عندنا على صورة ورجعتم على غيرها؟ قال فيقولون ذلك بأن الله تبارك وتعالى تجلى لنـا فنظرنا منه إلى ماخفينا به عليكم ، قال : فلهم فى كل سبعة أيام الضعف على ما كانوا فيه قال وذلك قوله عز وجل : (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) »[1] .

وقال عبد الرحمن بن مهدى حدثنا إسرائيل عن أبى إسحاق عن مسلم بن يزيد السعدى عن حذيفة فى قوله عز وجل : (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة)[2] قال : النظر إلى وجه الله عز وجل ، قال الحاكم : وتفسير الصحابى عندنا فى حكم المرفوع .

فصل

وأما حديث ابن عباس فروى ابن خزيمة من حديث حماد بن سلمة عن ابن جدعان عن أبى نضرة قال : خطبنا ابن عباس فقال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من نبى إلا وله دعوة تعجلها فى الدنيا ، وإنى اختبأت دعوتى شفاعة لأمتى يوم القيامة ، فآتى باب الجنة فآخذ بحلقة الباب ، فأقرع الباب فيقال : من أنت ؟ فأقول : أنا محمد فآتى ربى وهو على كرسيه أو على سريره ، فيتجلى لى ربى فأخر له ساجداً » ورواه ابن عيينة عن ابن جدعان فقال عن أبى سعيد بدل ابن عباس . وقال أبو بكر بن أبى داود حدثنا عمى محمد بن الأشعث حدثنا ابن جبير قال حدثنى أبى جبير عن الحسن عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إن أهل الجنة يرون ربهم تبارك وتعالى فى كل يوم جمعة فى رمال الكافور وأقربهم منه مجلساً أسرعهم إليه يوم الجمعة وأبكرهم غدواً » .

---

(١) سورة السجدة آية ١٧ . (٢) سورة يونس آية ٢٦ .

فصل

وأما حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ، فقال الصنعانى حدثنا صدقة بن عمرو المقدى قال : قرأت على محمد بن إسحاق حدثنى أمية بن عبد الله بن عمرو ابن عثمان عن أبيه عن عبد الله بن عمرو قال : سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص يحدث مروان بن الحكم وهو أمير المدينة قال : « خلق الله الملائكة لعبادته أصنافاً فإن منهم الملائكة قياماً صافين من يوم خلقهم إلى يوم القيامة ، وملائكة ركوعاً خشوعاً من يوم خلقهم إلى يوم القيامة ، وملائكة سجوداً منذ خلقهم إلى يوم القيامة ، فإذا كان يوم القيامة وتجلى لهم تعالى ونظروا إلى وجهه الكريم قالوا : سبحانك ما عبدناك حق عبادتك » .

فصل

وأما حديث أبى بن كعب فقال الدارقطنى حدثنا عبد الصمد بن على حدثنا محمد ابن زكريا بن دينار قال حدثنى قحطبة بن علاقة حدثنا أبو جلدة عن أبى العالية عن أبى بن كعب عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى : (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة)(١) قال : النظر إلى وجه الله عز وجل : وأما حديث كعب بن عجرة . فقال محمد بن حميد : حدثنا إبراهيم بن المختار عن ابن جريج عن عطاء الخراسانى عن كعب بن عجرة عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى : (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) قال « الزيادة النظر إلى وجه الله تبارك وتعالى » .

---

(١) سورة يونس آية ٢٦ .

فصل

وأما حديث فضالة بن عبيد فقال ابن سعيد الدارمى حدثنا محمد بن المهاجر عن أبى حليس عن أبى الدرداء أن فضالة يعنى ابن عبيد كان يقول : « اللهم إنى أسألك الرضا بعد القضاء ، وبرد العيش بعد الموت ، ولذة النظر إلى وجهك ، والشوق إلى لقائك ، فى غير ضراء مضرة ، ولا فتنة مضلة » .

فصل

وأما حديث عبادة بن الصامت ففى مسند أحمد من حديث بقية حدثنا يحيى بن سعيد عن خالد بن معدان عن عمرو بن الأسود عن جنادة بن أبى أمية عن عبادة ابن الصامت عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « قد حدثتكم عن الدجال حتى خشيت أن لا تعقلوا أن مسيح الدجال رجل قصير أفحج جعد أعور مطموس العين ليست بناتئة ولا جحراء . فإن التبس عليكم فاعلموا أن ربكم ليس بأعور وإنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا » .

وأما حديث الرجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال الصنعانى حدثنا روح بن عبادة حدثنا عباد بن منصور قال سمعت عدى بن أرطأة يخطب على المنبر بالمدائن فجعل يعظ حتى بكى وأبكانا ثم قال : كونوا كرجل قال لابنه وهو يعظه : « يابنى أوصيك أن لا تصلى صلاة إلا ظننت أنك لا تصلى بعدها غيرها حتى تموت ، وتعال يابنى نعمل عمل رجلين كأنهما قد وقفا على النار ثم سألا الكرة ولقد سمعت فلاناً — نسى عباد اسمه — ما بينى وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم غيره فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن لله ملائكة ترعد فرائصهم من مخافته ، ما منهم ملك تقطر دمعته من عينه إلا وقعت ملكا يسبح الله تعالى ، قال: وملائكة سجود منذ خلق الله السموات والأرض لم يرفعوا رؤوسهم ولا يرفعونها إلى يوم القيامة ، وصفوف لم ينصرفوا عن مصافهم ، ولا ينصرفون إلى يوم القيامة ، فإذا

كان يوم القيامة وتجلى لهم ربهم ، فنظروا إليه قالوا : سبحانك ما عبدناك كما ينبغي لك أن نعبدك » .

فصل

وهناك بعض ماقاله بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعون وأئمة الإسلام بعدهم .

قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال أبو إسحاق عن عامر بن سعد قرأ أبو بكر الصديق :(للذين أحسنوا الحسنى وزيادة)(١) فقالوا : ما الزيادة ياخليفة رسول الله ؟ قال : النظر إلى وجه الله تبارك وتعالى .

قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه : قال عبد الرحمن بن أبي حاتم حدثنا ميسرة الهمداني حدثنا صالح بن أبي خالد العنبري عن أبي الأحوص عن أبي إسحاق الهمداني عن عمارة بن عبيد قال سمعت علياً يقول : « من تمام النعمة دخول الجنة ، والنظر إلى وجه الله تبارك وتعالى في جنته » .

قول حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال : حدثنا وكيع عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن مسلم بن زيد عن حذيفة قال : الزيادة النظر إلى وجه الله تبارك وتعالى .

قول عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم : ذكر أبو عوانة عن هلال عن عبد الله بن عكيم قال سمعت عبد الله بن مسعود يقول في هذا المسجد - مسجد الكوفة - يبدأ باليمين قبل أن يحدثنا فقال : « والله ما منكم من إنسان إلا أن ربه سيخلو به يوم القيامة كما يخلو أحدكم بالقمر ليلة البدر . قال فيقول ماغرك بي يابن آدم ثلاث مرات ، ماذا أجبت المرسلين ثلاثاً ، كيف عملت فيما علمت » وقال ابن أبي داود : حدثنا أحمد بن الأزهر حدثنا إبراهيم بن الحكم حدثنا أبي عن عكرمة قال قيل لابن عباس : كل من دخل الجنة يرى الله عز وجل ؟ قال :

---

(١) سورة يونس آية ٢٦

نعم ، وقال أسباط بن نصر عن إسماعيل السدى عن أبى مالك وأبى صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمدانى عن ابن مسعود « الزيادة » النظر إلى وجه الله عز وجل .

قول معاذ بن جبل : قال عبدالرحمن بن أبى حاتم أنبأنا إسحاق بن أحمد الخراز حدثنا إسحاق بن سليمان الرازى عن المغيرة بن مسلم عن ميمون بن أبى حمزة قال : « كنت جالساً عند أبى وائل فدخل علينا رجل يقال له أبو عفيف فقال له شقيق ابن سلمة : يا أبا عفيف ألا تحدثنا عن معاذ بن جبل؟قال بلى. سمعته يقول : يحشر الناس يوم القيامة فى صعيد واحد فينادى أين المتقون فيقومون فى كنف واحد من الرحمن لا يحتجب الله منهم ، ولا يستتر ، قلت : من المتقون ؟ قال : قوم اتقوا الشرك وعبادة الأوثان وأخلصوا لله فى العبادة فيمرون إلى الجنة »

قول أبى هريرة رضى الله عنه : قال ابن وهب أخبرنى ابن لهيعة عن أبى النصر أن أباهريرة كان يقول « لن تروا ربكم حتى تذوقوا الموت » .

قول عبد الله بن عمر : قال حسين الجعفى عن عبدالملك بن أبجر عن ثوير عن ابن عمر قال : « إن أدنى أهل الجنة منزلة من ينظر إلى ملكه ألفى عام يرى أدناه كما يرى أقصاه ، وإن أفضلهم منزلة لمن ينظر إلى وجه الله فى كل يوم مرتين » .

قول فضالة بن عبيد : ذكر الدارمى عن محمد بن مهاجر عن أبى الحليس عن أبى الدرداء أن فضالة بن عبيد كان يقول : « اللهم إنى أسألك الرضا بعد القضاء ، وبرد العيش بعد الموت ، ولذة النظر إلى وجهك » وقد تقدم .

قول أبى موسى الأشعرى : قال وكيع عن أبى بكر الهذلى عن أبى تميمة عن أبى موسى قال: الزيادة النظر إلى وجه الله ، وروى يزيد بن هارون وابن أبى عدى وابن علية عن التيمى عن أسلم العجلى عن أبى مزانة عن أبى موسى الأشعرى أنه كان يحدث الناس فشخصوا بأبصارهم . فقال : ما صرف أبصاركم عنى ؟ قالوا الهلال. قال : فكيف بكم إذا رأيتم وجه الله جهرة ؟

قول أنس بن مالك : قال ابن أبى شيبة : حدثنا يحي بن يمان حدثنا شريك عن أبى اليقظان عن أنس بن مالك فى قوله عز وجل : (ولدينا مزيد)(١) قال: يظهر لهم الرب تبارك وتعالى يوم القيامة . قول جابر بن عبدالله :« قال مروان بن معاوية عن الحكم بن أبى خالد عن الحسن عن جابر قال : إذا دخل أهل الجنة الجنة وأديم عليهم بالكرامة جاءتهم خيول من ياقوت أحمر لا تبول ولا تروث لها أجنحة فيقعدون عليها ثم يأتون الجبار فإذا تجلى لهم خروا له سجداً فيقول: ياأهل الجنة ارفعوا رؤوسكم فقد رضيت عنكم لاسخط بعده » .

قال الطبرى : فتحصل فى الباب ممن روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصحابة حديث الرؤية ثلاث وعشرون نفساً منهم على وأبو هريرة وأبو سعيد وجرير وأبو موسى وصهيب وجابر وابن عباس وأنس وعمار بن ياسر وأبى بن كعب ، وابن مسعود وزيد بن ثابت وحذيفة بن اليمان وعبادة بن الصامت وعدى ابن حاتم وأبو رزين العقيلى وكعب بن عجرة وفضالة بن عبيد وبريدة بن الحصيب ورجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم .

وقال الدارقطنى : أنبأنا محمد بن عبدالله حدثنا جعفر بن محمد الأزهر حدثنا مفضل بن غسان قال سمعت يحي بن معين يقول عندى سبعة عشر حديثا فى الرؤية كلها صحاح .

وقال البيهقى : روينا فى إثبات الرؤية عن أبى بكر الصديق وحذيفة بن اليمان وعبد الله بن مسعود وعبدالله بن عباس وأبى موسى وغيرهم ولم يرو عن أحد منهم نفيها ولو كانوا فيها مختلفين لنقل اختلافهم فى ذلك إلينا ، كما أنهم لما اختلفوا فى رؤية الله بالأبصار فى الدنيا نقل اختلافهم فى ذلك إلينا فلما نقلت رؤية الله سبحانه وتعالى بالأبصار فى الآخرة عنهم ولم ينقل عنهم فى ذلك اختلاف ، كما نقل عنهم فيها اختلاف فى الدنيا ، علمنا أنهم كانوا على القول برؤية الله بالأبصار فى الآخرة متفقين ومجتمعين .

---

(١) سورة ق آية ٣٥ .

فصل

وأما التابعون ونزل الإسلام وعصابة الإيمان ، من أئمة الحديث والتفقه والتفسير وأئمة التصوف ، فأقوالهم أكثر من أن يحيط بها إلا الله عز وجل قال سعيد بن المسيب : الزيادة النظر إلى وجه الله ، رواه مالك عن يحي عنه . وقال الحسن : الزيادة النظر إلى وجه الله ، رواه ابن أبي حاتم عنه . وقال عبد الرحمن بن أبي ليلى : الزيادة النظر إلى وجه الله تعالى ، رواه حماد بن زيد عن ثابت عنه وقاله عامر بن سعد البجلى ، ذكره سفيان عن أبي إسحاق عنه ، وقاله عبد الرحمن بن سابط رواه جرير بن ليث عنه . وقاله عكرمة ومجاهد : وقتادة والسدى والضحاك وكعب .

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى بعض عماله : أما بعد ، فإنى أوصيك بتقوى الله ولزوم طاعته والتمسك بأمره ، والمعاهدة على ما حملك الله من دينه ، واستحفظك من كتابه ، فإن بتقوى الله نجا أولياء الله من سخطه ، وبها رافقوا أنبياءه ، وبها نضرت وجوههم ، ونظروا إلى خالقهم ، وهى عصمة فى الدنيا من الفتن ومن كرم يوم القيامة .

وقال الحسن : لو علم العابدون فى الدنيا أنهم لا يرون ربهم فى الآخرة لذابت أنفسهم فى الدنيا .

وقال الأعمش وسعيد بن جبير : إن أشرف أهل الجنة لمن ينظر إلى الله تبارك وتعالى غدوة وعشية ، وقال كعب : ما نظر الله سبحانه إلى الجنة قط إلا قال طيبى لأهلك . فزادت ضعفاً على ما كانت حتى يأتيها أهلها وما من يوم كان لهم عيد فى الدنيا إلا ويخرجون فى مقداره فى رياض الجنة فيبرز لهم الرب تبارك وتعالى فينظرون إليه وتسفى عليهم الريح المسك ولا يسألون الرب تعالى شيئاً إلا أعطاهم حتى يرجعوا ، وقد ازدادوا على ما كانوا من الحسن والجمال سبعين ضعفاً ، ثم يرجعوا إلى أزواجهم وقد ازددن مثل ذلك . وقال هشام بن حسان إن الله

سبحانه وتعالى يتجلى لأهل الجنة فإذا رآه أهل الجنة نسوا نعيم الجنة. وقال طاووس: أصحاب المراء والمقاييس لا يزال بهم المراء والمقاييس حتى يجحدوا الرؤية ويخالفوا أهل السنة .

وقال شريك عن أبي إسحاق السبيعى : الزيادة النظر إلى وجه الرحمن تبارك وتعالى . وقال حماد بن زيد عن ثابت عن عبدالرحمن عن ابن أبي ليلى أنه تلى هذه الآية : (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) قال إذا دخل أهل الجنة الجنة أعطوا فيها ما سألوا وما شاؤوا فيقول الله عز وجل لهم إنه قد بقى من حقكم شيء لم تعطوه فيتجلى لهم ربهم فلا يكون ما أعطوه عند ذلك بشيء فالحسن الجنة والزيادة النظر إلى وجه ربهم عز وجل : (ولا يرهق وجوههم قتر ولاذلة)(١) بعد نظرهم إلى ربهم تبارك وتعالى ، وقال على بن المدينى سألت عبد الله بن المبارك عن قوله تعالى : (فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحاً)(٢) قال عبد الله : من أراد النظر إلى وجه الله خالقه فليعمل عملا صالحاً ولا يخبر به أحداً ، وقال نعيم بن حماد : سمعت ابن المبارك يقول ما حجب الله عز وجل أحد عنه إلا عذبه ثم قرأ : (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون . ثم إنهم لصالوا الجحيم. ثم يقال هذا الذى كنتم به تكذبون)(٣) قال : بالرؤية. ذكره ابن أبي الدنيا عن يعقوب عن إسحاق عن نعيم.

وقال عباد بن العوام قدم علينا شريك بن عبدالله منذ خمسين سنة فقلت له ياأبا عبد الله إن عندنا قوماً من المعتزلة ينكرون هذه الأحاديث « إن الله ينزل إلى سماء الدنيا » و « إن أهل الجنة يرون ربهم » فحدثنى بنحو عشرة أحاديث فى هذا وقال : أما نحن فقد أخذنا ديننا هذا عن التابعين عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهم عمن أخذوا ، وقال عقبة بن قبيصة أتينا أبا نعيم يوماً فنزل إلينا من الدرجة التى فى داره فجلس أوسطها كأنه مغضب ، فقال حدثنا سفيان بن سعيد ومنذر الثورى وزهير بن معاوية وحدثنا حسن بن صالح بن حى وحدثنا شريك ابن عبد الله النخعى هؤلاء أبناء المهاجرين يحدثوننا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله تبارك وتعالى يرى فى الآخرة حتى جاء ابن يهودى صباغ يزعم أن الله تعالى لا يرى - يعنى بشر المريسى .

---

(١) سورة يونس آية ٢٦ . (٢) سورة الكهف آية ١١٠ .
(٣) سورة المطففين آية ١٥-١٧ .

فصل

في المنقول عن الأئمة الأربعة ونظرائهم وشيوخهم وأتباعهم على طريقهم ومنهاجهم:
ذكر قول إمام دار الهجرة مالك بن أنس: قال أحمد بن صالح المصري حدثنا عبدالله ابن وهب قال: قال مالك بن أنس: «الناس ينظرون إلى ربهم عز وجل يوم القيامة بأعينهم».

وقال الحارث بن مسكين حدثنا أشهب قال سئل مالك عن قوله عز وجل: (وجوه يومئذ ناضرة، إلى ربها ناظرة) أنظر إلى الله عز وجل! قال نعم، فقلت إن أقواماً يقولون تنظر ما عنده، قال بل تنظر إليه نظراً وقد قال موسى يارب أرني أنظر إليك، قال لن تراني وقال الله تعالى: (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون)[1]

وذكر الطبري وغيره أنه قيل لمالك إنهم يزعمون أن الله لا يرى، فقال مالك السيف السيف. ذكر قول ابن الماجشون. قال أبو حاتم الرازي قال أبو صالح كاتب الليث أملى على عبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون وسألته عما جحدت الجهمية فقال: لم يزل يملي لهم الشيطان حتى جحدوا قوله تعالى: (وجوه يومئذ ناضرة، إلى ربها ناظرة)[1] فقالوا لا يراه أحد يوم القيامة فجحدوا، والله أفضل كرامة الله التي أكرم بها أولياءه يوم القيامة من النظر إلى وجهه ونضرته إياهم في مقعد صدق عند مليك مقتدر. فورب السماء والأرض ليجعلن رؤيته يوم القيامة للمخلصين له ثواباً لينضر بها وجوههم دون المجرمين وتفلج بها حجتهم على الجاحدين وهم على ربهم يومئذ لمحجوبون لايرونه كما زعموا أنه لا يرى ولا يكلمهم ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم. ذكر قول الأوزاعي. ذكر ابن أبي حاتم عنه قال: إني لأرجو أن يحجب الله عز وجل جهماً وأصحابه عن أفضل ثوابه الذي وعده الله أولياءه حين يقول: (وجوه يومئذ ناضرة، إلى ربها ناظرة) فجحد جهم وأصحابه أفضل ثوابه الذي وعده الله أولياءه.

---

(١) سورة المطففين آية ١٥.　(٢) سورة القيامة آية ٢٣.

ذكر قول الليث بن سعد : قال ابن أبي حاتم حدثنا إسماعيل بن أبي الحارث حدثنا الهيثم بن خارجة قال سمعت الوليد بن مسلم يقول سألت الأوزاعي وسفيان الثوري ومالك بن أنس والليث بن سعد عن هذه الأحاديث التي فيها الرؤية . فقالوا: تمر بلا كيف قول سفيان بن عيينة : ذكر الطبري وغيره عنه أنه قال من لم يقل إن القرآن كلام الله وإن الله يرى في الجنة فهو جهمي ، وذكر عنه ابن أبي حاتم أنه قال يصلي خلف الجهمي : والجهمي الذي يقول: لا يرى ربه يوم القيامة .

قول جرير بن عبد الحميد : ذكر ابن أبي حاتم عنه أنه ذكر حديث ابن سابط في الزيادة : أنها النظر إلى وجه الله فأنكره رجل فصاح به وأخرجه من مجلسه .

قول عبدالله بن المبارك : ذكر عبد الرحمن بن أبي حاتم عنه أن رجلا من الجهمية قال له يا أبا عبد الرحمن « خداراً . بآن جهان جون ببيند » ومعناه كيف يرى الله يوم القيامة ؟ فقال : بالعين .

وقال ابن أبي الدنيا حدثنا يعقوب بن إسحق قال سمعت نعيم بن حماد يقول سمعت ابن المبارك يقول : ما حجب الله عنه أحداً إلا عذبه ثم قرأ : (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون : ثم إنهم لصالوا الجحيم . ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون)(١) قال ابن المبارك : بالرؤية .

قول وكيع بن الجراح : ذكر ابن أبي حاتم عنه أنه قال يراه تبارك وتعالى المؤمنون في الجنة ولا يراه إلا المؤمنون . قول قتيبة بن سعيد : ذكر ابن أبي حاتم عنه قال : قول الأئمة المأخوذ به في الإسلام والسنة والإيمان بالرؤية والتصديق بالأحاديث التي جاءت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الرؤية .

قول أبي عبيد القاسم بن سلام : ذكر ابن بطة وغيره عنه أنه ذكرت عنده هذه الأحاديث التي في الرؤية فقال : هي عندنا حق رواها الثقات عن الثقات إلى أن

---

(١) سورة المطففين الآيات ١٥ ـ ١٧ .

صارت إلينا إلا أنا إذا قيل لنا فسروها لنا قلنا : لا نفسر منها شيئاً ولكن نمضيها كما جاءت .

قول أسود بن سالم شيخ الإمام أحمد : قال المروزى حدثنا عبد الوهاب الوراق قال سألت أسود بن سالم عن أحاديث الرؤية فقال : أحلف عليها بالطلاق وبالمشى أنها حق .

قول محمد بن إدريس الشافعى : قد تقدم رواية الرابع عنه أنه قال : إنه قال فى قوله تعالى : (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) لما حجب هؤلاء فى السخط كان فى هذا دليل على أن أولياء الله يرونه فى الرضا . قال الربيع فقلت يا أبا عبد الله وتقول به ؟ قال نعم وبه أدين الله ، ولو لم يوقن محمد بن إدريس أنه يرى الله عز وجل لماعبده .

وقال ابن بطة حدثنا أبو القاسم الأنماطى صاحب المزنى قال : قال الشافعى رحمه الله : (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) دلالة على أن أولياء الله يرونه يوم القيامة بأبصارهم ووجوههم .

قول إمام السنة أحمد بن حنبل : قال إسحاق بن منصور قلت لأحمد : أليس ربنا تبارك وتعالى يراه أهل الجنة ؟ أليس تقول بهذه الأحاديث ؟ قال أحمد : صحيح ، قال ابن منصور وقال إسحاق بن راهويه صحيح ولا يدعه إلا كل مبتدع أو ضعيف الرأى .

وقال الفضل بن زياد : سمعت أبا عبد الله وقيل له تقول بالرؤية ؟ فقال : من لم يقل بالرؤية فهو جهمى ، قال سمعت أبا عبد الله وبلغه عن رجل أنه قال : إن الله لا يرى فى الآخرة فغضب غضباً شديداً ، ثم قال من قال إن الله لا يرى فى الآخرة فقد كفر ، عليه لعنة الله وغضبه ، من كان من الناس أليس يقول الله عز وجل : (وجوه يومئذ ناضرة ، إلى ربها ناظرة)(١) وقال : (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) وقال أبو داود : سمعت أحمد وذكر له عن رجل شىء فى الرؤية فغضب وقال : من قال إن الله لا يرى فهو كافر .

---

(١) سورة القيامة آية ٢٣ .

وقال أبو داود وسمعت أحمد بن حنبل وقيل له فى رجل يحدث بحديث عن رجل عن أبى المطوف إن الله لايرى فى الآخرة ، فقال : لعن الله من يحدث بهذا الحديث اليوم ، ثم قال أخزى الله هذا ، وقال أبو بكر المروزى : قيل لأبى عبد الله : تعرف عن يزيد بن هارون عن أبى المطوف عن أبى الزبير عن جابر : إن استقر الجبل فسوف ترانى . وإن لم يستقر فلا ترانى فى الدنيا ولا فى الآخرة ، فغضب أبو عبد الله غضباً شديداً حتى تبين فى وجهه وكان قاعداً والناس حوله فأخذ نعله وانتعل ، وقال أخزى الله هذا . لا ينبغى أن يكتب ودفع أن يكون يزيد بن هارون رواه أو حدث به وقال هذا جهمى كافر خالف ، ما قال الله عز وجل : (وجوه يومئذ ناضرة . إلى ربها ناظرة) وقال : (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) أخزى الله هذا الخبيث ، قال أبو عبد الله : ومن زعم أن الله لايرى فى الآخرة فقد كفر ، وقال أبو طالب قال أبو عبد الله قول الله عز وجل : (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة) (١) ،(وجاء ربك والملك صفاً صفاً) (٢) فمن قال إن الله لايرى فقد كفر ، وقال إسحق بن إبراهيم بن هانىء سمعت أبا عبد الله يقول: من لم يؤمن بالرؤية فهو جهمى ،والجهمى كافر .

وقال يوسف بن موسى بن محمد القطان : قيل لأبى عبد الله : أهل الجنة ينظرون إلى ربهم تبارك وتعالى ويكلمونه ويكلمهم ؟ قال : نعم ، ينظر إليهم وينظرون إليه ويكلمهم ويكلمونه كيف شاؤوا إذا شاؤوا .

وقال حنبل بن إسحق سمعت أبا عبد الله يقول : القوم يرجعون إلى التعطيل فى أقوالهم ينكرون الرؤية والآثار كلها وماظننتم على هذ احتى سمعت مقالاتهم . قال حنبل وسمعت أبا عبد الله يقول من زعم أن الله لا يرى فى الآخرة فهو جهمى فقد كفر ورد على الله وعلى الرسول ومن زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلا فقد كفر ورد على الله قوله ، قال أبو عبد الله : فنحن نؤمن بهذه الأحاديث ونقر بها ونمرها كما جاءت .

---

(١) سورة البقرة آية ٢١٠ .

(٢) سورة الفجر آية ٢٢

وقال الأثرم سمعت أبا عبد الله يقول فأما من يقول إن الله لا يرى فى الآخرة فهو جهمى ، قال أبو عبد الله وإنما تكلم من تكلم فى رؤية الدنيا. وقال إبراهيم بن زياد الصائغ سمعت أحمد بن حنبل يقول : « الرؤية من كذب بها فهو زنديق » وقال حنبل سمعت أبا عبد الله يقول : « أدركنا الناس وما ينكرون من هذه الأحاديث شيئاً — أحاديث الرؤية — وكانوا يحدثون بها على الجملة يمرونها على حالها غير منكرين لذلك ولا مرتابين » وقال أبو عبد الله قال الله تعالى : ﴿ وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً ، أو من وراء حجاب ، أو يرسل رسولا ﴾ (١) وكلم الله موسى من وراء حجاب فقال : (رب أرنى أنظر إليك قال لن ترانى ولكن انظر إلى الجبل ، فإن استقر مكانه فسوف ترانى) (٢) فأخبر الله عز وجل أن موسى يراه فى الآخرة وقال : (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) ولا يكون حجاب إلا لرؤية أخبر الله سبحانه وتعالى أن من شاء الله ومن أراد يراه والكفار لا يرونه ، قال حنبل : وسمعت أبا عبد الله يقول : قال الله تعالى : (وجوه يومئذ ناضرة . إلى ربها ناظرة)

والأحاديث التى تروى فى النظرة إلى الله تعالى حديث جابر بن عبد الله وغيره « وتنظرون إلى ربكم » أحاديث صحاح وقال : (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) النظر إلى وجه الله تعالى . قال أبو عبد الله نؤمن بها ونعلم أنها حق أحاديث الرؤية ونؤمن بأن الله يرى ، نرى ربنا يوم القيامة لا نشك فيه ولا نرتاب ، قال سمعت أبا عبد الله يقول : من زعم أن الله لا يرى فى الآخرة فقد كفر بالله وكذب بالقرآن ، ورد على الله أمره يستتاب فإن تاب وإلا قتل ، قال حنبل : قلت لأبى عبد الله فى أحاديث الرؤية فقال هذه صحاح نؤمن بها ونقر بها وكلما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم إسناده جيد أقررنا به قال أبو عبد الله إذا لم نقر بما جاء عن النبى صلى الله عليه وسلم ودفعناه رددنا على الله أمره قال الله عز وجل : (وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا) (٣)

---

(١) سورة الشورى آية ٥١
(٢) سورة الأعراف آية ١٤٣
(٣) سورة الحشر آية ٧

قول إسحق بن راهويه: ذكر الحاكم وشيخ الإسلام وغيرهما عنه أن عبد الله بن طاهر أمير خراسان سأله فقال يا أبا يعقوب هذه الأحاديث التى يروونها فى النزول والرؤية ما هن ؟ فقال رواها من روى الطهارة الغسل والصلاة والأحكام وذكر أشياء فإن يكونوا فى هذه عدولا، وإلا فقد ارتفعت الأحكام وبطل الشرع. فقال: شفاك الله كما شفيتنى أو كما قال .

قول جميع أهل الإيمان : قال إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة فى كتابه : إن المؤمنين لم يختلفوا أن المؤمنين يرون خالقهم يوم المعاد ومن أنكر ذلك فليس بمؤمن عند المؤمنين .

قول المزنى : ذكر الطبرى فى السنة عن إبراهيم عن أبى داود المصرى قال كنا عند نعيم بن حماد جلوساً فقال نعيم للمزنى : ما تقول فى القرآن ؟ فقال أقول إنه كلام الله، فقال غير مخلوق ؟ فقال غير مخلوق . قال وتقول إن الله يرى يوم القيامة ؟ قال : نعم فلما افترق الناس قام إليه المزنى فقال : يا أبا عبد الله شهرتنى على رؤوس الناس، قد أكثروا فيك فأردت أن أبرئك .

قول جميع أهل اللغة : قال أبو عبد الله بن بطة سمعت أبا عمر محمد بن الواحد صاحب اللغة يقول: سمعت أبا العباس أحمد بن يحيى ثعلباً يقول فى قوله تعالى : (وكان بالمؤمنين رحيما : تحيتهم يوم يلقونه سلام) [1] أجمع أهل اللغة على أن اللقاء ههنا لا يكون إلا معاينة ونظراً بالأبصار وحسبك بهذا الإسناد صحة ، واللقاء ثابت بنص القرآن كما تقدم . وبالتواتر عن النبى صلى الله عليه وسلم وكل أحاديث اللقاء صحيحة كحديث أنس فى قصة حديث بئر معونة « إنا قد لقينا ربنا فرضى عنا وأرضانا » وحديث عبادة وعائشة وأبى هريرة وابن مسعود « من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه » وحديث أنس « إنكم ستلقون بعدى أثرة فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله » وحديث أبى ذر « لو لقيتنى بقراب الأرض خطايا ، ثم لقيتنى لا تشرك بى شيئاً لقيتك

(١) سورة الأحزاب آية ٤٤

بقرابها مغفرة » وحديث أبي موسى « من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة » وغير ذلك من أحاديث اللقاء التي اطردت كلها بلفظ واحد .

فصل

في وعيد منكري الرؤية

قد تقدم قوله تعالى : (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) وقول عبد الله ابن المبارك : ما حجب الله عنه أحداً إلا عذبه ثم قرأ قوله تعالى : (ثم إنهم لصالوا الجحيم . ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون) [1] قال بالرؤية وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة قال : « قالوا يارسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال : هل تضارون في رؤية الشمس في الظهيرة ليست فيها سحابة ؟ قالوا: لا ، قال : هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس فيه سحابة ؟ قالوا : لا ، قال: فو الذي نفس محمد بيده لاتضارون في رؤية ربكم إلا كما تضارون في رؤية أحدهما. فيلقى العبد فيقول : أى قل ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وترفع ؟ فيقول : بلى أى ربي ، فيقول أفظننت أنك ملاقي ! فيقول : لا فيقول أنساك كما نسيتني، ثم يلقى الثاني فيقول أى قل ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وترفع ؟ فيقول بلى أى ربي ، فيقول أفظننت أنك ملاقي فيقول : لا . فيقول : إني أنساك كما نسيتني ، ثم يلقى الثالث فيقول له مثل ذلك ، فيقول : يارب آمنت بك وبكتبك ورسلك وصليت وصمت وتصدقت ويثني بخير ما استطاع . فيقول : ههنا إذاً ، ثم يقال : الآن نبعث شاهداً عليك فيتفكر في نفسه من الذي يشهد علي فيختم على فيه ، ويقال لفخذه : انطقي ، فينطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله وذلك ليعذر من نفسه وذلك المنافق ، وذلك الذي يسخط الله عليه » .

فاجمع بين قوله : فإنكم سترون ربكم . وقوله : لمن ظن أنه غير ملاقيه فإني أنساك

---

(١) سورة المطففين الآيتان ١٦ و ١٧

كما نسيتني . وإجماع أهل اللغة على أن اللقاء المعاينة بالأبصار ، يحصل لك العلم بأن منـكرى الرؤية أحق بهذا الوعيد .

ومن تراجم أهل السنة على هذا الحديث : باب فى الوعيد لمنـكرى الرؤية ، كما فعل شيخ الإسلام وغيره ، وبالله التوفيق .

فصل

قد دل القرآن والسنة المتواترة وإجماع الصحابة وأئمة الإسلام ، وأهل الحديث عصابة الإسلام ، ونزل الإيمان وخاصة رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن الله سبحانه وتعالى يرى يوم القيامة بالأبصار عياناً كما يرى القمر ليلة البدر صحواً ، وكما ترى الشمس فى الظهيرة ، فإن كان لما أخبر الله ورسوله عنه من ذلك حقيقة وأن له والله حق الحقيقة فلا يمكن أن يروه إلا من فوقهم لاستحالة أن يروه من أسفل منهم أو خلفهم أو أمامهم أو عن يمينهم أو عن شمالهم ، وإن لم يكن لما أخبر به حقيقة كما يقوله أفراخ الصابئة والفلاسفة والمجوس والفرعونية بطل الشرع والقرآن ، فإن الذى جاء بهذه الأحاديث هو الذى جاء بالقرآن والشريعة والذى بلغها هو الذى بلغ الدين . فلا يجوز أن يجعل كلام رسوله عضين بحيث يؤمن ببعض معانيه ويكفر ببعضها ، فلا يجتمع فى قلب العبد بعد الاطلاع على هذه الأحاديث وفهم معناها إنكارها والشهادة بأن محمداً رسول الله أبدا . والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق ، والمنحرفون فى باب رؤية الرب تبارك وتعالى نوعان :

أحدهما : من يزعم أنه يرى فى الدنيا ويحاضر ويسامر .

والثانى : من يزعم أنه لا يرى فى الآخرة ألبتة . ولا يكلم عباده وما أخبر الله به ورسوله وأجمع عليه الصحابة والأئمة يكذب الفريقين . وبالله التوفيق .

الباب السادس والستون

فى تكليمه سبحانه وتعالى لأهل الجنة وخطابه لهم ومحاضرته إياهم وسلامه عليهم

قال تعالى : (إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلا أولئك لا خلاق لهم فى الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم) (١) وقال فى حق الذين يكتمون ما أنزل الله من البينات والهدى (ولا يكلمهم الله يوم القيامة) فلو كان لا يكلم عباده المؤمنين لكانوا فى ذلك هم وأعداؤه سواء ولم يكن فى تخصيص أعدائه بأنه لا يكلمهم فائدة أصلا . إذ تكليمه لعباده عند الفرعونية والمعطلة مثل أن يقال يؤاكلهم ويشاربهم ، ونحو ذلك تعالى الله عما يقولون : وقد أخبر الله سبحانه أنه يسلم على أهل الجنة . وأن ذلك السلام حقيقة وهو قول من رب رحيم ، وتقدم تفسير النبي صلى الله عليه وسلم لهذه الآية فى حديث جابر فى الرؤية ، وأنه يشرف عليهم من فوقهم ويقول « سلام عليكم يا أهل الجنة » فيرونه عيانا . وفى هذا إثبات الرؤية والتكليم والعلو . والمعطلة تنكر هذه الأمور الثلاثة وتكفر القائل بها . وتقدم حديث أبى هريرة فى سوق الجنة وقول النبي صلى الله عليه وسلم « ولا يبقى أحد فى ذلك المجلس إلا حاضره الله محاضرة ، فيقول يا فلان أتذكر يوم فعلت كذا وكذا » الحديث

وتقدم حديث عدى بن حاتم « ما منكم إلا من سيكلمه ربه يوم القيامة » وحديث أبى هريرة فى الرؤية وفيه « يقول الرب تبارك وتعالى للعبد : ألم أكرمك وأسودك » الحديث . وحديث بريدة « ما منكم من أحد إلا سيخلو به ربه وليس بينه وبينه ترجمان ولاحجاب » الحديث

---

(١) سورة آل عمران آية ٧٧

وحديث أنس فى يوم المزيد ومخاطبته فيه لأهل الجنة مرارا . وبالجملة فتأمل أحاديث الرؤية تجد فى أكثرها ذكر التكليم .

قال البخارى فى صحيحه باب كلام الرب تبارك وتعالى مع أهل الجنة . وساق فيه عدة أحاديث فأفضل نعيم أهل الجنة رؤية وجهه تبارك وتعالى وتكليمه لهم فإنكار ذلك إنكار لروح الجنة وأعلى نعيمها وأفضله الذى ما طابت لأهلها إلا به ، والله المستعان .

الباب السابع والستون

فى أبدية الجنة وأنها لاتفنى ولاتبيد

هذا مما يعلم بالاضطرار أن الرسول صلى الله عليه وسلم أخبر به قال تعالى : ﴿ وأما الذين سعدوا ففى الجنة خالدين فيها مادامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ ﴾[1] أى مقطوع . ولا تنافى بين هذا وبين قوله إلا ما شاء ربك.واختلف السلف فى هذا الاستثناء .فقال معمر عن الضحاك :هو فى الذين يخرجون من النار فيدخلون الجنة يقول سبحانه : إنهم خالدون فى الجنة مادامت السموات والأرض إلا مدة مكثهم فى النار .

قلت : وهذا يحتمل أمرين :

أحدهما : أن يكون الإخبار عن الذين سعدوا وقع عن قوم مخصوصين وهم هؤلاء .

والثانى : وهو الأظهر أن يكون وقع عن جملة السعداء والتخصيص بالمذكورين هو فى الاستثناء وما دل عليه . وأحسن من هذين التقديرين أن ترد المشيئة إلى الجميع حيث لم يكونوا فى الجنة فى الموقف . وعلى هذا فلا يبقى فى الآية تخصيص . وقالت فرقة أخرى : هو استثناء استثناه الرب تعالى ولا يفعله كما تقول : والله لأضربنك إلا أن أرى غير ذلك وأنت لاتراه . بل تجزم بضربه .

وقالت فرقة أخرى : العرب إذا استثنت شيئاً كثيراً مع مثله ومع ماهو أكثر منه ، كان معنى إلا فى ذلك ومعنى الواو سواء والمعنى على هذا سوى ما شاء الله من الزيادة على مدة دوام السموات والأرض . هذا قول الفراء وسيبويه : يجعل إلا بمعنى

---

(١) سورة هود آية ١٠٨

يكن . قالوا : ونظير ذلك أن تقول : لى عليك ألف إلا الألفين الذين قبلها أى سوى الألفين. قال ابن جرير : وهذا هو أحب الوجهين إلى ، لأن الله تعالى لا خلف لوعده وقد وصل الاستثناء بقوله (عطاء غير مجذوذ) .

قالوا : ونظير أن تقول : أسكنتك دارى حولا إلا ما شئت أى سوى ماشئته من الزيادة عليه .

وقالت فرقة أخرى : هذا الاستثناء إنما هو مدة احتباسهم عن الجنة مابين الموت والبعث وهو البرزخ إلى أن يصيروا إلى الجنة ثم هو خلود الأبد فلم يغيبوا عن الجنة إلا بمقدار إقامتهم فى البرزخ . وقالت فرقة أخرى : العزيمة قد وقعت لهم من الله بالخلود الدائم إلا أن يشاء الله خلاف ذلك إعلاماً لهم بأنهم مع خلودهم فى مشيئته وهذا كما قال لنبيه (ولئن شئنا لنذهبن بالذى أوحينا إليك)(١) وقوله (فإن يشأ الله يختم على قلبك)(٢) وقوله (قل لو شاء الله ماتلوته عليكم)(٣) ونظائره وأخبر عباده سبحانه أن الأمور كلها بمشيئته ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن .

وقالت فرقة أخرى : المراد بمدة دوام السموات والأرض فى هذا العالم فأخبر سبحانه أنهم خالدون فى الجنة مدة دوام السموات والأرض إلا ماشاء الله أن يزيدهم عليه . ولعل هذا قول من قال إن إلا بمعنى سوى ولكن اختلفت عبارته وهذا اختيار ابن قتيبة . قال : المعنى خالدين فيها مدة العالم سوى ما شاء أن يزيدهم من الخلود على مدة العالم . وقالت فرقة أخرى : ما بمعنى من كقوله (فانكحوا ما طاب لكم من النساء)(٤) والمعنى إلا من شاء ربك أن يدخله النار بذنوبه من السعداء . والفرق بين هذا القول وبين أول الأقوال : أن الاستثناء على ذلك القول من المدة وعلى هذا القول من الأعيان .

وقالت فرقة أخرى : المراد بالسموات والأرض سماء الجنة وأرضها وهما باقيتان أبداً وقوله : (إلا ما شاء ربك) إن كانت ما بمعنى من فهم الذين يدخلون النار ثم يخرجون منها وإن كانت بمعنى الوقت فهو مدة احتباسهم فى البرزخ والموقف ، قال

---

(١) سورة الإسراء آية ٨٦
(٢) سورة الشورى آية ٢٤ .
(٣) سورة يونس آية ١٦
(٤) سورة النساء آية ٣ .

الجعفي: سألت عبد الله بن وهب عن هذا الاستثناء، فقال سمعت فيه أنه قدر وقوفهم في الموقف يوم القيامة إلى أن يقضى بين الناس .

وقالت فرقة أخرى : الاستثناء راجع إلى مدة لبثهم في الدنيا وهذه الأقوال متقاربة ويمكن الجمع بينها بأن يقال أخبر سبحانه عن خلودهم في الجنة كل وقت إلا وقتاً يشاء أن لا يكونوا فيها وذلك يتناول وقت كونهم في الدنيا وفي البرزخ وفي موقف القيامة وعلى الصراط ،وكون بعضهم في النار مدة وعلى كل تقدير فهذه الآية من المتشابه وقوله فيها (عطاء غير مجذوذ) محكم وكذلك قوله (إن هذا لرزقنا ماله من نفاد) وقوله (أكلها دائم وظلها) وقوله (وما هم منها بمخرجين) .

وقد أكد الله سبحانه خلود أهل الجنة بالتأبيد في عدة مواضع من القرآن وأخبر أنهم لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى . وهذا الاستثناء منقطع وإذا ضممته إلى الاستثناء في قوله (إلا ماشاء ربك) تبين لك المراد من الآيتين واستثناء الوقت الذي لم يكونوا فيه في الجنة من مدة الخلود كاستثناء الموتة الأولى من جملة الموت فهذه موتة تقدمت على حياتهم الأبدية . وذاك مفارقة للجنة تقدم على خلودهم فيها . وبالله التوفيق .

وقد تقدم قول النبي صلى الله عليه وسلم « من يدخل الجنة ينعم ولا يبؤس ، ويخلد ولا يموت » وقوله « ينادى مناديا أهل الجنة أن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً ، وأن تشبوا فلا تهرموا أبداً ، وأن تحيوا فلا تموتوا أبداً » .

وثبت في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « يجاء بالموت في صورة كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار ثم يقال : يا أهل الجنة فيطلعون مشفقين ويقال يا أهل النار فيطلعون فرحين فيقال هل تعرفون هذا فيقولون : نعم هذا الموت فيذبح بين الجنة والنار ثم يقال : يا أهل الجنة خلود فلا موت ، ويا أهل النار خلود فلا موت » .

فصل

وهذا موضع اختلف فيه المتأخرون على ثلاثة أقوال :

أحدهما : أن الجنة والنار فانيتان غير أبديتين بل كما هما حادثتان فهما فانيتان .

والقول الثاني : إنهما باقيتان دائمتان لا يفنيان أبداً .

والقول الثالث : إن الجنة باقية أبدية والنار فانية ، ونحن نذكر هذه الأقوال وما قابلها وما احتج به أرباب كل قول ، ونرد ما خالف كتاب الله وسنة رسوله. فأما القول بفنائهما فهو قول قاله جهم بن صفوان إمام المعطلة الجهمية ، وليس له فيه سلف قط من الصحابة ولا من التابعين ولا أحد من أئمة الإسلام ولا قال به أحد من أهل السنة . وهذا القول مما أنكره عليه وعلى أتباعه أئمة الإسلام وكفروهم به وصاحوا بهم من أقطار الأرض ، كما ذكره عبد الله ابن الإمام أحمد فى كتاب السنة عن خارجة بن مصعب أنه قال : كفرت الجهمية بثلاث آيات من كتاب الله عز وجل ، بقول الله سبحانه وتعالى (أكلها دائم وظلها)(١) وهم يقولون لايدوم ، وبقول الله تعالى (إن هذا لرزقنا ماله من نفاد)(٢) وهم يقولون ينفد ، ويقول الله عز وجل (ما عندكم ينفد وما عند الله باق)(٣) .

قال شيخ الإسلام : وهذا قاله جهم لأصله الذى اعتقده وهو امتناع وجود ما لا يتناهى من الحوادث وهو عمدة أهل الكلام التى استدلوا بها على حدوث الأجسام وحدوث مالم يخل من الحوادث وجعلوا ذلك عمدتهم فى حدوث العالم ، فرأى الجهم أن مايمنع من حوادث لا أول لها فى الماضى يمنع فى المستقبل .فداوم الفعل ممتنع عنده على الرب تبارك وتعالى فى المستقبل ، كما هو ممتنع عنده عليه فى الماضى .

وأبو الهذيل العلاف شيخ المعتزلة وافقه على هذا الأصل ، لكن قال : إن هذا

---

(١) سورة الرعد آية ٣٥

(٢) سورة ص آية ٥٤

(٣) سورة النحل آية ٩٦

يقتضى فناء الحركات لسكونها متعاقبة شيئاً بعد شيء . فقال بفناء حركات أهل الجنة والنار حتى يصيروا فى سكون دائم لا يقدر أحد منهم على حركة ، وزعمت فرقة ممن وافقهم على امتناع حوادث لا نهاية لها أن هذا القول مقتضى العقل ، لكن لما جاء السمع ببقاء الجنة والنار قلنا بذلك ، وكأن هؤلاء لم يعلمون ما كان ممتنعاً فى العقل لا يجيء الشرع بوقوعه إذ يستحيل عليه أن يخبر بوجود ماهو ممتنع فى العقل وكأنهم لم يفرقوا بين محالات العقول ومجازاتها ، فالسمع يجيء بالثانى لا بالاول فالسمع يجيء بما يعجز العقل عن إدراكه ولا يستقل به ولا يجيء بما يعلم العقل إحالته .

والأكثرون الذين وافقوا جهما وأبا الهذيل على هذا الأصل فرقوا بين الماضى والمستقبل ، وقالوا : الماضى قد دخل فى الوجود بخلاف المستقبل ، والممتنع إنما هو دخول ما لا يتناهى فى الوجود لا تقدير دخوله شيئاً بعد شيء . قالوا : وهذا نظير أن يقول القائل: لا أعطيك درهماً إلا وأعطيك بعده درهماً آخر فهذا ممكن ، والأول نظير أن يقول: لا أعطيك درهماً إلا وأعطيك قبله درهماً فهذا محال ، وهؤلاء عندهم وجود ما لا يتناهى فى الماضى محال ووجوده فى المستقبل واجب ، ونازعهم فى ذلك آخرون فقالوا بل الأمر فى الماضى كهو فى المستقبل ولا فرق بينهما، بل الماضى والاستقبال أمر نسبي فكل ما يكون مستقبلا يصير ماضياً وكل ماض فقد كان مستقبلا فلا يعقل إمكان الدوام فى أحد طرفين وإحالته فى الطرف الآخر .

قالوا : وهذه مسألة دوام فاعلية الرب تبارك وتعالى وهو لم يزل رباً قادراً فعالا فإنه لم يزل حياً عليما قديراً ، ومن المحال أن يكون الفعل ممتنعاً عليه لذاته ، ثم ينقلب فيصير ممكناً لذاته من غير تجدد شيء وليس للأزل حد محدود حتى يصير الفعل ممكناً له عند ذلك الحد ويكون قبله ممتنعاً عليه فهذا القول تصوره كاف فى الجزم بفساده ويكفى فى فساده أن الوقت الذى انقلب فيه من الإحالة الذاتية إلى الإمكان الذاتى إما أن يصح أن يفرض قبله وقت يمكن فيه الفعل أو لا يصح .

فإن قلتم لا يصح كان هذا تحكما غير معقول وهو من جنس الهوس ، وإن قلتم يصح : قيل وكذلك ما يفرض قبله لا إلى غاية ، فما من زمن محقق أو مقدار

إلا والفعل ممكن فيه وهو صفة كمال وإحسان ومتعلق حمد رب تعالى وربوبيته وملكه وهو لم يزل رباً حميداً ملكاً قادراً لم تتجدد له هذه الأوصاف كما أنه لم يزل حياً مريداً عليما . والحياة والإرادة والعلم والقدرة تقضى آثارها ومتعلقاتها ، فكيف يعقل حي قدير عليم مريد ليس له مانع ولا قاهر يقهره يستحيل عليه أن يفعل شيئاً البتة ؟ .

وكيف يجعل هذا أصل من أصول الدين ويجعل معياراً على ما أخبر الله به ورسوله ويفرق به بين جائزات العقول ومحالاتها ؟ فإذا كان هذا شأن الميزان فكيف يستقيم الموزون به ، وأما قول من فرق بأن الماضى قد دخل فى الوجود دون المستقبل فكلام لا تحقيق وراءه ، فإن الذى يحصره الوجود من الحركات هو المتناهى ثم يعدم فيصير ماضياً ، كما معدوماً لما كان مستقبلا فوجوده بين عدمين وكلما انقضت جملة حدثت بعدها جملة أخرى ، فالذى صار ماضياً هو بعينه الذى كان مستقبلا فإن دل الدليل على امتناع ما لا يتناهى شيئاً قبل شىء فهو بعينه ، دل على امتناعه شيئاً بعد شىء .

وأما تفريقكم بقولكم المستقبل نظير قوله : ما أعطيك درهماً إلا وأعطيك بعده درهما فهذا ممكن . والماضى نظير قوله ما أعطيك درهما إلا وأعطيك قبله درهما ، فهذا الفرق فيه تلبيس لا يخفى وليس بنظير ما نحن فيه بل نظيره أن يقول ما أعطيك درهماً إلا وقد تقدم منى إعطاء درهم قبله . فهذا ممكن الدوام فى الماضى على حد إمكانه فى المستقبل ولا فرق فى العقل الصحيح بينهما البتة ، ولما لم يجد الجهم وأبو الهذيل وأتباعهما بين الأمرين فرقا قالوا : بوجوب تناهى الحركات فى المستقبل كما يجب ابتداؤها عندهم فى الماضى

وقال أهل الحديث : بل هما سواء فى الإمكان والوقوع ولم يزل الرب سبحانه وتعالى فعالا لما يريد ولم يزل ولا يزال موصوفاً بصفات الكمال منعوتاً بنعوت الجلال ، وليس المتمكن من الفعل كل وقت كالذى لا يمكنه الفعل إلا فى وقت معين وليس من يخلق كمن لا يخلق ، ومن يحسن كمن لا يحسن ، ومن يدبر الأمر كمن

لايدبر ، وأى كمال فى أن يكون رب العالمين معطلا عن الفعل فى مدة مقدرة أو محققة لا تتناهى يستحيل منه الفعل وحقيقة ذلك أنه لا يقدر عليه

وإن أبيتم هذا الإطلاق وقلتم إن المحال لايوصف بكونه غير مقدور عليه ، فجمعتم بين محالين الحكم بإباحة الفعل من غير موجب لإحالته وانقلابه من الإحالة الذاتية إلى الإمكان الذاتى من غير تجدد سبب وزعمتم أن هذا هو الأصل الذى تثبتون به وجود الصانع وحدوث العالم وقيامة الأبدان فجنيتم على العقل والشرع ، والرب تعالى لم ينزل قادراً على الفعل والكلام بمشيئته ولم يزل فعالا لما يريد ولم يزل رباً محسناً .

والمقصود : أن القول بفناء الجنة والنار قول مبتدع لم يقله أحد من الصحابة ولا التابعين ولا أحد من أئمة المسلمين . والذين قالوه إنما تلقوه عن قياس فاسد كما اشتبه أصله على كثير من الناس فاعتقدوه حقا وبنو عليه القول بخلق القرآن ونفى الصفات وقد دل القرآن والسنة والعقل الصريح على أن كلمات الله وأفعاله لاتتناهى ولاتنقطع بآخر ولاتحد بأول قال تعالى (قل لوكان البحر مداداً لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا) [١] .

وقال تعالى : (ولو أن مافى الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر مانفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم) [٢] فأخبر عن عدم نفاد كلماته لعزته وحكمته وهذان وصفان ذاتيان له سبحانه وتعالى لايكون إلا كذلك .

وذكر ابن أبى حاتم فى تفسيره عن سليمان بن عامر قال : سمعت الربيع بن أنس يقول إن مثل علم العبادة كلهم فى علم الله عز وجل كقطرة من هذه البحور كلها وقد أنزل الله سبحانه وتعالى فى ذلك (ولو أن مافى الأرض من شجرة أقلام) — الآية .

---

(١) سورة الكهف آية ١٠٩ .

(٢) سورة لقمان آية ٢٧ .

وقوله (قل لو كان البحر مداداً — الآية) يقول سبحانه وتعالى قل لو كان البحر مداداً لكلمات الله والشجر كلها أقلام لانكسرت الأقلام وفنى ماء البحر، وكلمات الله تعالى باقية لايفنيها شيء ، لأن أحداً لا يستطيع أن يقدر قدره ولايثنى عليه كما ينبغى بل هو كما أثنى على نفسه إن ربنا كما يقول وفوق ما يقول ، ثم إن مثل نعيم الدنيا أوله وآخره فى نعيم الآخرة كحبة من خردل فى خلال الأرض كلها.

فصل

وأما أبدية النار ودوامها فقال فيها شيخ الإسلام: فيها قولان معروفان عن السلف والخلف والنزاع فى ذلك معروف عن التابعين ، وقلت : ههنا أقوال سبعة :

أحدها : أن من دخلها لايخرج منها أبداً بل كل من دخلها مخلد فيها أبد الآباد بإذن الله ، وهذا قول الخوارج والمعتزلة .

والثانى : أن أهلها يعذبون فيها مدة ثم تنقلب عليهم وتبقى طبيعة نارية لهم يتلذذون بها لموافقتها لطبيعتهم ، وهذا قول إمام الاتحادية ابن عربى الطائى .

قال فى فصوصه : الثناء بصدق الوعد لا بصدق الوعيد والحضرة الإلهية تطلب الثناء المحمود بالذات ، فيثنى عليها بصدق الوعد لابصدق الوعيد بل بالتجاوز (فلاتحسبن الله مخلف وعده رسله) (١) لم يقل وعيده بل قال (ونتجاوز عن سيئاتهم) (٢) مع أنه توعد على ذلك ، وأثنى على إسماعيل بأنه كان صادق الوعد وقد زال الإمكان فى حق الحق من طلب المرجح :

فلم يبق إلا صادق الوعد وحده	وما لوعيد الحق عين تعاين
إن دخلوا دار الشقاء فإنهم	على لذة فيها نعيم مباين
نعيم جنان الخلد والأمر واحد	وبينهما عند التجلى تباين
يسمى عذاباً من عذوبة طعمه	وذاك له كالقشر والقشر صاين

(١) سورة إبراهيم آية ٤٧ :
(٢) سورة الأحقاف آية ١٦ .

وهذا فى طرف والمعتزلة الذين يقولون لايجوز على الله أن يخلف وعيده بل يجب عليه تعذيب من توعده بالعذاب فى طرف ، فأولئك عندهم لاينجو من النار من دخلها أصلا ، وهذا عنده لايعذب بها أحد أصلا . والفريقان مخالفان لما علم بالاضطرار أن الرسول جاء به وأخبر به عن الله عز وجل .

الثالث : قول من يقول إن أهلها يعذبون فيها إلى وقت محدود ثم يخرجون منها ويخلفهم فيها قوم آخرون ، وهذا القول حكاه اليهود للنبي صلى الله عليه وسلم فأكذبهم الله تعالى فى القرآن فيه :

فقال تعالى : (وقالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة قل أتخذتم عند الله عهداً فلن يخلف الله عهده ، أم تقولون على الله مالا تعلمون ۞ بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون)(١).

وقال تعالى : (ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم ، ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون ۞ ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودات وغرهم فى دينهم ما كانوا يفترون)(٢) .

فهذا القول إنما هو قول أعداء الله اليهود فهم شيوخ أربابه والقائلين به . وقد دل القرآن والسنة وإجماع الصحابة والتابعين وأئمة الإسلام على فساده .

قال تعالى : (وماهم بخارجين من النار) وقال (وما هم منها بمخرجين) وقال : (كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها) .

وقال تعالى : (كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها) وقال تعالى (لايقضى عليهم فيموتوا ولايخفف عنهم من عذابها)(٣) وقال تعالى (ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط) (٤).

---

(١) سورة البقرة الآيتان ٨٠و٨١

(٢) سورة آل عمران آية ٢٣و٢٤ .

(٣) سورة فاطر آية ٣٦ .

(٤) سورة الأعراف آية ٤٠ .

وهذا أبلغ ما يكون فى الإخبار عن استحالة دخولهم الجنة .

الرابع : قول من يقول: يخرجون منها وتبقى ناراً على حالها ليس فيها أحد يعذب، حكاه شيخ الإسلام. والقرآن والسنة أيضاً يردان على هذا القول كما تقدم .

الخامس : قول من يقول: بل تفنى بنفسها لأنها حادثة بعد أن لم تكن: وما ثبت حدوثه استحال بقاؤه وأبديته. وهذا قول جهم بن صفوان وشيعته ولا فرق عنده فى ذلك بين الجنة والنار .

السادس : قول من يقول تفنى حياتهم وحركاتهم ويصيرون جماداً لا يتحركون ولا يحسون بألم . وهذا قول أبى الهذيل العلاف إمام المعتزلة طرداً لامتناع حوادث لا نهاية لها. والجنة والنار عنده سواء فى هذا الحكم .

السابع : قول من يقول : بل يفنيها ربها وخالقها تبارك وتعالى ، فإنه جعل لها أمداً تنتهى إليه ثم تفنى ويزول عذابها .

قال شيخ الإسلام : وقد نقل هذا القول عن عمر وابن مسعود وأبى هريرة وأبى سعيد وغيرهم . وقد روى عبد بن حميد وهو من أجل أئمة الحديث فى تفسيره المشهور حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن الحسن قال قال عمر : « لو لبث أهل النار فى النار كقدر رمل عالج ، لكان لهم على ذلك يوم يخرجون فيه » .

وقال : حدثنا حجاج بن منهال عن حماد بن سلمة عن حميد عن الحسن أن عمر ابن الخطاب قال: « لو لبث أهل النار فى النار عدد رمل عالج لكان لهم يوم يخرجون فيه » ذكر ذلك فى تفسير قوله تعالى : (لابثين فيها أحقاباً)[1] فقد رواه عبد وهو من الأئمة الحفاظ وعلماء السنة عن هذين الجليلين سليمان بن حرب وحجاج بن منهال

---

(١) سورة النبأ آية ٢٣

كلاهما عن حماد بن سلمة وحسبك به وحماد يرويه عن ثابت وحميد وكلاهما يرويه عن الحسن ، وحسبك بهذا الإسناد جلالة .

والحسن وإن لم يسمع من عمر ، فإنما رواه عن بعض التابعين ولو لم يصح عنده ذلك عن عمر لما جزم به.وقال : قال عمر بن الخطاب ، ولو قدر أنه لم يحفظ عن عمر فتداول هؤلاء الأئمة له غير مقابلين له بالإنكار والرد مع أنهم ينكرون على من خالف السنة بدون هذا فلو كان هذا القول عند هؤلاء الأئمة من البدع المخالفة لكتاب الله وسنة رسوله وإجماع الأئمة ، لكانوا أول منكر له .

قال : ولا ريب أن من قال هذا القول عن عمر ونقله عنه إنما أراد بذلك جنس أهل النار الذين هم أهلها،فأما قوم أصيبوا بذنوبهم فقد علم هؤلاء وغيرهم أنهم يخرجون منها ، وأنهم لا يلبثون قدر رمل عالج ولا قريباً منه.

ولفظ أهل النار لا يختص بالموحدين بل يختص بمن عداهم ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ، أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون،ولا يناقض هذا قوله تعالى : (خالدين فيها) وقوله : (وما هم منها بمخرجين)[1] .

بل ما أخبر الله به هو الحق والصدق الذى لا يقع خلافه،لكن إذا انقضى أجلها وفنيت تفنى الدنيا لم تبق ناراً ولم يبق فيها عذاب قال أرباب هذا القول :

وفي تفسير على بن أبى طلحة الوالبى عن ابن عباس فى قوله تعالى : (قال النار مثوا كم خالدين فيها إلا ما شاء الله إن ربك حكيم عليم) قال: لا ينبغى لأحد أن يحكم على الله فى خلقه ولا ينزلهم جنة ولا ناراً .

قالوا : وهذا الوعيد فى هذه الآية ليس مختصاً بأهل القبلة فإنه سبحانه قال : « ويوم يحشرهم جميعاً يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس وقال أولياؤهم من

---

(١) سورة الحجر آية ٤٨

الإنس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذى أجلت لنا قال النار مثواكم خالدين فيها إلا ما شاء الله إن ربك حكيم عليم . وكذلك نولى بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون)(١) .

وأولياء الجن من الإنس يدخل فيهم الكفار قطعاً فإنهم أحق بموالاتهم من عصاة المسلمين، كما قال تعالى : (إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون) .

وقال تعالى : (إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون)(٢) .

وقال تعالى : (إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون . وإخوانهم يمدونهم فى الغى ثم لا يقصرون)(٣) .

وقال تعالى : (أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى وهم لكم عدو)(٤) .

وقال تعالى : (فقاتلوا أولياء الشيطان) .

وقال تعالى : (أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون)(٥)

وقال تعالى : (وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعمتوهم إنكم لمشركون)(٦) والاستثناء وقع فى الآية التى أخبرت عن دخول أولياء الشياطين النار .

فمن ههنا قال ابن عباس: لا ينبغى لأحد أن يحكم على الله . قالوا : وقول من قال إن « إلا » بمعنى سوى أى سوى ما شاء الله أن يزيدهم من أنواع العذاب وزمنه لا تخفى منافرته المستثنى والمستثنى منه، وإن الذى يفهمه المخاطب مخالفة ما بعد «إلا» لما قبلها .

---

(١) سورة الأنعام الآيات ١٢٨ ـ ١٢٩
(٢) سورة النحل الآيتان ٩٩و١٠٠
(٣) سورة الأعراف آية ٢٠١
(٤) سورة الكهف آية ٥٠
(٥) سورة المجادلة آية ١٩
(٦) سورة الأنعام آية ١٢١

قالوا : وقول من قال إنه لإخراج ما قبل دخولهم إليها من الزمان كزمان البرزخ والموقف ومدة الدنيا أيضاً ، لا يساعد على وجه الكلام ، فإنه استثناء من جملة خبرية مضمونها أنهم إذا دخلوا النار لبثوا فيها مدة دوام السموات و الأرض إلا ما شاء الله .

وليس المراد الاستثناء قبل الدخول هذا ما لايفهمه المخاطب ألا ترى أنه سبحانه يخاطبهم بهذا فى النار حين يقولون (ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذى أجلت لنا) فيقول لهم حينئذ : (النار مثواكم خالدين فيها إلا ما شاء الله) .

وفى قوله : (ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذى أجلت لنا) نوع اعتراف واستسلام وتحسر أى استمتع الجن بنا واستمتعنا بهم ، فاشتركنا فى الشرك ودواعيه وأسبابه ، وآثرنا الاستمتاع على طاعتك وطاعة رسلك ، وانقضت آجالنا وذهبت أعمارنا فى ذلك ولم نكتسب فيها رضاك ، وإنما كان غاية أمرنا فى مدة آجالنا استمتاع بعضنا ببعض .

فتأمل مافى هذا من الاعتراف بحقيقة ما هم عليه وكيف بدت لهم تلك الحقيقة ذلك اليوم ، وعلموا أن الذى كانوا فيه فى مدة آجالهم هو حظهم من استمتاع بعضهم ببعض ولم يستمتعوا بعبادة ربهم ومعرفته وتوحيده ومحبته وإيثار مرضاته .

وهذا من نمط قولهم : (لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير) وقوله : (فاعترفوا بذنبهم) وقوله : (فعلموا أن الحق لله) ونظائره . والمقصود أن قوله (إلا ما شاء الله) عائد إلى هؤلاء المذكورين مختصاً بهم أو شاملا لهم ولعصاة الموحدين ، وأما اختصاصه بعصاة المسلمين دون هؤلاء فلا وجه له .

ولما رأت طائفة ضعف هذا القول قالوا : الاستثناء يرجع إلى مدة البرزخ والموقف . وقد تبين ضعف هذا القول ، ورأت طائفة أخرى أن الاستثناء يرجع إلى نوع آخر من العذاب غير النار .

قالوا : والمعنى أنكم فى النار أبداً إلا ما شاء الله أن يعذبكم بغيرها وهو الزمهرير

وقد قال تعالى (إن جهنم كانت مرصاداً . للطاغين مآبا . لابثين فيها أحقاباً)[١].

قالوا : والأبد لايقدر بالأحقاب .

وقد قال ابن مسعود فى هذه الآية: ليأتين على جهنم زمان وليس فيها أحد وذلك بعد مايلبثون فيها أحقاباً ، وعن أبى هريرة مثله حكاه البغوى عنهما. ثم قال: ومعناه عند أهل السنة إن ثبت أنه لا يبقى فيها أحد من أهل الإيمان .

قالوا : قد ثبت ذلك عن أبى هريرة وابن مسعود وعبد الله بن عمر وقد سأل حرب إسحق بن راهويه عن هذه الآية فقال: سألت إسحق قلت قوله الله تعالى : (خالدين فيها مادامت السموات والأرض إلا ماشاء ربك) فقال : أتت هذه الآية على كل وعيد فى القرآن .

حدثنا عبيد الله بن معاذ حدثنا معتمر بن سليمان قال: قال أبى حدثنا أبو نضرة عن جابر أو أبى سعيد أو بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال هذه الآية تأتى على القرآن كله : (إلا ماشاء ربك إن ربك فعال لما يريد) (٢) .

قال المعتمر : قال أتى على كل وعيد فى القرآن ، حدثنا عبيد الله بن معاذ حدثنا أبى عن شعبة عن أبى بلج سمع عمرو بن ميمون يحدث عن عبد الله بن عمرو قال ليأتين على جهنم يوم تصفق فيه أبوابها ليس فيها أحد ، وذلك بعد مايلبثون فيها أحقاباً .

حدثنا عبيد الله حدثنا أبى حدثنا شعبة عن يحيى بن أيوب عن ابن زرعة عن أبى هريرة قال : ما أنا بالذى لا أقول إنه سيأتى على جهنم يوم لا يبق فيها أحد ، وقرأ قوله : (فأما الذين شقوا فى النار لهم فيها زفير وشهيق) الآية (٣) .

---

(١) سورة النبأ الآيات ٢١ ـ ٢٣ .
(٢) سورة هود آية ١٠٧ .
(٣) سورة هود آية ١٠٦ .

قال عبيد الله : كان أصحابنا يقولون يعنى به الموحدين حدثنا أبو ممن حدثنا وهب بن جرير حدثنا شعبة عن سليمان التيمى عن أبى نضرة عن جابر بن عبدالله أو بعض أصحابه فى قوله (خالدين فيها مادامت السموات والأرض إلا ماشاء ربك)[١] قال هذه الآية تأتى على القرآن كله . وقد حكى ابن جرير هذا القول فى تفسيره عن جماعة من السلف فقال : وقال آخرون عنى بذلك أهل النار وكل من دخلها . ذكر من قال ذلك ثم ذكر الآثار التى نذكرها .

وقال عبد الرزاق أنبأنا ابن التيمى عن أبيه عن أبى نضرة عن جابر أو أبى سعيد أو عن رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله (إلا ماشاء ربك إن ربك فعال لما يريد) قال هذه الآية تأتى على القرآن كله يقول حيث كان فى القرآن خالدين فيها تأتى عليه قال : وسمعت أبا مجلز يقول : جزاؤه فإن شاء الله تجاوز عن عذابه .

وقال ابن جرير حدثنا الحسن بن يحيى أنبأنا عبد الرزاق فذكره قال وحدثت عن المسيب عمن ذكره عن ابن عباس : (خالدين فيها مادامت السموات والأرض إلا ماشاء ربك) قال استثنى الله قال أمر الله النار أن تأكلهم . قال : وقال ابن مسعود : ليأتين على جهنم زمان تخق أبوابها ليس فيها أحد بعد ما يلبثون فيها أحقاباً ، حدثنا ابن حميد حدثنا جرير بيان عن الشعبى قال : جهنم أسرع الدارين عمراناً ، وأسرعهما خراباً .

وحكى ابن جرير فى ذلك قولا آخر فقال : وقال آخرون أخبرنا الله عز وجل بمشيئته لأهل الجنة فعرفنا معنى ثنياه بقوله « عطاء غير مجذوذ » وأنها فى الزيادة على مقدار مدة السموات والأرض قالوا : ولم يخبرنا بمشيئته فى أهل النار ، وجائز أن تكون مشيئته فى الزيادة وجائز أن تكون فى النقصان . حدثنى يونس أنبأنا ابن وهب قال : قال ابن زيد فى قوله تعالى : (خالدين فيها مادامت السموات والأرض

---

(١) سورة هود آية ١٠٧ .

إلا ماشاء ربك) فقرأ حق بلغ (عطاء غير مجذوذ) فقال أخبرنا بالذى يشاء لأهل الجنة فقال (عطاء غير مجذوذ) ولم يخبرنا بالذى يشاء لأهل النار .

وقال ابن مردويه فى تفسيره : حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا جبير بن عرفة حدثنا يزيد بن مروان الخلال حدثنا أبو خليد حدثنا سفيان يعنى الثورى عن عمرو ابن دينار عن جابر قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : (فأما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير وشهيق . خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ماشاء ربك)(١) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن شاء الله أن يخرج أناساً من الذين شقوا من النار فيدخلهم الجنة فعل » . وهذا الحديث يدل على أن الاستثناء إنما هو للخروج من النار بعد دخولها خلافاً لمن زعم أنه لما قبل الدخول ، ولكن إنما يدل على إخراج بعضهم من النار ، وهذا حق بلا ريب وهو لاينفى انقطاعها وفناء عذابها وأكلها لمن فيها وأنهم يعذبون فيها دائماً ما دامت كذلك وما هم منها بمخرجين . فالحديث دل على أمرين : أحدهما : أن بعض الأشقياء إن شاء الله أن يخرجهم من النار وهى نار فعل ، وإن الاستثناء إنما هو فيما بعد دخولها لافيما قبله وعلى هذا فيكون معنى الاستثناء إلا ماشاء ربك من الأشقياء فإنهم لا يخلدون فيها ويكون الأشقياء نوعين نوعا يخرجون منها ونوعا يخلدون فيها فيكونون من الذين شقوا أولا ثم يصيرون من الذين سعدوا فتجتمع لهم الشقاوة والسعادة فى وقتين قالوا وقد قال تعالى (إن جهنم كانت مرصاداً ، للطاغين مآباً ، لابثين فيها أحقاباً ، لا يذوقون فيها برداً ولا شراباً ، إلا حميما وغساقاً ، جزاء وفاقا ، إنهم كانوا لا يرجون حسابا ، وكذبوا بآياتنا كذاباً)(٢) فهذا صريح فى وعيد الكفار المكذبين بآياته ولا يقدر الأبدى بهذه الأحقاب ولا غيرها ، كما لايقدر به القديم . ولهذا قال عبدالله بن عمرو فيما رواه شعبة عن أبى بلج سمع عمرو بن ميمون يحدث عنه « ليأتين على جهنم يوم تصفق فيه أبوابها ليس فيها أحد وذلك بعد مايلبثون فيها أحقاباً » .

---

(١) سورة هود الآيتان ١٠٦ و ١٠٧ .
(٢) سورة النبأ الآيات ٢١ ــ ٢٨ .

فصل

والذين قطعوا بدوام النار لهم ست طرق :

أحدها : اعتقاد الإجماع فكثير من الناس يعتقدون أن هذا مجمع عليه بين الصحابة والتابعين لايختلفون فيه ، وأن الاختلاف فيه حادث وهو من أقوال أهل البدع .

الطريق الثانى : أن القرآن دل على ذلك دلالة قطعية فإنه سبحانه أخبر أنه عذاب مقيم ، وأنه لايفتر عنهم وأنه لن يزيدهم إلا عذاباً وأنهم خالدين فيها أبداً وماهم بخارجين من النار ، وماهم منها بمخرجين ، وأن الله حرم الجنة على الكافرين وأنهم لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط ، وأنهم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها وأن عذابها كان غراما ، أى مقيما لازماً . قالوا وهذا يفيد القطع بدوامه واستمراره .

الطريق الثالث : أن السنة المستفيضة أخبرت بخروج من كان فى قلبه مثقال ذرة من إيمان دون الكفار ، وأحاديث الشفاعة من أولها إلى آخرها صريحة بخروج عصاة الموحدين من النار وأن هذا حكم مختص بهم فلو خرج الكفار منها لكانوا بمنزلتهم ولم يختص الخروج بأهل الإيمان .

الطريق الرابع : أن الرسول وقفنا على ذلك وعلمناه من دينه بالضرورة من غير حاجة بنا إلى نقل معين ، كما علمنا من دينه دوام الجنة وعدم فنائها .

الطريق الخامس : أن عقائد السلف وأهل السنة مصرحة بأن الجنة والنار مخلوقتان وأنهما لا يفنيان بل هما دائمتان ، وإنما يذكرون فناءهما عن أهل البدع .

الطريق السادس : أن العقل يقضى بخلود الكفار فى النار ، وهذا مبنى على قاعدة وهى أن المعاد وثواب النفوس المطيعة وعقوبة النفوس الفاجرة هل هو مما

يعلم بالعقل أولا يعلم إلا بالسمع ؟ فيه طريقتان لنظار المسلمين، وكثير منهم يذهب إلى أن ذلك يعلم بالعقل مع السمع ، كما دل عليه القرآن فى غير موضع ، كإنكاره سبحانه على من زعم أنه يسوى بين الأبرار والفجار ، فى المحيا والممات وعلى من زعم أنه خلق خلقه عبثاً ، وأنهم إليه لا يرجعون ، وأنه يتركهم سدى أى لا يثيبهم ولا يعاقبهم ، وذلك يقدح فى حكمته وكماله ، وأنه نسبه إلى مالا يليق به وربما قرروه بأن النفوس البشرية باقية واعتقاداتها وصفاتها لازمة لها لا تفارقها وإن ندمت عليها ، لما رأت العذاب فلم تندم عليها لقبحها أو كراهة ربها لها ، بل لو فارقها العذاب رجعت كما كانت أولا قال تعالى : (ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين ، بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون)(١) .

فهؤلاء قد ذاقوا العذاب وباشروه ولم يزل سببه ومقتضيه من نفوسهم بل خبثها وكفرها قائم بها لم يفارقها بحيث لو ردوا لعادوا كفاراً كما كانوا وهذا يدل على أن دوام تعذيبهم يقضى به العقل كما جاء به السمع ، قال أصحاب افناء الكلام على هذه الطرق يبين الصواب فى هذه المسألة .

فأما الطريق الأول فالإجماع الذى ادعيتموه غير معلوم ، وإنما يظن الإجماع فى هذه المسألة من لم يعرف النزاع ، وقد عرف النزاع فيها قديماً وحديثاً بل لو كلف مدعى الإجماع أن ينقل عن عشرة من الصحابة فما دونهم إلى الواحد أنه قال : إن النار لا تفنى أبداً ، لم يجد إلى ذلك سبيلا .

ونحن قد نقلنا عنهم التصريح بخلاف ذلك فما وجدنا عن واحد منهم خلاف ذلك بل التابعون حكوا عنهم هذا وهذا ، قالوا : والإجماع المعتد به نوعان ، متفق عليهما ، ونوع ثالث مختلف فيه ، ولم يوجد واحد منها فى هذه المسألة النوع الأول ما يكون معلوما من ضرورة الدين كوجوب أركان الإسلام وتحريم المحرمات الظاهرة .

---

(١) سورة الأنعام الآيتان ٢٧و٢٨ .

الثانى : ما ينقل عن أهل الاجتهاد التصريح بحكمه .

الثالث: أن يقول بعضهم القول وينتشر فى الأمة ولا ينكره أحد ، فأين معكم واحد من هذه الانواع ،ولو أن قائلا ادعى الإجماع من هذه الطرق واحتج أن الصحابة صح عنهم ولم ينكر أحد منهم عليه لـكان أسعد بالإجماع منكم .

قالوا : وأما الطريق الثانى وهو دلالة القرآن على بقاء النار وعدم فنائها ، فأين فى القرآن دليل واحد يدل على ذلك ؟ نعم ، الذى دل عليه القرآن أن الـكفار خالدين فى النار أبداً ، وأنهم غير خارجين منها وأنه لا يفتر منهم عذابها وأنهم لا يموتون فيها وأن عذابهم فيها مقيم ، وأنه غرام لازم لهم وهذا كله مما لا نزاع فيه بين الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين وليس هذا مورد النزاع وإنما النزاع فى أمر آخر وهو أنه هل النار أبدية أو مما كتب عليه الفناء ؟ وأما كون الـكفار لا يخرجون منها ولا يفتر عنهم من عذابها ولا يقضى عليهم فيموتوا ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط فلم يختلف فى ذلك الصحابة ولا التابعون ولا أهل السنة وإنما خالف فى ذلك من قد حكينا أقوالهم من اليهود والاتحادية وبعض أهل البدع . وهذه النصوص وأمثالها تقتضى خلودهم فى دار العذاب مادامت باقية ولا يخرجون منها مع بقائها البتة كما يخرج أهل التوحيد منها مع بقائها . فالفرق بين من يخرج من الحبس وهو حبس على حاله وبين من يبطل حبسه بخراب الحبس وانتقاضه .

قالوا : وأما الطريق الثالث ، وهو مجىء السنة المستفيضة بخروج أهل الـكبائر من النار دون أهل الشرك فهى حق لاشك فيه وهى إنما تدل على ما قلناه من خروج الموحدين منها وهى دار العذاب لم تفن ويبقى المشركون فيها مادامت باقية والنصوص دلت على هذا وعلى هذا .

قالوا : وأما الطريق الرابع : وهو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقفنا على ذلك ضرورة فلا ريب أنه من المعلوم من دينه بالضرورة أن الـكفار باقون فيها

مادامت باقية هذا معلوم من دينه بالضرورة ، وأما كونها أبدية لا انتهاء لها ولا تفنى كالجنة ، فأين فى القرآن والسنة دليل واحد يدل على ذلك .

قالوا : وأما الطريق الخامس وهو أن عقائد أهل السنة أن الجنة والنار مخلوقتان لا يفنيان أبداً . فلا ريب أن القول بفنائهما قول أهل البدع من الجهمية والمعتزلة . وهذا القول لم يقله أحد من الصحابة ولا التابعين ولا أحد من أئمة المسلمين وأما فناء النار وحدها فقد أوجدناكم من قال به الصحابة وتفريقهم بين الجنة والنار فكيف يكون القول به أقوال أهل البدع مع أنه لا يعرف عن أحد من أهل البدع التفريق بين الدارين ، فقولكم إنه من أقوال أهل البدع كلام من لا خبرة له بمقالات بنى آدم وآرائهم واختلافهم .

قالوا : والقول الذى يعد من أقوال أهل البدع ما خالف كتاب الله وسنة رسوله وإجماع الأمة ، إما الصحابة أو من بعدهم ، وإما قول يوافق الكتاب والسنة وأقوال الصحابة فلا يعد من أقوال أهل البدع وإن دانوا به واعتقدوه فالحق يجب قبوله ممن قاله . والباطل يجب رده على من قاله وكان معاذ بن جبل يقول : « الله حكم قسط هلك المرتابون إن من ورائكم فتناً يكثر فيها المال ويفتح فيها القرآن حتى يقرؤه المؤمن والمنافق والمرأة والصبي والأسود والأحمر فيوشك أحدهم أن يقول : قد قرأت القرآن فما أظن أن يتبعونى حتى أبتدع فإن كل بدعة ضلالة وإياكم وزيغة الحكيم ؟ فإن الشيطان قد يتكلم على لسان الحكيم بكلمة الضلالة ، وإن المنافق قد يقول : كلمة الحق فتلقوا الحق عمن جاء به فإن على الحق نوراً ، قالوا : وكيف زيغة الحكيم ، قال : هى الكلمة تروعكم وتنكرونها وتقولون ما هذه ؟ فاحذروا زيغته ولا تصدنكم عنه فإنه يوشك أن يفىء وأن يراجع الحق ، وإن العلم والإيمان مكانهما إلى يوم القيامة » .

والذى أخبر به أهل السنة فى عقائدهم هو الذى دل عليه الكتاب والسنة وأجمع عليه السلف أن الجنة والنار مخلوقتان ، وأن أهل النار لا يخرجون منها ولا يخفف عنهم من عذابها ولا يفتر عنهم وأنهم خالدون فيها ، ومن ذكر منهم أن النار لا تفنى

أبداً فإنما قاله لظنه أن بعض أهل البدع قال بفنائها ، ولم يبلغه تلك الآثار التى تقدم ذكرها قالوا . وأما حكم العقل بتخليد أهل النار ، فيها ، فإخبار عن العقل بما ليس عنده ، فإن المسألة من المسائل التى لا تعلم إلا بخبر الصادق .

وأما أصل الثواب والعقاب : فهل يعلم بالعقل مع السمع أو لايعلم إلا بالسمع وحده ؟ ففيه قولان لنظار المسلمين من أتباع الأئمة الأربعة وغيرهم ، والصحيح أن العقل دل على المعاد والثواب والعقاب إجمالا وأما تفصيله فلا يعلم إلا بالسمع ودوام الثواب والعقاب مالايدل عليه العقل بمجرده ، وإنما علم بالسمع وقد دل السمع دلالة قاطعة على دوام ثواب المطيعين ، وأما عقاب العصاة فقد دل السمع أيضاً دلالة قاطعة على انقطاعه فى حق الموحدين ، وأما دوامه وانقطاعه فى حق الكفار فهذا معترك النزال فمن كان السمع من جانبه فهو أسعد بالصواب . وبالله التوفيق .

فصل

ونحن نذكر الفرق بين دوام الجنة والنار شرعاً وعقلا وذلك يظهر من وجوه :

أحدها : أن الله سبحانه وتعالى أخبر ببقاء نعيم أهل الجنة ودوامه وأنه لانفاد له ولا انقطاع وأنه غير مجذوذ ، وأما النار فلم يخبر عنها بأكثر من خلود أهلها فيها وعدم خروجهم منها وأنهم لا يموتون فيها ولا يحيون وأنها مؤصدة عليهم وإنهم كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وأن عذابها لازم لهم وأنه مقيم عليهم لايفتر عنهم والفرق بين الخبرين ظاهر .

الوجه الثانى : أن النار قد أخبر سبحانه وتعالى فى ثلاث آيات عنها بما يدل على عدم أبديتها . الأولى : قوله سبحانه وتعالى : (قال النار مثواكم خالدين فيها إلا ماشاء الله إن ربكم حكيم عليم)(١) الثانية : قوله (خالدين فيها ما دامت السموات

---

(١) سورة الأنعام آية ١٢٨ .

والأرض إلا ماشاء ربك إن ربك فعال لما يريد)(١) .

الثالثة : قوله : (لابثين فيها أحقابا)(٢) ولولا الأدلة القطعية الدالة على أبدية الجنه ودوامها لكان حكم الاستثناءين فى الموضعين واحداً كيف وفى الآيتين من السياق ما يفرق بين الاستثناءين فإنه قال فى أهل النار : (إن ربك فعال لما يريد)(٣) فعلمنا أنه سبحانه وتعالى يريد أن يفعل فعلا لم يخبرنا به ، وقال فى أهل الجنة : (عطاء غير مجذود)(٤) فعلمنا أن هذا العطاء والنعيم غير مقطوع عنهم أبداً. فالعذاب مؤقت معلق والنعيم ليس بمؤقت ولا معلق .

الوجه الثالث : أنه قد ثبت أن الجنة لم يدخلها من لم يعمل خيراً قط من المعذبين الذين يخرجهم الله من النار ، وأما النار فلم يدخلها من لم يعمل سوءاً قط ولا يعذب إلا من عصاه .

الوجه الرابع : أنه قد ثبت أن الله سبحانه وتعالى ينشىء للجنة خلقاً آخر يوم القيامة يسكنهم إياها ولا يفعل ذلك بالنار ، وأما الحديث الذى قد ورد فى صحيح البخارى من قوله : « وأما النار فينشىء الله لهاخلقاً آخرين » فغلط وقع من بعض الرواة انقلب عليه الحديث وإنما هو ما ساقه البخارى فى الباب بنفسه « وأما الجنة فينشىء الله لها خلقاً آخرين » ذكره البخارى رحمه الله مبيناً أن الحديث انقلب لفظه على من رواه بخلاف هذا وهذا ، والمقصود أنه لا تقاس النار بالجنة فى التأبيد مع هذه الفروق .

يوضحه الوجه الخامس :أن الجنة من موجب رحمته ورضاه ، والنار من غضبه وسخطه ، ورحمته سبحانه تغلب غضبه وتسبقه ، كما جاء فى الصحيح من حديث أبى هريرة عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لما قضى الله الخلق كتب فى كتاب فهو

---

(١) سورة هود آية ١٠٧ .
(٢) سورة النبأ آية ٢٣ .
(٣) سورة هود آية ١٠٧ .
(٤) سورة هود آية ١٠٨ .

عنده موضوع على العرش أن رحمتى تغلب غضبى » وإذا كان رضاه قد سبق غضبه وهو يغلبه كان التسوية بين ما هو من موجب رضاه وما هو من موجب غضبه ممتنعاً .

يوضحه الوجه السادس : أن ماكان بالرحمة وللرحمة فهو مقصود لذاته قصد الغايات وماكان من موجب الغضب والسخط فهو مقصود لغيره قصد الوسائل فهو مسبوق مغلوب مراد لغيره وماكان للرحمة فغالب سابق مراد لنفسه .

يوضحه الوجه السابع : وهو أنه سبحانه قال للجنة : أنت رحمتى أرحم بك من أشاء وقال للنار : أنت عذابى أعذب بك من أشاء ، وعذابه مفعول منفصل ، وهو ناشىء عن غضبه ، ورحمته ههنا هى الجنة وهى رحمة مخلوقة ناشئة عن الرحمة التى هى صفة الرحمن فههنا أربعة أمور رحمة هى وصفه سبحانه ، وثواب منفصل هو ناشىء عن رحمته ، وغضب يقوم به سبحانه ، وعقاب منفصل ينشأ عنه فإذا غلبت صفة الرحمة صفة الغضب فلأن يغلب ماكان بالرحمة لما كان بالغضب أولى وأحرى ، فلاتقاوم النار التى نشأت عن الغضب الجنة التى نشأت عن الرحمة

يوضحه الوجه الثامن : أن النار خلقت تخويفاً للمؤمنين وتطهيراً للخاطئين والمجرمين ، فهى طهرة من الخبث الذى اكتسبته النفس فى هذا العالم فإن تطهرت ههنا بالتوبة النصوح والحسنات الماحية والمصائب المكفرة لم يحتج إلى تطهير هناك وقيل لها مع جملة الطيبين سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين . وإن لم تتطهر فى هذه الدار ووافت الدار الأخرى بدونها ونجاستها وخبثها أدخلت النار طهرة لها ويكون مكثها فى النار بحسب زوال ذلك الدرن والخبث والنجاسة التى لايغسلها الماء ، فإذا تطهرت الطهر التام أخرجت من النار والله سبحانه خلق عباده حنفاء وهى فطرة الله التى فطر الناس عليها ، فلو خلوا وفطرهم لما نشؤوا إلا على التوحيد ولكن عرض لأكثر الفطر ما غيرها ، ولهذا كان نصيب النار أكثر من نصيب الجنة وكان هذا التغيير مراتب لا يحصيها إلا الله فأرسل الله رسوله ، وأنزل كتبه يذكر عباده بفطرته التى فطرهم عليها ، فعرف الموفقون الذين سبقت لهم من الله الحسنى صحة ما جاءت

به الرسل ونزلت به الكتب بالفطرة الأولى فتوافق عندهم شرع الله ودينه الذى أرسل به رسله وفطرته التى فطرهم عليها فمنعتهم الشرعة المنزلة والفطرة المكملة ، أن تكتسب نفوسهم خبثاً ونجاسة ودرناً يعلق بها ولا يفارقها ، بل كلما ألم بهم شىء من ذلك ومسهم طائف من الشيطان أغاروا عليه بالشرعة والفطرة فأزالوا موجبه وأثره ، وكمل لهم الرب تعالى ذلك بأقضية يقضيها لهم مما يحبون أو يكرهون ، تمحص عنهم تلك الآثار التى شوشت الفطرة فجاء مقتضى الرحمة فصادف مكاناً قابلا مستعداً لها ليس فيه شىء يدافعه فقال هنا أمرت وليس لله سبحانه غرض . فى تعذيب عباده بغير موجب كما قال تعالى (ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم وكان الله شاكراً عليما)[1] واستمر الأشقياء مع تغيير الفطرة ونقلها مما خلقت عليه إلى ضده حتى استحكم الفساد وتم التغيير ، فاحتاجوا إلى إزالة ذلك إلى تغيير آخر وتطهير ينقلهم إلى الصحة حيث لم تنقلهم آيات الله المتلوة والمخلوقة وأقداره المحبوبة والمكروهة فى هذه الدار ، فأتاح لهم آيات أخر وأقضية ، وعقوبات فوق التى كانت فى الدنيا تستخرج ذلك الخبث والنجاسة التى لا تزول بغير النار ، فإذا زال موجب العذاب وسببه زال العذاب وبقى مقتضى الرحمة لا معارض له ، فإن قيل هذا حق ولكن سبب التعذيب لا يزول إلا إذا كان السبب عارضاً كمعاصى الموحدين ، أما إذا كان لازماً كالكفر والشرك فإن أثره لا يزول كما يزول السبب ، وقد أشار سبحانه إلى هذا المعنى بعينه فى مواضع من كتابه منها : قوله تعالى (ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه) فهذا إخبار بأن نفوسهم وطباءهم لا تقتضى غير الكفر والشرك ، وأنها غير قابلة للايمان أصلا . ومنها قوله تعالى : (ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلا)[2] فأخبر سبحانه أن ضلالهم وعماهم عن الهدى دائم لا يزول حتى مع معاينة الحقائق التى أخبرت بها الرسل ، وإذا كان العمى والضلال لا يفارقهم فإن موجبه وأثره ومقتضاه لا يفارقهم . ومنها : قوله تعالى (ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم ، ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون)(٣) وهذا يدل على أنه

---

(١) سورة النساء آية ١٤٧ .

(٢) سورة الإسراء آية ٧٢ .

(٣) سورة الأنفال آية ٢٣ .

ليس فيهم خير يقتضى الرحمة ولو كان فيهم خير لما ضيع عليهم أثره ، ويدل على أنهم لا خير فيهم هناك أيضاً قوله « أخرجوا من النار من كان في قلبه أدنى مثقال ذرة من خير » ولو كان عند هؤلاء أدنى أدنى مثقال ذرة من خير لخرجوا منها مع الخارجين .

قيل : لعمر الله إن هذا لمن أقوى ما يتمسك به من المسألة ، وإن الأمر لكما قلتم ، وإن العذاب يدوم بدوام موجبه وسببه ، ولا ريب أنهم فى الآخره فى عمى وضلال كما كانوا فى الدنيا وبواطنهم خبيثة كما كانت فى الدنيا ، والعذاب مستمر عليهم دائم ما داموا كذلك : ولكن هل هذا الكفر والتكذيب والخبث أمر ذاتى لهم زواله مستحيل أم هو أمر عارض طارىء على الفطرة قابل للزوال ؟ هذا حرف المسألة وليس بأيديكم ما يدل على استحالة زواله وأنه أمر ذاتى وقد أخبر سبحانه أنه فطر عباده على الحنيفية ، وأن الشياطين اجتالتهم عنها فلم يفطرهم سبحانه على الكفر والتكذيب ، كما فطر الحيوان البهيم على طبيعته وإنما فطرهم على الإقرار بخالقهم ومحبته وتوحيده .

فإذا كان هذا الحق الذى قد فطروا عليه وخلقوا عليه قد أمكن زواله بالكفر والشرك الباطل فإمكان زوال الكفر والشرك الباطل بضده من الحق أولى وأحرى ، ولا ريب أنهم لو ردوا على تلك الحال التى هم عليها لعادوا لما نهوا عنه ولكن من أين لكم أن تلك الحال لا تزول ولا تتبدل بنشأة أخرى ينشئهم فيها تبارك وتعالى إذا أخذت النار مأخذها منهم ، وحصلت الحكمة المطلوبة من عذابهم ، فإن العذاب لم يكن سدى وإنما كان لحكمة مطلوبة . فإذا حصلت تلك الحكمة لم يبق فى التعذيب أمر يطلب ولا غرض يقصد والله سبحانه ليس يشتفى بعذاب عباده كما يشتفى المظلوم من ظالمه وهو لا يعذب عبده لهذا الغرض ، وإنما يعذبه طهرة له ورحمة به فعذابه مصلحة له ، وإن تألم به غاية الألم . كما أن عذابه بالحدود فى الدنيا مصلحة لأربابها .

وقد سمى الله سبحانه الحد عذاباً وقد اقتضت حكمته سبحانه أن جعل لكل

داء دواء يناسبه ، ودواء الداء العضال يكون من أشق الأدوية ، والطبيب الشفيق يكوى المريض بالنار كياً بعد كي ليخرج منه المادة الرديئة الطارئة على الطبيعة المستقيمة وإن رأى قطع العضو أصلح للعليل قطعه وأذاقه أشد الألم. فهذا قضاء الرب وقدره فى إزالة مادة غريبة طرأت على الطبيعة المستقيمة بغير اختيار العبد ، فكيف إذا طرأ على الفطرة السليمة مواد فاسدة باختيار العبد وإرادته ؟

وإذا تأمل اللبيب شرع الرب تعالى وقدره فى الدنيا وثوابه وعقابه فى الآخرة وجد ذلك فى غاية التناسب والتوافق وارتباط ذلك بعضه ببعض فإن مصدر الجميع عن علم تام وحكمة بالغة ورحمة سابغة وهو سبحانه الملك الحق المبين وملكه ملك رحمة وإحسان وعدل .

الوجه التاسع : أن عقوبته للعبد ليست لحاجته إلى عقوبته لا لمنفعة تعود إليه ولا لدفع مضرة وألم يزول عنه بالعقوبة . بل يتعالى عن ذلك ويتنزه كما يتعالى عن سائر العيوب والنقائص ، ولا هى عبث محض خال عن الحكمة والغاية الحميدة فإنه أيضاً يتنزه عن ذلك ويتعالى عنه ، فإما أن يكون من تمام نعيم أوليائه وأحبابه ، وإما أن يكون من مصلحة الأشقياء ومداواتهم ، أو لهذا ولهذا .

وعلى التقادير الثلاث : فالتعذيب أمر مقصود لغيره قصد الوسائل لا قصد الغايات والمراد من الوسيلة إذا حصل على الوجه المطلوب زال حكمها ، ونعيم أوليائه ، ليس متوقفاً فى أصله ولا فى كماله على استمرار عذاب أعدائه ، ودوامه ومصلحة الأشقياء ليست فى الدوام والاستمرار ، وإن كان فى أصل التعذيب مصلحة لهم .

الوجه العاشر : أن رضا الرب تبارك وتعالى ورحمته صفتان ذاتيتان له، فلا منتهى لرضاه بل كما قال أعلم الخلق به : سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته . فإذا كانت رحمته غلبت غضبه فإن رضا نفسه أعلى وأعظم ، فإن رضوانه أكبر من الجنات ونعيمها وكل ما فيها وقد أخبر أهل الجنة أنه يحل عليهم رضوانه فلا يسخط عليهم أبداً . وأما غضبه تبارك وتعالى وسخطه فليس من

صفاته الذاتية التي يستحيل انفكاكه عنها بحيث لم يزل ولا يزال غضبان والناس لهم في صفة الغضب قولان :

أحدهما : أنه من صفاته الفعلية القائمة به كسائر أفعاله .

والثاني : أنه صفة فعل منفصل عنه غير قائم به . وعلى القولين فليس كالحياة والعلم والقدرة التي يستحيل مفارقتها له والعذاب إنما ينشأ من صفة غضبه وماسعرت النار إلا بغضبه ، وقد جاء في أثر مرفوع « إن الله خلق خلقاً من غضبه وأسكنهم بالمشرق وينتقم بهم ممن عصاه » فمخلوقاته سبحانه نوعان نوع مخلوق من الرحمة وبالرحمة . ونوع مخلوق من الغضب وبالغضب . فإنه سبحانه له الكمال المطلق من جميع الوجوه الذي يتنزه عن تقدير خلافه ومنه أنه يرضى ويغضب ويثيب ويعاقب ويعطي ويمنع ويعز ويذل وينتقم ويعفو . بل هذا موجب ملكه الحق وهو حقيقة الملك المقرون بالحكمة والرحمة والحمد . فإذا زال غضبه سبحانه وتبدل برضاه زالت عقوبته وتبدلت برحمته فانقلبت العقوبة رحمة بل لم تزل رحمة وإن تنوعت صفتها وصورتها كما كان عقوبة العصاة رحمة وإخراجهم من النار رحمة ، فتقلبوا في رحمته في الدنيا وتقلبوا فيها في الآخرة ، لكن تلك رحمة يحبونها وتوافق طبائعهم وهذه رحمة يكرهونها وتشق عليهم ، كرحمة الطبيب الذي يبضع لحم المريض ويلقى عليه المكاوي ليستخرج منه المواد الردية الفاسدة .

فإن قيل : هذا اعتبار غير صحيح فإن الطبيب يفعل ذلك بالعليل وهو يحبه وهو راض عنه ولم ينشأ فعله به عن غضبه عليه ولهذا لا يسمى عقوبة ، وأما عذاب هؤلاء فإنه إنما حصل بغضبه سبحانه عليهم وهو عقوبة محضة .

قيل : هذا حق ولكن لا ينافي كونه رحمة بهم ، وإن كان عقوبة لهم وهذا كإقامة الحدود عليهم في الدنيا فإنه عقوبة ورحمة وتخفيف وطهرة ، فالحدود طهرة لأهلها وعقوبة ، وهم لما أغضبوا الرب تعالى وقابلوه بما لا يليق أن يقابل به وعاملوه أقبح المعاملة وكذبوه وكذبوا رسله وجعلوا أقل خلقه وأخبثهم وأمقتهم له نداً

له ، وآلهة معه وآثروا رضاهم على رضاه وطاعتهم على طاعته ، وهو ولى الإنعام عليهم وهو خالقهم ورازقهم ومولاهم ، الحق الذى اشتد مقته لهم وغضبه عليهم وذلك يوجب كماله أسمائه وصفاته التى يستحيل عليه تقدير خلافاتها ويستحيل عليه تخلف آثارها ومقتضاها عنها بل ذلك تعطيل لأحكامها ، كما أن نفيها عنه تعطيل لحقائقها وكلا التعطيلين محال عليه سبحانه .

فالمعطلون نوعان أحدهما : عطل صفاته والثانى عطل أحكامها وموجباتها . وكان هذا العذاب عقوبة لهم من هذا الوجه ودواء لهم من جهة الرحمة السابقة للغضب فاجتمع فيه الأمران ، فإذا زال الغضب بزوال سببه وزالت المادة الفاسدة بتغير الطبيعة المقتضية لها فى الجحيم بمرور الأحقاب عليها ، وحصلت الحكمة التى أوجبت العقوبة عملت الرحمة عملها وطلبت أثرها من غير معارض .

يوضحه :

الوجه الحادى عشر : وهو أن العفو أحب إليه سبحانه من الانتقام ، والرحمة أحب إليه من العقوبة والرضا أحب إليه من الغضب . والفضل أحب إليه من العدل . ولهذا ظهرت آثار هذه المحبة فى شرعه وقدره ويظهر كل الظهور لعباده فى ثوابه وعقابه ، وإذا كان ذلك أحب الأمرين إليه وله خلق الخلق وأنزل الكتب وشرع الشرائع وقدرته سبحانه صالحة لكل شىء لاقصور فيها بوجه ما ، وتلك المواد الرديئة الفاسدة مرض من الأمراض وبيده سبحانه الشفاء التام والأدوية الموافقة لكل داء ، وله القدرة التامة والرحمة البالغة والغنى المطلق ، وبالعبد أعظم حاجة إلى من يداوى علته التى بلغت به غاية الضرر والمشقة ، وقد عرف العبد أنه عليل وأن دوائه بيد الغنى الحميد ، فتضرع إليه ودخل به عليه واستكان له وانكسر قلبه بين يديه وذل لعزته وعرف أن الحمد كله له ، وأن الخلق كله له وأنه هو الظلوم الجهول وأن ربه تبارك وتعالى عامله بكل عدله لابمحض عدله ، وأن له غاية الحمد فيما فعل به ، وأن حمده هو الذى أقامه فى هذا المقام وأوصله إليه وأنه لاخير عنده من نفسه بوجه من الوجوه ، بل ذلك محض فضل الله وصدقة عليه وأنه لانجاة

له مما هو فيه إلا بمجرد العفو والتجاوز عن حقه فنفسه أولى بكل ذم وعيب ونقص، وربه تعالى أولى بكل حمد وكمال ومدح .

فلو أن أهل الجحيم شهدوا نعمته سبحانه ورحمته وكماله وحمده الذى أوجب لهم ذلك فطلبوا مرضاته ولو بدوامهم فى تلك الحال . وقالوا إن كان ما نحن فيه رضاك فرضاك الذى نريد ، وما أوصلنا إلى هذه الحال إلا طلب مالا يرضيك فأما إذا أرضاك ، هذا منا فرضاك غاية مانقصده (وما لجرح إذا أرضاك من ألم) وأنت أرحم بنا من أنفسنا وأعلم بمصالحنا ولك الحمد كله ، عاقبت أو عفوت ، لانقلبت النار عليهم برداً وسلاماً .

وقد روى الإمام أحمد فى مسنده من حديث الأسود بن سريع أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « يأتى أربعة يوم القيامة رجل أصم لا يسمع شيئاً ، ورجل أحمق ، ورجل هرم ، ورجل مات فى فترة ، فأما الأصم فيقول : رب لقد جاء الإسلام وما أسمع شيئاً . وأما الأحمق فيقول : رب لقد جاء الإسلام والصبيان يحذفونى بالبعر . وأما الهرم فيقول : ربى لقد جاء الإسلام وما أعقل شيئاً ، وأما الذى مات فى الفترة فيقول : رب ما أتانى لك من رسول ، فيأخذ مواثيقهم ليطيعنه فيرسل إليهم أن ادخلوا النار ، قال فوالذى نفس محمد بيده لو دخلوها لكانت عليهم برداً وسلاماً » .

وفى المسند أيضاً : من حديث قتادة عن الحسن عن أبى رافع عن أبى هريرة مثله وقال : « فمن دخلها كانت عليه برداً وسلاماً ومن لم يدخلها يسحب إليها » فهؤلاء لما رضوا بتعذيبهم وبادروا إليه لما علموا أن فيه رضى ربهم وموافقة أمره ومحبته انقلب فى حقهم نعيما .

ومثل هذا ، ما رواه عبد الله بن المبارك حدثنى رشدين قال حدثنى ابن أنعم عن أبى عثمان أنه حدثه عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن رجلين ممن دخلا النار يشتد صياحهما . فقال الرب جل جلاله :

أخرجوهما فإذا أخرجا فقال لهما : لأى شيء اشتد صياحكما ؟ قالا : فعلنا ذلك لترحمنا ، قال : رحمتى لكما أن تنطلقا فتلقيا أنفسكما حيث كنتما من النار. قال: فينطلقان فيلقى أحدهما نفسه فيجعلها الله سبحانه عليه برداً وسلاماً ، ويقوم الآخر فلا يلقى فيقول له الرب : ما منعك أن تلقى نفسك كما ألقى صاحبك ؟ فيقول رب إنى أرجوك أن لا تعيدنى فيها بعد ما أخرجتنى منها ، فيقول الرب تعالى لك رجاؤك فيدخلان الجنة جميعاً برحمة الله » .

وذكر الأوزاعى عن بلال بن سعد قال : « يؤمر بإخراج رجلين من النار فإذا أخرجا ووقفا قال الله لهما كيف وجدتما مقيلكما وسوء مصيركما ؟ فيقولان : شر مقيل ، وأسوأ مصير ، صار إليه العباد ، فيقول لهما : بما قدمت أيديكما وما أنا بظلام للعبيد ، قال : فيؤمر بصرفهما إلى النار ، فأما أحدهما فيغدو فى أغلاله وسلاسله حتى يقتحمها. وأما الآخر فيتلكأ فيؤمر بردهما فيقول للذى غدا فى أغلاله وسلاسله حتى اقتحمها : ما حملك على ما صنعت وقد خرجت منها ؟ فيقول إنى خبرت من وبال معصيتك ما لم أكن أتعرض لسخطك ثانياً . ويقول للذى تلكأ ما حملك على ما صنعت ؟ فيقول : حسن ظنى بك حين أخرجتنى منها أن لا تردنى إليها، فيرحمهما جميعاً ويأمر بهما إلى الجنة » .

الوجه الثانى عشر : أن النعيم والثواب من مقتضى رحمته ومغفرته وبره وكرمه ولذلك يضيف ذلك إلى نفسه . وأما العذاب والعقوبة فإنما هو من مخلوقاته ، ولذلك يسمى بالمعاقب والمعذب بل يفرق بينهما فيجعل ذلك من أوصافه وهذا من مفعولاته حتى فى الآية الواحدة كقوله تعالى : (نبىء عبادى أنى أنا الغفور الرحيم . وأن عذابى هو العذاب الأليم)(١) وقال تعالى : (اعلموا أن الله شديد العقاب ، وأن الله غفور رحيم)(٢) وقال تعالى : (إن ربك لسريع العقاب وإنه لغفور رحيم)(٣)

---

(١) سورة الحجر الآيتان ٤٩ و ٥٠ .
(٢) سورة المائدة آية ٩٨ .
(٣) سورة الأعراف آية ٦٧ .

ومثلها فى آخر الأنعام ، فما كان من مقتضى أسمائه وصفاته فإنه يدوم بدوامها ولاسيما إذا كان محبوباً له وهو غاية مطلوبة فى نفسها. وأما الشر الذى هو العذاب فلا يدخل فى أسمائه وصفاته، وإن دخل فى مفعولاته لحكمه إذا حصلت زال وفنى بخلاف الخير، فإنه سبحانه دائم المعروف لاينقطع معروفه أبداً وهو قديم الإحسان أبدى الإحسان، فلم يزل ولا يزال محسناً على الدوام . وليس من موجب أسمائه وصفاته أنه لايزال معاقباً على الدوام غضبان على الدوام منتقماً على الدوام ، فتأمل هذا الوجه تأمل فقيه فى باب أسمـاء الله وصفاته ، يفتح لك باباً من أبواب معرفته ومحبته يوضحه :

الوجه الثالث عشر : وهو قول أعلم خلقه به ، وأعرفهم بأسمائه وصفاته « والشر ليس إليك » ولم يقف على المعنى المقصود من قال الشر لا يتقرب به إليك ، بل الشر لا يضاف إليه سبحانه بوجه لا فى ذاته ولا فى صفاته ولا فى أفعاله ولا فى أسمائه، فإن ذاته لها الكمال المطلق من جميع الوجوه ، وصفاته كلها صفات كمال يحمد عليها ويثنى عليه بها، وأفعاله كلها خير ورحمة وعدل، وحكمه لاشر فيها بوجه ما ، وأسماؤه كلها حسنى ، فكيف يضاف الشر إليه بل الشر فى مفعولاته ومخلوقاته وهو منفصل عنه ، إذ فعله غير مفعوله ففعله خير كله ، وأما المخلوق المفعول ففيه الخير والشر .

وإذا كان الشر مخلوقاً منفصلا غير قائم بالرب سبحانه فهو لايضاف إليه وهو صلى الله عليه وسلم لم يقل : أنت لا تخلق الشر حتى يطلب تأويل قوله ، وإنما نفى إضافته إليه وصفاً وفعلا وأسماء ، وإذا عرف هذا فالشر ليس إلا الذنوب وموجباتها .

وأما الخير فهو الإيمان والطاعات وموجباتها ، والإيمان والطاعات متعلقة به سبحانه ، ولأجلها خلق خلقه وأرسل رسله وأنزل كتبه ، وهى ثناء على الرب وإجلاله وتعظيمه وعبوديته ، وهذه لهـا آثار تطلبها وتقتضيها فتدوم آثارها بدوام متعلقها .

وأما الشرور فليست مقصودة لذاتها . ولا هي الغاية التي خلق لها الخلق فهي مفعولات قدرت لأمر محبوب وجعلت وسيلة إليه فإذا حصل ما قدرت له اضمحلت وتلاشت وعاد الأمر إلى الخير المحض .

الوجه الرابع عشر : أنه سبحانه قد أخبر أن رحمته وسعت كل شيء . فليس شيء من الأشياء إلاوفيه رحمته ولاينافي هذا أن يرحم العبد بمايشق عليه ويؤلمه وتشتد كراهته له فإن ذلك من رحمته أيضاً كما تقدم .

وقد ذكرنا حديث أبي هريرة آنفا وقوله تعالى لذينك الرجلين : رحمتي لكما أن تنطلقا فتلقيا أنفسكما حيث كنتما من النار . وقد جاء في بعض الآثار أن العبد إذا دعا لمبتلى قد اشتد بلاؤه وقال : اللهم ارحمه : يقول الرب تبارك وتعالى : كيف أرحمه من شيء به أرحمه . فالابتلاء رحمة منه لعباده « وفي أثر إلهي » يقول الله تعالى : « أهل ذكرى أهل مجالستي . وأهل طاعتي أهل كرامتي ، وأهل شكري أهل زيادتي ، وأهل معصيتي لاأقنطهم من رحمتي إن تابوا فأنا حبيبهم وإن لم يتوبوا فأنا طبيبهم أبتليهم بالمصايب لأطهرهم من المعايب » : فالبلاء والعقوبة أدوية قدرت لإزالة أدواء لاتزول إلا بها والنار هي الدواء الأكبر فمن تداوى في الدنيا أغناه ذلك عن الدواء في الآخرة ، وإلا فلا بدله من الدواء بحسب دائه ومن عرف الرب تبارك وتعالى بصفات جلاله ونعوت كماله من حكمته ورحمته وبره وإحسانه وغناه وجوده وتحببه إلى عباده وإرادة الإنعام عليهم وسبق رحمته لهم لم يبادر إلى إنكار ذلك إن لم يبادر إلى قبوله .

يوضحه الوجه الخامس عشر : أن أفعاله سبحانه لاتخرج عن الحكمة والرحمة والمصلحة والعدل ، فلا يفعل عبثاً ولا جوراً ولا باطلا بل هو المنزه عن ذلك كما ينزه عن سائر العيوب والنقائص . وإذا ثبت ذلك فتعذيبهم إن كان رحمة بهم حتى يزول ذلك الخبث وتكمل الطهارة فظاهر ، وإن كان لحكمة فإذا حصلت تلك الحكمة المطلوبة زال العذاب وليس في الحكمة دوام العذاب أبدالآباد بحيث يكون دائماً بدوام الرب تبارك وتعالى ، وإن كان لمصلحة فإن كان يرجع إليهم ، فليست مصلحتهم

في بقائهم في العذاب كذلك ، وإن كانت المصلحة تعود إلى أوليائه فإن ذلك أكمل في نعيمهم فهذا لا يقتضى تأبيد العذاب وليس نعيم أوليائه وكماله موقوفاً ، على بقاء آبائهم وأبنائهم وأزواجهم فى العذاب السرمد .

فإن قلتم : إن ذلك هوموجب الرحمة والحكمة والمصلحة قلتم مالا يعقل ، وإن قلتم إن ذلك عائد إلى محض المشيئة ولا تطلب له حكمة ولا غاية فجوابه من وجهين .

أحدهما : أن ذلك محال على أحكم الحاكمين وأعلم العالمين أن تكون أفعاله معطلة عن الحكم والمصالح والغايات المحمودة والقرآن والسنة وأدلة العقول والفطر والآيات المشهودة شاهدة ببطلان ذلك .

والثانى : أنه لو كان الأمر كذلك لكان إبقاؤهم فى العذاب وانقطاعه عنهم بالنسبة إلى مشيئته سواء ولم يكن فى انقضائه ما ينافى كماله وهو سبحانه لم يخبر بأبدية العذاب وأنه لا نهاية له .

وغاية الأمر على هذا التقدير : أن يكون من الجائزات الممكنات الموقوف حكمها على خبر الصادق .

فإن سلكت طريق التعليل بالحكمة والرحمة والمصلحة لم يقتض الدوام ، وإن سلكت طريق المشيئة المحضة التى لا تعلل لم تقتضه أيضاً .

وإن وقف الأمر على مجرد السمع فليس فيه ما يقتضيه .

الوجه السادس عشر : أن رحمته سبحانه سبقت غضبه فى المعذبين فإنه أنشأهم فى رحمته ، ورباهم برحمته ورزقهم وعافاهم برحمته وأرسل إليهم الرسل برحمته وأسباب النقمة والعذاب متأخرة عن أسباب الرحمة طارئة عليها فرحمته سبقت غضبه فيهم وخلقهم على خلقه ، تكون رحمته إليهم أقرب من غضبه وعقوبته

ولهذا ترى أطفال الكفار قد ألقى عليهم رحمته فمن رآهم رحمهم ، ولهذا نهى

عن قتلهم فرحمته سبقت غضبه فيهم ، فكانت هي السابقة إليهم فني كل حال هم في رحمته في حال معافاتهم وابتلائهم .

وإذا كانت الرحمة هي السابقة فيهم لم يبطل أثرها بالكلية وإن عارضها أثر الغضب والسخط فذلك لسبب منهم ، وما أثر الرحمة فسببه منه سبحانه فما منه يقتضي رحمتهم . وما منهم يقتضي عقوبتهم والذي منه سابق وغالب، وإذا كانت رحمته تغلب غضبه فلأن يغلب أثر الرحمة أثر الغضب أولى وأحرى .

الوجه السابع عشر : أنه سبحانه يخبر عن العذاب أنه عذاب يوم عقيم وعذاب يوم عظيم ، وعذاب يوم أليم، ولا يخبر عن النعيم أنه نعيم يوم ولا في موضع واحد.

وقد ثبت في الصحيح: تقدير يوم القيامة بخمسين ألف سنة والمعذبون متفاوتون في مدة لبثهم في العذاب بحسب جرائمهم ، والله سبحانه جعل العذاب على ما كان من الدنيا وأسبابها ، وما أريد به الدنيا ولم يرد به الله فالعذاب على ذلك .

وأما ما كان للآخرة وأريد به وجه الله فلا عذاب عليه ، والدنيا قد جعل لها أجل تنتهي إليه فما انتقل منها إلى تلك الدار مما ليس لله فهو المعذب به .

وأما ما أريد به وجه الله والدار الآخرة فقد أريد به ما لا يفنى ولا يزول ، فيدوم بدوام المراد به ، فإن الغاية المطلوبة إذا كانت دائمة لا تزول لم يزل ما تعلق بها بخلاف الغاية المضمحلة الفانية ، فما أريد به غير الله يضمحل ويزول بزوال مراده . ومطلوبه وما أريد به وجه الله يبقى ببقاء المطلوب المراد فإذا اضمحلت الدنيا وانقطعت أسبابها وانتقل ما كان فيها لغير الله من الأعمال والذوات وانقلب عذاباً وآلاماً لم يكن له متعلق يدوم بدوامه بخلاف النعيم .

الوجه الثامن عشر : أنه ليس في حكمة أحكم الحاكمين أن يخلق خلقاً يعذبهم أبد الآباد عذاباً سرمداً لا نهاية له ولا انقطاع أبداً ، وقد دلت الأدلة السمعية والعقلية والفطرية على أنه سبحانه حكيم، وأنه أحكم الحاكمين فإذا عذب خلقه عذبهم

بحكمة كما يوجب التعذيب والعقوبة فى الدنيا فى شرعه وقدره ، فإن فيه من الحكم والمصالح وتطهير العبد ومداواته وإخراج المواد الردية عنه بتلك الآلام ما تشهده العقول الصحيحة ، وفى ذلك من تزكية النفوس وصلاحها وزجرها وردع نظائرها وتوقيفها على فقرها وضرورتها إلى ربها وغير ذلك من الحكم والغايات الحيدة ما لا يعلمه إلا الله .

ولا ريب أن الجنة طيبة لايدخلها إلاطيب ولهذا يحاسبون إذا قطعوا الصراط على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم فى الدنيا حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم فى دخول الجنة .

ومعلوم أن النفوس الشريرة الخبيثة المظلمة التى لو ردت إلى الدنيا قبل العذاب لعادت لما نهيت عنه ، لا يصلح أن تسكن دار السلام فى جوار رب العالمين ، فإذا عذبوا بالنار عذاباً تخلص نفوسهم من ذلك الخبث والوسخ والدرن ، كان ذلك من حكمة أحكم الحاكمين ورحمته ولا ينافى الحكمة خلق نفوس فيها شر يزول بالبلاء الطويل والنار ، كما يزول بها خبث الذهب والفضة والحديد فهذا معقول فى الحكمة وهو من لوازم العالم المخلوق على هذه الصفة .

أما خلق نفوس لا يزول شرها أبداً وعذابها لا انتهاء له ، فلا يظهر فى الحكمة والرحمة ، وفى وجود مثل هذا النوع نزاع بين العقلاء أعنى ذواتاً ، هى شر من كل وجه ليس فيها شىء من خير أصلا .

وعلى تقدير دخوله فى الوجود ، فالرب تبارك وتعالى قادر على قلب الأعيان وإحالتها وإحالة صفاتها .

فإذا وجدت الحكمة المطلوبة من خلق هذه النفوس والحكمة المطلوبة من تعذيبها ، فالله سبحانه قادر أن ينشئها نشأة أخرى غير تلك النشأة ، ويرحمها فى النشأة الثانية نوعاً آخر من الرحمة .

يوضحه الوجه التاسع عشر : وهو أنه قد ثبت أن الله سبحانه ينشئ للجنة خلقاً آخر ، يسكنهم إياها ، ولم يعملوا خيراً تكون الجنة جزاء لهم عليه ، فإذا أخذ العذاب من هذه النفوس مأخذه وبلغت العقوبة مبلغها فانكسرت تلك النفوس وخضعت وذلت واعترفت لربها وفاطرها بالحمد ، وأنه عدل فيها كل العدل ، وأنها في هذه الحال كانت في تخفيف منه ولو شاء أن يكون عذابهم أشد من ذلك لفعل .

وشاء كتب العقوبة طلباً لموافقة رضاه ومحبته وعلم أن العذاب أولى بها وأنه لا يليق بها سواه ولا تصلح إلا له فذابت منها تلك الخبائث كلها وتلاشت ، وتبدلت بذل وانكسار وحمد وثناء على الرب تبارك وتعالى ، ولم يكن في حكمته أن يستمر بها في العذاب بعد ذلك ، إذ قد تبدل شرها بخيرها ، وشركها بتوحيدها وكبرها بخضوعها وذلها .

ولا ينتقض هذا بقوله عز وجل (ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه) فإن هذا قبل مباشرة العذاب الذي يزيل تلك الخبائث ، وإنما هو عند المعاينة قبل الدخول فإنه سبحانه قال (ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين ، بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون)(١) .

فهذا إنما قالوه قبل أن يستخرج العذاب منهم تلك الخبائث ، فأما إذا لبثوا في العذاب أحقاباً ، والحقب كما رواه الطبراني في معجمه من حديث أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «الحقب خمسون ألف سنة» فإنه من الممتنع أن يبقى ذلك الكبر والشرك والخبث بعد هذه المدد المتطاولة في العذاب .

الوجه العشرون : أنه قد ثبت في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري في

---

(١) سورة الأنعام الآيتان ٢٧ و ٢٨

حديث الشفاعة « فيقول الله عز وجل شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين ، فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط قد عادوا حمما فيلقيهم فى نهر فى أفواه الجنة ، يقال له نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحبة فى حميل السيل .

فيقول أهل الجنة : هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه » .

فهؤلاء أحرقتهم النار جميعهم فلم يبق في بدن أحدهم موضع لم تمسه النار ، بحيث صاروا حمما ، وهو الفحم المحترق بالنار . وظاهر السياق أنه لم يكن فى قلوبهم مثقال ذرة من خير فأخرجوه ، فيخرجون خلقاً كثيراً ثم يقولون ربنا لم نذر فيها خيراً ، فيقول الله عز وجل : شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض الله قبضة من النار فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط » .

فهذا السياق يدل على أن هؤلاء لم يكن فى قلوبهم مثقال ذرة من خير ، ومع هذا فأخرجتهم الرحمة . ومن هذا رحمته سبحانه للذى أوصى أهله أن يحرقوه بالنار ويذروه فى البر والبحر زعماً منه بأنه يفوت الله سبحانه ، فهذا قد شك فى المعاد القدرة ولم يعمل خيراً قط .

ومع هذا فقال له : ما حملك على ما صنعت ؟ قال : خشيتك وأنت أعلم ، فما تلافاه أن رحمه الله فلله سبحانه فى خلقه حكم لاتبلغه عقول البشر .

وقد ثبت فى حديث أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يقول الله عز وجل : أخرجوا من النار من ذكرنى يوماً أو خافنى فى مقام » قالوا : ومن ذا الذى فى مدة عمره كلها من أولها إلى آخرها لم يذكر ربه يوماً واحداً ولا خافه ساعة واحدة ، ولا ريب أن رحمته سبحانه إذا أخرجت من

النار من ذكره وقتاً أو خافه فى مقام ما ، فغير بدع أن تفى النار ولكن هؤلاء يخرجوا منها وهى نار .

الوجه الحادى والعشرون : إن اعتراف العبد بذنبه حقيقة الاعتراف المتضمن لنسبة السوء والظلم واللوم إليه من كل وجه ونسبة العدل والحمد والرحمة والكمال المطلق إلى ربه من كل وجه ، يستعطف ربه تبارك وتعالى عليه ، ويستدعى رحمته له .

وإذا أراد أن يرحم عبده ألقى ذلك فى قلبه والرحمة معه ، ولا سيما إذا اقترن بذلك جزم العبد على ترك المعاودة لما يسخط ربه عليه ، وعلم الله أن ذلك داخل قلبه وسويدائه ، فإنه لا تتخلف عنه الرحمة مع ذلك .

وفى معجم الطبرانى من حديث يزيد بن سنان الرهاوى عن سليمان بن عامر عن أبى إمامة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن آخر رجل يدخل الجنة رجل يتقلب على الصراط ظهراً لبطن ، كالغلام يضربه أبوه وهو يفر منه ، يعجز عنه عمله أن يسعى فيقول : يارب بلغ بى الجنة ونجنى من النار ، فيوحى الله تبارك وتعالى إليه : عبدى إن أنا نجيتك من النار وأدخلتك الجنة أتعترف لى بذنوبك وخطاياك ؟ فيقول العبد : نعم يارب ، وعزتك وجلالك إن نجيتنى من النار لأعترفن لك بذنوبى وخطاياى فيجوز الجسر ، ويقول العبد فيما بينه وبين نفسه : لئن اعترفت له بذنوبى وخطاياى ليردنى إلى النار ، فيوحى الله إليه : عبدى اعترف لى بذنوبك وخطاياك أغفرها لك وأدخلك الجنة فيقول العبد : لا وعزتك وجلالك ، ما أذنبت ذنباً قط ولا أخطأت خطيئة قط فيوحى الله إليه: عبدى إن لى عليك بينة ، فيلتفت العبد يميناً وشمالا فلا يرى أحداً ، فيقول : يارب أرنى بينتك فيستنطق الله تعالى جلده بالمحقرات، فإذا رأى ذلك العبد فيقول : يارب عندى وعزتك العظائم فيوحى الله إليه عبدى أنا أعرف بها منك اعترف لى بها أغفرها لك وأدخلك الجنة فيعترف العبد بذنوبه فيدخل الجنة ، ثم ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه يقول : هذا أدنى أهل الجنة منزلة فكيف بالذى فوقه ؟ » .

فالرب تعالى يريد من عبده الاعتراف والانكسار بين يديه والخضوع والذلة له والعزم على مرضاته ، فما دام أهل النار فاقدين لهذا الروح فهم فاقدون لروح الرحمة ، فإذا أراد عز وجل أن يرحمهم أو من يشاء منهم جعل فى قلبه ذلك فتدركه الرحمة ، وقدرة الرب تبارك وتعالى غير قاصرة عن ذلك ، وليس فيه مما يناقض موجب أسمائه وصفاته ، وقد أخبر أنه فعال لما يريد .

الوجه الثانى والعشرون : أنه سبحانه قد أوجب الخلود على معاصى من الكبائر وقيده بالتأبيد ولم يناف ذلك انقطاعه وانتهاءه : فمنها : قوله تعالى : ﴿ ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيما ﴾(١) .

ومنها : قول النبى صلى الله عليه وسلم : « من قتل نفسه بحديدة فحديدته فى يده يتوجأ بها فى نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً » وهو حديث صحيح .

وكذلك قوله فى الحديث الآخر فى قاتل نفسه « فيقول الله تبارك وتعالى بادرنى عبدى بنفسه حرمت عليه الجنة » وأبلغ من هذا قوله تعالى (ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبدا)(٢) فهذا وعيد مقيد بالخلود والتأبيد ، مع انقطاعه قطعاً بسبب من العبد وهو التوحيد ، فكذلك الوعيد العام لأهل النار لا يمتنع انقطاعه ، بسبب ممن كتب على نفسه الرحمة وغلبت رحمته غضبه ، فلو يعلم الكافر بكل ما عنده من الرحمة لما يئس من رحمته كما فى صحيح البخارى عنه صلى الله عليه وسلم : « خلق الله الرحمة يوم خلقها مائة رحمة ، وقال فى آخره فلو يعلم الكافر بكل الذى عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنة ، ولو يعلم المسلم بكل الذى عند الله من العذاب لم يأمن من النار » .

الوجه الثالث والعشرون : أنه لو جاء الخبر منه سبحانه صريحاً بأن عذاب

---

(١) سورة النساء آية ٩٣ .

(٢) سورة الجن آية ٢٣ .

النار لا انتهاء له ، وأنه أبدى لا انقطاع له ، لكان ذلك وعيداً منه سبحانه والله تعالى لا يخلف وعده ، وأما الوعيد فمذهب أهل السنة كلهم أن أخلافه كرم وعفو وتجاوز يمدح الرب تبارك وتعالى به ، ويثنى عليه به فإنه حق له إن شاء تركه ، وإن شاء استوفاه والكريم ، لايستوفى حقه فكيف بأكرم الأكرمين ؟ !

وقد صرح سبحانه فى كتابه فى غير موضع بأنه لا يخلف وعده ، ولم يقل فى موضع واحد لايخلف وعيده .

وقد روى أبو يعلى الموصلى ثنا هدبة بن خالد ثنا سهيل بن أبى حزم ثنا ثابت البنانى عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من وعده الله على عمل ثواباً فهو منجزه ، ومن أوعده على عمل عقاباً فهو فيه بالخيار » .

وقال أبو الشيخ الاصبهانى حدثنا محمد بن حمزة حدثنا أحمد بن الخليل حدثنا الأصمعى قال : « جاء عمرو بن عبيد إلى أبى عمرو بن العلاء فقال : ياأبا عمرو ، يخلف الله ما وعده ؟ قال : لا ، قال أفرأيت من أوعده الله على عمله عقاباً أيخلف الله وعده عليه ؟ ، فقال أبو عمرو بن العلاء من العجمة أتيت يا أبا عثمان إن الوعد غير الوعيد إن العرب لا تعد عاراً ولا خلفاً أن تعد شراً ، ثم لاتفعله ترى ذلك كرماً وفضلا ، وإنما الخلف أن تعد خيراً ثم لا تفعله ، قال : فأوجدنى هذا فى كلام العرب ، قال : نعم ، أما سمعت إلى قول الأول :

ولا يرهب ابن العم ما عشت سطوتى ولا أختشى من صولة المتهدد

وإنى وإن أوعدته أو وعدته لمخلف إيعادى ومنجز موعدى

قال أبو الشيخ وقال يحي بن معاذ : الوعد والوعيد حق ، فالوعد حق العباد على الله ضمن لهم إذا فعلوا كذا أن يعطيهم كذا ، ومن أولى بالوفاء من الله ، والوعيد حقه على العباد قال : لاتفعلوا كذا فأعذبكم ، ففعلوا فإن شاء عفا ، وإن

شاء أخذ لأنه حقه وأولاهما بربنا تبارك وتعالى ، العفو والكرم أنه غفور رحيم ، ومما يدل على ذلك ويؤيده خبر كعب بن زهير حين أوعده رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

نبئت أن رسول الله أوعدنى   والعفو عند رسول الله مأمول

فإذا كان هذا فى وعيد مطلق ، فكيف بوعيد مقرون ، باستثناء معقب بقوله (إن ربك فعال لما يريد) وهذا إخبار منه أن يفعل ما يريد عقيب قوله إلا ماشاء ربك فهو عائد إليه ولابد ، ولا يجوز أن يرجع إلى المستثنى منه وحده ، بل إما أن يختص بالمستثنى أو يعود إليهما وغير خاف أن تعلقه بقوله (إلا ماشاء ربك) أولى من تعلقه بقوله (خالدين فيها) وذلك ظاهر للمتأمل وهو الذى فهمه الصحابة ، فقالوا : أتت هذه الآية على كل وعيد فى القرآن ، ولم يريدوا بذلك الاستثناء وحده ، فإن الاستثناء مذكور فى الأنعام أيضاً ، وإنما أرادوا أنه عقب الاستثناء بقوله (إن ربك فعال لما يريد) وهذا التعقيب نظير قوله فى الأنعام (خالدين فيها إلا ماشاء الله إن ربك حكيم عليم) فأخبر أن عذابهم فى جميع الأوقات ورفعه عنهم فى وقت يشاؤه صادر عن كمال علمه وحكمته لا عن مشيئة مجردة عن الحكمة والمصلحة والرحمة والعدل ، إذ يستحيل تجرد مشيئته عن ذلك .

الوجه الرابع والعشرون : أن جانب الرحمة أغلب فى هذه الدار الباطلة الفانية الزائلة عن قرب من جانب العقوبة والغضب ولولا ذلك لما عمرت ولا قام لها وجود ، كما قال تعالى (ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة)[١] . وقال : (ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة)[٢] فلولا سعة رحمته ومغفرته وعفوه لما قام العالم ، ومع هذا فالذى أظهره من الرحمة فى هذه الدار ، وأنزله بين الخلائق جزء من مائة جزء من الرحمة ، فإذا كان جانب الرحمة قد

---

(١) سورة النحل آية ٦١ .

(٢) سورة فاطر آية ٤٥ .

غاب فى هذه الدار ونالت البر والفاجر والمؤمن والكافر ، مع قيام مقتضى العقوبة به ومباشرته له وتمكنه من إغضاب ربه والسعى فى مساخطته ، فكيف لا يغلب جانب الرحمة فى دار تكون الرحمة فيها مضاعفة ، على ما فى هذه الدار تسعاً وتسعين ضعفاً ، وقد أخذ العذاب من الكفار مأخذه . وانكسرت تلك النفوس وأنهكها العذاب وأذاب منها خبثاً وشراً لم يكن يحول بينها وبين رحمته لها فى الدنيا ، بل كان يرحمها مع قيام مقتضى العقوبة والغضب بها فكيف إذا زال مقتضى الغضب والعقوبة ، وقوى جانب الرحمة أضعاف أضعاف الرحمة فى هذه الدار واضمحل الشر والخبث الذى فيها فأذابته النار وأكلته .

وسر الأمر أن أسماء الرحمة والإحسان أغلب وأظهر ، وأكثر من أسماء الانتقام ، وفعل الرحمة أكثر من فعل الانتقام وظهور آثار الرحمة أعظم من ظهور آثار الانتقام ، والرحمة أحب إليه من الانتقام ، وبالرحمة خلق خلقه ولها خلقهم ، وهى التى سبقت غضبه وغلبته وكتبها على نفسه ، ووسعت كل شىء ، وما خلق بها فمطلوب لذاته ، وما خلق بالغضب فمراد لغيره ، كما تقدم تقرير ذلك والعقوبة تأديب وتطهير . والرحمة إحسان وكرم وجود والعقوبة مداواة ، والرحمة عطاء وبذل .

الوجه الخامس والعشرون : أنه سبحانه لابد أن يظهر لخلقه جميعهم يوم القيامة صدقه وصدق رسله ، وأن أعداءه كانوا هم الكاذبين المفترين ، ويظهر لهم حكمه الذى هو أعدل حكم فى أعدائه وأنه حكم فيهم حكما يحمدونه هم عليه فضلا عن أوليائه وملائكته ورسله بحيث ينطق الكون كله بالحمد لله رب العالمين. ولذلك قال تعالى : (وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين)(١) فحذف فاعل القول لإرادة الإطلاق وأن ذلك جار على لسان كل ناطق وقلبه . قال الحسن لقد دخلوا النار ، وأن قلوبهم لممتلئة من حمده ما وجدوا عليه سبيلا . وهذا هو الذى

---

(١) سورة الزمر آية ٧٥ .

حسن حذف الفاعل من قوله (قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها)[١] حتى كان الكون جميعه قائل ذلك لهم إذ هو حكمه العدل فيهم ومقتضى حكمته وحمده .

وأما أهل الجنة فقال تعالى (وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين)[٢] فهم لم يستحقوها بأعمالهم وإنما استحقوها بعفوه ورحمته وفضله ، فإذا أشهد سبحانه ملائكته وخلقه كلهم حكمه العدل وحكمته الباهرة .

ووضعه العقوبة حيث تشهد العقول والفطر والخليقة أنه أولى المواضع وأحقها بها ، وأن ذلك من كمال حمده الذى هو مقتضى أسمائه وصفاته وأن هذه النفوس الخبيثة الظالمة الفاجرة ، لا يليق بها غير ذلك ولا يحسن بها سواه ، بحيث تعترف هى من ذواتها بأنها أهل ذلك وأنها أولى به حصلت الحكمة التى لأجلها ، وجد الشر وموجباته فى هذه الدار وتلك الدار .

وليس فى الحكمة الإلهية أن الشرور تبقى دائماً لا نهاية لها ولا انقطاع أبداً ، فتكون هى والخيرات فى ذلك على حد سواء ، فهذا نهاية أقدام الفريقين فى هذه المسألة ، ولعلك لا تظفر به فى غير هذا الكتاب .

فإن قيل : فإلى أين انتهى قدمكم فى هذه المسألة العظيمة الشأن ، التى هى أكبر من الدنيا بأضعاف مضاعفة ؟

قيل : إلى قوله تبارك وتعالى : (إن ربك فعال لما يريد)[٣] إلى هذا انتهى قدم أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه فيها حيث ذكر دخول أهل الجنة

---

(١) سورة الزمر آية ٧٢ .

(٢) سورة الزمر آية ٧٣ .

(٣) سورة هود آية ١٠٧ .

الجنة ، وأهل النار النار ، وما يلقاه هؤلاء وهؤلاء ، وقال : ثم يفعل الله بعد ذلك مايشاء .

بل وإلى ههنا انتهت أقدام الخلائق وما ذكرنا فى هذه المسألة بل فى الكتاب كله من صواب فمن الله سبحانه ، وهو المنان به وما كان من خطإ فمنى ، ومن الشيطان والله ورسوله برىء منه ، وهو عند لسان كل قائل وقلبه وقصده ، والله أعلم .

الباب الثامن والستون

فى ذكر آخر أهل الجنة دخولا إليها

فى الصحيحين من حديث منصور عن إبراهيم عن عبيدة عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، « إنى لأعلم آخر أهل النار خروجاً منها ، وآخر أهل الجنة دخولا الجنة ، رجل يخرج من النار حبوا ، فيقول الله له : اذهب فادخل الجنة ، فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى فيرجع فيقول : يا رب وجدتها ملأى ، فيقول الله له : اذهب فادخل الجنة ، فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها ، أو إن لك عشرة أمثال الدنيا ، قال : فيقول أتسخر بى وتضحك بى وأنت الملك ؟ قال : لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك حتى بدت نواجذه قال : فكان يقول ذلك أدنى أهل الجنة منزلة » .

وفى صحيح مسلم من حديث الأعمش عن المعرور بن سويد عن أبى ذر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنى لأعلم آخر أهل الجنة دخولا الجنة وآخر أهل النار خروجاً منها ، رجل يؤتى به يوم القيامة فيقال : أعرضوا عليه صغار ذنوبه وارفعوا عنه كبارها ، فيعرض عليه صغار ذنوبه ، فيقال : عملت يوم كذا وكذا وكذا ، وعملت يوم كذا وكذا كذا وكذا ، فيقول : نعم ، لا يستطيع أن ينكر وهو مشفق من كبار ذنوبه أن تعرض عليه فيقال له : فإن لك مكان كل سيئة حسنة ، فيقول : رب قد عملت أشياء لا أراها ههنا ، فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه » .

وقال الطبرانى حدثنا عبدالله بن سعد بن يحيى الرقى ، حدثنا أبو فروة يزيد ابن محمد بن سنان الرهاوى قال حدثنى أبى عن أبيه قال حدثنى أبو يحيى الكلاعى عن أبى أمامة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن آخر

رجل يدخل الجنة رجل يتقلب على الصراط ظهراً لبطن كالغلام يضربه أبوه وهو يفرمنه يعجز عنه عمله أن يسعى فيقول : يا رب بلغ بى الجنة ونجنى من النار ، فيوحى الله تبارك وتعالى إليه عبدى إن أنا نجيتك من النار وأدخلتك الجنة أتعترف لى بذنوبك وخطاياك ؟ فيقول العبد : نعم يا رب وعزتك وجلالك لئن نجيتنى من النار لأعترفن لك بذنوبى وخطاياى فيجوز الجسر فيقول العبد فيما بينه وبين نفسه: لئن اعترفت له بذنوبى وخطاياى ليردنى إلى النار ، فيوحى الله إليه عبدى اعترف لى بذنوبك وخطاياك أغفرها لك وأدخلك الجنة. فيقول العبد : لا وعزتك وجلالك ما أذنبت ذنباً قط ولا أخطأت خطيئة قط فيوحى الله إليه عبدى إن لى عليك بينة فيلتفت العبد يميناً وشمالا فلا يرى أحداً ، فيقول : يا رب أرنى بينتك فيستنطق الله جلده بالمحقرات فإذا رأى ذلك العبد فيقول : يا رب عندى وعزتك العظائم فيوحى الله إليه عبدى أنا أعرف بها منك اعترف لى بها أغفرها لك وأدخلك الجنة ،فيعترف العبد بذنونه فيدخل الجنة ثم ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه يقول: هذا أدنى أهل الجنة منزلة فكيف بالذى فوقه » ؟

ورواه ابن أبى شيبة عن هاشم بن القاسم ثنا أبو عقيل عبد الله بن عقيل الثقفى عن يزيد بن سنان .

وفى صحيح مسلم عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« آخر من يدخل الجنة رجل فهو يمشى على الصراط مرة ويكبو مرة وتسفعه النار مرة فإذا جاوزها التفت إليها ، فقال : تبارك الذى نجانى منك ، لقد أعطانى الله شيئاً ما أعطاه أحداً من الأولين والآخرين ، فترتفع له شجرة فيقول : أى رب ادننى من هذه الشجرة أستظل بظلها وأشرب من مائها فيقول الله تبارك وتعالى : يا ابن آدم لعلى إن أعطيتكها سألتنى غيرها ، فيقول : لا يا رب ، ويعاهده أن لا يسأله غيرها وربه يعذره ، لأنه يرى ما لا صبر له عليه فيدنيه منها فيستظل بظلها، ويشرب من مائها ، ثم ترفع له شجرة هى أحسن من الأولى ، فيقول : يا رب ادننى

من هذه لأشرب من مائها ، وأستظل بظلها لا أسألك غيرها فيقول : يا ابن آدم ألم تعاهدنى أنك لا تسألنى غيرها ؟ فيقول : لعلى إن أدنيتك منها أن تسألنى غيرها ، فيعاهده أن لا يسأله غيرها وربه يعذره لأنه يرى مالا صبر له عليه فيدنيه منها ، فيستظل بظلها ، ويشرب من مائها ، ثم ترفع له شجرة عند باب الجنة هى أحسن من الأولين ، فيقول : أى رب ادنى من هذه الشجرة لأستظل بظلها وأشرب من مائها لا أسألك غيرها ، فيقول : يا ابن آدم ألم تعاهدنى أن لا تسألنى غيرها ؟ قال : بلى يا رب ، هذه لا أسألك غيرها وربه يعذره ، لأنه يرى ما لا صبر له عليه فيدنيه منها ، فإذا أدناه منها سمع أصوات أهل الجنة فيقول : يا رب أدخلنيها فيقول يا ابن آدم ما يرضيك منى، أيرضيك أنى أعطيك الدنيا ومثلها معها ؟ قال : يا رب أتستهزىء منى وأنت رب العالمين ؟ فضحك ابن مسعود . فقال : ألا تسألونى مم أضحك ؟ قالوا مم تضحك ؟ قال : ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : مم تضحك يا رسول الله ؟ قال : من ضحك رب العالمين حين قال : أتستهزىء بى وأنت رب العالمين ، فيقول : لا أستهزىء بك ولكن على ما أشاء قادر » .

وفى صحيح البرقانى عن أبى سعيد البرقانى من حديث أبى سعيد الخدرى نحو هذه القصة ونحن نسوقه بتمامه من عنده وهو بإسناد مسلم سواء .

قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن « أدنى أهل النار عذاباً منتعل بنعلين من نار يغلى دماغه من حرارة نعليه ، وإن أدنى أهل الجنة منزلة وجل صرف الله وجهه عن النار قبل الجنة ، ومثل له شجرة ذات ظل ، فقال : أى رب قدمنى إلى هذه الشجرة لأكون فى ظلها ، فقال الله عز وجل : هل عسيت إن فعلت أن تسألنى غيره ، قال : لا وعزتك فقدمه الله إليها ومثل له شجرة ذات ظل وثمر أخرى ، فقال : أى ربى قدمنى إلى هذه الشجرة أستظل بظلها وآكل من ثمرها قال : فقال هل عسيت إن أعطيتك ذلك أن تسألنى غيره ، قال : لا وعزتك فيقدمه الله إليها فيمثل له شجرة أخرى ذات ظل وثمر وماء ، فيقول : أى رب قدمنى إلى هذه الشجرة فأكون فى ظلها وآكل من ثمرها وأشرب من مائها ، فيقول : هل عسيت إن فعلت ذلك أن تسألنى غيره ، فيقول : لا وعزتك لا أسألك غيره فيقدمه الله

إليها فتبرز له الجنة ، فيقول : أى رب قدمنى إلى باب الجنة فأكون نجاف الجنة ـ وفى رواية : تحت نجاف الجنة أنظر إلى أهلها ، فيقدمه الله إليها فيرى أهل الجنة وما فيها ، فيقول : أى رب أدخلنى الجنة فيدخله الجنة ، فإذا دخل الجنة ، قال : هذا لى ، فيقول الله له : تمن ، قال فيتمنى ويذكره الله سل كذا وكذا فإذا انقطعت به الأمانى ، قال الله : هو لك وعشرة أمثاله ، قال : ثم يدخل بيته ويدخل عليه زوجتاه من الحور العين ، فيقولان : الحمد لله الذى أحياك لنا وأحيانا لك . فيقول : ما أعطى أحد مثل ما أعطيت » .

وفى صحيح مسلم من حديث المغيرة بن شعبة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : «سأل موسى ربه من أدنى أهل الجنة منزلة ؟ فقال : هو رجل يجىء بعد ما دخل أهل الجنة ، فيقال له أدخل الجنة ، فيقول : أى رب كيف ، وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم ، فيقال له : أترضى أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا فيقول : رضيت رب . فيقال : ذلك لك ومثله ومثله ومثله ومثله ، فيقول فى الخامسة : رضيت رب ، فيقول لك هذا وعشرة أمثاله ولك ما اشتهت نفسك ولذت عينك ، فيقول رضيت رب ، قال : فأعلاهم منزلة قال ذلك الذى أردت غرس كرامتهم بيدى وختمت عليها فلم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر ، ومصداقه فى كتاب الله : (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين)(١)

(١) سورة السجدة آية ١٧ .

الباب التاسع والستون

وهو باب جامع فيه فصول منثورة لم تذكر فيما تقدم من الأبواب

فصل

في لسان أهل الجنة

قال ابن أبي الدنيا حدثنا القاسم بن هاشم حدثنا صفوان بن صالح حدثني رواد ابن الجراح العسقلاني ، حدثنا الأوزاعي عن هارون بن رباب عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يدخل أهل الجنة الجنة على طول آدم ستين ذراعاً بذراع الملك على حسن يوسف وعلى ميلاد عيسى ثلاث وثلاثون سنة ، وعلى لسان محمد صلى الله عليه وسلم جرد مرد مكحلون » .

وروى داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس قال : « لسان أهل الجنة عربي » وقال عقيل قال الزهري : لسان أهل الجنة عربي .

فصل

في احتجاج الجنة والنار

في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « احتجت النار والجنة فقالت هذه : يدخلني الجبارون والمتكبرون ، وقالت هذه : يدخلني الضعفاء والمساكين ، فقال الله عز وجل لهذه : أنت عذابي أعذب بك من أشاء ، وقال لهذه : أنت رحمتي أرحم بك من أشاء ولكل واحدة منكما ملؤها » .

وفي رواية أخرى « تحاجت النار والجنة ، فقالت النار أوثرت بالمتكبرين

والمتجبرين ، وقالت الجنة : مالى لا يدخلنى إلا ضعفاء الناس وسقطهم وعجزهم ، فقال الله سبحانه للجنة : أنت رحمتى أرحم بك من أشاء من عبادى . وقال للنار : أنت عذابى أعذب بك من أشاء من عبادى ، ولكل واحدة منكما ملؤها » ، فأما النار فلا تمتلىء حتى يضع قدمه عليها فتقول قط قط فهناك تمتلىء وينزوى بعضها إلى بعض ، ولا يظلم الله من خلقه أحداً ، وأما الجنة فإن الله عز وجل ينشىء لها خلقاً » .

فصل

فى أن الجنة يبقى فيها فضل

فينشىء الله لها خلقاً دون النار في الصحيحين عن أنس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد ، حتى يضع رب العزة فيها قدمه فينزوى بعضها إلى بعض ، وتقول : قط قط بعزتك وكرمك ، ولا يزال فى الجنة فضل حتى ينشىء الله لها خلقاً فيسكنهم فضل الجنة » .

وفي لفظ مسلم « يبقى من الجنة ما شاء الله أن يبقى ثم ينشىء الله سبحانه لها خلقاً فيسكنهم فضل الجنة » .

وفي لفظ مسلم « يبقى من الجنة ماشاء الله أن يبقى مما يشاء » .

وأما اللفظ الذى وقع فى صحيح البخارى فى حديث أبى هريرة « وإنه ينشىء للنار من يشاء فيلقى فيها فتقول هل من مزيد » فغلط من بعض الرواة انقلب عليه لفظه والروايات الصحيحة ونص القرآن يرده فإن الله سبحانه أخبر أنه يملأ جهنم من إبليس وأتباعه فإنه لا يعذب إلا من قامت عليه حجته وكذب رسله قال تعالى : (كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير . قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شىء)(١) ولا يظلم الله أحداً من خلقه .

---

(١) سورة الملك الآيتان ٨ و٩ .

فصل

في امتناع النوم على أهل الجنة

روى ابن مردويه من حديث سفيان الثورى عن محمد بن المنكدر عن جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « النوم أخو الموت وأهل الجنة لاينامون » .

وذكر الطبرانى من حديث يحيى بن سعيد الأنصارى عن محمد بن المنكدر عن جابر قال : «سئل نبى الله صلى الله عليه وسلم فقيل أينام أهل الجنة ؟ فقال النبى صلى الله عليه وسلم : النوم أخو الموت وأهل الجنة لا ينامون » .

فصل

في ارتقاء العبد وهو فى الجنة من درجة إلى درجة أعلى منها

قال الإمام أحمد حدثنا يزيد أنبأنا حماد بن سلمة عن عاصم بن أبى النجود عن أبى صالح عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله ليرفع الدرجة للعبد الصالح فى الجنة فيقول : يارب أنى لى هذه ؟ فيقول باستغفار ولدك لك » .

فصل

فى إلحاق ذرية المؤمن به فى الدرجة وإن لم يعملوا عمله

قال تعالى (والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شىء كل امرىء بما كسب رهين)(١) وروى قيس عن عمرو بن مرة

(١) سورة الطور آية ٢١ .

عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله ليرفع ذرية المؤمن إليه في درجته وإن كانوا دونه فى العمل لتقربهم عينه ثم قرأ (والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شىء) قال مانقصنا الآباء مما أعطينا البنين » .

وذكر ابن مردويه فى تفسيره من حديث شريك عن سالم الأفطس عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس قال شريك أظنه حكاه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إذا دخل الرجل الجنة سأل عن أبويه وزوجته وولده فيقال إنهم لم يبلغوا درجتك أو عملك فيقول يارب قد عملت لى ولهم فيؤمر بالإلحاق بهم ثم تلا ابن عباس (والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان) إلى آخر الآية . وقد اختلف المفسرون فى الذرية فى هذه الآية هل المراد بها الصغار أو الكبار أو النوعان ؟ على ثلاثة أقوال. واختلافهم مبنى على أن قوله بإيمان حال من الذرية التابعين أو المؤمنين المتبوعين .

فقالت طائفة : المعنى والذين آمنوا وأتبعناهم ذرياتهم فى إيمانهم فأتوا من الإيمان بمثل ماأتوا به ألحقناهم بهم فى الدرجات قالوا ويدل على هذا قراءة من قرأ (وأتبعتهم ذريتهم) فجعل الفعل فى الاتباع لهم ، قالوا وقد أطلق الله سبحانه الذرية على الكبار ، كما قال (ومن ذريته داود وسليمان)(١) وقال (ذرية من حملنا مع نوح)(٢) وقال (وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون)(٣) وهذا قول الكبار العقلاء .

قالوا : ويدل على ذلك ما رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس يرفعه « إن الله يرفع ذرية المؤمن إلى درجته وإن كانوا دونه فى العمل لتقربهم عينه » فهذا يدل على أنهم دخلوا بأعمالهم ولكن لم يكن لهم أعمال يبلغوا بها درجة آبائهم فبلغهم

---

(١) سورة الأنعام آية ٨٤ .
(٢) سورة الإسراء آية ٣ .
(٣) سورة الأعراف آية ١٧٣ .

إياها وإن تقاصر عملهم عنها قالوا : وأيضاً فالإيمان هو القول والعمل والنية ، وهذا إنما يمكن من الكبار وعلى هذا ، فيكون المعنى : أن الله سبحانه يجمع ذرية المؤمن إليه إذا أتوا من الإيمان بمثل إيمانه إذ هذا حقيقة التبعية ، وإن كانوا دونه فى الإيمان رفعهم الله إلى درجته إقراراً لعينه وتكميلا لنعيمه ، وهذا كما أن زوجات النبى صلى الله عليه وسلم معه فى الدرجة تبعاً ، وإن لم يبلغوا تلك الدرجة بأعمالهن .

وقالت طائفة أخرى : الذرية ههنا الصغار ، والمعنى : والذين آمنوا وأتبعناهم ذرياتهم فى إيمان الآباء وإن كانوا صغاراً فى الإيمان وأحكامه من الميراث والدية والصلاة عليهم والدفن فى قبور المسلمين وغير ذلك ، إلا فيما كان من أحكام البالغين ويكون قوله بإيمان على هذا فى موضع نصب على الحال من المفعولين ، أى وأتبعناهم ذرياتهم بإيمان الآباء .

قالوا : ويدل على صحة هذا القول أن البالغين لهم حكم أنفسهم فى الثواب والعقاب ، فإنهم مستقلون بأنفسهم ليسوا تابعين الآباء فى شىء من أحكام الدنيا ولا أحكام الثواب والعقاب لاستقلالهم بأنفسهم ، ولو كان المراد بالذرية البالغين لكان أولاد الصحابة البالغون كلهم فى درجة آبائهم ، وتكون أولاد التابعين البالغون كلهم فى درجة آبائهم وهلم جرا إلى يوم القيامة ، فيكون الآخرون فى درجة السابقين .

قالوا : ويدل عليه أيضاً أنه سبحانه جعلهم معهم تبعاً فى الدرجة كما جعلهم تبعاً معهم فى الإيمان ولو كانوا بالغين لم يكن إيمانهم تبعا بل إيمان استقلال . قالوا : ويدل عليه أن الله سبحانه جعل المنازل فى الجنة بحسب الأعمال فى حق المستقلين ، وأما الأتباع فإن الله سبحانه يرفعهم إلى درجة أهليهم وإن لم يكن لهم أعمالهم كما تقدم . وأيضاً فالحور العين الخدم فى درجة أهليهم وإن لم يكن لهم عمل بخلاف المكلفين البالغين فإنهم يرفعون إلى حيث بلغتهم أعمالهم .

وقالت فرقة منهم الواحدى : الوجه أن تحمل الذرية على الصغار والكبار لأن

الـكبير يتبع الأب بإيمان نفسه والصغير يتبع الأب بإيمان الأب . قالوا : والذرية تقع على الصغير والـكبير والواحد والـكثير والإبن والأب، كما قال تعالى (وآية لهم أنا حملنا ذريتهم فى الفلك المشحون) (١) أى آبائهم . والإيمان يقع على الإيمان التبعى وعلى الاختيارى الـكسبي فمن وقوعه على التبعى قوله (فتحرير رقبة مؤمنة)(٢) فلو أعتق صغيراً أجاز . قالوا: وأقوال السلف تدل على هذا . قال سعيدبن جبير عن ابن عباس إن الله يرفع ذرية المؤمن فى درجته وإن كانوا دونه فى العمل لتقر بهم عيونهم ثم قرأ هذه الآية ، وقال ابن مسعود فى هذه الآية الرجل يكون له القدم ويكون له الذرية فيدخل الجنة فيرفعون إليه لتقر بهم عينه وإن لم يبلغوا ذلك . وقال أبو مجلز : يجمعهم الله له كما كان يحب أن يجمعوا فى الدنيـا ، وقال الشعبى أدخل الله الذرية بعمل الآباء الجنة . وقال الـكلبى عن ابن عباس إن كان الآباء أرفع درجة من الأبناء رفع الله الأبناء إلى الآباء وإن كان الأبناء أرفع درجة من الآباء رفع الله الآباء إلى الأبناء ، وقال إبراهيم أعطوا مثل أجور آبائهم ولم ينقص الآباء من أجورهم شيئاً قال : ويدل على صحة هذا القول أن القراءتين كالآيتين فمن قرأ (واتبعتهم ذريتهم) فهذا من حق البالغين الذين تصح نسبة الفعل إليهم كما قال تعالى (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان)(٣) ومن قرأ (وأتبعناهم ذرياتهم) فهذا فى حق الصغار الذين أتبعهم الله إياهم فى الإيمان حكماً فدلت القراءتان على النوعين .

قلت : واختصاص الذرية ههنا بالصغار أظهر لئلا يلزم استواء المتأخرين والسابقين في الدرجات ولا يلزم مثل هذا فى الصغار فإن أطفال كل رجل وذريته معه في درجته . والله أعلم .

---

(١) سورة يس آية ٤١ .
(٢) سورة النساء آية ٩٢ .
(٣) سورة التوبة آية ١٠٠ .

فصل

فى أن الجنة تتكلم

قد تقدم قوله صلى الله عليه وسلم : « احتجت الجنة والنار » وقوله « قالت الجنة يارب قد اطردت أنهارى ، وطابت ثمارى فعجل على بأهلى » وقال إسماعيل ابن أبى خالد عن سعيد الطائى « أخبرت أن الله تعالى لما خلق الجنة قال لها تزينى فتزينت ؛ ثم قال لها تكلمى فتكلمت فقالت : طوبى لمن رضيت عنه » وقال قتادة « لما خلق الله الجنة قال لها تكلمى فقالت : طوبى للمتقين » .

وقال الطبرانى حدثنا أحمد بن على حدثنا هشام بن خالد حدثنا بقية عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لما خلق الله جنة عدن خلق فيها مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، ثم قال لها تكلمى فقالت : قد أفلح المؤمنون » .

فصل

فى أن الجنة تزداد حسناً على الدوام

قال عبد الله بن أحمد حدثنا خلف بن هشام حدثنا خالد بن عبد الله عن زيد ابن أبى زياد عن عبد الله بن الحارث عن كعب قال : « مانظر الله إلى الجنة إلا قال طبي لأهلك فتزداد ضعفاً حتى يدخلها أهلها » .

فصل

فى أن الحور العين يطلبن أزواجهن أكثر مما يطلبهن أزواجهن

كما تقدم حديث معاذ بن جبل فى ذلك . وقول الحوراء لامرأته فى الدنيا لاتؤذيه فيوشك أن يفارقك إلينا . وحديث عكرمة عن النبي صلى الله عليه وسلم فى قول الحور «اللهم أعنه على دينك وأقبل بقلبه على طاعتك» .

وذكر ابن أبى الدنيا عن أبى سليمان الدارانى قال : كان شاب بالعراق يتعبد فخرج مع رفيق له إلى مكة فكان أن نزلوا فهو يصلى وإن أكلوا فهو صائم ، فصبر عليه رفيقه ذاهباً وجائياً فلما أراد أن يفارقه ، قال : له يا أخى أخبرنى ما الذى هيجك إلى ما رأيت ؟ قال : رأيت فى النوم قصراً من قصور الجنة ، وإذا لبنة من فضة ولبنة ذهب ، فلما تم البناء إذا شرافة من زبرجدة وشرافة من ياقوت ، وبينهما حوراء من حور العين مرخية شعرها ، عليها ثوب من فضة ينثنى معها كلما تثنت ، فقالت : جد إلى الله فى طلبي ، فقد والله جددت إليه فى طلبك ، فهذا الذى تراه فى طلبها .

قال أبو سليمان هـذا فى طلب حوراء ، فـكيف بمـن قـد طلب ما هو أكثر منها ؟

فصل

فى ذبح الموت بين الجنة والنار

قال الله تعالى (وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر وهم فى غفلة وهم لا يؤمنون)(١) وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله

---

(١) سورة مريم آية ٣٩ .

عليه وسلم : « يجاء بالموت كأنه كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار ، فيقال : يا أهل الجنة هل تعرفون هذا ؟ فيشرئبون وينظرون ويقولون : نعم هذا الموت . ثم يقال : ياأهل النار هل تعرفون هذا ؟ فيشرئبون وينظرون ويقولون : نعم هذا الموت ، قال فيؤمر به فيذبح ، قال : ثم يا أهل الجنة خلود فلا موت ، ويا أهل النار خلود فلا موت ، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر وهم فى غفلة وهم لايؤمنون) » متفق عليه .

وفى الصحيحين أيضاً من حديث ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يدخل أهل الجنة الجنة ، ويدخل أهل النار النار ، ثم يقوم مؤذن بينهم فيقول : يا أهل الجنة لاموت ويا أهل النار لاموت كل خالد فيما هو فيه » .

وعنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا صار أهل الجنة إلى الجنة وصار أهل النار إلى النار أتى بالموت حتى يجعل بين النار والجنة ثم ينادى مناد ياأهل الجنة : لا موت ويا أهل النار لا موت ، فيزداد أهل الجنة فرحاً ويزداد أهل النار حزنا إلى جهنم » .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار أتى بالموت ملبباً فيوقف على السور الذى بين أهل الجنة وأهل النار ثم يقال يا أهل الجنة فيطلعون خائفين ثم يقال ياأهل النار فيطلعون مبشرين يرجون الشفاعة فيقال لأهل الجنة وأهل النار : هل تعرفون هذا ؟ فيقول هؤلاء وهؤلاء : قد عرفناه هو الموت ، الذى وكل بنا ، فيضجع فيذبح ذبحاً على السور ، ثم يقال : يا أهل الجنة خلود لاموت وياأهل النار خلود لا موت » رواه النسائى والترمذى وقال حديث حسن صحيح . وهذا الكبش والاضجاع ، والذبح ومعاينة الفريقين ذلك حقيقة لا خيال ولا تمثيل ، كما أخطأ فيه بعض الناس خطأ قبيحاً : وقال الموت : عرض والعرض لا يتجسم فضلا عن أن يذبح وهذا لايصح فإن الله سبحانه ينشىء من الموت صورة كبش يذبح كما ينشىء

من الأعمال صوراً معاينة يثاب بها ويعاقب والله تعالى ينشىء من الأعراض أجساماً تكون الأعراض مادة لها وينشىء من الأجسام أعراضاً ، كما ينشىء سبحانه من الأعراض أعراضاً ومن الأجسام أجساماً . فالأقسام الأربعة ممكنة مقدورة للرب تعالى ولا يستلزم جمعاً بين النقيضين ولا شيئاً من المحال ولاحاجة إلى تكلف من قال : إن الذبح لملك الموت فهذا كله من الاستدراك الفاسد على الله ورسوله والتأويل الباطل الذى لا يوجبه عقل ولا نقل وسببه قلة الفهم لمراد الرسول صلى الله عليه وسلم من كلامه ، فظن هذا القائل أن لفظ الحديث يدل على أن نفس العرض يذبح . وظن غالط آخر أن العرض يعدم ويزول ويصير مكانه جسم يذبح ولم يهد الفريقان إلى هذا القول الذى ذكرناه وأن الله سبحانه ينشىء من الأعراض أجساماً ويجعلها مادة لها كما فى الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم « تجىء البقرة وآل عمران يوم القيامة كأنهما غمامتان » الحديث . فهذه هى القراءة التى ينشئها الله سبحانه غمامتين .

وكذلك قوله في الحديث الآخر « أن ما تذكرون من جلال الله من تسبيحه وتحميده وتهليله يتعاطفن حول العرش لهن دوى كدوى النحل يذكرن بصاحبهن» ذكره أحمد .

وكذلك قول فى حديث عذاب القبر ونعيمه للصورة التى يراها « فيقول من أنت ؟ فيقول أنا عملك الصالح وأنا عملك السيىء» وهذا حقيقة لاخيال ،ولكن الله سبحانه أنشأ له من عمله صورة حسنه وصورة قبيحة وهل النور الذى يقسم بين المؤمنين يوم القيامة إلا نفس إيمانهم أنشأ الله سبحانه لهم منه نوراً يسعى بين أيديهم فهذا أمر معقول لو لم يرد به النص ، فورود النص به من باب تطابق السمع والعقل .

وقال سعيد عن قتادة : بلغنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن المؤمن إذا خرج من قبره صور له عمله فى صورة حسنة وبشارة حسنة فيقول له : من أنت ؟ فوالله إنى لأراك امرأ الصدق فيقول له : أنا عملك فيكون له نوراً وقائداً

إلى الجنة . وأما الـكافر إذا خرج من قبره صور له عمله فى صورة سيئة وبشارة سيئة فيقول : ما أنت فوالله إنى لأراك امرأ السوء . فيقول له : أنا عملك فينطلق به حتى يدخل النار » .

وقال مجاهد مثل ذلك .

وقال ابن جريج يمثل له عمله فى صورة حسنة وريح طيبة ، يعارض صاحبه ويبشره بكل خير ، فيقول له من أنت ؟ فيقول : أنا عملك فيجعل له نوراً بين يديه حتى يدخله الجنة فذلك قوله : (يهديهم ربهم بإيمانهم)(١) والـكافر يمثل له عمله فى صورة سيئة وريح منتنة فيلازم صاحبه ويلاده حتى يقذفه فى النار .

وقال ابن المبارك ثنا المبارك بن فضالة عن الحسن أنه ذكر هذه الآية (أفما نحن بميتين إلا موتتنا الأولى وما نحن بمعذبين)(٢) قال : علموا أن كل نعيم بعده الموت أنه يقطعه فقالوا أفما نحن بميتين إلا موتتنا الأولى وما نحن بمعذبين قيل لا ، قالوا : إن هذا لهو الفوز العظيم . وكان يزيد الرقاشى يقول فى كلامه أمن أهل الجنة من الموت فطاب لهم العيش ، وأمنوا من الأسقام فهناهم فى جوار الله طول المقام ، ثم يبكى حتى تجرى دموعه على لحيته .

---

(١) سورة يونس آية ٩ .

(٢) سورة الصافات آية ٥٩ .

فصل

فى ارتفاع العبادات فى الجنة إلا عبادة الذكر فإنها دائمة

روى مسلم فى صحيحه من حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « يأكل أهل الجنة فيها ويشربون ولا يتمخطون ولايتغوطون ولايبولون ويكون طعامهم ذلك جشاء ورشحاً كرشح المسك يلهمون التسبيح والحمد كما يلهمون النفس » .

وفى رواية « التسبيح والتكبير كما تلهمون » بالتاء المثناة من فوق أى تسبيحهم وتحميدهم يجرى مع الأنفاس كما تلهمون أنتم النفس .

فصل

فى تذاكر أهل الجنة ما كان بينهم فى دار الدنيا

قال الله تعالى (فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون ، قال قائل منهم إنى كان لى قرين)(١) الآيات . وقد تقدم الكلام عليها وقال تعالى (وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون ، قالوا إنا كنا قبل فى أهلنا مشفقين ، فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم)(٢) .

وذكر أبي الدنيا من حديث الربع بن صبيح عن الحسن عن أنس يرفعه : « إذا دخل أهل الجنة الجنة فيشتاق الإخوان بعضهم إلى بعض فيسير سرير هذا إلى سرير هذا ، وسرير هذا إلى سرير هذا ، حتى يجتمعا جميعاً فيتكىء هذا ويتكىء هذا ، فيقول أحدهما لصاحبه : تعلم متى غفر الله لنا ؟ فيقول صاحبه : نعم يوم كذا وكذا ، فى موضع كذا وكذا ، فدعونا الله فغفر لنا » .

---

(١) سورة الصافات الآيات ٥٠و٥١ .

(٢) سورة الطور الآيات ٢٥ ـ ٢٧ .

وإذا تذكروا ماكان بينهم فتذاكرهم فيما كان يشكل عليهم في الدنيا من مسائل العلم وفهم القرآن والسنة ، وصحة الأحاديث أولى وأحرى ، فإن المذاكرة فى الدنيا فى ذلك ألذ من الطعام والشراب والجماع ، فتذاكر ذلك فى الجنة أعظم لذة ، وهذه لذة يختص بها أهل العلم ، ويتميزون بها على من عداهم .

الباب سبعون

فى ذكره من يستحق هذه البشارة دون غيره

قال الله تعالى : « وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها)[1] . وقال تعالى : (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولاهم يحزنون ، الذين آمنوا وكانوا يتقون ، لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم)(٢).

وقال تعالى : (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون) (٣) .

وقال تعالى : (فبشر عبادى ، الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب)(٤) .

وقال تعالى: (الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون ، يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم ، خالدين فيها أبداً إن الله عنده أجر عظيم) (٥) .

وقال تعالى: (والذين آمنوا وعملوا الصالحات فى روضات الجنات لهم ما يشاؤون عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير ، ذلك الذى يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات) (٦) . وقال الله تعالى : (إنما تنذر من اتبع الذكر وخشى الرحمن بالغيب فبشره بمغفرة وأجر كريم)(٧)وقال تعالى : (يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهداً

---

(١) سورة البقرة آية ٢٥

(٢) سورة يونس الآيات ٦٢ ــ ٦٤

(٣) سورة فصلت آية ٣٠

(٤) سورة الزمر آية ١٨

(٥) سورة التوبة الآيات ٢٠ ــ ٢٢

(٦) سورة الشورى ٢٣

(٧) سورة يس آية ١١

ومبشراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيراً)(١) . وقال تعالى : (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون ، فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم أن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين)(٢) : وقال تعالى : « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله ؟ فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم) . وقال تعالى : (ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين ، الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون . أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون)(٣) وقال تعالى (وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين) (٤) وقال في الجنة (أعدت للمتقين) وقال (أعدت للذين آمنوا بالله ورسله) وقال (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا)(٥) وقال تعالى (قد أفلح المؤمنون) إلى قوله (أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون) .

وفي المسند وغيره أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « قد أنزلت على عشر آيات من أقامهن دخل الجنة ، ثم تلا (قد أفلح المؤمنون) حتى ختم العشر آيات » وقال تعالى (إن المسلمين والمسلمات) إلى قوله (أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيما) وقال تعالى (التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين» وقال تعالى (تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا) وقال تعالى (سارعوا إلى مغفرة

---

(١) سورة الأحزاب الآيات ٤٥ ـ ٤٧

(٢) سورة آل عمران الآيات ١٦٩ ـ ١٧١

(٣) سورة الصف آية ١٣ (٤) سورة الصف آية ١٣

(٥) سورة الكهف آية ١٠٧

ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ، الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين ، والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون ، أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين)(١) وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم ، تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون) (٢) إلى قوله (وبشر المؤمنين) وقال تعالى (ولمن خاف مقام ربه جنتان) وقال تعالى (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هى المأوى) .

وهذا فى القرآن كثير مقداره على ثلاث قواعد : إيمان وتقوى وعمل خالص لله على موافقة السنة فأهل هذه الأصول الثلاثة هم أهل البشرى دون من عداهم من سائر الخلق وعليها دارت بشارات القرآن والسنة جميعها وهى تجتمع فى أصلين : إخلاص فى طاعة الله وإحسان إلى خلقه . وضدها يجتمع فى الذين يراؤون ويمنعون الماعون ، وترجع إلى خصلة واحدة وهى موافقة الرب تبارك وتعالى فى محابه ، ولا طريق إلى ذلك إلا بتحقيق القدوة ظاهراً وباطناً برسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأما الأعمال التى هى تفاصيل هذا الأصل فهى بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق وبين هاتين الشعبتين سائر الشعب التى مرجعها تصديق الرسول فى كل ما أخبر به وطاعته فى جميع ما أمر به إيجاباً واستحباباً ، كالإيمان بأسماء الرب وصفاته وأفعاله وآياته من غير تحريف لها ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل .

كما قال الشافعى رحمه الله : الحمد لله الذى هو كما وصف به نفسه وفوق ما يصف

---

(١) سورة آل عمران الآيات ١٣٣ ـ ١٣٦ (٢) سورة الصف الآيتان ١٠ و ١١

به خلقه ، وكأنه أخذ هذا من قول النبي صلى الله عليه وسلم « اللهم لك الحمد كالذى تقول وخيراً مما نقول » .

وقد ذكرنا فى أول الكتاب جملة مقالات أهل السنة والحديث التى أجمعوا عليها ، كاحكاه الأشعرى عنهم ونحن نحكى إجماعهم ، كما حكاه حرب صاحب الإمام أحمد عنهم بلفظه ، قال : فى مسائله المشهورة .

هذه مذاهب أهل العلم وأصحاب الأثر وأهل السنة المتمسكين بها المقتدى بهم فيها من لدن أصحاب النبي صلى الله علية وسلم إلى يومنا هذا ، وأدركت من أدركت من علماء أهل الحجاز والشام وغيرهم عليها فمن خالف شيئاً من هذه المذاهب أو طعن فيها أو عاب قائلها فهو مخالف مبتدع خارج عن الجماعة ، زائل عن منهج السنة وسبيل الحق .

قال : وهو مذهب أحمد وإسحاق بن إبراهيم وعبد الله بن مخلد وعبد الله بن الزبير الحميدى وسعيد بن منصور وغيرهم ممن جالسنا وأخذنا عنهم العلم ، وكان من قولهم إن الإيمان قول وعمل ونية وتمسك بالسنة ، والإيمان يزيد وينقص ، ويستثنى من الإيمان غير أن لا يكون الاستثناء شكا ، إنما هى سنة ماضية عند العلماء. فإذا سئل الرجل : أمؤمن أنت ؟ فإنه يقول : أنا مؤمن إن شاء الله ؟ أو مؤمن أرجو ، ويقول : آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله .

ومن زعم أن الإيمان قول بلاعمل فهو مرجىء ، ومن زعم أن الإيمان هو القول والأعمال شرائع فهو مرجىء .

ومن زعم أن الإيمان يزيد ولاينقص فقد قال بقول المرجئة ، ومن لم ير الاستثناء فى الإيمان فهو مرجىء .

ومن زعم أن إيمانه كإيمان جبريل والملائكة فهو مرجىء . ومن زعم أن المعرفة فى القلب وإن لم يتكلم بها فهو مرجىء ، والقدر خيره وشره وقليله وكثيره

وظاهره وباطنه وحلوه ومره ومحبوبه ومكروهه وحسنه وسيئه وأوله وآخره من الله عز وجل قضاه على عباده، وقدر قدره عليهم لا يعدو واحد منهم مشيئة الله ولا يجاوزه قضاؤه ، بل هم كلهم صائرون إلى ماخلقهم له ، واقعون فيما قدر عليه وهو عدل منه جل ربنا وعز .

والزنا والسرقة وشرب الخمر وقتل النفس وأكل المال الحرام والشرك والمعاصى كلها بقضاء الله من غير أن يكون لأحد من خلقه على الله حجة ، بل لله الحجة البالغة على خلقه لا يسأل عما يفعل وهم يُسألون ، وعلم الله عز وجل ماض فى خلقه بمشيئة منه فهو سبحانه قد علم من إبليس ومن غيره ممن عصاه من لدن عصى الله تبارك وتعالى إلى قيام الساعة للمعصية وخلقهم لها .

وعلم الطاعة من أهل الطاعة وخلقهم لها ، فكل يعمل لما خلق له وصائر إلى ما قضى عليه لا يعدو أحد منهم قدر الله ومشيئته ، والله الفعال لما يريد ، ومن زعم أن الله سبحانه وتعالى شاء لعباده الذين عصوه وتكبروا الخير والطاعة وأن العباد شاءوا لأنفسهم الشر والمعصية ، فعملوا على مشيئتهم ، فقد زعم أن مشيئة العباد أغلب من مشيئة الله تعالى ، وأى افتراء على الله أكبر من هذا ؟

ومن زعم أن الزنا ليس بقدر ، قيل له : أرأيت هذه المرأة حملت من الزنا ، وجاءت بولد هل شاء الله عز وجل أن يخلق هذا الولد ، وهل مضى فى سابق علمه ؟ فإن قال : لا ، فقد زعم أن مع الله خالقاً وهذا الشرك صراحاً .

ومن زعم أن السرقة وشرب الخمر وأكل المال الحرام ليس بقضاء وقدر ، فقد زعم أن هذا الإنسان قادر على أن يأكل رزق غيره ، وهذا صراح قول المجوسية بل أكل رزقه الذى قضى الله أن يأكله من الوجه الذى أكله .

ومن زعم أن قتل النفس ليس بمقدر من الله عز وجل ، فقد زعم أن المقتول

مات بغير أجله ، وأى كفر أوضح من هذا ؟ بل ذلك بقضاء الله عز وجل وذلك عدل منه فى خلقه وتدبيره فيهم وما جرى من سابق علمه فيهم ، وهو العدل الحق الذى يفعل ما يريد .

ومن أقر بالعلم لزمه الإقرار بالقدر والمشيئة على الصغر والقماءة ، ولا نشهد على أحد من أهل القبلة أنه فى النار لذنب عمله ولا لكبيرة أتاها ، إلا أن يكون فى ذلك حديث . كما جاء فى حديث ولا بنص الشهادة ولا نشهد لأحد أنه فى الجنة بصالح عمله ، ولا لخير أتاه إلا أن يكون فى ذلك حديث .

كما جاء على ماروى ولا بنص الشهادة والخلافة فى قريش ما بقى من الناس اثنان . وليس لأحد من الناس أن ينازعهم فيها ولا نخرج عليهم ، ولا نقر لغيرهم بها إلى قيام الساعة ، والجهاد ماض قائم مع الأئمة بروا أو فجروا لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل ، والجمعة العيدان والحج مع السلطان وإن لم يكونوا بررة عدولا أتقياء ، ودفع الصدقات والخراج والأعشار والفىء والغنائم إليهم عدلوا فيها أو جاروا والانقياد لمن ولاه الله عز وجل أمركم لا تنزع يداً من طاعته ولا تخرج عليه بسيف حتى يجعل الله لك فرجاً ومخرجاً ، ولا تخرج على السلطان وتسمع وتطيع ولا تنكث بيعته فمن فعل ذلك فهو مبتدع مخالف مفارق للجماعة ، وإن أمرك السلطان بأمر فيه لله معصية فليس لك أن تطيعه البتة وليس لك أن تخرج عليه ولا تمنعه حقه والإمساك فى الفتنة سنة ماضية واجب احترامها ، فإن ابتليت فقدم نفسك دون دينك ، ولا لمن عن الفتنة بيد ولا لسان ولكن أكفف لسانك ويدك وهواك ، والله المعين .

والكف عن أهل القبلة فلا تكفر أحداً منهم بذنب ، ولا تخرجه عن الإسلام بعمل إلا أن يكون فى ذلك حديث كما جاء ، وما روى فتصدقه وتقبله وتعلم أنه كما روى نحو كفر من يستحل نحو ترك الصلاة وشرب الخمر وما أشبه ذلك ، أو يبتدع بدعة ينسب صاحبها إلى الكفر والخروج من الإسلام ، فاتبع ذلك

ولاتجاوزه ، والأعور الدجال خارج لا شك فى ذلك ولا ارتياب وهو أكذب الكاذبين .

وعذاب القبر حق يسأل العبد عن دينه وعن ربه وعن الجنة وعن النار ، ومنكر ونكير حق وهما فتانا القبر . نسأل الله الثبات .

وحوض محمد صلى الله عليه وسلم حق ، حوض ترده أمته ولهم آنية يشربون بها منه .

والصراط حق يوضع على سواء جهنم . ويمر الناس عليه والجنة من وراء ذلك. والميزان حق يوزن به الحسنات والسيئات كما شاء الله أن يوزن . والصور حق ينفخ فيه إسرافيل فتموت الخلق ثم ينفخ فيه الأخرى فيقومون لرب العالمين للحساب وفصل القضاء والثواب والعقاب ، والجنة والنار .

واللوح المحفوظ يستنسخ منه أعمال العباد لما سبق فيه من التقادير والقضاء . والقلم حق كتب الله به مقادير كل شيء وأحصاه فى الذكر ؛ والشفاعة يوم القيامة حق يشفع قوم فى قومه فلايصيرون إلى النار . ويخرج قوم من النار بعد مادخلوها ولبثوا فيها ما شاء الله ثم يخرجهم من النار ، وقوم يخلدون فيها أبداً وهم أهل الشرك والتكذيب والجحود والكفر بالله عز وجل ، يذبح الموت يوم القيامة بين الجنة والنار ، وقد خلقت الجنة ومافيها وخلقت النار وما فيها خلقهما الله عز وجل وخلق الخلق لهما ولا يفنيان ولايفنى ما فيهما أبداً . فإذا احتج مبتدع أو زنديق بقول الله عز وجل (كل شيء هالك إلا وجهه)[1] .

وبنحو هذا من متشابه القرآن قيل له : كل شيء مما كتب عليه الفناء والهلاك هالك والجنة والنار خلقهما للبقاء لاللفناء ، ولا للهلاك وهما من الآخرة لامن الدنيا

---

(١) سورة القصص آية ٨٨ .

والحور العين لا يمتن عند قيام الساعة ولا عند النفخة ولا أبداً ، لأن الله عز وجل خلقهن للبقاء لا للفناء ولم يكتب عليهن الموت .

فمن قال خلاف هذا فهو مبتدع ضل عن سواء السبيل ، وخلق سبع سموات بعضها فوق بعض ، وسبع أرضين بعضها أسفل من بعض ، وبين الأرض العليا والسماء الدنيا مسيرة خمسمائة عام وبين كل سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة عام ، والماء فوق السماء العليا السبعة وعرش الرحمن عز وجل فوق الماء والله عز وجل على العرش والكرسى موضع قدميه وهو يعلم مافى السموات وما فى الأرضين وما بينهما وما تحت الثرى وما فى قعرى البحر ومنبت كل شعرة وشجرة وكل زرع وكل نبات ، ومسقط كل ورقة وعدد كل كلمة وعدد الرمل والحصى والتراب ومثاقيل الجبال ، وأعمال العباد وآثارهم وكلامهم وأنفاسهم ويعلم كل شىء ، ولا يخفى عليه من ذلك شىء ، وهو على العرش فوق السماء السابعة ودونه حجب من نار ونور وظلمه وما هو أعلم به ، فإن احتج مبتدع أو مخالف بقول الله عز وجل (ونحن أقرب إليه من حبل الوريد)(١) .

وقوله تعالى (ما يكون من نجوى ثلاثة إلاهو رابعهم ولا خمسة إلا هوسادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا)(٢) ونحو هذا من متشابه القرآن . فقل إنما يعنى بذلك العلم أن الله عز وجل على العرش فوق السماء السابعة العليا يعلم ذلك كله وهو بائن من خلقه لا يخلو من علمه مكان . ولله عز وجل عرش وللعرش حملة يحملونه والله عز وجل مستو على عرشه وليس له حد . والله عز وجل سميع لايشك ، بصير لا يرتاب ، عليم لا يجهل ، جواد لا يبخل ، حليم لا يعجل ، حفيظ لا ينسى ، ولا يسهو . قريب لا يغفل ويتكلم وينظر ويبسط ، ويضحك ويفرح ؛ ويحب ويكره ويبغض ، ويرضى ويغضب ويسخط ويرحم ، ويعفو ويغفر ، ويعطى ويمنع .

---

(١) سورة ق آية ١٦ .
(٢) سورة المجادلة آية ٧ .

وينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا كيف شاء وليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، وقلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء ويوعيها ما أراد ، وخلق آدم بيده على صورته ، والسموات والأرض يوم القيامة فى كفه ، ويضع قدمه فى النار فتنزوى ويخرج قوماً من النار بيده ، وينظر إلى وجهه أهل الجنة يرونه فيكرمهم ويتجلى لهم ، وتعرض عليه العباد يوم القيامة ويتولى حسابهم بنفسه ولا يلى ذلك غيره عز وجل .

والقرآن كلام الله الذى تكلم به ليس بمخلوق فمن زعم أن القرآن مخلوق فهو جهمى كافر ، ومن زعم أن القرآن كلام الله ووقف ولم يقل ليس بمخلوق فهو أخبث من القول الأول ؛ ومن زعم أن ألفاظنا وتلاوتنا مخلوقة والقرآن كلام الله فهو جهمى ، وكلم الله موسى تكليما منه إليه ، وناوله التوراة من يده إلى يده .

ولم يزل الله عز وجل متكلما ، والرؤيا من الله وهى حق إذا رأى صاحبها فى منامه ماليس ضغثاً فقصها على عالم وصدق فيها فأولها العالم على أصل تأويلها الصحيح ، ولم يحرف فالرؤيا تأويلها حينئذ حق وقد كانت الرؤيا من الأنبياء وحيا فأى جاهل ممن يطعن فى الرؤيا ويزعم أنها ليست بشيء ؟

وبلغنى أن من قال هذا القول لا يرى الاغتسال من الاحتلام ، وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم « إن رؤيا المؤمن كلام يكلم به الرب عبده » وقال : « إن الرؤيا من الله » وذكر محاسن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم والكف عن ذكر مساويهم التى شجرت بينهم .

فمن سب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو واحداً منهم أو نقصه أو طعن عليه أو عرض بعيبهم او عاب أحداً منهم فهو مبتدع رافضى خبيث مخالف لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا .

بل حبهم سنة والدعاء لهم قربة والاقتداء بهم وسيلة والأخذ بآثارهم فضيلة

وخير الأمة بعد النبي صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر بعد أبي بكر وعثمان بعد عمر وعلى بعد عثمان ووقف قوم على عثمان ، وهم خلفاء راشدون مهديون ثم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هؤلاء الأربعة خير الناس ، لا يجوز لأحد أن يذكر شيئاً من مساويهم ، ولا أن يطعن على واحد منهم بعيب ولا نقص . فمن فعل ذلك فقد وجب على السلطان تأديبه وعقوبته ، ليس له أن يعفو عنه بل يعاقبه ويستتيبه فإن تاب قبل منه وإن لم يتب أعاد عليه العقوبة وخلده في الحبس حتى يموت أو يرجع .

ونعرف للعرب حقها وفضلها وسابقتها ونحبهم لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن حبهم إيمان وبغضهم نفاق ولا نقول بقول الشعوبية ، وأراذل الموالى الذين لا يحبون العرب ولا يقرون لهم بفضل فإن قولهم بدعة .

ومن حرم المكاسب والتجارات وطلب المال من وجهه فقد جهل وأخطأ وخالف ، بل المكاسب من وجوهها حلال قد أحلها الله عز وجل ورسوله ، فالرجل ينبغي له أن يسعى على نفسه وعياله من فضل ربه ، فإن ترك ذلك على أنه لا يرى الكسب فهو مخالف ، والدين إنما هو كتاب الله عز وجل وآثار وسنن وروايات صحاح عن الثقات بالأخبار الصحيحة القوية المعروفة يصدق بعضها بعضاً حتى ينتهى ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله عنهم والتابعين وتابعى التابعين ومن بعدهم من الأئمة المعروفين المقتدى بهم المتمسكين بالسنة والمتعلقين بالآثار ، ولا يعرفون ببدعة ولا يطعن فيهم بكذب ولا يرمون بخلاف ، إلى أن قال : فهذه الأقاويل التى وصفت مذاهب أهل السنة والجماعة والأثر ، وأصحاب الروايات وحملة العلم ، الذين أدركناهم وأخذنا عنهم الحديث وتعلمنا منهم السنن ، وكانوا أئمة معروفين ثقات أهل صدق وأمانة يقتدى بهم ويؤخذ عنهم ، ولم يكونوا أهل بدعة ولا خلاف ولا تخليط وهو قول أئمتهم وعلمائهم الذين كانوا قبلهم فتمسكوا بذلك وتعلموه وعلموه .

قلت : حرب هذا صاحب أحمد وإسحاق ، وله عنهما مسائل جليلة ، وأخذ عن سعيد بن منصور وعبد الله بن الزبير الحميدى . وهذه الطبقة وقد حكى هذه المذاهب عنهم واتفاقهم عليها ، ومن تأمل المنقول عن هؤلاء وأضعاف أضعافهم من أئمة السنة والحديث وجده مطابقاً لما نقله حرب ولو تتبعناه لكان بمقدار هذا الكتاب مراراً ، وقد جمعت منه فى مسألة علو الرب تعالى على خلقه واستوائه على عرشه وحدها سفراً متوسطاً ، فهذا مذهب المستحقين لهذه البشرى قولا وعملا واعتقاداً . وبالله التوفيق .

فصل

ونختم الكتاب بما ابتدأنا به أولا وهو خاتمة دعوى أهل الجنة

قال تعالى (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم تجرى من تحتهم الأنهار فى جنات النعيم ، دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين)[1] .

قال حجاج عن ابن جريج أخبرت أن قوله : دعواهم فيها سبحانك اللهم . قال: إذا مر بهم الطير ليشتهونه ، قالوا : سبحانك اللهم . وذلك دعواهم فيأتيهم الملك بما اشتهوا فيسلم عليهم فيردون عليه ، فذلك قوله تعالى (وتحيتهم فيها سلام) ، قال : فإذا أكلوا حمدوا الله ربهم فذلك قوله تعالى (وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين) .

قال سعيد عن قتادة قوله تعالى (دعواهم فيها سبحانك اللهم) يقول : ذلك دعاؤهم فيها ، وتحيتهم فيها سلام .

---

(١) سورة يونس آيتان ٩ و١٠ .

وقال الأشجعي : سمعت سفيان الثوري يقول إذا أرادوا الشيء قالوا : سبحانك اللهم ، فيأتيهم مادعوا به . ومعنى هذه الكلمة تنزيه الرب تعالى وتعظيمه وإجلاله عما لا يليق به .

وذكر سفيان عن عبد الله بن موهب سمعت موسى بن طلحة قال : « سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سبحان الله ، فقال : تنزيه الله عن السوء » .

وسأل ابن الكواء علياً عنها فقال : كلمة رضيها الله تعالى لنفسه .

وقال حفص بن سليمان بن طلحة بن يحيى بن طلحة عن أبيه عن طلحة بن عبيد الله قال : « سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير سبحان الله فقال هو تنزيه الله عن كل سوء » فأخبر الله تعالى عن أول دعواهم إذا استدعوا شيئاً قالوا سبحان الله وعن آخر دعواهم عند ما يحصل لهم وهو قولهم الحمد لله رب العالمين . ومعنى الآية أعم من هذا والدعوى مثل الدعاء والدعاء يراد به الثناء ويراد به المسألة .

وفي الحديث « أفضل الدعاء الحمد لله رب العالمين » . فهذا دعاء ثناء وذكر يلهمه الله أهل الجنة ، فأخبر سبحانه عن أوله وآخره فأوله تسبيح وآخره حمد يلهمونهما كما يلهمون النفس .

وفي هذا إشارة إلى أن التكليف في الجنة يسقط عنهم ولا تبقى عبادتهم إلا هذه الدعوى التي يلهمونها ، وفي لفظة « اللهم » إشارة إلى صريح الدعاء ، فإنها متضمنة لمعنى يا ألله فهي متضمنة للسؤال والثناء ، وهذا هو الذي فهمه من قال إذا أرادوا الشيء قالوا : سبحانك اللهم فذكروا بعض المعنى ولم يستوفوه مع أنهم قصروا به ، فإنهم أوهموا أنهم إنما يقولون ذلك عندما يريدون الشيء ، وليس

في الآية ما يدل على ذلك ، بل يدل على أن أول دعائهم التسبيح وآخره الحمد .

وقد دل الحديث الصحيح على أنهم يلهمون ذلك كما يلهمون النفس فلا تختص الدعوى المذكورة بوقت إرادة الشيء ، وهذا كما أنه لايليق بمعنى الآية ، فهو لايليق بحالهم . والله تعالى أعلم بالصواب .

فهرس كتاب حادى الأرواح

الصفحة | الموضوع

الصفحة	الموضوع

الصفحة — الموضوع

الصفحة | الموضوع

الصفحة الموضوع

مطبعة المدنى
٦٨ شارع العباسية ــ القاهرة